



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



ارشد
علیه
اصحاب
السلام

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

مَنْهَاجُ الْبَرِّيَّةِ

فَتْحُ مَنَاجِزِ الْبَلَاغَةِ

لِلْأَمِينِ

الْعَلَّامِ الْمُحَرَّرِ الرَّحِيمِ زَيْدِ بْنِ جَبْرِ

الْمَكِّيِّ الْقُرَشِيِّ

الجزء السادس عشر

من مشروعات

الكتاب الإسلامي

في اللغة والنحو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلاميه

ناشر دیجيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

٥	فهرست
١٣	منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ١٦
١٣	مشخصات كتاب
١٤	تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره
١٤	تتمه الخطبه السادسه و الثلاثون و المأتان
١٤	تتمه المعنى
١٤	فى شأن الحكمين و ذم أهل الشام
١٩	«كلام أبى موسى الأشعرى لأهل الكوفه و نهيه إياهم عن نصره»
٢٦	«بحث كلامى»
٢٦	«نقل مسألتين من تنزيه الأنبياء للشریف المرتضى علم الهدى»
٢٧	«لمسأله الأولى»
٢٧	«الجواب عن الشبهه الأولى»
٢٩	«الجواب عن الشبهه الثانيه»
٣٠	«الجواب عن الشبهه الثالثه»
٣٠	«الجواب عن الشبهه الرابعه»
٣٠	«لمسأله الثانيه»
٣١	«الجواب»
٣٢	هدايه و ارشاد
٤٦	«خاتمه فى كلمه صفين»
٤٧	الترجمه
٥٠	و من خطبه له عليه السلام و هى الخطبه السابعه
٥٠	اشاره
٥٠	اللغه
٥١	الاعراب

المعنى	٥١
اشاره	٥١
«عده مواضع من النهج فى أوصاف آل محمد صلى الله عليه وآله»	٥٢
«البحث العقلى و التحقيق العلمى فى الامامه»	٥٤
اشاره	٥٤
كلام هشام بن الحكم فى عصمه الامام	٦٠
مسلك عقلى آخر فى أمر الامامه أيضا	٦٣
«عدم تأثير السحر و الشعبذه و أمثالهما فى الحجج الإلهيه»	٦٥
«لتمسك بايتين و خمسہ أخبار فى الامام و صفاته»	٦٦
الحديث الأول	٨١
الحديث الثانى	٨٣
الحديث الثالث	٨٤
الحديث الرابع	٨٧
الحديث الخامس	١٠٤
تنبيه	١٠٨
«لكلام فى ان السنه وحدها لا تكون حجه إلا بقيم»	١٠٩
«لاخبار المرويه عن أهل بيت العصمه عليهم السلام»	١١٦
احتجاج ثامن الائمه عليه السلام على المخالفين فى امر الإمامه	١٢٠
«لأئمه بعد الرسول صلى الله عليه وآله هم آلهم عليهم السلام لا غير»	١٢٥
«لإمام الأول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام»	١٢٧
الاحاديث و الايات فى على عليه السلام	١٣٤
الإمام الثانى و الثالث	١٣٤
الإمام الرابع	١٣٥
«كلام طنطاوى صاحب التفسير فى الصحيحه السجديه»	١٣٦
«كلام محبى الدين الاعرابى (او المغربى) فيه عليه السلام»	١٣٧
«كلام محمد بن طلحه الشافعى فيه عليه السلام»	١٣٧

الإمام الخامس»	١٥٦
الإمام السادس	١٥٩
«كلام المفيد فيه عليه السلام»	١٥٩
كلام كمال الدين محمد بن طلحه الشافعي»	١٦٠
«كلام القاضي عبد الرحمن بن أحمد العضد الايجي»	١٦٠
«كلام الشيخ العارف محيي الدين الأعرابي او المغربي»	١٦١
«كلام أبي يزيد البسطامي فيه عليه السلام»	١٦١
«ما قال مؤلف تعقيب التقريب»	١٦١
«ما قال فيه عليه السلام القاضي أحمد بن خلكان»	١٦٢
«كلام ابن قتيبه في علمه (عليه السلام) بالجفر»	١٦٢
«ذكر عده ممن أخذوا عنه عليه السلام»	١٦٣
«الإمام السابع»	١٦٧
«ما قال الخطيب في تاريخ بغداد فيه عليه السلام»	١٦٧
«ما قال كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحه الشافعي»	١٦٧
«ما قال علي بن عيسى الاربلي صاحب كشف الغمه»	١٦٨
«كلام المحقق العلامة الخواجه نصير الدين الطوسي»	١٦٩
«الإمام الثامن»	١٦٩
«شعار أبي العلاء المعري في جفر أهل البيت»	١٧١
«الإمام التاسع»	١٧٣
«الإمام العاشر»	١٧٩
«الإمام الحادي عشر»	١٨٢
«الإمام الثاني عشر»	١٨٥
الترجمه	٢٠٠
و من كلامه عليه السلام و هو المأتان و الثامن	٢٠٠
اشاره	٢٠٠
اللغه	٢٠١

٢٠٢	الاعراب
٢٠٣	المعنى
٢٠٣	اشاره
٢٠٨	تنبيه
٢٠٨	الترجمه
٢٠٩	و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و التاسع
٢٠٩	اشاره
٢٠٩	اللغه
٢١٠	الإعراب
٢١٠	المعنى
٢١٧	الترجمه
٢١٨	باب المختار من كتب مولينا أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله
٢١٨	اشاره
٢١٨	من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفه عند مسيره اليهم من المدينه
٢١٨	اشاره
٢١٩	اللغه
٢١٩	اشاره
٢٢٠	«بحث لغوى»
٢٢٥	الاعراب
٢٢٥	اشاره
٢٢٦	نقل الكتاب على صوره اخرى
٢٢٧	المعنى
٢٢٧	اشاره
٢٢٧	الأحداث التى أحدثها عثمان
٢٢٧	اشاره
٢٢٧	قال المسعودى فى مروج الذهب

- ١ - ذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ٢٢٧
- ٢ - اقتصني في أيامه جماعه من أصحابه الضياع و الدور منهم الزبير بن العوام ٢٢٩
- ٣ - و كذلك طلحه بن عبيد الله التيمي ٢٢٩
- ٤ - و كذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري ٢٢٩
- ٥ - و اقتصني سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ٢٢٩
- ٦ - و قد ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب ٢٢٩
- ٧ - و اقتصني المقداد داره بالمدينه في الموضع المعروف بالجرف على أميال ٢٢٩
- ٨ - و مات يعلى بن أميه و خلف خمسمائه ألف دينار ٢٣٠
- اشاره ٢٣٠
- «جواب القاضي عبد الجبار في المغنى عن ذلك و اعتذاره منه» ٢٣١
- «اعتراض الشريف علم الهدى على القاضي» ٢٣٢
- ٩ - و قدم على عثمان عمه الحكم بن أبي العاص و ابن عمه مروان ٢٤٠
- اشاره ٢٤٠
- «جواب القاضي عبد الجبار عن ذلك و اعتذاره منه» ٢٤٢
- «اعتراض علم الهدى عليه و ابطاله جوابه» ٢٤٢
- ١٠ - ثم قال المسعودي: و كان عماله جماعه منهم الوليد بن عقبه بن أبي معيط ٢٤٥
- اشاره ٢٤٥
- «اعتذار القاضي عبد الجبار من ذلك و جوابه عنه في المغنى» ٢٤٩
- «اعتراض علم الهدى عليه و ابطاله جوابه» ٢٥٠
- ١٣ - قال المسعودي في مروج الذهب و غيره: و من ذلك ما نال عمار بن ياسر ٢٥٧
- اشاره ٢٥٧
- «جواب القاضي عبد الجبار و شيخه أبي على عن ذلك» ٢٥٨
- «اعتراض الشريف المرتضى علم الهدى عليه» ٢٥٩
- ١٤ - قال المسعودي في مروج الذهب: و من ذلك فعل الوليد بن عقبه في ٢٦٢
- ١٥ - و من ذلك قصه قتل الهرمزان ٢٦٤
- اشاره ٢٦٤

- ٢٦٦ - «اعتذار القاضي عبد الجبار من تعطيل عثمان الحد الواجب» -
- ٢٦٧ - «اعتراض علم الهدى على القاضي» -
- ٢٦٨ - ١٦ - في المجلى: و من قوادحه عمله بالتكبر و اظهاره لاعماله الجباره -
- ٢٦٩ - ١٧ - و فيه: و من قوادحه عيبهم إياه بأنه لم يحضر غزاه بدر -
- ٢٦٩ - ١٨ - و فيه: و من قوادحه أن الصحابه بأجمعهم أجمعوا على حربه لأجل -
- ٢٧٠ - ١٩ - و فيه: و من قوادحه قصته المشهوره مع أهل مصر -
- ٢٧٠ - ٢٠ - و منها - كما في الامامه و السياسه لابن قتيبه الدينورى -: تركه -
- ٢٧٠ - ٢١ - و فيه أيضا: إداره القطائع و الأرزاق -
- ٢٧٠ - ٢٢ - و فيه أيضا: و ما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط -
- ٢٧٠ - ٢٣ - في المجلى: و من قوادحه إحراقه المصاحف -
- ٢٧٠ - اشاره -
- ٢٧٢ - «اعتذار القاضي عبد الجبار في المغنى من ذلك» -
- ٢٧٢ - «اعتراض الشريف المرتضى في الشافى على القاضي» -
- ٢٧٦ - «التبيان في عدم تحريف القرآن» -
- ٢٧٩ - بيان -
- ٢٨٦ - «البيان في ترتيب سور القرآن» -
- ٢٨٨ - بيان -
- ٢٩٥ - «البرهان على أن عثمان ما نقص من القرآن شيئا و ما زاد فيه» -
- ٢٩٨ - «الكلام في رسم خط القرآن» -
- ٣٠١ - «لما ذا يخالف رسم تلك الحروف القرآنيه أصول رسم الخط؟» -
- ٣٠٢ - «يقرأ القرآن على القراءات السبع المتواتره دون الشواذ» -
- ٣٠٦ - «عدد آى القرآن و حروفه» -
- ٣٠٨ - «رسم النحو في القرآن» -
- ٣٠٩ - بيان -
- ٣٠٩ - «رجم الأوهام و الأباطيل» -
- ٣١٠ - بيان -

- ٣١٣ ----- «تخير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن»
- ٣١٥ ----- «جرى على المحدث النورى ما جرى على ابن شنيوذ»
- ٣١٦ ----- «الله حافظ كتابه و متم نوره»
- ٣١٧ ----- «من نسب إلى الاماميه القول بتحريف القرآن أنه»
- ٣١٨ ----- «كلام السيد الاجل ذى المجدين محيى آثار الأئمه على بن الحسين»
- ٣٢٠ ----- «فذلكه البحث»
- ٣٢٣ ----- ٢٤ - و من ذلك أنه حمى الحمى عن المسلمين
- ٣٢٣ ----- اشاره
- ٣٢٣ ----- «اعتراض الشريف المرتضى عليه»
- ٣٢٤ ----- ٢٥ - و من ذلك أنه أعطى من بيت مال الصدقه المقاتله
- ٣٢٤ ----- ٢٦ - و من ذلك ما فعل بأبى ذر رحمه الله تعالى
- ٣٢٤ ----- اشاره
- ٣٢٥ ----- «نفى عثمان أبا ذر من المدينه إلى الربذه و وفاته فيها»
- ٣٢٩ ----- «كلام أمير المؤمنين على (عليه السلام) و الحسنين و عقيل لابي ذر رحمه الله»
- ٣٣٤ ----- «اعتذار القاضى عبد الجبار و شيخه أبى على على نفى أبى ذر»
- ٣٣٥ ----- «جواب الشريف المرتضى علم الهدى و اعتراضه»
- ٣٣٧ ----- «الكلام فى اجتماع الناس و تذاكرهم أعمال عثمان»
- ٣٣٩ ----- «نصح أمير المؤمنين على (عليه السلام) عثمان»
- ٣٤٥ ----- «توليه عثمان محمد بن أبى بكر على مصر و ارساله»
- ٣٤٧ ----- «حصار أهل مصر و الكوفه و غيرهم عثمان»
- ٣٥١ ----- «مخاطبه عثمان من أعلى القصر طلحه»
- ٣٥١ ----- «كلام عثمان فى طلحه»
- ٣٥٢ ----- «نكار طلحه و الزبير على عثمان»
- ٣٥٣ ----- «كان عمرو بن العاص شديد التحريض و التأليب على عثمان»
- ٣٥٥ ----- بيان
- ٣٥٥ ----- «كلامه الاخر المخالف للأول الصريح فى انه كان عبید الدنيا»

«كلام عائشه فى عثمان و انكارها عليه»	٣٥٦
«قتل عثمان»	٣٥٨
«الموضع الذى دفن فيه عثمان»	٣٦١
«تذكره»	٣٦٣
«جواب القاضى عبد الجبار عن بعض ما قدمناه و اعتذاره منه»	٣٦٣
«اعتراض الشريف المرتضى علم الهدى على»	٣٦٦
«اعتراض القاضى عبد الجبار فى المغنى على الطاعنين»	٣٧٢
«اعتراض علم الهدى على هذه الكلمات»	٣٧٤
«بيعه طلحه و الزبير عليا (عليه السلام) و انهما أول من بايعه (عليه السلام)»	٣٨١
«كلامه (عليه السلام) لما تخلف هؤلاء عن بيعته»	٣٨٣
«أول خطبه خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما بويع له بالخلافه»	٣٨٥
«التوفيق بين تلك الأقوال و وجه الجمع فيها»	٣٨٨
«لناكتان طلحه و الزبير و عله نكتهما بيعه أمير المؤمنين (عليه السلام)»	٣٨٨
«خلاف عائشه على على (عليه السلام) و أطوار أحوالها و أقوالها فيه (عليه السلام) و فى عثمان»	٣٩٣
بيان	٣٩٦
بيان	٣٩٧
«خروج عائشه و طلحه و الزبير و اتباعهم و اشياهم»	٤٠٠
«تحذير ام سلمه عائشه من الخروج و نصحتها لها طورا بعد»	٤٠٢
«خروج على (عليه السلام) إلى الربذه»	٤٠٤
«كتاب على (عليه السلام) إلى أهل الكوفه من الربذه»	٤٠٥
«نزول أمير المؤمنين عليه السلام ذا قار و كتابه إلى»	٤٠٧
«كتاب على عليه السلام إلى أبى موسى الأشعرى ثانيا»	٤٠٧
بيان	٤١٧
درباره مركز	٤١٩

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبیب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲/خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

تتمه الخطبه السادسه و الثلاثون و المأتان

تتمه المعنى

فى شأن الحكيمين و ذم أهل الشام

الحمد لله ملهم الصواب، و الصلاة على حجه الذين اتوا الحكمه و فصل الخطاب، سيما على سيد الأنبياء محمد المصطفى، و أفضل الأوصياء علي المرتضى و بعد فهذا هو المجلد الثاني من «تكملة منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه» فهو المجلد السادس عشر من المنهاج و نسأل الله تعالى التوفيق و السداد و الهدايه إلى الخير و الرشاد.

قوله عليه السلام: (جفاه طغام عبيد اقزام) صدر كلامه بمذام أهل الشام تنفيرا عنهم أى هم قوم غلاظ الطبع قساه القلب افضاظا، و طغام أى هم اوغاد الناس و ارادلهم و الطغام كالطعام خلاف الهمام، و عبيد انما لم يذكر متعلق العبيد ليفيد التعميم و يذهب السامع إلى كل مذهب ممكن أى هم عبيد الدينار و عبيد الدنيا و عبيد النفس و الهوى.

و قيل: او لأن بعضهم لم يكونوا أحرارا و كانوا عبيدا حقيقه و حيث ان اللفظ مهمل يصدق بالبعض.

اقزام أى هم ارادل الناس و أدانيهم.

قوله عليه السلام: (جمعوا من كل أوب و تلقطوا من كل شوب) هاتان الجملتان كأنهما تدلان على معنى واحد و مطلب فارد أى هم جمعوا من كل ناحيه و تلقطوا من فرق مختلطه يعنى أنهم ليسوا بقوم أصيل بل تلقط بعضهم من ههنا و بعضهم من ههنا و فى الجملة الأخيره إشاره لطيفه أيضا إلى أنهم أوباش الناس و أسقاطهم.

قوله عليه السلام: (ممن ينبغى أن يفقه و يؤدب و يعلم و يدرّب) يعنى أنهم قوم جهّال بمعزل عن الكتاب و الدين فينبغى ان يفقهوا، و غير متأدبين باداب الحقّ و غير معتادين بالعادات الجميله من محاسن الأفعال و مكارم الأخلاق فينبغى ان يؤدّبوا أى

يَعْلَمُوا الْأَدَبَ وَ يَذَرُّوْا أَى يَعُوْدُوا بِتِلْكَ الْعَادَاتِ الْحَسَنَةِ.

و قرىء يذَرُّ بِالذَّالِ الْمَعْجَمِ أَيْضًا يُقَالُ ذَرَّبَ الْمَرْأَةُ طِفْلَهَا تَذْرِيبًا إِذَا حَمَلَتْهُ حَتَّى يَقْضَى حَاجَتُهُ وَ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ تَنَاسُبُ الْجُمْلَةَ التَّالِيَةَ لِأَنَّهُمْ صَبِيَّانِ صَغَارَ وَ أَطْفَالٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَ يَنْبَغِي أَنْ يَرْبُوا فِي حَجَرٍ مَرْبٍّ وَ يَعِيشُوا فِي حَضَانِهِ حَاضِنٌ وَ الْمُرَادُ أَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ لَمْ يَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمُوا وَ يَذَرُّوْا بَلْ صَبِيَّانِ يَنْبَغِي أَنْ يَذَرُّوْا فَأَتَى لَهُمْ أَنْ تَقُومُوا مَقَامَ الصَّدِيقَيْنِ وَ يَجْلِسُوا مَجْلِسَ النَّبِيِّينَ وَ يَعْرِفُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّهُمْ خَلِيفَةُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ وَ يَأْخُذُوا أَمْرَهُ أُمُورَ النَّاسِ وَ يَلُومُوا أُمُورَهُمْ أَمْ مِنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ أَمِنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟.

و قد قال عمار في خطبه خطب بها أهل الكوفة يستنفر الناس إلى أمير المؤمنين على عليه السلام: أيها الناس عليكم بإمام لا يؤدب و فقيه لا- يعلم و صاحب بأس لا ينكل و ذى سابقه في الإسلام ليست لأحد، إلخ. و قد برهن في محله أن من أوصاف الإمام أنه يجب أن يكون أفضل من جميع الرعايا في جميع الصفات الكمالية فهو لا يؤدب و لا يعلم و سيأتي تحقيقه في شرح الخطبة التالية إنشاء الله.

قوله عليه السلام: (و يولى عليه و يؤخذ على يديه) قرئ يولى بالتشديد و التخفيف و على الأول يقال: ولّاه الأمر توليه إذا جعله واليا عليه، و على الثانى يقال اولى فلانا على اليتيم إذا أوصاه عليه و اولاه الأمر ايلاء إذا جعله واليا عليه. و هذا كناية عن كونهم سفهاء لا يستحقون أن يلوا أمرا و يفوض اليهم فان العقل و النقل معاضدان على قبح توليه الأمور بأيدي السفهاء و ولايتهم عليها قال عز من قائل:

«وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا» فكيف الأحكام الإلهية و الأمور الشرعية و ما فيها مصالح العامة و حقوق الرعية بل ينبغى أن يمنعوا من التصرف و يحجر عليهم كما يحجر على الصبي و السفیه لعدم رشدهم يقال: أخذ على يد فلان إذا منعه عما يريد أن يفعله فمن بلغ في الغباوه و السفاهه إلى هذا الحد فكيف يرضى العقل و يمضى أن يقتدى به و هل هذا إلا ظلم عظيم، ألا و ان الرعية الفاجره تهلك

ص: ٣

قوله عليه السّلام: (ليسوا من المهاجرين و الأنصار و لا من الذين تبوّأوا الدار) أى سكنوها و هى إشاره إلى قوله تعالى فى سورة الحشر «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ» الآية و لذا جاء فى بعض نسخ الخطبه: و لا من الذين تبوّأوا الدار و الايمان و أجمع المفسرون بأن الدار هى المدينه و هى دار الهجره تبوّأها الأنصار قبل المهاجرين و كانوا من أهل المدينه اسلموا بها قبل هجره الرسول بستتين و بنوا بها المساجد و أثنى عليهم بقوله عزّ من قائل «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» فالذين تبوّأوا الدار هم طائفه من الأنصار فكرر ذكرهم تأكيدا.

و قال الفاضل الشارح المعتزلى بقوله: و أيضا فان لفظه الأنصار واقعه على كلّ من كان من الأوس و الخزرج اللّذين أسلموا على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و اللّذين تبوّأوا الدار و الايمان فى الآية قوم مخصوصون منهم و هم أهل الاخلاص و الايمان التام فصار ذكر الخاص بعد العام كذكره تعالى جبرئيل و ميكال ثم قال: و الملائكه بعد ذلك ظهيرا و هما من الملائكه.

و أقول: أمّا المهاجرون فهم اللّذين هاجروا بلادهم أى تركوها و صاروا إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و أمّا اللّذين اسلموا من أهل المدينه الرسول قبل هجرته او بعد هجرته فيسمّون أنصارا و قد اشبعنا الكلام فيه قبل و الذين تبوّأوا الدار و الايمان قوم مخصوص منهم و هم اللّذين أسلموا قبل هجرته صلّى الله عليه و آله و لذا قيدنا كلامنا بقولنا هم طائفه من الأنصار فصار ذكر الخاص بعد العام بهذا المعنى.

ثم على نسخه و الايمان يكون الايمان متبوعا على الاستعاره و فى الكافى عن الصادق عليه السّلام: الايمان بعضه من بعض و هو دار و كذلك الاسلام دار و الكفر دار، و لما أنّهم ثبتوا على الايمان و اطمأنت قلوبهم به سمّاه متبوعا و منزلا لهم. و قدّر غير واحد من المفسرين فى الآية لازموا و نظائره اى تبوّأوا الدار و لازموا الايمان مثل قوله:

ای معتقلا رمحا لأن الرمح لا يتقلد به بل يعتقل به يقال: فلان تقلد سيفه و اعتقل رمحه و كقول الشاعر:

علفتها تبنا و ماء باردا حتى شنت هماله عيناها

ای علفتها تبنا و سقيتها ماء باردا و إنما كان قوله هذا ذمًا لهم لأن عدم اتصافهم بها نقصان لهم بالقياس إلى المتصفين بها، و من تتبع آثار السلف يجد أن السابغة في الاسلام و الهجره تعدّ من الفضائل و المفاخر و المدائح و من كان اسبق اسلاما و اقدم هجره من الاخر يفضل عليه.

قوله عليه السلام: (الا و ان القوم اختاروا لأنفسهم اقرب القوم مما يحبون و انكم اخترتم لأنفسكم اقرب القوم مما تكرهون).

يعنى بالقوم الأول أهل الشام و بالأخيرين الناس و ما كانوا يحبونه الغلبه على أهل العراق و الظفر بهم و اقرب الناس لهم من غرضهم ذلك هو عمرو بن العاص و إنما كان اقرب الناس إلى وصول غرضهم بمكره و حيله و خدائعه و ميله إلى معاويه و اتّباعه اثره اتباع الكلب للضرغام يلوذ إلى مخالفه و ينتظر ما يلقي اليه من فضل فريسته.

و الخطاب في انكم و اخواته إلى أهل العراق و ما يكرهه أهل العراق هو بعينه ما يحبّه أهل الشام و هو صيوره الأمر إلى معاويه بخذلان أهل العراق و انكسارهم و اقرب الناس منه أبو موسى الأشعري إمّا لغباوته و سفاهته و فساد رأيه لأنّه كان رجلا كليل الشفّره قريب القعر مدهوش الجنان و هو كما عرّفه عمرو بن العاص حين تشاجرا:

و أنّما مثله مثل الحمار يحمل اسفار الایه أو لبغضه عليّا عليه السلام و انحرافه عنه لأنّه عليه السلام عزله عن الكوفه لما قتل عثمان لما دريت من ترجمه الرجل من قبل و ما قال حذيفه فيه و غير ذلك مما قدمنا ذكره.

قوله عليه السلام: (و إنّما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول: إنّها فتنة فقطعوا

ص: ٥

١- (١) نقل البيت في أقرب الموارد في مادة ج م ع و المصرع الأول فيه هكذا: يا ليت زوجك قد غدا. منه.

أوتاركم و شيموا سيوفكم فان كان صادقا فقد اخطأ بمسيره غير مستكره و إن كان كاذبا فقد لزمته التهمه) عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري كما دريت من ترجمته و المراد بالأمس واقعه الجمل فأنها كانت قبل واقعه صفين و التعبير بالأمس كناية عن عدم مضيّ زمان طويل منها و عن انهم قريب العهد بها فلا يتأتى لهم انكار ما سمعوا من أبي موسى في الأمس و ادعاء الغفله و النسيان عنه و كان أبو موسى ينهى أهل العراق عن نصرته عليه السلام عند مسيره إلى أهل البصره و يأمرهم بالاعتزال عن الحرب و كان يرى أن قتال أهل القبله فتنه يجب الاعتزال عنها و يقول: انها فتنه فقطعوا أوتاركم يعنى أوتار قسيكم و شيموا سيوفكم اى اغمدوها، كناية عن ترك القتال و الاجتناب عنه.

«كلام أبي موسى الأشعري لأهل الكوفه و نبيه اياهم عن نصره»

«أمير المؤمنين على عليه السلام بعد ما استنفر الناس اليه عليه السلام»

«الحسن بن على و عمار بن ياسر عند مسيره عليه السلام إلى أهل البصره»

قال أبو مخنف: ان أمير المؤمنين عليا عليه السلام لما توجه من المدينه إلى البصره خطب الحسن بن على عليه السلام و عمار بن ياسر أهل الكوفه يستنفران الناس إلى على عليه السلام و بعد ما نقل خطبتهما قال: حدّثنا الكلبي عن أبي صالح أن أبا موسى الأشعري لما سمع خطبه الحسن و عمار قام فصعد المنبر و قال:

الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد فجمعنا بعد الفرقه و جعلنا إخوانا متحابين بعد العداوه و حرّم علينا دمانا و أموالنا قال الله سبحانه «لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ» و قال تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا» فاتّقوا الله عباد الله و ضعوا أسلحتكم و كفّوا عن قتال إخوانكم، أمّا بعد يا أهل الكوفه إن تطيعوا الله باديًا و تطيعونى ثانيا تكونوا جرثومه من جراثيم العرب يأوى إليكم المضطّرّ و يأمن فيكم الخائف، إن عليا إنّما يستنفركم لجهاد امّكم عائشه و طلحه و الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه و آله و من معهم من المسلمين و أنا أعلم بهذه الفتن، أنّها إذا أقبلت شبّهت و إذا أدبرت أسفرت. إنّى أخاف عليكم أن يلتقى غاران منكم فيقتتلا ثم يتركا كالأحلاس الملقاه بنجوه من الأرض ثم يبقى رجرجه من

النَّاس لا- يأمرّون بالمعروف ولا ينهون عن منكر إنها قد جائتكم فتنه كافر لا يدرى من أين تؤتى، تترك حيران كأنى أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفتن فيقول: أنت فيها نائما خير منك قاعدا و أنت فيها جالسا خير منك قائما و أنت فيها قائما خير منك ساعيا فشيموا سيوفكم و قصفوا رماحكم و انصلوا سهامكم و قطعوا أوتاركم و خلّوا قريشا ترتق فتقها و تراب صدعها فان فعلت فلاأنفسها ما فعلت و إن أبت فعلى أنفسها ما جنت، سمها فى أديمها استنصحنى و لا تستغثنى و أطيعونى و لا تعصونى يتبين لكم رشدكم و تصلّى هذه الفتنة من جناها.

قال: فقام إليه عمار بن ياسر فقال: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك؟ قال: نعم، هذه يدى بما قلت: فقال: إن كنت صادقا فائما عناك بذلك وحدك و اتخذ عليك الحجة فالزم بيتك و لا تدخلن فى الفتنة أما أنى أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر عليا بقتال الناكثين و سمى لى فيهم من سمى و أمره بقتال القاسطين و إن شئت لأقيمن لك شهودا يشهدون أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما نهاك وحدك و حذرك من الدخول فى الفتنة ثم قال له: أعطنى يدك على ما سمعت فمدّ إليه يده فقال له عمار: غلب الله من غالبه و جاحده ثم جذبه فنزل عن المنبر.

أقول: و سيأتى تمام الكلام فى شرح الكتاب الأول من باب المختار من كتبه عليه الصلاة و السلام.

ثم إنّ كلامه عليه السلام هذا احتجاج عليهم فى اختيارهم أبا موسى للحكومة و صوره الاحتجاج: انكم يا أهل العراق قريبو العهد بقول أبى موسى يقول لكم عند مسيرى إلى أهل البصرة: هذه هى الفتنة التى وعدنا بها و أمرنا بالاعتزال عنها فقطعوا أوتاركم و شيموا سيوفكم، فان كان أبو موسى فى قوله هذا صادقا فقد أخطأ بمسيره إلينا و حضوره معنا فى صفين و تكثيره سواد أهل العراق حالكونه غير مستكره فى ذلك أى لم يكرهه و لم يجبره أحد فى ذلك حتّى يقال أنّه حضره مستكرها و إن لم يحارب و لم يسلّ السيف، و إن كان كاذبا و مختلفا فيه فقد لزمته التهمة أى الكذب و الاختلاق فهو فاسق بكذبه، فعلى التقديرين صدق ام كذب قبح جعله حكما و لا ينبغى

حكومته في هذا الأمر الخطير الجليل والاعتماد عليه فيه.

وقال الشارح الفاضل المعتزلي: هذا الكلام منه عليه السلام يؤكد صحته إحدى الروايتين في أمر أبي موسى فإنه قد اختلفت الرواية هل حضر حرب صفين مع أهل العراق أم لا؟ فمن قال: حضر قال: حضر ولم يحارب وما طلبه يماثيون من أصحاب علي عليه السلام ليجعلوه حكما كالأشعث بن قيس وغيره إلا وهو حاضر معهم في الصف ولم يكن منهم على مسافه ولو كان منهم على مسافه لما طلبوه وكان لهم فيمن حضر غناء عنه، ولو كان على مسافه لما وافق علي عليه السلام على تحكيمه ولا كان علي عليه السلام ممن يحكم من لم يحضر معه وقال الأكثرون: إنه كان معتزلا للحرب بعيدا عن أهل العراق وأهل الشام.

ثم قال: فإن قلت: فلم لا يحمل قوله عليه السلام فإن كان صادقا فقد أخطأ بسيره غير مستكره على مسيره إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأهل العراق حيث طلبوه ليفوضوا إليه أمر الحكومة؟ قلت: لو حملنا كلامه عليه السلام على هذا لم يكن لازما لأبي موسى وكان الجواب عنه هينا وذلك لأن أبا موسى يقول: إنما أنكرت الحرب وما سرت لاحارب ولا لأشهد الحرب ولا لاغرى بالحرب وإنما سرت للاصلاح بين الناس واطفاء نائره الفتنة فليس يناقض ما رويته عن الرسول من خبر الفتنة ولا ما قلته في الكوفة في واقعه الجمل فقطعوا أوتار قسيكم. انتهى ما اردنا من نقل كلامه.

أقول: إن أبا موسى حضر صفين ولم يحارب ولم يسلّ السيف كما نقلنا من قبل عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم وتاريخ أبي جعفر الطبري ان القوم لما صفحوا عن رأي أمير المؤمنين علي عليه السلام وعصوه وأبوا إلا أبا موسى حكما لأهل العراق بعثوا إلى أبي موسى وقد اعتزل بأرض من أرض الشام يقال لها: عرض واعتزل القتال فأتاه مولى له فقال: إن الناس قد اصطلحوا فقال: الحمد لله رب العالمين، قال:

وقد جعلوك حكما قال: إنا لله وإنا إليه راجعون فجاء أبو موسى حتى دخل عسكر علي عليه السلام.

ثم إن قول القائل: وما طلبه يماثيون إلا من كان حاضرا معهم ولو كان

على مسافه لما طلبوه و لكان لهم فيمن حضر غناء عنه، بديهي البطلان و يظهر وهنه بأدنى تأمل على أن ما سمعت من أهل النقل و حمله الاثار من أن أهل الشام لما رأوا انكسارهم و خذلانهم رفعوا المصاحف بالرماح خديعه و دهاء و مكيده حتى أن أجمع الفريقان على أن يحييا ما أحيى القرآن و أن يميتا ما أمت القرآن ثم رجع كل فريق إلى أصحابه و قال الناس: قد رضينا بحكم القرآن فقال أهل الشام: فانا قد رضينا و اخترنا عمرو بن العاص و قال الأشعث و القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد: فانا قد رضينا و اخترنا أبا موسى الأشعري فقال لهم علي عليه السلام: إنني لا أرضى بأبي موسى و لا أرى أن أوليه فقال الأشعث و يزيد بن حصين الطائي و مسعر بن فدكي في عصابه من القراء: إنا لا نرضى إلا به فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه فعمده ما استمسكوا بها في اختيارهم أبا موسى أنه حذرهم عن الحرب و غير ذلك مما مرّ و لا فائده في الاعاده و الاطاله و لا يخفى ان حضوره عندهم و غيابه عنهم سيان في غرضهم ذلك فالا احتمالات التي ذكرها القائل واهيه موهونه جدًا.

و أوهن منها ما قال: لو كان على مسافه لما وافق علي عليه السلام على تحكيمه و لا كان علي مّمن يحكم من لم يحضر معه، لأنه عليه السلام كان كارها و مستكرها و غير موافق في أبي موسى و حكينا من نصر و أبي جعفر الطبري و غيرهما آنفا أنه عليه السلام قال:

فان أبا موسى ليس لي برضا و قد فارقتي و خذل الناس عني ثم هرب حتى أمنت بعد أشهر و لكن هذا ابن عباس أوليه ذلك قالوا: و الله ما نبالي أنت كنت او ابن عباس لا نريد إلا رجلا هو منك و من معاويه سواء ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر قال علي: فاني أجعل الأشر قال الأشعث: و هل سحر الأرض علينا غير الأشر و هل نحن إلا في حكم الأشر قال له علي عليه السلام: و ما حكمه؟ قال: حكمه ان يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكونن ما أردت و ما أراد إلى آخر ما نقلنا. و يقول عليه السلام:

في هذه الخطبه أيضا: فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس.

و مع الاغماض و الصفح عن ذلك كله و لو قيل إن أبا موسى لم يحضر صفين قطّ و ما شهد حربا قلنا فقد أخطأ أيضا بمسيره إلى القوم ليفوضوا اليه أمر الحكومه

و لزمته التهمه لأَنَّهُ روى كما نقلنا من قبل عن ابن عبد البر فى الاستيعاب و المسعودى فى مروج الذهب و نصر بن مزاحم فى كتاب صفين و أبى محمد بن متويه المعتزلى و غيرهم عن سويد بن غفله حيث قال: كنت مع أبى موسى على شاطئ الفرات فى خلافه عثمان فروى لى خبرا عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: سمعته يقول: إن بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكيمين ضالين ضالاً و أضللاً من اتبعهما و لا ينفك امر امتى حتى يبعثوا حكيمين يضلان و يضلان من تبعهما فقلت له: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما فخلع قميصه و قال: ابرء إلى الله من ذلك كما ابرء من قميصى هذا.

فنقول: إمّا أن يكون فى نقل الخبر صادقا او كاذبا فان كان صادقا فهو الضالّ المضلّ و قد اخطأ بمسيره اليهم و دخوله فى الحكومه فكيف يجوز أن يقول: أنما سرت للاصلاح بين الناس و اطفاء نائره الفتنة من شهد على نفسه بالضللال و الاضلال و كيف لا يناقض بعض قوله بعضا و هل هذا إلا التهافت.

و إن كان كاذبا فقد لزمته التهمه فهو فاسق فلا ينبغى الاعتماد عليه فى هذا الخطب الخطير و قد كان فى القوم من لم يكن فيه تلك التهمه و سوء الظن مع قوه العقل و صحه النظر و ظهور النصح مع جواز أن يكون رضاه لحب الحكومه فان الملك عقيم و للانتقام من على عليه السلام لما قد نقلنا من ابن عبد البر و غيره بعد ذكر عزله عليه السلام آياه عن الكوفه فلم يزل واجدا على على عليه السلام حتى جاء فيه ما قال حذيفه:

إلى آخر ما نقلنا فى ترجمه أبى موسى.

و سيأتى تمام الكلام فيه فى كتابه عليه السلام الثالث و الستين اليه قوله عليه السلام من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد فقد بلغنى إلخ فارتقب.

بيان فى مروج الذهب للمسعودى نقلت الروايه عن سويد بن علقمه و فى غيره عن سويد بن غفله و الأخير صواب و ما فى مروج الذهب تصحيح من النساخ قال علامه الحلى قدس سره فى الخلاصه: قال البرقى إنه من اولياء أمير المؤمنين عليه السلام و هو سويد بن غفله الجعفى، و فى منتهى المقال فى أحوال الرجال لأبى على نقلا عن مختصر تذكره الذهبى: ولد عام الفيل او بعده بعامين و أسلم و قد شاخ فقدم المدينه

و قد فرغوا من دفن المصطفى صلى الله عليه وآله - إلى ان قال: و كان ثقہ نبیلا عابدا زاهدا قانعا باليسير كبير الشأن یکنی أبا امیہ، و قيل الجعفی بالغین المعجمہ.

قوله عليه السّلام: (فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس) یعنی نَحْوہ بابن العباس و اضربوا صدره به، ای اجعلوا عبد الله بن العباس حکما مقابلا لعمرو بن العاص حتّی يدفعه عما يريد، و قد نقلنا قبل من کتاب صفین (ص ۲۷۰ طبع ایران الناصری) لنصر بن مزاحم، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر محمّد بن علیّ علیهما السّلام قال: لما أراد النّاس علیّا عليه السّلام علی أن يضع حکمین قال لهم علی:

إن معاویه لم یکن لیضع لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأیه و نظره من عمرو بن العاص و أنّه لا یصلح للقرشی إلّا مثله فعليکم بعبد الله بن العباس فارموه به فان عمرا لا یعقد عقده إلّا حلّها عبد الله و لا یحلّ عقده إلّا عقدھا و لا یرم أمرا إلّا نقضه و لا ینقض أمرا إلّا أبرمه، فقال الأشعث: لا و الله لا یحکم فینا مضریان حتّی تقوم الساعه و لكن اجعله رجلا من أهل الیمن إذا جعلوا رجلا من مضر فقال علیّ عليه السّلام: إنّی أخاف أن یخدع یمتیکم فان عمرا لیس من الله فی شیء حتی إذا کان له فی أمر هواه فقال الأشعث:

و الله لأن یحکما ببعض ما نکره و أحدهما من أهل الیمن أحبّ الینا من أن یكون ما نحبّ فی حکمهما و هما مضریان، قال علیّ عليه السّلام: قد أبیتم إلّا- أبا موسى قالوا: نعم، قال: فاصنعوا ما أردتم، و فی روایه اخرى فاصنعوا ما شئتم اللهم إنّی أبرء إلیک من صنعهم.

قوله عليه السّلام: (و خذوا مهل الأيام) ای لا تهملوا المهله فاغتنموا سعه الأيام و فسحتها قبل أن تضیق و تفوت عنکم فاعملوا فیها ما ینبغی لکم.

قوله عليه السّلام: (و حوطوا قواصی الإسلام) ای احفظوا نواحی بلاد الاسلام و حدودها و أطرافها.

أقول: لمّا بلغ شرحنا إلى هنا کتب إلیّ صديق لی کتابا أظهر فیہ شکوی إلیّ و أبرز حاجه، و طلب الإفتاء فی رؤیاء، و الرّجل و إن کان ذا فضل لكنه لم یکن عارفا بالعلوم العربیه حتّی النحو و لغه العرب فذهبت إلیه فأشکیته ثمّ انجرّ الكلام إلى مکتوبه فقال: أما الشکوی فإن بی شکاه مده شهرین و لم تعدنی، فأعذرته

بعدم العلم به، فقال: أمّا الحاجه فإلى مجلد من ناسخ التواريخ فى ترجمه عيسى روح الله عليه السّلام، و أمّا الرؤيا فرأيت فى المنام أنى اسافر معك حتّى انتهينا إلى ثقب جبل فجاوزناه فاوينا إلى ناحيه فاذن ان بى حيره فى أمرى اقدم رجلا و أؤخر اخرى و لكنك جالس فرحا مبتهجا و حولك كتب كثيره و أمعنت فى الكتابه كأنك شاغل بتأليف كتاب فاسترقت البصر فرأيت أنك كتبت «حوطو».

فلما أخبرته بشرحنا هذا و أنّه بلغ إلى قوله عليه السّلام: «حوطوا قواصى الاسلام» عجب، و عجبت أيضا و لعمرى أن الرجل لم يكن مطلعا على أمرى و كنت غائبا عنه منذ سنه و بذلك تفألت بالخير فى اقبالى إلى هذا الشرح المنيف و إقدامى عليه و أرجو من الله أن يوفّقنى للاتمام فانه ولى التوفيق و أن يجعل نفعه أعم و فائدته أتم.

اللهم آمين، و يرحم الله عبدا قال آمينا.

قوله عليه السّلام: (أ لا ترون إلى بلادكم تغزى و إلى صفاتكم ترمى) قد مرّ أنّ الصفاه فى الأصل الحجر الصلد الضخم لا يثبت و لا تنفذ فيها السهام و هذه الكلمه كما يستفاد من مواضع كثيره من استعمالهم يكتنى بها عن عرض الرجل و حيطته و حوزته و نظائرها مما لها شأن و يقال: فلان رمى صفاه فلان إذا دهاه بداهيه قال ابن عمّ لأبى موسى مخاطبا إياه كما فى كتاب صفين لنصر (ص ٣٠٠ الطبع الناصرى):

أبا موسى بليت فكنت شيخا قريب القعر مدهوش الجنان

رمى عمرو صفاتك يا ابن قيس بأمر لا تنوء به اليدان

و فلان لا تفرع له صفاه اى لا يناله أحد بسوء و لا يطمع فيه فقوله عليه السّلام أ لا ترون إلى آخره ترغيب لهم فى حفظ حوزة الاسلام و صيصيته و حياطه قواصى بلاده و تهيج لهم فى دفع أيدي الأجانب عن بيضه الاسلام و أهله.

فاستثار عليه السّلام نفوسهم بأن العدو طمع فيهم و قصد بلادهم و رمى صفاتهم حتّى لا تفرق كلمتهم و لا تشتت وحدتهم فتذهب ريحهم و العدو هو معاويه الطغام و أتباعه الفجره اللثام من أهل الشام.

ص: ١٢

ثم قال الشارح الفاضل المعتزلى: قوله عليه السلام لا ترون إلى آخره يدل على أن هذه الخطبه بعد انقضاء أمر التحكيم لأن معاويه بعد أن تم على أبى موسى من الخديعه ما تم استعجل أمره و بعث السرايا إلى اعمال على عليه السلام، يقول: قد بلغت غارات أهل الشام حدود الكوفه التى هى دار الملك و سرير الخلافه و ذلك لا يكون إلا بعد الاثخان فى غيرها من الأطراف.

أقول: كلامه عليه السلام فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس يدل على أن هذه الخطبه صدرت منه عليه السلام فى أثناء تشاجر القوم فى اختيار الحكيم كما نقلنا قولاً آخر نظيره منه عليه السلام: فعليكم بعبد الله بن العباس فارمونه به فان عمراً لا يعقد عقده إلا حلها عبد الله إلى آخر ما مر آنفاً، و لو كان بعد انقضاء التحكيم لما كان لكلامه عليه السلام ذلك مجال.

بل الظاهر من صوره احتجاجه عليه السلام عليهم يدل على أن الخطبه قبل انقضاء أمر التحكيم و إنما قالها عليه السلام توبيخاً لهم بسوء رأيهم و قبح اختيارهم فى أبى موسى و تنبيهها لهم بأن ابن العباس ينبغي أن يجعل قبال ابن العاص و لا ينافى هذا قوله عليه السلام ألا ترون إلى بلادكم تغزى و إلى صفاتكم ترمى لأن أهل الشام قبل انقضاء أمر التحكيم أيضاً كانوا يغزون بلادهم و يرمون صفاتهم و طمعوا فيهم حتى فعلوا ما فعلوا، على انه يمكن أن يكون على صوره الاخبار حثّاهم على اغتنام الفرصه و حياطه بيضه الاسلام و ايقاظا لهم بان الأعداء قد أشرفوا عليهم لو ذهبوا إلى رأيهم الفاسد و نظرهم الكاسد.

«بحث كلامي»

«نقل مسألتين من تنزيه الأنبياء للشيخ المرتضى علم الهدى»

«فى ايراد شبهات و أجوبتها فى المقام»

ذكر علم الهدى رضوان الله عليه فى قسم تنزيه الأئمه من كتابه الموسوم بتنزيه الأنبياء عدّه شبهات ربّما تورّد فى المقام ثم تصدّى للجواب عنها و نحن

ص: ١٣

نكتفى بمجرد نقلها عنه من غير بسط و زياده مّا قال رحمه الله:

«المسألة الأولى»

فان قيل: فما الوجه في تحكيمه عليه السّلام أبا موسى الأشعري و عمرو بن العاص و ما العذر في أن حُكّم في الدّين الرّجال؟ و هذا يدلّ على شكّه في امامته و حاجته إلى علم (علمه - خ ل) بصحة طريقته.

ثمّ ما الوجه في تحكيمه فاسقين عنده عدوّين له؟ أو ليس قد تعرض بذلك لأن يخلعا امامته و يشكّكا النّاس فيه و قد مكنهما من ذلك بأن حُكّمهما و كانا غير متمكنين منه و لا أقوالهما حجة في مثله؟.

ثمّ ما العذر في تأخير جهاد المرقه الفسقه و تأجيله ذلك مع امكانه و استظهاره و حضور ناصره؟ ثمّ ما الوجه في محو اسمه من الكتاب بالامامه و تنظره بمعاويه في ذكر نفسه بمجرد الاسم المضاف إلى الأب كما فعل ذلك به و أنتم تعلمون أن بهذه الأمور ضلّت الخوارج مع شدّه تخشنها في الدين و تمسكها بعلائقه و وثائقه؟

«الجواب عن الشبهة الأولى»

قلنا: كلّ أمر ثبت بدليل قاطع غير محتمل فليس يجوز أن نرجع عنه و نشكّك فيه لأجل أمر محتمل و قد ثبت امامه أمير المؤمنين عليه السّلام و عصمته و طهارته من الخطاء و براءته من الذنوب و العيوب بأدله عقليه و سمعيّه فليس يجوز أن نرجع عن ذلك أجمع و لا- عن شيء منه لما وقع من التحكيم المحتمل للصواب بظاهره و قبل النظر فيه كاحتماله للخطاء و لو كان ظاهره أقرب إلى الخطاء و أدنى إلى مخالفه الصواب بل الواجب في ذلك القطع على مطابقه ما ظهر من المحتمل لما ثبت بالدليل و صرف ما له ظاهر عن ظاهره و العدول به إلى موافقه مدلول الدلالة الّتي لا يختلف مدلولها و لا يتطرق عليها التأويل و هذا فعلنا فيما ورد من آي القرآن الّتي تخالف بظاهرها الأدلّه العقليّه مما يتعلق به الملحّدون او المجبره او المشبهه، و هذه جملة قد كررنا ذكرها في كتابنا هذا لجلاله موقعها من الحجة و لو اقتصرنا في حلّ هذه الشبهة عليها

ص: ١٤

لكانت مغنيه كافيه كما أنها كذلك فيما ذكرناه من الأصول لكننا نزيد وضوحا في تفصيلها و لا نقتصر عليها كما لم نفعل ذلك فيما صدرنا به هذا الكتاب من الكلام في تنزيه الأنبياء عليهم السلام عن المعاصي.

فنقول: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام ما حَكَمَ مختاراً بل احوج إلى التحكيم و الجيء إليه لأن أصحابه عليه السلام كانوا من التخاذل و التقاعد و التواكل إلا القليل منهم على ما هو معروف مشهور و لما طالت الحرب و كثر القتل و جلّ الخطب ملّوا ذلك و طلبوا مخرجاً من مقارعه السيوف و اتفق من رفع أهل الشام المصاحف و التماسهم الرجوع اليها و اظهارهم الرضا بما فيها ما اتفق بالحيله التي نصبها عدو الله عمرو ابن العاص و المكيدة التي كادبها لما أحسّ بالبوار و علوّ كلمه أهل الحق و أن معاويه و جنده مأخوذون قد علتهم السيوف و دنت منهم الحتوف فعند ذلك وجد هؤلاء الأغنام طريقاً إلى الفرار و سبيلاً إلى وقوف أمر المناجزة و لعلّ منهم من دخلت عليه الشبهه لبعده عن الحق و غلظ فهمه و ظن أن الذي دعى إليه أهل الشام من التحكيم و كفّ الحرب على سبيل البحث عن الحقّ و الاستسلام للحجّه لا- على وجه المكيدة و الخديعه فطالبوه عليه السلام بكفّ الحرب و الرضا بما بذله القوم فامتنع عليه السلام من ذلك امتناع عالم بالمكيدة ظاهر على الحيله و صرّح لهم بأن ذلك مكر و خداع فأبوا و لجّوا فأشفق عليه السلام في الامتناع عليهم و الخلاف لهم و هم جمه عسكره و أصحابه من فتنه صمّاء هي أقرب اليه من حرب عدوّه و لم يأمن أن يتعدّى ما بينه و بينهم إلى أن يسلموه إلى عدوّه أو يسفكوا دمه. فأجاب إلى التحكيم على مضض و ودّ من كان قد أخذ بخناق معاويه و قارب تناوله و أشرف على التمكن منه (منهم - خ ل) حتّى أنّهم قالوا للأشتر رحمه الله تعالى و قد امتنع من أن يكف عن القتال و قد أحسّ بالظفر و أيقن بالنصر: أتحبّ أنّك ظفرت ههنا و أمير المؤمنين عليه السلام عند رفعهم المصاحف اتّقوا الله و امضوا على حقكم فان القوم ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن و أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم اطفالاً و رجالاً فكانوا شرّ اطفال و شرّ رجال أنّهم و الله ما رفعوا المصاحف ليعملوا بها و إنّما رفعوها خديعه و دهاء و مكيدة، فأجاب عليه السلام إلى التحكيم

دفعاً للشرّ القويّ بالشرّ الضعيف و تلافياً للضرر الأعظم بتحمل الضرر الأيسر.

و أراد أن يحكّم من جهته عبد الله بن العباس رحمه الله عليه فأبوا عليه و لجّوا كما لجّوا في أصل التحكيم و قالوا: لا بدّ من يمانيّ مع مصرّي فقال عليه السلام: فضّمّوا الأشر و هو يمانيّ إلى عمرو فقال الأشعث بن قيس: الاشر هو الذي طرحنا فيما نحن فيه و اختاروا أبا موسى مقترحين له عليه عليه السّلام ملزمين له تحكيمه فحكّمهما بشرط أن يحكما بكتاب الله تعالى و لا يتجاوزاه و انهما متى تعدّياه فلا حكم لهما و هذا غاية التحرز و نهايه التيقظ لأننا نعلم أنهما لو حكما بما في الكتاب لأصابا الحق و علما أن أمير المؤمنين عليه الصلاة و السّلام أولى بالأمر و أنّه لاحظ لمعاويه و ذويه في شيء منه، و لمّا عدلا إلى طلب الدّنيا و مكر أحدهما بصاحبه و نبذا الكتاب و حكمه وراء ظهورهما خرجا من التحكيم و بطل قولهما و حكمهما و هذا بعينه موجود في كلام أمير المؤمنين عليه السّلام لمّا ناظر الخوارج و احتجّوا عليه في التحكيم و كلّ ما ذكرناه في هذا الفصل من ذكر الأعذار في التحكيم و الوجوه المحسنه له مأخوذ من كلامه عليه السّلام و قد روى عنه عليه السّلام مفصّلاً مشروحاً.

«الجواب عن الشبهه الثانيه»

فأمّا تحكيمهما مع علمه بفسقهما فلا سؤال فيه إذ كنّا قد بينا أن الاكراه وقع على أصل الاختيار و فرعه و أنه عليه السّلام الجيء إليه جملة ثمّ إلى تفصيله و لو خلّى عليه السّلام و اختياره ما أجاب إلى التحكيم أصلاً و لا رفع السيف (السيوف - خ ل) عن أعناق القوم لكنّه أجاب اليه ملجئاً كما أجاب إلى من اختاره و بعينه كذلك و قد صرّح عليه السّلام بذلك في كلامه حيث يقول: لقد أمسيت أميراً و أصبحت مأموراً و كنت أمس ناهياً و أصبحت اليوم منهياً و كيف يكون التحكيم منه عليه السّلام دالاً على الشكّ و هو عليه السّلام ناه عنه و غير راض به و مصرّح بما فيه من الخديعه و إنّما يدلّ ذلك على شكّ من حملة عليه و قاده اليه.

و إنّما يقال: إنّ التحكيم يدلّ على الشكّ إذا كنّا لا نعرف سببه و الحامل عليه او كان لا وجه له إلّا ما يقتضى الشكّ، فأمّا إذا كنا قد عرفنا ما اقتضاه و ادخل

فيه و علمنا أنه عليه السَّلام ما أجاب اليه إلاّ لدفع الضرر العظيم و لأن يزول الشبهه عن قلب من ظنّ به عليه السَّلام أنه لا يرضى بالكتاب و لا يجيب إلى تحكيمه، فلا وجه لما ذكروه، و قد أجاب عليه السَّلام عن هذه الشبهه بعينها فى مناظرتهم لما قالوا له:

أشككت؟ فقال: عليه السَّلام أنا أولى بأن لا أشك فى دينى أم النبىّ صَلَّى الله عليه و آله أو ما قال الله تعالى لرسوله: «قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

و أمّا قول السائل فإنّه عليه السَّلام تعرض لخلع امامته و مكّن الفاسقين من أن يحكما عليه بالباطل فمعاذ الله أن يكون كذلك لأننا قد بينا أنه عليه السَّلام إنما حكمهما بشرط لو وفيا به و عملا عليه لأقرا امامته و أوجبا طاعته لكنهما عدلا عنه فبطل حكمهما فما مكّنهما مع خلع امامته و لا تعرض منهما لذلك و نحن نعلم أن من قلّم حاكما أو ولى أميرا ليحكم بالحق و يعمل بالواجب فعدل عمّا شرطه و خالفه لا يسوغ القول بأن من ولّاه عرضه للباطل و مكّنه من العدول عن الواجب و لم يلحقه شىء من اللوم بذلك بل كان اللوم عائدا على من خالف ما شرط عليه.

«الجواب عن الشبهه الثالثه»

فأمّا تأخير جهاد الظالمين و تأجيل ما يأتى من استيصالهم فقد بينا العذر فيه و أن أصحابه عليه السَّلام تخاذلوا و تواكلوا و اختلفوا و أن الحرب بلا أنصار و بغير أعوان لا يمكن و المتعرض لها مغرر بنفسه و أصحابه.

«الجواب عن الشبهه الرابعه»

فأمّا عدوله عن التسميه بأمر المؤمنين و اقتصاره على التسميه المجرده فضروره الحال دعت اليها و قد سبقه إلى مثل ذلك سيّد الأولين و الاخرين رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فى عام الحديبيه و قصته مع سهل بن عمرو و أنذره عليه السَّلام بأنّه سيدعى إلى مثل ذلك و يجيب على مضض فكان كما أنذر و خبر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و اللوم بلا اشكال زائل عما اقتدى فيه بالرسول صَلَّى الله عليه و آله و هذه جمله تفصيلها يطول و فيها لمن أنصف من نفسه بلاغ و كفايه.

«المسأله الثانيه»

فان قيل: فإذا كان عليه السَّلام من أمر التحكيم على ثقّه و يقين فلم روى عنه عليه السَّلام

أنّه كان يقول بعد التحكيم فى مقام بعد آخر: لقد عثرت عثره لا أنحبر سوف أكيس بعدها و أستمّر و أجمع الرأى (الشمل - خ ل) الشتيت المنتشر أ و ليس هذا إذعانا بأن التحكيم جرى على خلاف الصواب؟

«الجواب»

قلنا: قد علم كلّ عاقل قد سمع الأخبار ضروره أن أمير المؤمنين عليه السّلام و أهله و خلصاء شيعته و أصحابه كانوا من أشدّ الناس إظهارا لوقوع التحكيم من الصواب و السداد موقعه و أن الذى دعى اليه حسن و التدبير أوجبه و أنّه عليه السّلام ما اعترف قطّ بخطئه فيه و لا أغضى عن الاحتجاج فيمن شك فيه و ضعفه كيف؟ و الخوارج إنّما ضلّت عنه و عصته (عاصته - خ ل) و خرجت عليه لأجل أنها أرادت على الاعتراف بالزلل فى التحكيم فامتنع كلّ امتناع و أبى أشدّ إباء و قد كانوا يقنعون منه و يعاودون طاعته و نصرته بدون هذا الذى أضافوه اليه عليه السّلام من الإقرار بالخطئه و اظهار التّندم و كيف يمتنع من شىء و يعترف بأكثر منه و يغضب من جزء و يجب إلى كلّ هذا ممّا لا يظنه عليه السّلام أحد ممّن يعرفه حقّ معرفته.

و هذا الخبر شاذّ ضعيف فإمّا أن يكون باطلا موضوعا أو يكون الغرض فيه غير ما ظنّه القوم من الاعتراف بالخطئه فى التحكيم. فقد روى عنه عليه السّلام معنى هذا الخبر و تفسير مراده منه و نقل من طرق معروفه موجوده فى كتب أهل السير أنّه عليه السّلام لما سئل عن مراده بهذا الكلام قال: كتب إلى محمّد بن أبى بكر بأن أكتب له كتابا فى القضاء يعمل عليه فكتبت له ذلك و أنفذته اليه فاعترضه معاويه فأخذه فتأسف عليه السّلام (فاسف - خ ل) على ظفر عدوّه بذلك و أشفق من أن يعمل بما فيه من الأحكام و يوهم ضعفه أصحابه أن ذلك من علمه و من عنده فتقوى الشبهه به عليهم، و هذا وجه صحيح يقتضى التأسف و التندّم و ليس فى الخبر المتضمن للشعر ما يقتضى أنّ تندّمه كان على التحكيم دون غيره و إذا جاءت روايه بتفسير ذلك عنه عليه السّلام كان الأخذ بها أولى.

انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

قد ذكرنا بعضا من الأشعار القديمه مَمَّنْ شهد صفين مع أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام وصفوه عليه السّلام بأنّه وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وعرفوه بذلك وقائلوها سنام المسلمين من الصحابه وغيرهم وكبارهم فى صدر الاسلام وعليهم تشيى الخناصر، وكذا نرى كثيرا من الأشعار يجلّ عن الاحصاء المقوله فى وقعه الجمل وغيرها المتضمنه كونه عليه السّلام وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن نظر فيها بعين الدرايه والانصاف رأى أن الحقّ ما ذهب اليه الطائفه الحقه المحقه إلاماميه الاثنا عشرية وقاطبه الشيعة فى خلافته وإمامته عليه السّلام لأن هذه الكلمه الصادره من هؤلاء العظام مع قربهم بزمان رسول الله صلّى الله عليه وآله بل ادراك كثير منهم اتياء مميّا يعتنى بها ويجلّها من يطلب الحقّ ويبحث عنه ونحن نذكر شر ذمه منها ههنا تذكره وتنبّئها لأولى الدرايه والنهى ونذكر الأشعار ونذكر الوقائع التى قيل الشعر فيها ففى كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقرى وهو من قدماء رجال الحديث مدحه الفريقان بالتوثيق (ص ١٢ الطبع الناصرى) قال جرير أبياتا منها:

أتانا كتاب عليّ فلم نردّ الكتاب بأرض العجم

رسول المليك ومن بعده خليفتنا القائم المدّعم

عليّا عنيت وصيّ النّبىّ يجالده عنه غوات الأمم

له الفضل والسبق والمكرمات وبيت النبوه لا يهتضم

وفيه (ص ١٥): ومما قيل على لسان الأشعث:

أتانا الرسول رسول عليّ فسرّ بمقدمه المسلمونا

رسول الوصيّ وصيّ النّبىّ له الفضل والسبق فى المؤمنين

ثمّ قال: ومما قيل على لسان الأشعث أيضا:

أتانا الرسول رسول الوصيّ عليّ المذهب من هاشم

رسول الوصيّ وصيّ النّبىّ وخير البريه من قائم

وزير النبي و ذى صهره و خير البريه فى العالم

و خير البريه فى العالم له الفضل و السبق بالصالحات

و فيه (ص ٢٨) كتب جرير إلى شرحيل أبياتا منها:

و ما لعلّى فى ابن عفّان سقطه بأمر و لا جلب عليه و لا قتل

وصّى رسول الله من دون أهله و فارسه الأولى به يضرب المثل

و فى بعض النسخ: و فارسه الحامى به يضرب المثل و فيه (ص ٧٣) قال النجاشى:

رضينا بما يرضى علىّ لنا به و إن كان فيما يأت جدع المناخر

وصّى رسول الله من دون أهله و وارثه بعد العموم الأكابر

و فيه (ص ٢٠٤) قال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب:

و أيقنوا أن من أضحى يخالفكم أضحى شقيا و أضحى نفسه خسرا

فيكم وصّى رسول الله قائدكم و أهله و كتاب الله قد نشرا

و لا تخافوا ضلالا لا أبالكم سيحفظ الدين و التقوى لمن صبرا

و فيه (ص ٢٢٢) قال الفضل بن عباس:

و قلت له لو بايعوك تبعتهم فهذا علىّ خير حاف و ناعل

وصّى رسول الله من دون أهله و فارسه إن قيل هل من منازل

و فيه (ص ٢٥) قال أمير المؤمنين علىّ عليه السلام أبياتا منها:

يا عجباً لقد سمعت منكرا كذبا علىّ الله يشيب الشعرا

يسترق السمع و يغشى البصرا ما كان يرضى أحمد لو خبرا

ان يقرنوا وصيّيه و الأبترا شانى الرسول و اللعين الأخررا

و فيه (ص ١٩١) قال النضر بن عجلان الأنصارى أبياتا منها:

كيف التفرق و الوصى امامنا لا كيف إلا حيره و تخاذلا

لا تعتبن عقولكم لا خير فى من لم يكن عند البلابل عاقلا

و ذروا معاويه الغوى و تابعوا دين الوصى لتحمدوه آجلا

ص: ٢٠

و فيه (ص ٢٠٢) قال عبد الرحمن بن ذويب الأسلمي أبياتا منها:

يقودهم الوصى اليك حتى يردك عن غواتك و ارتياب

و من الأشعار التي تتضمن هذه اللفظه و قيل فى حرب الجمل ما قال غلام من بنى ضبّه شاب معلّم من عسكر عايشه، خرج يوم الجمل و هو يقول:

نحن بنو ضبّه أعداء على ذاك الذى يعرف قدما بالوصى

و فارس الخيل على عهد النبى ما انا عن فضل على بالعمى

لكننى انعى بن عفان التقى انّ الولى طالب ثار الولى

و ما قال حجر بن عدى الكندى فى يوم الجمل:

يا ربنا سلّم لنا علينا سلّم لنا المبارك الرضيا

المؤمن الموحد النقي لا خطل الراى و لا غويا

بل هاديا موفقا مهديا و احفظه ربى و احفظ النبيا

فيه فقد كان له وليا ثم ارتضاه بعده وصيا

و ما قال خزيمه بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين و كان بدريا فى يوم الجمل يخاطب عائشه من ابيات بعضها:

أعائش خلّى عن على و عيبه بما ليس فيه إنّما انت والده

وصى رسول الله من دون أهله و أنت على ما كان من ذاك شاهده

و ما قال خزيمه أيضا:

ليس بين الأنصار فى حجه الحرب و بين العداة إلا الطعان

و قراع الكماه بالقصب البيض إذا ما تحطم المران

فادعها تستجب من الخزرج و الأوس يا على جبان

يا وصى النبى قد اجلت الحرب الأعادى و سارت الاطعان

و استقامت لك الأمور سوى الشام و في الشام تظهر الإذعان

حسبهم ما رأوا و حسبك منا هكذا نحن حيث كنا و كانوا

و ما قال عمرو بن ائنه يوم الءمل خطابا للحسن بن على عليهما السلام:

ص: ٢١

حسن الخير يا شبيه أبيه قمت فينا مقام خير خطيب

إلى أن قال:

و أبى الله أن يقوم بما قام به ابن الوصى و ابن النجيب

ان شخصا بين النبى لك الخير و بين الوصى غير مشوب

و ما قال زجر بن قيس الجعفى فى يوم الجمل:

اضربكم حتى تقرّوا لعلى خير قريش كلّها بعد النبى

من زانه الله و سمّاه الوصى ان الولى حافظ ظهر الولى

كما الغوى تابع أمر الغوى

و قال الفضل بن عباس (كما فى تاريخ الطبرى ص ٤٤٩ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) فى ابيات له:

ألا إنّ خير الناس بعد محمّد وصى النبى المصطفى عند ذى الذكر

و أوّل من صلى و صنو نبّيه و أوّل من أوردى الغوات لدى بدر

و قال عمّار بن ياسر فى الخطبه التى استنفر أهل الكوفه إلى أمير المؤمنين وصى رسول الله صلى الله عليه و آله قال فى أبيات له

كما نقله الشيخ الأجل المفيد فى الجمل ص ١١٧ طبع النجف:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا علينا و أبناء الرسول محمّد

أتاكم سليل المصطفى و وصيّيه و أنتم بحمد الله عارضه الندى

و ما قال زياد بن ليلى الأنصارى كان من أصحاب على عليه السّلام يوم الجمل من ابيات بعضها:

إنا اناس لا نبالى من عطب و لا نبالى فى الوصى من غضب

و ما قال عبد الله بن بدليل بن ورقاء الخزاعى يوم الجمل:

يا قوم للخطه العظمى التى حدثت حرب الوصى و ما للحرب من آسى

الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت تلك القبائل أخماسا لأسداس

و ما قال عبد الله بن أبي سفيان بن الحرب بن عبد المطلب:

و منا على ذاك صاحب خيبر و صاحب بدر يوم سالت كتائبه

ص: ٢٢

وصىّ النَّبِيُّ المصطفى و ابن عمه فمن ذا يدانيه و من ذا يقاربه

و ما قال عبد الرّحمان بن جعيل:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظه على الدين معروف العفاف موقفا

عليّا وصىّ المصطفى و ابن عمّه و أوّل من صلّى أخا الدين و التقى

و ما قال أبو الهيثم التيهان و كان بدريا من أبيات بعضها:

ان الوصىّ امامنا و ولينا برح الخفا و باحث الأسرار

و ما قال عمر بن حارثه الأنصارى فى محمّد بن الحنفية يوم الجمل من أبيات بعضها:

سمى النَّبى و شبه الوصىّ و رايته لونها العندم

و ما قال رجل من الأزد يوم الجمل:

هذا علىّ و هو الوصىّ أخاه يوم النجوه النَّبىّ

و قال هذا بعدى الوليّ وعاه واع و نسى الشقى

و قال آخر:

إنّى أدين بما دان الوصىّ به يوم الخريبه من قتل المحلّينا

و بالذى دان يوم النهر دنت به و شاركت كفّه كفّى بصفينا

تلك الدماء معا يا ربّ فى عنقى ثم اسقنى مثلها آمين آمينا

و قال أبو الأسود كما فى الاغانى (ص ١٠ ج ٧ طبع ساسى):

احبّ محمّدا حبّا شديدا و عباسا و حمزه و الوصيّا

و أتى بكثير من هذه الأبيات الشارح المعتزلى فى ذيل شرح الخطبه الثانيه من النهج أيضا و نقلها عنه المجلسى الثانى فى المجلد التاسع من بحار الأنوار (ص ٣٦٤ الطبع الكمپانى). و السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوى فى كتاب المراجعات (المراجع ١٠٨) و كذا نرى كثيرا من الأخبار و الروايات المنقوله من الفريقين أنّه عليه السّلام كان يعرف بالوصىّ عند المسلمين فى صدر الاسلام بل صدر منه بعض المعجزات الّذى لا يصدر إلّا من نبىّ أو وصىّ و كفى فى ذلك حديث الراهب الّذى بلغ فى

الشهره حدّ الشمس فى وسط السماء و أتى به علماء الكلام فى كتبهم الكلاميه و منهم نصير المله و الدّين المحقق الطوسى فى التجريد و ذكره فى الشرح شراح الفريقين كالعلامه الحلى و شمس الدين محمود بن أحمد الاصبهاني و الفاضل القوشجى و غيرهم و قد أوأنا من قبل فذلكه ذلك الحديث من القوشجى و لا بأس بذكرها تفصيلا لاشتماله على ضروب من المعجز ظهرت من وصيّ خاتم الأنبياء فأسلم الراهب فاهتدى هكذا يصنع الحق بأهله و أتى به نصر المتقدّم ذكره فى كتاب صفين و المجلسى فى البحار و الشارح المعتزلى فى شرح النهج و الشيخ السديد المقلب بالمفيد فى الارشاد و غيرهم مما يطول الكلام بعدها و احصائها فقال الشيخ المفيد:

و من ذلك ما رواه أهل السير و اشتهر الخبر به فى العامه و الخاصه حتّى نظمه الشعراء و خطب به البلغاء و رواه الفهماء و العلماء من حديث الراهب بأرض كربلاء و الصخره و شهرته يغنى عن تكلف ايراد الاسناد له، و ذلك ان الجماعه روت أن أمير المؤمنين عليه السّلام لما توجّه إلى صفّين لحق أصحابه عطش شديد و نفذ ما كان عندهم من الماء فأخذوا يمينا و شمالا يلتمسون الماء فلم يجدوا له أثرا فعدل بهم أمير المؤمنين عليه السّلام عن الجادّه و سار قليلا فلاح لهم دير فى وسط البريه فسار بهم نحوه حتّى إذا صار فى فنائه أمر من نادى ساكنه بالاطلاع اليه فنادوه فاطلع، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: هل قرب قائمك هذا من ماء يتغوث به هؤلاء القوم؟ فقال:

هيئات بينى و بين الماء أكثر من فرسخين و ما بالقرب منى شىء من الماء و لو لا إننى أوتى بما يكفينى كلّ شهر على التقدير لتلفت عطشا. فقال أمير المؤمنين عليه السّلام أسمعتم ما قال الراهب؟ قالوا: نعم، أفتأمرنا بالمسير إلى حيث أوأنا إليه لعلّنا ندرك الماء و بناقوه؟ فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: لا حاجه لكم إلى ذلك و لوى عنق بغلته نحو القبلة و أشار بهم إلى مكان يقرب من الدير فقال لهم: اكشفوا الأرض فى هذا المكان فعدل منهم جماعه إلى الموضع فكشفوه بالمساحى فظهرت لهم صخره عظيمه تلمع، فقالوا: يا أمير المؤمنين ههنا صخره لا تعمل فيها المساحى. فقال لهم:

إنّ هذه الصخره على الماء فان زالت عن موضعها وجدت الماء فاجتهدوا فى قلعها

فاجتمع القوم و راموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا و استصعبت عليهم فلما رأهم عليه السلام قد اجتمعوا و بذلوا الجهد فى قلع الصخره و استصعب عليهم لوى رجله عن سرجه حتى صار على الأرض ثم حسر عن ذراعيه و وضع أصابعه تحت جانب الصخره فحرّكها ثم قلعها بيده و دحى بها أذرا كثيرا فلما زالت من مكانها ظهر لهم بياض الماء فبادروا إليه فشربوا منه فكان أعذب ماء شربوا منه فى سفرهم و أبرده و أصفاه فقال لهم: تزودوا و ارتووا ففعلوا ذلك.

ثم جاء عليه السلام إلى الصخره فتناولها بيده و وضعها حيث كانت فأمر أن يعفى أثرها بالتراب و الراهب ينظر من فوق ديره فلما استوفى علم ما جرى نادى أيها الناس أنزلوني أنزلوني فاحتالوا فى إنزاله فوقف بين يدى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له:

يا هذا أنت نبيّ مرسل؟ قال: لا. قال: فملك مقرب؟ قال: لا قال: فمن أنت: قال:

أنا وصيّ رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين صلى الله عليه و آله قال: أبسط يدك اسلم لله تبارك و تعالى على يديك فبسط أمير المؤمنين عليه السلام يده و قال له: اشهد الشهادتين فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله و أشهد أنك وصيّ رسول الله و أحق الناس بالأمر من بعده، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام عليه شرائط الإسلام.

ثم قال عليه السلام له: ما الذى دعاك الان إلى الاسلام بعد طول مقامك فى هذا الدير على الخلاف؟ قال: اخبرك يا أمير المؤمنين إنّ هذا الدير بنى على طلب قالع هذه الصخره و مخرج الماء من تحتها و قد مضى عالم قبلى فلم يدركوا ذلك و قد رزقنيه الله عزّ و جلّ إنا نجد فى كتاب من كتبنا و نائر من علمائنا أن فى هذا الصقع عينا عليها صخره لا يعرف مكانها إلا نبيّ أو وصيّ نبيّ و أنّه لا بدّ من ولىّ لله يدعو إلى الحقّ آيته معرفه مكان هذه الصخره و قدرته على قلعها و إننى لما رأيته قد فعلت ذلك تحققت ما كنا ننتظره و بلغت الأمتيه منه فأنا اليوم مسلم على يديك و مؤمن بحقّك و مولاك فلما سمع ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بكى حتى اخضلت لحيته من الدموع و قال: الحمد لله الذى لم أكن عنده منسيا الحمد لله الذى كنت فى كتبه

ثم دعى عليه السلام الناس فقال لهم: اسمعوا ما يقول أخوكم المسلم، فسمعوا مقالته وكثر حمدهم لله و شكرهم على النعمة التي أنعم بها عليهم في معرفتهم بحق أمير المؤمنين عليه السلام. ثم ساروا و الراهب بين يديه في جملة أصحابه حتى لقي أهل الشام و كان الراهب في جملة من استشهد معه فتولى عليه السلام الصلاة عليه و دفنه و أكثر من الاستغفار له و كان إذا ذكره يقول: ذاك مولاي.

ثم قال المفيد رحمه الله تعالى: و في هذا الخبر ضروب من المعجز أحدها علم الغيب و الثاني القوة التي خرق العاده بها و تميز بخصوصيتها من الأنعام مع ما فيه من ثبوت البشارة به في كتب الله الأولى و ذلك مصداق قوله تعالى «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ» و في مثل ذلك يقول السيد إسماعيل بن محمد الحميري رحمه الله في قصيدته البائية المذهبة:

و لقد سرى فيما يسير بلبله بعد العشاء بكر بلا في موكب

حتى أتى متبتلا في قائم ألقى قواعده بقاع مجذب

يأتيه ليس بحيث يلقي عامرا غير الوحوش و غير أصلع أشيب

فدنى فصاح به فأشرف ماثلا كالنصر فوق شظيه من مرقب

هل قرب قائمك الذي بوّته ماء يصاب فقال ما من مشرب

إلا بغايه فرسخين و من لنا بالماء بين نقى و قى سبب

فثنى الأعنة نحو و عث فاجتلى ملساء تلمع كاللجين المذهب

قال اقلبوها انكم إن تقلبوا ترووا و لا تروون إن لم تقلب

فاعصوا صبوا في قلعتها فتمنعت منهم تمنع صعبه لم تركب

حتى إذا أعييتهم أهوى لها كفا متى ترد المغالب تغلب

فكأنها كره بكفّ خزور عبل الذراع دحى بها في ملعب

فسقاها من تحتها متسلسلا عذبا يزيد على الألد الأعرب

حتى إذا شربوا جميعا ردّها و مضى فخلت مكانها لم يقرب

و زاد فيها ابن ميمونه قوله:

و آيات راهبها سريره معجز فيها و آمن بالوصي المنجب

و مضى شهيدا صادقا في نصره أكرم به من راهب مترهب

أعنى ابن فاطمه الوصي و من يقل في فضله و فعاله لا يكذب

رجلا كلا طرفيه من سام و ما حام له بأب و لا بأب أب

من لا يفرّ و لا يرى في معرك إلا و صارمه الخضيب المضرب

ثم الظاهر من كتاب صفين لنصر أن هذه الرواية التي نقلناها من الشيخ المفيد قدس سره ملفقه من روايتين و كذا الظاهر أن إحداهما ما نظمها الحميري و الأخرى ما نظمها ابن ميمونه، و ذلك لأن نصر بن مزاحم روى أولا روايه الراهب و الصيخره و لم يذكر إن هذا الراهب استشهاد معه عليه السلام بصفيين. ثم روى روايه اخرى من راهب آخر في مكان آخر لم يكن فيه ذكر صخره و ماء أصلا بل الراهب أتى بكتاب فقرأه عنده عليه السلام.

و بعض ما ذكرنا من المفيد في ذيل تلك الرواية أتى به نصر في ذيل هذه الرواية و لا بعد في تعدد تلك الواقعة لأنه كانت في نواحي الجزيره و بلادها الواقعة في مسيره عليه السلام ديوره كثيره و فيها رهبان كما صرحت و نصت بذلك الكتب الجغرافيه القديمه و منها - كتاب حدود العالم من المشرق إلى المغرب المؤلف في ٣٧٢ من الهجره (ص ٩١ طبع الطهران ١٣٥٢ هـ) مع أن إحداهما وقعت في ظهر الكوفه من العراق و الأخرى في الرقه من بلاد الجزيره.

و لا بأس بنقل ما في كتاب نصر (ص ٧٧ الطبع الناصري) لأن كتاب الراهب يليق أن يقرأ على ظهر القلب: نصر عبد العزيز بن سباء عن حبيب بن أبي ثابت قال أبو سعيد التميمي المعروف بعقيصا(١): قال: كنا مع علي في مسيره إلى الشام حتى إذا كنا بظهر الكوفه من جانب هذا السواد قال: عطش الناس و احتاجوا إلى

ص: ٢٧

١- (١) كذا في كتاب صفين لنصر و في كتاب حدود العالم من المشرق إلى المغرب ضمن عنوان - الكلام في ناحيه الجزيره و بلادها - قال: قرقيسا شهر كيست خرم و با نعمت و همه سواد او دائم سبز باشد اي هي بلده صغيره كثيره النعمه مخضره الأرض دائما.

الماء فانطلق بنا على عليه السّلام حتّى أتانا على صخره ضررس من الأرض كأنّها ربضه عنز ثمّ أمرنا فأكفانها عليه و سار النّاس حتّى إذا مضينا قليلا، قال على عليه السّلام منكم أحد يعلم مكان هذا الماء الّذى شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين فانطلقوا اليه فانطلق منا رجال ركباناً و مشاتاً فاقترضنا الطريق حتّى انتهينا إلى المكان الّذى نرى أنّه فيه قال: فطلبناها فلم نقدر على شيء حتّى إذا عيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منّا فسألناهم أين الماء الّذى هو عندهم؟ قالوا: ما قربنا ماء قالوا:

بلى إنا شربنا منه، قالوا: أنتم شربتم منه؟ قلنا نعم. قال: ما بنى هذا الدير إلّا لذلك الماء و ما استخرجه إلّا نبىّ أو وصىّ نبىّ.

قال نصر: ثمّ مضى أمير المؤمنين عليه السّلام حتّى نزل بأرض الجزيره فاستقبله بنو تغلب و النمر بن قاسط بالجزيره ثمّ سار أمير المؤمنين عليه السّلام حتّى أتى الرقه و جلّ أهلها عثمانيه - إلى أن قال: قال عمر بن سعد: حدّثنى مسلم الملائي عن حبه عن على عليه السّلام قال: لما نزل على الرقه بمكان يقال له: بليخ على جانب الفرات فنزل راهب من صومعه فقال لعلى: ان عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا كتبه عيسى بن مريم أعرضه عليك؟ قال على عليه السّلام: نعم فما هو؟ قال الراهب:

بسم الله الرحمن الرّحيم الّذى قضى فيما قضى و سطر فيما سطر أنّه باعث فى الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب و الحكمة و يدلّهم على سبيل الله لا فظّ و لا غليظ و لا صخّاب فى الأسواق و لا يجزى بالسيئه السيئه و لكن يعفو و يصفح امّته الحمّادون العّدين يحمّدون الله فى كلّ نشز و فى كلّ صعود و هبوط تذلل ألسنتهم بالتهليل و التكبير و ينصره الله على كلّ من ناواه فإذا توفاه الله اختلفت امّته ثمّ اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثمّ اختلفت فيمّر رجل من امّته بشاطىء هذا الفرات يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يقضى بالحقّ و لا يرتشى فى الحكم. الدّنيا أهون عليه من الرماد فى يوم عصفت الريح و الموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء يخاف الله فى السرّ و ينصح له فى العلانيه و لا يخاف فى الله لومه لائم من أدرك ذلك النبىّ من أهل هذه البلاد فامن به كان ثوابه رضوانى و الجنّه و من أدرك ذلك العبد

الصالح فليُنصره فان القتل معه شهادة.

ثم قال الراهب: فانا مصاحبك غير مفارقتك حتى يصيبني ما أصابك، قال حبه: فبكي على عليه السلام ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسيا الحمد لله الذي ذكرني في كتب الأبرار. ومضى الراهب معه و كان فيما ذكروا يتغذى مع علي و يتعشى حتى اصيب يوم صفين فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال علي عليه السلام: اطلبوه فلما وجدوه صلى عليه و دفنه و قال: هذا منا أهل البيت و استغفر له مرارا.

«خاتمه في كلمه صفين»

صفين بكسر الصاد و تشديد الفاء كسجين موضع على الفرات من الجانب الغربى بطرف الشام كما فى مجمع البحرين للطريحي و فى كتاب حدود العالم السابق ذكره قال: الرقه و الرائقه بلدتان عظيمتان مخضرتان متصلتان على شاطئ الفرات و وقعت حرب صفين فى حدودهما من الجانب الاخر من الفرات. و هى اسم غير منصرف للتأنيث و التعريف و لا تقبل حرف التعريف اعنى كلمه آل و الشواهد فى ذلك ما قال عمرو بن الحمق الخزاعى:

يقول عرسى لما أن رأته أرقى ما ذا يهيجك من أصحاب صفينا

أ لست فى عصبه يهدى الا له بهم أهل الكتاب و لا بغيا يريدونا

و ما قال النعمان بن عجلان الأنصارى:

سائل بصفين عنا عند وقعتنا و كيف كان غداه المحك نبتدر

و ما قال آخر كما مر آنفا:

و بالذى دان يوم النهر دنت به و شاركت كفه كفى بصفينا

لا- يقال: تأنيثها غير لازم لجواز أن تعبر بالمكان و الموضع و نظائرها لأننا نقول: إنهم لما وجدوها غير منصرف و فحصوا عن العلتين المانعتين عن الصرف و لم يجدوا غير العلميه سببا آخر عبّروها بالأرض و البقعه و نظائرها حتى يتم السبيان كما فعلوا بعمر و زفر. و اختلفوا فى نونها أ هى أصلية أم زائده فمال الجوهري فى

الصحاح و الفيروز آبادى فى القاموس و الأكثر إلى الأول حيث ذكروها فى باب النون من كتبهم اللغويّه و الأدبيّه فعلى هذا وزنها فعيل كضليل من صفن الفرس صفونا من باب ضرب إذا قام على ثلاث قوائم و طرف حافر الرابعه أو من صفن القوم إذا صفوا لأقدامهم لا يخرج بعضها من بعض و من صفن الرجل إذا صفّ قدميه و الآخرون إلى أنها زائده فهى فعيلين من الصفّ كالغسلين من الغسل حيث ذكروها فى باب الفاء. فعلى الأول صيغت للمبالغه كنظائرها من سكّيت و خرّيت و ظليّم و ضليل، لكثرة الخيل و الرجال فى تلك الوقعه الداله بالكنايه على كثره الفارس و الراجل، و على الثانى أيضا يمكن أن يقال إن الياء و النون زيد تافيهما مبالغه لكثرة الصفوف فى تلك الوقعه على ضابطه كثره المباني تدلّ على كثره المعانى فعلى التقديرين التسميه بها تكون بعد وقوع تلك الوقعه العظيمه فيها و كم لها من نظير و إنّما الكلام فى أنّ قبل هذه التسميه بما ذا كانت سمّيت هل كان لها اسم فترك أو لم تسمّ باسم خاصّ رأساً؟ فحصنا و لم نجد فى ذلك شيئاً و كلما وجدنا فى تسميتها بصفّين إنّما كان متأخرا عن تلك الوقعه، على أنّه لا يهّمنا و العلم عند الله تعالى.

و إنّما اطلنا الكلام فى شرح هذه الخطبه لاشتمال تلك الوقعه على مطالب أنيقه مفيده من اخلاقيه و اجتماعيه و حكميه و كلاميه ينتفع الكل بذى الموائد و لأنّ كثيرا من كتبه عليه السّلام و رسائله الاتيه ككثير من خطبه الماضيه تتعلق بصفّين و بذلك سهل الخطب لنا فى تفسير ما يأتى إن شاء الله المعين الوهاب، مع أنا فيما قدمنا أتينا بكثير من خطبه و كلماته لم يأت بها الشريف الرضى رضوان الله عليه فى النهج و كم من خطبه و كتاب و كلمه حكمه منه عليه السّلام جمعنا مع الأسانيد و المصادر و كذا وجدنا مصادر كثير ممّا فى النهج و السند (ها) فيها يكون ببالى ان الحقها فى آخر شرحنا على النهج بعنوان مستدرّك النهج و مصادرها إن أخذ التوفيق بيدى و ساعدنى الدهر بعون ربّى.

الترجمه

از جمله خطبه بلاغت نظام آن قدوة انام عليه السلام در شأن حکمین ابو موسی

ص: ۳۰

(شامیان از پیروان معاویه بن ابی سفیان بودند و بقتال با امیر مؤمنان علی علیه السلام برخاستند و در صفین مدّتی مدید کارزاری شدید کردند و از دو سپاه بسیار کشته شدند و بیست و پنج تن از صحابۀ پیغمبر صلی الله علیه و آله که عمار یاسر از آن جمله بود و در رکاب ظفر انتساب امیر المؤمنین در إعلاّی کلمۀ حق و نصرت دین جهاد می کردند بدرجۀ رفیعۀ شهادت رسیدند، و رسول اکرم باتفاق شیعه و سنی بعمار فرمودند: إِنَّمَا تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ یعنی ای عمار تو را گروه ستمکار می کشند که در جنگ صفین لشکر معاویه وی را بکشتند. سرانجام لشکر معاویه شکست خوردند و چون آثار ذلّ و انکسار در خود مشاهده کردند بحیلت و خدعت عمرو عاص عیار قرآنها بر سر نیزه ها برافراشتند و فریاد زدند: کتاب الله بیننا و بینکم، اهل عراق که لشکر علی علیه السلام بودند جز تنی چند آن پیشنهاد را پذیرفتند و هر چه امیر المؤمنین ایشان را نصیحت کرد که این خدعت است و فریب نخورید فایده نکرد عاقبت در حبالۀ حیلت عمرو در افتادند، و اتفاق کردند که هر یک از فریقین حکمی انتخاب کنند و بحکم آن دو تسلیم شوند، اهل شام عمرو عاص را برگزیدند و اهل عراق ابو موسی را امیر المؤمنین از این رأی روی درهم کشید و موافق رأی بلندش نیامد و گفت: فادفعوا فی صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عیّاس، ولی سربازان گول از رأی امیر سر باز زدند تا دیدند آنچه که دیدند) اهل شام ستمکارانی ناکس و بندگانی پست اند، گرد آمده از هر سوی و برچیدۀ از هر آمیخته اند، گروهی که باید آنان را دین و ادب و دانش آموخت و بکارهای ستوده واداشت و بر آنان ولّی گمارد و دستشان را گرفت تا خودسری و خودکامی کاری نکنند (یعنی کودکان و سفیهانند کجا آنان را رسد که زمام امور امت در دست گیرند و در کار دین و ملت پای پیش نهند) نه از مهاجرند و نه از انصار و نه از آن انصاری که پیش از هجرت پیغمبر صلی الله علیه و آله در مدینه بودند و اسلام آوردند.

آگاه باشید که این قوم یعنی اهل شام حکم برای خودشان عمرو عاص را

برگزیدند که نزدیکترین مردم است بدانچه که دوست دارند، و شما ای مردم عراق حکم برای خودتان ابو موسی را اختیار کردید که نزدیک ترین مردم است بدانچه که ناخوش دارید (اهل شام دوست داشتند که بر مردم عراق مستولی گردند و عمرو عاص در وصول به این غرض از همه بهتر و نزدیکتر برای آنان بود و مردم عراق از همان که شامیان می خواستند کراهت داشتند و ابو موسی نزدیکترین افراد بود به آن چه که اینان ناخوش می داشتند یعنی ابو موسی به پیروزی اهل شام و شکست اهل عراق از همه مایل تر و نزدیک تر بود یا از بلاهت غریزی او که بالأخره در دام مکر و حيله عمرو عاص افتاد و یا از عداوتی که با امیر المؤمنین علی علیه السلام داشت در کمین انتقام بود چنانکه در تفسیر خطبه شرح داده ایم) سپس حضرت در مقام احتجاج برآمده و فرمود:

یاد دارید که عبد الله قیس (ابو موسی اشعری عبد الله بن قیس است) دیروز (یعنی در جنگ جمل) می گفت: این فتنه ایست، پس زههای کمان را ببرید و شمشیرها را در غلاف کنید (کنایه از این که از جنگ حذر کنید و دست بردارید، در این باره از پیغمبر روایتی نقل کرده که در شرح تذکر داده ایم) اگر راست گفت پس این که بدون اکراه آمد و در فتنه افتاد و بلشکر عراق پیوست بخطا رفت، و اگر دروغ گفت، فاسق است (در هر حال چنین کسی را در امر دین و ملت حکم قرار دادن و به او اعتماد کردن قبیح است) پس دفع کنید (بزنید و دور سازید) سینه عمرو عاص را بعبد الله عباس (یعنی عبد الله بن عباس را حکم قرار دهید که او می تواند با عمرو بن عاص برابری کند و با او برآید و از اغراض شومش جلوگیری کند) و فرصت را از دست مدهید و مرزهای کشورهای اسلامی را حفظ کنید آیا نمی بینید که دشمنان به شهرهای شما روی آوردند و سنگ شما را هدف گرفته اند (یعنی در شما طمع کرده اند که آهنگ جنگ و قصد اضمحلال استقلال شما دارند).

ص: ۳۲

اشاره

و الثلاثون و المأتان يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه و آله

هم عيش العلم و موت الجهل. يخبركم حلمهم عن علمهم و صمتهم عن حكم (أو - حكم) منطقهم. لا- يخالفون الحق و لا يختلفون فيه. هم دعائم الإسلام. و ولائج الاعتصام. بهم عاد الحق في نصابه، و انزاح الباطل عن مقامه، و انقطع لسانه عن منبته. عقلوا الدين عقل وعاء و رعايه، لا عقل سماع و روايه. فإن رواه العلم كثير، و رعاته قليل.

اللغه

(دعائم) جمع الدعامة بكسر الدال و هي عماد البيت يقال دعم الشيء دعما من باب منع إذا اسنده عند ميله او لثلا يميل و (الاعتصام) التمسك. قال الله تعالى:

«وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا» اي تمسكوا به. (ولائج) جمع وليجه و هي بطانه الرجل و خاصيته و صاحب سرّه الذي يتّخذه معتمدا عليه من غير أهله يكشفه باسرارته بثقه بمودّته و يقال بالفارسيه: دوست همراز، و منه قوله تعالى «وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رُسُولِهِ وَلَا الْأُمِّيِّينَ وَلِيَجْهَ» (نصاب) الشيء: أصله و حدّه و مرجعه و مستقره. (انزاح) من الزوح اي زال و ذهب. (وعاء) بكسر أوله و قد يضم ناقص يائي بمعنى الظرف يوعى فيه الشيء سمي بذلك لأنه يجمع ما فيه من المتاع يقال: وعى الشيء يعيه وعيا إذا حواه و جمعه و وعى الحديث إذا حفظه و تدبره. و قد يبدل واو وعاء بالهمزه فيقال إعاء.

ثم إن عبارته المتن في عدّه من نسخ النهج من المطبوعات المصريه و الإيرانيه

و شروحها المتداوله هكذا: عقلوا الدين عقل وعايه و رعايه لا عقل سماع و روايه.

و لكن الصواب ما ضبطناه فى المتن اعنى كون كلمه «وعاء» مكان «وعايه» و وعايه تحريف و تصحيف من النساخ و لما رأوا كلمه رعايه بعدها غيّر و الوعاء بالوعايه ظنّا منهم أنّ الكلام يزيد به حسنا و أن الأصل كان كما ظنّوا و كم من نظير لما ذكرنا من خطأ النساخ و تحريفهم و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، و ما علموا أن من المحسنات البديعيه فى كلامه عليه السّلام مشابهه قوله «وعاء و رعايه» بقوله «سماع و روايه» فإن الجمع بين وعاء و سماع ممّا يسمى فى علم البديع جناس مضارع لتقارب الهمزه و العين فى المخرج نحو قوله تعالى «وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ» و كقوله صلى الله عليه و آله الخيل معقود بنواصيها الخير. و الجمع بين رعايه و روايه يسمى طباقاً. على أن اللغه لا تساعد ما فى النسخ و كم فحطنا فى كثير من كتب الأدب و المعاجم المتداوله فما وجدنا من وعى أن يأتى وعايه مصدراً أو غير مصدر.

الاعراب

الضميران فى مقامه و منبته يرجعان إلى الباطل و يمكن أن يرجعا إلى الحق و سيعلم الوجه فيها عند الشرح إن شاء الله تعالى.

الفاء فى قوله عليه السّلام: فإن رواه العلم كثير فصيحه تنبىء عن محذوف يدلّ عليه ما قبلها و كأنّ الجملة جواب عن سؤال مقدّر و التقدير: إنّما وصفهم بأنهم عقلوا الدين هكذا، فاجيب بقوله عليه السّلام: لأنّ رواه العلم كثير و رعاته قليل.

و جاء فى بعض النسخ: كلمه الواو مكان الفاء، أى و إن رواه العلم كثير و لكن الصواب ما اخترناه.

المعنى

اشاره

قد ذكر عليه السّلام قريباً من هذه الخطبه فى ذيل الخطبه الخامسه و الأربعين و الماء و هو قوله عليه السّلام: و اعلموا أنكم لن تعرفوا الرشده حتّى تعرفوا المذى تركه، و لن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الذى نقضه، و لن تمسكوا به حتّى تعرفوا الذى نبذه فالتمسوا ذلك من عند أهله فانهم عيش العلم و موت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم و صمتهم عن منطقهم و ظاهرهم

ص: ٣٤

عن باطنهم لا يخالفون الدين و لا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق و صامت ناطق.

«عده مواضع من النهج في أوصاف آل محمد صلى الله عليه و آله»

اعلم انه عليه السلام ذكر اوصاف آل محمد صلى الله عليه و آله في عده مواضع من النهج:

(١) في آخر الخطبه الثانيه: هم موضع سرّه و لجاء أمره و عيبه علمه و موئل حكمه و كهوف كتبه و جبال دينه بهم أقام انحاء ظهره و أذهب ارتعاد فرائضه.

(٢) منها في ذيل تلك الخطبه أيضا: لا- يقاس بال محمد صلى الله عليه و آله من هذه الأمّه أحد و لا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا هم أساس الدين و عماد اليقين اليهم يفيء الغالى و بهم يلحق التالى و لهم خصائص حق الولاية و فيهم الوصيّه و الوراثه الان إذ رجع الحق إلى أهله و نقل إلى منتقله.

(٣) الخطبه الرابعه: بنا اهتديتم في الظلماء و تسنتم العلياء و بنا انفجرت عن السرار وقر سمع لم يفقه الواعيه - إلى أن قال في آخرها: ما شككت في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفه على نفسه اشفق من غلبه الجهّال و دول الضلال اليوم توافقنا على سبيل الحقّ و الباطل من وثق بماء لم يظمأ.

(٤) في ذيل الخطبه الخامسه و التسعين: و إني لعلّى بينه من ربّي و منهاج من نبّي و إني لعلّى الطريق الواضح القطه لقطا، انظروا أهل بيت نبّيكم فالزموا سمتهم و اتبعوا اثرهم فلن يخرجوكم من هدى و لن يعيدوكم في ردى فان لبدوا فالبدوا و ان نهضوا فانهضوا و لا تسبقوهم فتضلّوا و لا تتأخروا عنهم فتهلكوا. لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه و آله فما أرى أحدا منكم يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا قد باتوا سجّدا و قياما يراوحن بين جباهم و خدودهم و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم حتّى تبلّ جيوبهم و مادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب و رجاء للثواب.

(٥) في ذيل الخطبه الثامنه و التسعين: ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه و آله كمثل

نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم فكأنكم من الله فيكم الصنائع و أراكم ما كنتم تأملون.

(٦) فى الخطبه الثانيه و الأربعين و المئه: أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا كذبا و بغيا علينا أن رفعنا الله و وضعهم و أعطانا و حرمهم و أدخلنا و أخرجهم بنا يستعطى الهدى و يستجلى العمى إنَّ الأئمه من قریش غرسوا فى هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم و لا تصلح الولاه من غيرهم.

(٧) فى ذيل الخطبه الخمسين و المئه: قد طلع طالع و لمع لامع و لاح لائح و اعتدل مائل و استبدل الله بقول قوما و بيوم يوما و انتظرنا الغير انتظار المجذب المطر و إنما الأئمه قوام الله على خلقه و عرفاءه على عباده لا يدخل الجنه إلا من عرفهم و عرفوه و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه إنَّ الله تعالى خصكم بالإسلام و استخلصكم له و ذلك لأنه اسم سلامه و جماع كرامه اصطفى الله تعالى منهجه و بين حججه من ظاهر علم و باطن حكم لا تفنى غرائبه و لا تنقضى عجائبه فيه مرايب النعم و مصاييح الظلم لا تفتح الخيرات إلا بمفاتيحه و لا تكشف الظلمات إلا بمصاييحه قد أحمى حماه و ارعى مرعاه فيه شفاء المشتفى و كفايه المكفى.

(٨) فى ذيل الخطبه ١٥٢: نحن الشعار و الأصحاب و الخزنه و الأبواب و لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمى سارقا.

(٩) فى ذيل هذه الخطبه أيضا فى فصل عليحده: فيهم كرائم القرآن و هم كنوز الرّحمان ان نطقوا صدقوا و إن صمتوا لم يسبقوا - إلى آخرها.

(١٠) فى الخطبه ٩٢: حتّى أفضت كرامه الله سبحانه إلى محمّد صلى الله عليه و آله فأخرجه من أفضل المعادن منبتا و أعز الارومات مغرسا من الشجره التى صدع منها انبياءه و انتجب منها امناءه، عترته خير العتر و اسرته خير الأسر و شجرته خير الشجر نبتت فى حرم و بسقت فى كرم لها فروع طوال و ثمره لا تنال - إلى آخر الخطبه.

(١١) فى الخطبه ١٨٧: لا يقع اسم الهجره على أحد إلا بمعرفه الحجه فى

الأرض فمن عرفها و أقربها فهو مهاجر، و لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه و وعاءها قلبه للإيمان إنَّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاَّ عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان و لا يعي حديثنا إلاَّ صدور أمينه و أحلام رزينة أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السَّماء أعلم مني بطرق الأرض قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها و تذهب بأحلام قومها.

(١٢) في ذيل الخطبه ١٨٨: فأنه من مات منكم على فراشه و هو على معرفه حقَّ ربِّه و حقَّ رسوله و أهل بيته مات شهيدا و وقع أجره على الله. إلى آخرها.

(١٣) في الحكمه ١٤٧: اللهم بلى لا- تخلوا الأرض من قائم لله بحجه إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله و بيناته و كم ذا و أين أولئك أولئك و الله الأقلون عددا و الأعظمون قدرا يحفظ الله بهم حججه و بيناته حتى يودعوها نظراءهم و يزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقه البصيره و باشروا روح اليقين و استلأنوا ما استوعره المترفون و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون و صحبوا الدنيا بآبدان أرواحها معلقه بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه و الدعاة إلى دينه آه آه شوقا إلى رؤيتهم.

(١٤) في ذيل الخطبه ١٤٥ و قد ذكرناه أولا.

(١٥) الخطبه ٢٣٧ اعني هذه الخطبه التي نحن في صدد شرحها.

فنقول: ذكر عليه السلام في هذه الخطب آل محمد صلى الله عليه و آله بأوصاف ينبغي للقارئ العالم البصير الطالب للحق أن ينظر فيها نظر دقه و تأمل و فكره حتى يزداده بصيره و إيمانا و يهديه سبيل الحق و يهديه فرقانا. و المقام يناسب البحث و التحقيق في الامامه و اختيار القول الصدق و المذهب الحق.

«البحث العقلي و التحقيق العلمي في الامامه»

اشاره

و اعلم ان هذه المسأله من أعظم المسائل الخلافية بين المسلمين بل لا يبعد أن يقال: إن جميع الاختلافات الدينيه متفرع عليها و قال محمد الشهرستاني الأشعري

ص: ٣٧

المتوفى - ٥٤٨ هـ - فى أوائل الملل و النحل: أوّل شبهه وقعت فى الخليقه شبهه ابليس لعنه الله و مصدرها استبدادها بالرأى فى مقابله النص و اختياره الهوى فى معارضه الأمر و استكباره بالماده التى خلق منها و هى النار على ماده آدم عليه السّلام و هى الطين - إلى أن قال: فأوّل تنازع فى مرضه (يعنى رسول الله صلّى الله عليه و آله) عليه السّلام فيما رواه محمّد بن إسماعيل البخارى بإسناده عن عبد الله بن عباس قال: لما اشتدّ بالنّبيّ صلّى الله عليه و آله مرضه الذى مات فيه قال: ائتوني بداه و قرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعدى فقال:

عمر إن رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله و كثر اللغط فقال النّبيّ عليه السّلام:

قوموا عنى لا ينبغى عندى التنازع قال ابن عباس: الرزیه كلّ الرزیه ما حال بیننا و بین کتاب رسول الله - إلى أن قال الشهرستانی: و أعظم خلاف بین الأئمّه خلاف الإمامه إذ ما سلّ سيف فى الإسلام على قاعده دیتیه مثل ما سلّ على الإمامه فى كلّ زمان.

لا- يخفى أن المسلمين بل سائر الأمم أيضا متفقون فى افتقار الناس إلى إمام للعلم الضرورى، من أن حال الناس عند وجود الرؤساء المطاعين و انبساط أيديهم و نفوذ أوامرهم و نواهيهم و تمكّنهم من الحلّ و العقد و القبض و البسط و الاحسان و الإساءه و غيرها مما ينتظم به امور معاشهم و مصالح معادهم لا يجوز أن يكون كحالهم إذا لم يكونوا فى الصلاح و الفساد و هذا مما جُبّل عليه الناس و استقر فى عقولهم و قلوبهم و لا يصل اليه يد انكار و لا يكابر فيه أحد و لذا ترى ان العقلاء من كلّ قوم يلتجئون إلى نصب الرؤساء دفعا للمفاسد الناشئه على فرض عدمهم و إنّما الكلام فى الرؤساء و صفاتهم مما يدلّ عليه العقل الناصع سواء كان فى ذلك سمع أو لم يكن فالمسأله يحتاج إلى تجريد للعقل و تصفيه للفكر و تدقيق للنظر و مجانبه المراء و تقليد الاباء فان التقليد الداء العيّا و الحذر عن التعصب و الخيلاء و الانقطاع عن الوسوس و الهواجس العاميه، و حقّ التأمل فى المسأله حتّى يتضح الحقّ حقّ الوضوح. و نعم ما قال الشاعر:

و تعلم قد خسرنا أو ربّحنا إذا فكرت فى أصل الحساب

ص: ٣٨

فنعول: ان العقل حاكم بحسن البعثة لاشتغالها على فوايد كثيره و سندر طائفه منها من ذى قبل انشاء الله، و بوجوبها على الله تعالى لاشتغالها على اللطف و اللطف واجب. و بأن النبى يجب أن يكون منصوفا عليه من الله تعالى و مبعوثا من عنده بالبينات و معصوما من العصيان و السهو و النسيان و منزها عن كل ما ينفر الطبع عنه، و أفضل من سائر الناس فى جميع الصفات الكماليه من النفسانيه و البدنيه حتى تحن القلوب اليه و يتم الحجه على الناس.

ثم نعلم أن النبوه ختمت بخاتم النبئين محمد صلى الله عليه و آله و شريعته نسخت سائر الشرائع و دينه هو الحق و حلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة و القرآن هو المعجزه الباقيه إلى قيام الساعه لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بمعانيه و حقائقه و الفاظه «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» و إذا جرنا العقل إلى هنا فنقول اولاً لا بد للدين من حافظ فى كل عصر و ثانياً على ما علم قبل أن المستقر فى العقول إذا كان للناس امام مرشد مطاع فى كل عصر يخافون سطوته ينتصف للمظلوم من الظالم و يردع الظالم عن ظلمه و يحفظ الدين و يمنع الناس عن التهاوش و التحارب و ما تتسارع إليه الطباع من المراء و النزاع و يحرضهم على التناصف و التعادل و القواعد العقلية و الوظائف الدينيه و يدرء المفاسد الموجهه لاختلال النظام فى امورهم عنهم و يحفظ المصالح و يلتم شعث الاجتماع و يدعوهم إلى وحده الكلمه و يقوم بحمايه الحوزه و رعايه البيضة و انتظام امور المعاش و المعاد و يكون لهم فى كل واقعه دينيه و دنيويه حصن حصين و حافظ أمين و يتوعدهم على المعاصى و يحملهم على الطاعات و يعدهم عليها و يصدع بالحق إذا تشاجر الناس فى حكم من أحكام الله لكانوا إلى الصلاح اقرب و من الفساد ابعد حتى قيل: إن ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن و ما يلتئم باللسان لا- ينتظم بالبرهان و بالجملة فى وجوده استجلاب منافع لا تحصى و استدفاع مضار لا تخفى.

و بعد ذلك فنقول: ان العقل يدل على أن الله تعالى مرید للطاعه و كاره للمعصيه و أن الله ليس بظلام للعبيد و علمنا مع وجود ذلك الرئيس الامام المطاع

انه كان النَّاس إلى فعل الطاعة أقرب و من فعل المعصية أبعد و لنسَم ما يقرب العبد إلى الطاعة و يبعِّده عن المعصية من غير الجاء باللفظ و هل هو واجب عقلا على الله أم لا؟ إن قلنا لا يجب عليه تعالى مع ان ايقاع الطاعة و ارتفاع المعصية يتوقفان على اللطف كما علمت و مع انه تعالى يريد الأولى و يكره الثانية و يعلم أن المكلف لا يطيعه إلا باللطف فكان ناقضا لغرضه و نقض الغرض قبيح عقلا و العقلاء يذمون من اراد من غيره فعلا و هو يعلم أن ذلك الغير لا يفعل مطلوبه إلا مع اعلامه أو ارسال إليه و امثال ذلك، ممَّا يتوقف حصول المطلوب عليه و لا يعمل ما يعلم بتوقف المطلوب عليه، فلا محيص إلا القول بوجوبه عليه تعالى عقلا و لذلك ان العقل يحكم بأن البعثه لطف فواجبه على الله تعالى على ان كل ما يعلمه الله تعالى من خير و صلاح فى نظام العالم و انتظام امور بنى آدم يجب منه تعالى صدوره لادن علمه بوجوه الخير و النظام سبب للايجاب و اليجاد فيجب نصب الامام من الله سبحانه فى كل زمان.

فلو قلنا ان النبوه رئاسه عامه الهيئه فى امور الدين و الدنيا و كذلك لمن يقوم مقامه نيابه عنه بعده رئاسه عامه الهيئه فيهما لما قلنا شططا فكل ما دل على وجوب النبوه و نصب النبى و تعيينه على الله فهو دال كذلك على القائم مقامه بعده إلا فى تلقى الوحي الإلهى و لنسَم القائم مقام النبى بالإمام و ان كان النبى اماما أيضا بذلك المعنى الذى اشير إليه و سيأتى البحث فى تحقيق معنى الامامه و النبوه فى تفسير قوله تعالى «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » الايه. إنشاء الله تعالى.

و إن شئنا ثبينا عنان البيان على التفصيل و التبيين فإن من تيسر له الاستبصار فى هذا الأمر الخطير فقد فاز فوزا عظيما و الا فقد خسر خسرانا مبينا فنقول: إن العقل لما دل على أن وجود الامام لطف للناس فى ارتفاع القبيح و فعل الواجب و حفظ الدين و حمل الرعيه على ما فيه مصالحهم و ردعهم عما فيه مفاسدهم فهل يجوز العقل أن يكون عالما ببعض الأحكام دون بعض، و ان يكون فى الناس من هو أعلم و أفضل

منه فى الصفات الكمالىة و هل يأمر الله بالطاعة المطلقة لمن يجوز عليه الخطاء و يصدر عنه الذنوب، و يسهو و ينسى، و يرتكب ما ينفر الطبع عنه، و من يكون نقص فى خلقته و عيوب فى بدنه ينزجر و ينفر النفس عن مصاحبته و مجالسته و مكالمته و من يكون غير منصوص عليه منه تعالى أو من نبىه؟ فهذه امور فى المقام يليق ان يبحث عنها من حيث اقتضاء العقل و حكمه فان العقل هو المتبع فى أمثال تلك الأمور.

فنقول: بعد ما استقرت الشريعة و ثبتت العبادة بالأحكام و أن الامام إمام فى جميع الأمور و هو الحاكم الحاسم لمواد النزاع و متولى الحكم فى سائر الدين و القائم مقام النبى و فرعه و خليفته و حجه فى الشرع فلا بد من أن يكون موصوفا بصفات النبى و شبيها له فى الصفات الكمالية و عالما بجميع الأحكام حتى يصح كونه خليفه له و يحسم به النزاع فى حكم من الأحكام و فى سائر الأمور و إلا فيقبح عند العقلاء خلافه من ليس بصفات المستخلف لأن غرضه لا يتم به و ذلك كما أن ملكا من الملوك إن استوزر من ليس بعارف بأمر السياسة التى بها تنتظم امور مملكته و جيوشه و رعاياه و غيرها ذمه العقلاء بل عدوه من السفهاء بل كما أن أحدنا لو يفوض صنعه إلى رجل لا يعرفها استحق اللوم و الانزاع من العقلاء فكذا فى المقام مع أن المقام اهم بمراتب منهما كما لا يخفى على البصير العاقل و هذا مما مجرد العقل كاف فى ايجابه.

و أيضا ان أحد ما احتيج فيه إلى الامام كونه مبينا للشرع و كاشفا عن ملتبس الدين و غامضه فلا بد من أن يكون فى ضروب العلم كاملا غير مفتقر إلى غيره فولاه أمر الله خزنه علمه و عيبه و حيه و إلا يتطرق التغير و التبديل فى دين الله و لذا صرح الشيخ الرئيس فى آخر الشفاء فى الفصل فى الخليفة و الامام أن الامام مستقل بالسياسة و أنه أصيل العقل حاصل عنده الأخلاق الشريفة من الشجاعه و العفة و حسن التدبير و أنه عارف بالشريعة حتى لا أعرف منه.

ثم إن الامامه رئاسه عامه فلو لم يكن الامام متصفا بجميع الكمالات و الفضائل و أكمل و أفضل من كل واحد من أهل زمانه و كان فى الرعيه من هو أفضل

منه للزم تقديم المفضل على الأفضل و هل يرتضى العقل بذلك؟ أ رأيت أن العقلاء لا يذمون من ربح المفضل على الفاضل؟ و هل تقدم أنت مبتدأ في فنّ على من مارسه و تبخر فيه؟ و هل يجوز عقلك و يرضى بان الله الحكيم يقدم المفضل المحتاج إلى التكميل على الفاضل المكمل؟ جرد نفسك عن العصبية و المرء و تقليد الأمهات و الاباء فانظر بنور البصيره و الحجبى فى كلامه تعالى «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» و لما كان المطلوب من إرسال الرسل و انزال الكتب و نصب الحجج تعليم الناس الحكمه و تركيتهم من الأرجاس و اقبالهم إلى عالم القدس فأى مصلحه يقتضيها التكليف فى تقديم المفضل على الأفضل أليس هذا العمل نفسه بقييح و هل القبيح إلا ما فيه مفسده؟ أ رأيت هل قدم رسول الله صلى الله عليه و آله و غيره من الأنبياء و الكملين و اولى النهى و الملوك و الأمراء مفضولا على فاضل فى واقعه قطّ و لو فعل واحد ذلك أما يلومه العقلاء؟ هل تجد خبرا و روايه أن رسول الله صلى الله عليه و آله قدم على أمير المؤمنين على عليه السلام غيره، و هل قدم على سلمان سلام الله عليه عثمان بن مظعون مثلا و نعلم أن رسول الله صلى الله عليه و آله لما نعت إليه نفسه أمر اسامه على أبى بكر و عمر و حث على خروج الكلّ من المدينة و لعن المتخلف عن جيش اسامه فكان اسامه فى أمر الحرب و سياسه الجند و تدبير العسكر أفضل منهما و إلا لما قدمه عليهما و لو كان بالفرض على عليه السلام معهم هل يقدم رسول الله صلى الله عليه و آله اسامه على على عليه السلام؟ ما أرى مسلما بصيرا فى على عليه السلام و اسامه أن يرضى بذلك بل يعده قبيحا جدا فانه لا يشك ذو بصيره و درايه فى أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام كان بين الصحابه كالمعقول بين المحسوس و نسبته اليهم كنسبه النور إلى الظلمات و نسبه الحياه إلى الممات فتشهد الفطره السليمه على قبح تقديم المفضل على الفاضل.

ثم لو كان الإمام عاصيا عن أمر الله تعالى و مذنبا سواء كانت الذنوب صغيره أو كبيره فنقول أولا أنه لما كانت العله المحوجه إلى الإمام هى ردّ الظالم عن ظلمه و الانتصاف للمظلوم منه و حمل الرعيه على ما فيه مصالحهم و ردعهم عما فيه مفسدهم و نظم الشمل و جمع الكلمه فلو كان مخطئا مذنبا لاحتاج إلى آخر يردعه عن ظلمه

فان الذنب ظلم و ننقل الكلام إلى ذلك الآخر فان كان معصوما من الذنوب و إلا لزم عدم تناهي الأئمة.

و أيضا إنّ الله تعالى لعن الظالم و نهى عن الظلم و حذّر عن الركون إلى الظلمه بقوله «و لا- تَزَكُّوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ» و كذا أمر بالطاعة المطلقة للامام فلو كان الامام مذنباً لكان ظالماً فيلزم التناقض في قوله تعالى عن ذلك.

و أيضا إنّ الامام لما كان قدوه في الدّين و الدّنيا مفترض الطاعة من الله و لو ارتكب المعصيه تتضاد التكليف على الأئمة فان اتبعته الأئمة في المعصيه فعصوا الله و إن خالفوه فيها فعاصيه أيضا.

و أيضا لو صدرت المعصيه عنه هل يجب الانكار عليه أم لا؟ فعلى الأول يلزم أن يكون مأموراً و منهيّا عنه مع أنّه إمام آمروناه فيلزم إذا سقط محله من القلوب فلا- تنقاده النفوس في أمره و نهيه فتنتفى الفائده المطلوبه من نصبه، و على الثاني يلزم القول بعدم وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر مع أنّهما واجبان عقلا و سمعا و أجمع الكلّ بوجوبهما و معلوم بالضروره أن فعل القبيح و ترك الواجب لا يصدر إلاّ ممن لا يكون معصوما فان العصمه هي القوّه القدسيه النوريّه العلميه اللائحه من صبح أزل العناية الموجبه للاعتدال الخلقى و الخلقى و المزاجى المتعلقه بمثالب العصيان في الدارين الحاصله بشدّه الاتصال و كمال الارتباط بمبدء العالم و عالم الأرواح فمن بلغ إلى تلك الغايه و رزق تلك القوّه لا يحوم حول العصيان و لا يتطرق إلى حريم وجوده السهو و النسيان فان تلك القوّه رادعه إياه عن العصيان و ذلك العلم الحضورى و الانكشاف التام يمنعه عن السهو و النسيان فلو لم يكن الامام ذا عصمه ليصدر منه القبيح قولاً و فعلاً فاذن لا بد أن يكون معصوما.

و نعم ما استدللّ المتكلم التحرير هشام بن الحكم على عصمه الامام فلنذكره لعظم فائدته في المقام.

كلام هشام بن الحكم في عصمه الامام

روى الشيخ الجليل محمّد بن على بن بابويه المشتهر بالصدوق في باب الأربعة

ص: ٤٣

من كتابه المسمى بالخصال عن محمد بن أبي عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام ابن الحكم في صحبتي له شيئا أحسن من هذا الكلام في عصمه الامام فاني سألته يوما عن الامام أهو معصوم؟ فقال: نعم، فقلت: فما صفه العصمه فيه و بأي شيء يعرف؟ فقال: إن جميع الذنوب أربعة أوجه لا- خامس لها: الحرص و الحسد و الغضب و الشهوه فهذه منفيه عنه. لا يجوز أن يكون حريصا على هذه الدنيا و هي تحت خاتمه لأنه خازن المسلمين فعلى ما ذا يحرص؟ و لا يجوز أن يكون حسودا لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه و ليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه؟ و لا- يجوز أن يغضب لشيء من امور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز و جل فان الله عز و جل قد فرض عليه إقامه الحدود و أن لا تأخذه في الله لومه لائم و لا رأفه في دينه حتى يقيم حدود الله عز و جل.

و لا- يجوز أن يحب أمور الدنيا لأن الله حب اليه الاخره كما حب الينا الدنيا و هو ينظر إلى الاخره كما ننظر إلى الدنيا فهل رأيت أحدا ترك وجهها حسنا لوجه قبيح و طعاما طيبا لطعام مرّ و ثوبا لينا لثوب حسن و نعمه دائمه باقيه لدنيا زائله فاني؟ انتهى كلامه رفع مقامه و لله درّه.

أقول: و لا يخفى أن هذا الدليل جار في عصمه النبي صلى الله عليه و آله أيضا بل بطريق أولى.

ثم إن الشيخ الرئيس كأنما أخذ من هذا ما قال في النمط التاسع من الاشارات في مقامات العارفين حيث قال في آخره: العارف هشّ بشّ بسام ييجل الصغير من تواضعه كما ييجل الكبير و ينبسط من الخامل مثل ما ينبسط من التّبيه و كيف لا يهشّ و هو فرحان بالحقّ و بكلّ شيء فأنه يرى فيه الحقّ و كيف لا يستوى و الجميع عنده سواسيه أهل الرحمه قد شغلوا بالباطل - إلى أن قال: العارف شجاع و كيف لا و هو بمعزل عن تقيّه الموت، و جواد و كيف لا و هو بمعزل عن محبه الباطل، و صفاح و كيف لا و نفسه أكبر من أن تخرجها زلّه بشر، و نساء للأحقاد و كيف لا و ذكره مشغول بالحقّ - إلى آخر ما قال.

ثمّ إذا ثبت أنّ الامام حجه في الشرع و بقاء الدين و الشريعة موقوف على وجوده و جب عقلا أن ينفي عنه ما يقدر في ذلك و ينفر عنه منها السهو و النسيان و إلّا فاذا حكم في واقعه و بين حكم الله لا تطمئن به القلوب لا مكان السهو و النسيان فيه فاذا كان حافظا للشرع و لم يكن معصوما منهما لما آمن في الشرع من الزيادة و النقصان و التغيير و التبديل. و لم يحصل الوثوق بقوله و فعله و ذلك ينافي الغرض من التكليف، و كذلك إذا لم يكن منزها من سائر ما تنفر الطباع عنها لا- تميل النفوس اليها و لا تشتاق إلى حضرته لنيل السعادات و درك الحقائق فلا يتم حجه الله على خلقه بل الفطره السليمه و الرويّه المستقيمه و النفوس الكريمه تأبى عن طاعه من ارتكب ما تنفر عنه من أنواع المعاصي و الفواحش الكبائر و الصغائر و لو في سالف عمره و تاب بعد ذلك.

و أيضا لا خلاف بين المسلمين ان الامام هو المقتدا به في جميع الشريعة و إنّما الخلاف في كيفيته فاذا كان هو المقتدا به في جميع الشريعة و واجب علينا الاقتداء به فلو لم يكن مأمونا منه فعل القبيح لم نأمن في جميع افعاله و لا أقل في بعضها ممّا يأمرنا به و يدعوننا اليه في الحدود و الديات و القصاص و سائر أحكام العبادات و المعاملات أن يكون قبيحا و من هو مأمون منه فعل القبيح هو المعصوم لا غير فيجب أن يكون الامام معصوما.

ثمّ إذا علم معنى العصمه فلا بد من أن يكون الامام منصوبا من عند الله أو من رسول الله صلّى الله عليه و آله أو من إمام قبله لأن العصمه أمر خفي باطنى تميزه خارج عن طوق البشر و لا اطلاع لأحدهم عليها و لا يعلمها إلّا الله تعالى على أنّه لا خلاف و لا نزاع بين الأئمه في أنّ الامامه دافعه للضرر و أنّها واجبه و إنّما النزاع في تفويض ذلك إلى الخلق لما في ذلك من الاختلاف الواقع في تعيين الأئمه فيؤدّى إلى الضرر المطلوب زواله و لذا قال الشيخ الرئيس في آخر الهيات الشفاء في الفصل الخامس من مقاله العاشره في الخليفه و الامام: و الاستخلاف بالنص أصوب فان ذلك لا يؤدّى إلى التشعب و التشاغب و الاختلاف.

و لما كانت هذه المسأله من أهم المسائل و اكتفى بعض الناس فيها بالاقناعات و الخطائيات بل بالوهميات التى لا اعتداد بها فى نصب الامام و أطفئوا نور العقل و عطلوه عن الحكم و القضاء و مالوا عن الجاده الوسطى و جانبوا الأدله القطعيه العلميه و الأصول اليقينيّه البرهانيه الهمت أن أسلك طريقه اخرى عقليه فى تقريرها و تحريرها عسى أن يذكر من تيسر للسرى فنقول و بالله التوفيق و بيده أزمه التحقيق: العقول حاكمه بأنّ أحوال العالم كلّها إنما قامت على العدله و بأنّ الأنبياء بعثوا ليقوم الناس بالقسط و بالعدل قامت السماوات و الأرض و به ينتظم جميع أمور الناس و به يصير المدينه مدينه فاضله و بالعدل المطلقه يعطى كلّ ذى حقّ حقّه و به تحصل الكمالات العلميه و العمليه المستلزمه لنيل السعاده الأبدية و القرب إلى عالم القدس و الايصال إلى المعبود الحقّ و هو سبب الفوز و النجاه فى الدنيا و الآخرة و لو لا العدل لاختل نظام العالم و نظم اجتماع بنى آدم و تعطل الحدود و الحقوق و استولى الهرج و المرج و فسد أمر المعاش و المعاد و لزم غيرها من المفاسد التى لا تعدّ و لا تحصى، فالناس يحتاجون فى كلّ زمان إلى امام خيّر مطاع حافظ للدين عن التغيير و التبديل و الزياده و النقصان و يكون هادى الأمه إلى ما فيه الفلاح و النجاح و رادعهم عن العدول عن الصراط المستقيم و الانحراف عن النهج القويم و عن الميل إلى الأهواء المرديه و الاراء المغويه و سائقهم إلى طريق الاستقامه التى لا ميل فيها إلى جانبى الافراط و التفريط فان اليمين و الشمال مضللّه و الوسطى هى الجاده، و معطى كلّ ذى حقّ حقّه و مقيم الحدود و مؤدى الحقوق و العدل فى كلّ شىء هو وضع ذلك الشىء فى موضعه أى إعطاء كلّ ذى حقّ حقّه بحسب استعداده و استحقاقه و إعطاء كلّ ذى حقّ حقّه يحتاج إلى العلم بحقائقهم و قدر استحقاقهم و استعدادهم و الاطلاع على الكليات و الجزئيات و إحاطتها على ما هى عليه و هى غير متناهيه فهى غير معلومه إلاّ لله تعالى و لخلفائه الذين اصطفاهم، فالإمام

الَّذِي بِيَدِهِ أَرْزَمَهُ الْعَدْلَ وَالْحُكْمَ وَالْكِتَابَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ خَلِيفَتَهُ فِي الْأَرْضِ وَخَلِيفَتَهُ مَنْصُوبٌ مِنْ عِنْدِهِ وَمَعْصُومٌ مِنَ الْعُيُوبِ مُطْلَقًا.

وَكَذَا مُسْتَكَنٌ فِي الْقُلُوبِ وَمُتَقَرَّرٌ فِي الْحُكْمِ الْمُتَعَالِيَةِ أَنَّ النَّفْسَ بِالطَّبْعِ مُنْجَذِبَةٌ إِلَى مَحَبَّةِ مَشَاهِدِهِ النُّورِ الْأَكْمَلِ وَالْعِلْمِ الْأَتَمِّ وَكَلَمًا كَانَ الْكَمَالُ أَعْلَى وَالنُّورُ أَسْنَى وَالْعِلْمُ أَتَمُّ وَالنَّفْسُ أَطْهَرُ كَانَتْ النَّفُوسُ إِلَيْهِ أَطْوَعَ وَمِيلَهَا إِلَيْهِ أَشَدَّ وَأَكْثَرُ، وَلَمَّا كَانَتْ الْعَصْمَةُ هِيَ الْعَدَالَةُ الْمَطْلُوقَةُ الرَّادِعَةُ عَنِ الْإِنْحِرَافِ وَالظُّلْمِ وَكَانَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى مِنَ الْخِلَافَةِ هُوَ تَكْمِيلُ النَّفُوسِ بِإِنْقِيَادِهَا لِلْإِمَامِ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مَعْصُومًا حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْغَرَضُ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ وَغَيْرُ الْمَعْصُومِ نَاقِصٌ بِالضَّرُورَةِ عَنْ كَمَالِ الْإِعْتِدَالِ فِي الْقَوَى الثَّلَاثِ أَيْ الْحُكْمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعَفَةِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِلْعَدَالَةِ الْمَطْلُوقَةِ فَإِذَا كَانَ نَاقِصًا عَنْهُ يَضِلُّ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَوْ فِي حُكْمٍ جُزْئِيٍّ وَالنَّاقِصُ الْمَشْتَمَلُ عَلَى الْإِنْحِرَافِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ لَا يَلِيقُ أَنْ يَكُونَ وَاسِطَةً الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ وَقَائِمًا بِهَدَايَتِهِمْ بِالْجَمَلِ إِنْ الْإِمَامَةُ مَنْصُوبَةٌ إِلَهِيًّا يَتَوَقَّفُ عَلَى كَمَالِ عَقْلِهِ النَّظَرِيِّ وَالْعَمَلِيِّ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْعُيُوبِ وَالْعَصْمَةِ عَنِ الذُّنُوبِ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّى عَنْ بَيْنِهِ وَإِلَى مَا حَقَّقْنَاهُ وَحَرَّرْنَاهُ أَشَارَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَأَلِّهِينَ مِنَ الْحُكَمَاءِ فِي أَسْفَارِهِمْ أَنَّ الْأَرْضَ لَا يَخْلُو مِنْ حُجَّةِ إِلَهِيَّةٍ قَطُّ.

قَالَ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ فِي آخِرِ الْفَصْلِ الْخَامِسِ مِنَ الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ إِهْيَاتِ الشِّفَاءِ فِي الْخَلِيفَةِ وَالْإِمَامِ وَجُوبِ طَاعَتِهِمَا بَعْدَ الْبَحْثِ عَنِ الْفَضَائِلِ: وَرِءُوسُ هَذِهِ الْفَضَائِلِ عَفْوُهُ وَحُكْمُهُ وَشَجَاعَتُهُ وَمَجْمُوعَةُ الْعَدَالَةِ وَهِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْفَضِيلَةِ النَّظَرِيَّةِ وَمِنْ اجْتَمَعَتْ لَهُ مَعَهَا الْحُكْمَةُ النَّظَرِيَّةُ فَقَدْ سَعِدَ وَمِنْ فَازَ مَعَ ذَلِكَ بِالْخَوَاصِّ النَّبَوِيِّ كَادَ أَنْ يَصِيرَ رَبًّا إِنْسَانِيًّا وَكَادَ أَنْ يَحِلَّ عِبَادَتَهُ بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ سُلْطَانُ الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ وَخَلِيفَةُ اللَّهِ فِيهِ.

بَيَانٌ: إِنَّمَا عَبَّرَ الْإِمَامُ بِقَوْلِهِ رَبًّا إِنْسَانِيًّا لِأَنَّ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ لَمَّا كَانَ بَشَرًا وَاسِطَةً بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُؤَيِّدًا مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ بِالْحُكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ وَالنَّظَرِيَّةِ غَيْرِ مُشَارِكٍ لِلنَّاسِ عَلَى مِشَارَكَتِهِ لَهُمْ فِي الْخَلْقِ بِكَرَامَاتِ إِلَهِيَّةٍ وَأُمُورٍ

قدسيّه و صفات ملكوتيّه فعبر الشيخ عن الجهتين أعنى الجهه البشريّه و الجهه الألوهيّة بقوله: ربّا إنسانيا.

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي: لا يخلو العالم من الخليفه الذى سماه أرباب المكاشفه و أرباب المشاهده القطب، فله الرياسه و إن كان فى غايه الخمول و إن كانت السياسه بيده كان الزمان نورانيا و إذا خلى الزمان عن تدبير مدبر إلهى كانت الظلمات غالبه.

و قال فى شرح النصوص: لا يزال العالم محفوظا ما دام فيه هذا الإنسان الكامل ان الخليفه ظاهر بصوره مستخلفه فى خزائنه و الله يحفظ صورته خلقه فى العالم فأنه طلسم الحفظ من حيث مظهريته لأسمائه واسطه تدبيره بظهور تأثيرات أسمائه فيها.

و سيأتى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّه إمّا ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله و بيناته و كم ذا و أين اولئك. اولئك و الله الأقلون عددا و الأعظمون قدرا يحفظ الله بهم حججه و بيناته حتّى يودعوها نظرائهم و يزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقه البصيره و باشروا روح اليقين و استلانوا ما استوعره المترفون و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقه بالمحل الأعلى اولئك خلفاء الله فى أرضه و الدّعاء إلى دينه.

«عدم تأثير السحر و الشعبذه و أمثالهما فى الحجج الإلهيه»

تنبيه: قد علم مما قدمنا فى الحجج الالهيه أن العقل لا يجوز تأثير السحر فيهم و غايه ما يستفاد من الأخبار المذكوره فى جوامع الفريقين أن بعض الناس كلبيد ابن أعصم اليهود مثلا- إنما سحر رسول الله صلى الله عليه و آله و أميا أن سحره أثر فيه أثرا فممنوع فان الأصل المتبع فى تلك الأمور هو العقل فما وافقه و إلا يعرض عنه. و ما ورد من تأثير السحر فيهم كما فى نقل: أن رسول الله صلى الله عليه و آله مرض من سحر لبيد بن أعصم، و فى آخر: كان النبى صلى الله عليه و آله يرى أنّه يجامع و ليس يجامع و كان يريد الباب و لا يبصره حتّى يلمسه بيده، من زيادات النقله و الروات فان دأب الناس فى أمثال

ص: ٤٨

هذه الواقعة على زياده ما يستغرب و يتعجب منه.

قال الطبرسى فى المجمع: و هذا (يعنى تأثير السحر فيه صلى الله عليه و آله) لا يجوز لأن من وصف بأنه مسحور فكأنه قد خبل عقله و قد أبى الله سبحانه ذلك فى قوله «وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا» و لكن يمكن أن يكون اليهودى أو بناته على ما روى اجتهدوا فى ذلك فلم يقدرُوا عليه و اطلع الله نبيه صلى الله عليه و آله على ما فعلوه من التمويه حتى استخرج (يعنى استخراج سحر لبيد من بئر ذروان) و كان ذلك دلاله على صدقه و كيف يجوز أن يكون الممرض من فعلهم و لو قدرُوا على ذلك لقتلوه و قتلوا كثيرا من المؤمنين مع شدة عداوتهم لهم.

و من تدبّر و تأمل فيما حرّرنا من وجود الامام و أوصافه عقلا درى أنه يجب أن يكون عالما بالسياسة و بجميع أحكام الشريعة و كلّ ما يحتاج اليه الناس فى تكميل نفوسهم و نظام امورهم، و أفضل من كلّ واحد من رعيه عصره و أن وجوده لطف فيجب أن يكون منصوبا عليه و منصوبا من عند الله تعالى و معصوما عن الذنوب و منزها عن العيوب و عن كلّ ما يتنفّر عنه الطبع السليم. فمن أخذت الفطانه بيده سعد و إلّا فمن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

«التمسك بايتين و خمسة أخبار فى الامام و صفاته»

و اعلم أنّما حدانى على الايتان بتلك الأخبار و البحث عنها ما رأيت فيها من احتجاجات أنيقه مشتمله على براهين كليّيه عقليه فى اثبات المطلوب، لا من حيث أنّها أخبار أردنا ايرادها فى المقام و التمسك بها تعبدا، كما أن الايتين وافيتان للرشاد و السداد لو تدبّرنا فيهما بالعقل و الاجتهاد و المرجو أن ينظر فيها القارى الكريم الطالب للرشاد حق النظر و يتدبّر فيها حق التدبّر لعله يوفق بالوصول إلى الدين الحقّ فان الدين الحقّ واحد قال عزّ من قائل: «فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ» - و «لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ». ثمّ ليعلم أن الايات و الأخبار فى الدلاله على ذلك أكثر منها و لكنّا اكتفينا بها روما للاختصار.

أمّا الايتان فاوليها قوله عزّ و جلّ (البقره الايه ١١٩): «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ»

«رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ».

أقول: الامام هو المقتدى به كما يقال إمام الصلاة لأنه يقتدى به و يأتي به و كذلك يقال للخشبة التي يعمل عليها الاسكاف امام من حيث يحذو عليها و للشاقول الذي في يد البناء إمام من حيث إنه يبنى عليه و يقدر به و لا كلام في ان الامام الذي نصبه الله تعالى لعباده مقتدى به في جميع الشريعة و به يهتدون و الامام هادي الناس بأمر الله تعالى و كفى في ذلك شاهدا قوله تعالى في كتابه الكريم: «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا » (الأنبياء - ٧٣) و قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَيَاتِنًا يُوقِنُونَ » (السجدة - ٢٤) حيث قرن الإمامه بالهداية التي هي بأمر الله تعالى أي الامام يهدي الناس إلى سواء السبيل بأمره تعالى و سنوضح ذلك مزيد ايضاح.

ثم انه ذكر غير واحد من المفسرين كالنيسابوري و صاحب المنار و غيرهما أن المراد بالامامه الرساله و النبوه و قال الأول: الأكثرون على أن الامام ههنا النبي لأنه جعله إماما لكل الناس فلو لم يكن مستقلاً بشرع كان تابعا لرسول و يبطل العموم، و لأن اطلاق الامام يدل على أنه إمام في كل شيء و العدى يكون كذلك لا بد أن يكون نبيا، و لأن الله تعالى سمّاه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي أن يحمل على أجل مراتب الامامه كقوله تعالى «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» لا على من هو أدون ممن يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة و القاضي و الفقيه و امام الصلاة و لقد أنجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه في عيون أهل الأديان كلها و قد اقتدى به من بعده من الأنبياء في اصول ملهمهم ثم أوحينا اليك أن اتبع مله إبراهيم حنيفا و كفى به فضلا أن جميع امه محمّد صلى الله عليه و آله يقولون في صلاتهم: اللهم صل على محمّد و آل محمّد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم. (انتهى) أقول: الصواب أن إبراهيم عليه السلام فاز بالامامه بعد ما كان نبيا و الامامه في الايه غير النبوه و ذلك لوجهين: الأول أن جاعل عمل في قوله تعالى إماما اعني

ص: ٥٠

إن إماما مفعول ثان لقوله جاعلك و اسم الفاعل إنما يعمل عمل الفعل و ينصب مفعوله و لا يضاف إليه إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال و أما إذا كان بمعنى الماضي فلا يعمل عمل الفعل كذلك و لا يقال زيد ضارب عمرا أمس نعم إذا كان صله لأل فيعمل مطلقا كما حقق في محله.

حكى أنه اجتمع الكسائي و أبو يوسف القاضي عند الرشيد فقال الكسائي:

أبا يوسف لو قتل غلامك فقال رجل أنا قاتل غلامك بالإضافة، و قال آخر أنا قاتل غلامك بالتنوين فأيهما كنت تأخذ به؟ فقال القاضي كنت أخذتهما جميعا. فقال الكسائي أخطأت إنما يؤخذ بالقتل الذي جرّ دون النصب. و الوجه فيه أن اسم الفاعل المضاف بمعنى الماضي فيكون إقرارا و غير المضاف يحتمل الحال و الاستقبال أيضا فلا يكون إقرارا. و ما نحن فيه من قبيل الثاني كما لا يخفى.

و بالجمله إذا كان اسم الفاعل يعمل عمل فعله إذا لم يكن بمعنى الماضي فالإيه تدل على أنه تعالى جعل إبراهيم إماما إما في الحال أو الاستقبال و على أي حال كانت النبوة حاصله له قبل الإمامه فلا يكون المراد بالإمامه في الإيه النبوه.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام و في الوافي ص ١٧ م ٢) قال إنّ الله تبارك و تعالى اتخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتخذه نبيا و أن الله اتخذ نبيا قبل أن يتخذه رسولا و أن الله اتخذ رسولا قبل أن يتخذه خليلا و أن الله اتخذ خليلا قبل أن يتخذه (أن يجعله - خ ل) إماما فلما جمع له الأشياء قال إنني جاعلك للناس إماما فمن عظمها في عين إبراهيم قال و من ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين قال لا يكون السفية إمام التقى. انتهى فرتب هذه الخصال بعضها على بعض لاشتمال كلّ لاحق منها على سابقه مع زياده حتى انتهى إلى الإمامه المشتمله على جميعها فهي أشرف المقامات و أفضلها.

و فيه أيضا قال أبو عبد الله عليه السلام: الأنبياء و المرسلون على أربع طبقات: فنبى منبأ في نفسه لا يعد و غيرها، و نبى يرى في النوم و يسمع الصوت و لا يعاينه في اليقظه و لم يبعث إلى أحد و عليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط عليهما السلام، و نبى يرى

فى منامه و يسمع الصوت و يعاين الملك و قد ارسل الى طائفه قتلوا او كثروا كيونس قال الله تعالى ليونس: «وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» وقال: يزيدون ثلاثين ألفا و عليه إمام، و العدى يرى فى منامه و يسمع الصوت و يعاين فى اليقظه و هو إمام مثل اولى العزم و قد كان إبراهيم عليه السلام نبيا و ليس بامام حتى قال الله إني جاعلك للناس إماما قال و من ذريتي فقال الله لا ينال عهدي الظالمين من عبد صنما او وثنا لا يكون إماما.

الوجه الثانى ان الايه تدل على أن الله تعالى لما ابتلاه و اختبره بانواع البلاء جعله إماما و من ابين البلاء له ذبح ولده إسماعيل كما قال تعالى «فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى» - إلى أن قال - «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ» (الصافات ١٠٧) و وهبه الله إسماعيل فى كبره كما قال فى السوره المسماء باسمه «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ» (إبراهيم: ٤٣) فكان عليه السلام نبيا قبل أن كان إماما.

و كذلك نقول: إن مما ابتلاه الله تعالى به قضيه ابتلائه بالأصنام و قال الله تعالى:

«وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا» - إلى أن قال: «فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا» (مريم: ٥١) فنص الله تعالى بانه كان حين يخاطب أباه صديقا نبيا و قال فى الايه الأولى «وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» فلم يكن حين ابتلائه بالأصنام إماما بل كان نبيا و رزق الإمامه بعد ذلك.

فاذا ساقنا الدليل إلى أن الإمامه فى الايه غير النبوه فنقول كما فى المجمع:

ان المستفاد من لفظ الامام أمران: أحدهما أنه المقتدى به فى أفعاله و أقواله، و الثانى أنه العدى يقوم بتدبير الأمة و سياستها و القيام بامورها و تأديب جناتها و توليه ولايتها و إقامة الحدود على مستحقيها و محاربه من يكيدها و يعاديها، فعلى الوجه الأول

لا- يكون نبى من الأنبياء إلا- و هو إمام، و على الوجه الثانى لا- يجب فى كل نبى أن يكون إماما إذ يجوز أن لا يكون مأمورا بتأديب الجناه و محاربه العداة و الدفاع عن حوزة الدين و مجاهدة الكافرين.

ثم إن معنى الإمامه فى الایه ليس مجرد مفهوم اللفظ منها بل هى الموهبه الالهيه يهب لمن يشاء من عباده الصابرين الموقنين كما قال عز من قائل «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَيَاتِنًا يُوقِنُونَ » (السجده: ٢٤) و إنما اطلق الصبر و لم يذكر متعلقه بأنهم صبروا فيما ذا؟ ليعم صبرهم فى أنواع البلاء. فالإمامه هى الولايه من الله تعالى لهدايه الناس بأمر الله تعالى التى توجب لصاحبها التصرف فى العالم العنصرى و تدبيره باصلاح فسادة و اظهار الكمالات فيه لاختصاص صاحبها بعنايه الهيه توجب له قوه فى نفسه لا يمنعها الاشتغال بالبدن عن الاتصال بالعالم العلوى و اكتساب العلم الغيبى منه، فبذلك التحقيق و بما بيناه فى أبحاثنا الماضيه يظهر جواب ما استدلل النيسابورى و غيره على ان المراد بالإمام هو النبى.

ثم ان الایه تدلّ على أن الإمام الهادى للناس بأمره تعالى يجب أن يكون منصوفا من عند الله تعالى حيث قال تعالى: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» كما لا يخفى على من له أدنى دربه فى اساليب الكلام. و العجب من النيسابورى حيث قال فى تفسيره: ثم القائلون بأن الإمام لا- يصير إماما إلا- بالنصّ تمسكوا بهذه الایه و أمثالها من نحو: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً - يا داود إنا جعلناك خليفة، و منع بأن الإمام يراد به ههنا النبى سلمنا ان المراد به مطلق الإمام لكن الایه تدلّ على ان النصّ طريق الإمامه و ذلك لا نزاع فيه إنما النزاع فى أنّه لا- طريق للإمامه سوى النصّ و لا- دلاله فى الایه على ذلك انتهى. و بما حققناه و بيناه فى المقام يظهر لك أن كلامه هذا فى غايه السقوط. نعم أنّه أنصف فى المقام و قال:

و فى الایه دليل على أنّه عليه السلام كان معصوما عن جميع الذنوب لأنّه لو صدرت عنه معصيه لوجب علينا الاقتداء به و ذلك يؤدّى إلى كون الفعل الواحد ممنوعا منه مندوبا إليه و ذلك محال.

قوله تعالى: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ». عطف على الكاف من جاعلك و ان شئت قلت: و من ذريتي تتعلق بمحذوف تدل عليه كلمه جاعلك و من للتبعيض أى اجعل بعض ذريتي إماما كما يقال ساكرمك فتقول و زيدا و إنما طلب الإمامه لبعض ذريته لعلمه بان كلهم لا- يليق بها لأن ناسا غير محصورين لا يخلو فيهم من ظالم غالبا قال الله تعالى: «سَيَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَ بَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَ بَارَكْنَا عَلَيْهِ وَ عَلَىٰ إِسْحَاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ» (الصفافات ١١٥).

و أفاد بعض المفسرين أنه قد جرى إبراهيم على سنه الفطره فى دعائه هذا فان الانسان لما يعلم من أن بقاء ولده بقاء له يحب أن تكون ذريته على أحسن حال يكون هو عليها ليكون له حظ من البقاء جسدا و روحا. و من دعاء إبراهيم الذى حكاه الله عنه فى السوره المسماء باسمه «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي» (إبراهيم: ٤٠) و قد راعى الأدب فى طلبه فلم يطلب الإمامه لجميع ذريته بل لبعضها لأنه الممكن، و فى هذا مراعاة لسنن الفطره أيضا و ذلك من شروط الدعاء و آدابه فمن خالف فى دعائه سنن الله فى خليقته او فى شريعته فهو شريعته فهو غير جدير بالاجابه بل هو سىء الأدب مع الله تعالى لأنه يدعو لأن يبطل لأجله سنته التى لا تبدل و لا تتحول أو ينسخ شريعته بعد ختم النبوه و اتمام الدين.

و العهد فى الايه الإمامه التى اعطاها الله تعالى إبراهيم و إنما سميت تلك الرياسه الالهيه عهد الله لاشتمالها على كل عهد عهد به الله تعالى إلى بنى آدم كقوله تعالى «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ» - و «إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ».

و من عظمها و شرافتها فى عين إبراهيم سأل الإمامه لبعض ذريته فأجابه الله تعالى بأن الإمامه عهده و لا يناله الظالمون يقال: نال خيرا ينال نيلا أى أصاب و بلغ منه. و بين الله تعالى ان عهده ذو مقام منيع و درجه رفيعه لا يصل اليه يد الظالم القاصره.

و أيضا دلّت الايه على أن بعض ذريته الظالم لا ينال عهد الله لأن الظالم ليس

بأهل لأن يقتدى به فلم ينف الله تعالى الإمامه عن ذريته مطلقا وإلا لكان يقول:

لا- ينال عهدي ذريتك مثلا بل ذكر المانع من النيل إلى ذلك المنصب الالهى مطلقا و هو الظلم و ذلك كما ترى أن الله جعل الإمامه فى بعض أولاده و احفاده كاسماعيل و إسحاق و يعقوب و يوسف و موسى و هارون و داود و سليمان و أيوب و يونس و زكريا و يحيى و عيسى و الياس ثم أفضلهم و أشرفهم محمد صلى الله عليه و آله و الله تعالى اثنى عليهم فى الكتاب بثناء مستطاب. فالايه تدل على ان الإمامه التى جعلها لـإبراهيم عليه السلام لا- ينالها من كان ظالما من ذريته فعلم من الايه أمران: أحدهما أن الإمامه لا يكون إلا فى ذريته، و الثانى أنه لا ينالها من عند الله من هو موصوف بالظلم منهم. فعلم أن كل ظالم من ذريته إبراهيم لا يصلح أن ينال الإمامه و الولايه من قبل الله و لا يكون ممن رضى الله بامامته و ولايته و إلا لزم الكذب فى خبره هذا خلف فكل ظالم تولى امور المسلمين باستيلائه و قهره و كثره أعوانه و أنصاره لا يكون إماما من الله و لا ممن رضى الله بإمامته و الا لكان قد جعله إماما و كذا لا تكون مجعولا من رسله و لا من خواص أوليائه لنص الايه الدال على أن الله تعالى لا يجعل الإمامه و لا ينالها منه من كان ظالما.

ثم إن أصحابنا الإماميه استدلوا بهذه الايه على أن الإمام لا يكون إلا معصوما عن القبائح لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذى هو الإمامه ظالم فمن ليس بمعصوم فهو ظالم إمّا لنفسه و إمّا لغيره و من لم يتصف بالعصمه لا- يتصف بالاستقامه و الاعتدال المتصفين بهما أهل الولايه عن الله فيتحقق الميل عن الوسط و الخروج عن الصراط المستقيم فيكون من أحد الجانبين إمّا من المغضوب عليهم أو الضالين فان قيل: إنما نفى أن يناله ظالم فى حال ظلمه فاذا تاب لا يسمى ظالما فيصح أن يناله. فالجواب أن الظالم و ان تاب فلا يخرج من أن تكون الايه قد تناولته فى حال كونه ظالما فاذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها و الايه مطلقه غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب أن تكون محموله على الأوقات كلها فلا ينالها الظالم و ان تاب فيما بعد (قاله فى المجمع).

ص: ٥٥

و بالجمله ان عموم ظاهر الايه يقتضى ان الظالم فى حال من الأحوال لا ينال الإمامه و من تاب بعد كفر أو فسق و إن كان بعد التوبه لا- يوصف بأنه ظالم فقد كان ممن تناوله الاسم و دخل تحت الايه و إذا حملناها على أن المراد بها من دام على ظلمه و استمر عليه كان هذا تخصيصا بغير دليل.

أقول: فالايه تدلّ على ابطال إمامه غير على عليه السلام لانهم كانوا مشركين قبل الاسلام و عبدوا الأصنام بالاتفاق و كلّ مشرك ظالم و قال الله تعالى «إِنَّ الشُّرُكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» فكلّ ظالم لا ينال عهد الإمامه. و لذا قال الصادق عليه السلام: من عبد صنما أو وثنا لا يكون إماما و نعم ما نظم الحسين بن على الكاشفى حيث قال فى قصيده فارسىه له:

ذريتى سؤال خليل خدا بخوان و ز لا ينال عهد جوابش بكن أدا

گردد ترا عيان كه امامت نه لائق است آنرا كه بوده بیشتر عمر در خطا

و قال الزمخشري فى الكشاف فى بيان قوله تعالى و «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»:

اى من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافى و عهدى اليه بالامامه و إنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم و قالوا: فى هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامه و كيف يصلح لها من لا يجوز حكمه و شهادته و لا تجب طاعته و لا يقبل خبره و لا يقدم للصلاه و كان أبو حنيفه يفتى سراً بوجوب نصره زيد بن على رضوان الله عليهما و حمل المال اليه و الخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالامام و الخليفه كالدوانيقى و أشباهه و قالت له امرأه: أشرت على ابنى بالخروج مع إبراهيم و محمد ابنى عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال: ليتنى مكان ابنك، و كان يقول فى المنصور و أشياعه: لو أرادوا بناء مسجد و أرادونى على عد آجره لما فعلت. و عن ابن عيينه (و عن ابن عباس - خ ل) لا- يكون الظالم إماما قط و كيف يجوز نصب الظالم للامامه و الإمام إنما هو لكف الظلمه فاذا نصب من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر: من استرعى الذئب ظلم. انتهى.

إن قلت: إن يونس صلوات الله عليه نال عهد الله العبدى هو الإمامه مع أن الله تعالى حكى عنه أنه قال: سبحانك إني كنت من الظالمين (الأنبياء: ٨٩)

أقول: ان الظلم فيه محمول على ترك الأولى كما فى حق آدم صلوات الله عليه حيث قال: ربنا ظلمنا أنفسنا و بالجمله ما ورد فى القرآن و الأخبار ممّا يوهّم صدور الذنب عن الأنبياء و خلفائهم الحق محمول على ترك الأولى جمعا بين ما دلّ العقل عليه و بين صحه النقل لأن المتبع فى اصول العقائد هو العقل و هو الأصل فيها و كلّ ما ثبت بدليل قاطع فلا يجوز الرجوع عنه على أن لتلك الايات و الأخبار ذكرت وجوه و محامل أتى بها العلماء فى مواضعه و عليك فى ذلك بكتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى علم الهدى فانه شفاء العليل.

و من أحسن ما قيل فى المقام: ان تلك الظواهر دالّة على عظم شأنهم و علو مرتبتهم إذ معاتبه الحكيم لهم على تلك الأفعال التى هى فى الحقيقة لا توجب العصيان و المخالفه دليل على أنّهم فى محلّ يقتضى تلك المعاتبه تنزيها لهم و تفخيما لأمرهم و تعظيما لشأنهم عن ملابسه ما لا يليق بمراتبهم إذ هم دائما فى مرتبه الحضور الموجه لعدم التفاتهم إلى غير الحقّ و كان وقوع ذلك منهم فى بعض الحالات أو مع شىء من الاشتغالات البدنيّه و الانجذاب فى بعض الأحيان إلى الأمور و الماديّه موجبا لتلك المعاتبه.

و بالجمله ان الحجج الالهيه لما كانوا فى نهايه القرب من الله تعالى و كمال الاتصال بجنابه و تمام الحضور إلى حضرتّه و كانوا أيضا مع تلك المرتبه الشامخه فى العوائق و العلائق البدنيّه اللازمه للبشريه رين مع الرعيّه للإرشاد و التبليغ قد يعرض لهم فى تلك الأطوار و الشئون البشرىّه امور يعدونه سيئات و إن لم تكن فى الحقيقة بقبائح و سيئات فيتضرعون إلى الله تعالى بقولهم ربنا ظلمنا أنفسنا أو سبحانهك إنّى كنت من الظالمين. فان المخلصين على خطر عظيم.

و بذلك ظهر سرّ الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه و آله: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

ثم اعلم أن إبراهيم عليه السلام لما طلب الإمامه لبعض ذريته فكان يكفى فى جوابه ان يقال: نعم، مثلا لكنّه لما لم يكن نصا فى ان الظالم لا ينال الإمامه لأنّه كان

ص: ٥٧

يشمل حينئذ الظالم وغيره و كذا لو قال ينال عهدي المؤمنين مثلاً- لما كان أيضاً نصاً في خروج الظالم غايه ما يقال حينئذ خروجه بالمفهوم فنص بالظالم لخروجه عن نيل عهد الله تعالى اعنى الإمامه بقوله لا ينال عهدي الظالمين. كما نص أيضاً بأن أمر الظالم ليس برشيد و من اتبعه فجزاءه جهنم، فى قوله: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ وَ أَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ » (هود: ١٠٢).

ثم إن الله تعالى ذكر فى كتابه العزيز كثيراً من صفات من جعله إماماً للناس بقوله:

١ - «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ». فرتبه الإمامه و درجه الولاية اعلى و ارفع من أن ينالها الظالم و بهذه الايه بين أيضاً أن الإمام منصوب من عنده كما دريت.

٢ - «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَ آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » (النحل: ١٢٥) فمن صفات الإمام أن يكون ممن اجتباها الله فهو نص فى ان الإمام يجب أن يكون منصوباً من الله تعالى و أن يكون مهدياً بهدى الله تعالى إلى صراط مستقيم و أن لا يكون من المشركين. فافهم و تدبر حق التدبر.

٣ - «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ » (هود: ٧٩).

٤ - «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عَالِمِينَ » (الأنبياء: ٥٤).

٥ - «وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ » (الأنبياء: ٧٥) فالإمام يهdy بأمره تعالى و يوحى إليه فعل الخيرات.

٦ - «وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بآيَاتِنَا يُوَفِّتُونَ » (السجده: ٢٦).

٧ - «وَ مَنْ يَرْغَبْ عَنِّ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهَةٍ نَفْسُهُ وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا »

ص: ٥٨

«وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (البقرة: ١٢٧).

فمن اتصف بهذه الأوصاف الملكوتية و ايد بهذه التأييدات السماوية فهو إمام فطوبى لمن عقل الدين عقل رعايه و درايه.

الايه الثانيه قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (النساء آيه ٥٧).

و الايه تدل على امور: الأول أن إطاعه الرسول صلى الله عليه و آله فيما أمر به و نهى عنه واجبه كما أن اطاعه الله تعالى واجبه فليس لأحد أن يقول: حسبنا كتاب الله فلا حاجه لنا إلى الأخبار المرويّه عن الرسول و العمل بها، و ذلك لأن هذا القول نفسه ردّ الكتاب و لو كان كتاب الله وحده كافيا لما أفرد الأمر بطاعه الرسول صلى الله عليه و آله بقوله عزّ من قائل: «أَطِيعُوا الرَّسُولَ» بعد قوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ». و نظير الايه قوله تعالى:

«مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» و قوله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» و قوله تعالى «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» فقد أخطأ من قال: حسبنا كتاب الله و اعرض عن قول رسول الله صلى الله عليه و آله.

الأمر الثاني أن الله تعالى أوجب على الناس اطاعه أولى الأمر كما أوجب اطاعته و اطاعه رسوله فالحرى بالطالب نهج القويم أن يرى بعين العلم و المعرفه رأيّه في معنى أولى الأمر و مراده عزّ و جل منهم فنقول: قد فسر بعضهم أولى الأمر بالأمرأء و بعض آخر و منهم الفخر الرازى في تفسيره بالعلماء و لا يخفى أن المعنى الثاني عدول عن الصواب جدّا فان أولى الأمر هم مالكو الأمر و مالك الأمر من بيده الحلّ و العقد و الأمر و النهى و التدبير و السياسه و ما فيه تنظيم امور الناس ديتيه كان أو دنيويّه، فكيف يجوز تفسير أولى الأمر بالعلماء سيّما في كلام الله الذي هو في غايه الفصاحه و نهايه البلاغه و معجزه النبوه الباقيه و هل هذا إلا الخروج عن مجرى الفصاحه و الورود في مورد السخافه.

ص: ٥٩

أما مراده عزّ وجلّ من أولى الأمر فنقول: إنا نعلم بتّا أن كثيرا من الخلفاء والأمراء كمعاويه و يزيد و الوليد و الحجاج و آل اميّه و بنى مروان و الخلفاء العبّاسيّين و أمثالهم قديما و حديثا لعبوا بالدّين و اتخذوا كتاب الله سخريا و فعلوا من الفواحش و المنكرات و فنون الظلم و المنهيات من سفك الدماء و أخذ أموال الرعيه ظلما و شرب الخمر و نحوها. ما يتعذر عدّها و تسمئز النفوس المطمئنه السليمه عن استماعها و تستقيح ذكرها، و لو نذكر معشارا من ظلمهم و سائر فواحشهم و مقابحهم مما نقل فى كتب القوم و مصنفاتهم لبلغ مبلغا عظيما و هذا هو الوليد بن يزيد نذكر فعلا من أفعاله يكون أنموذجا لسائر آثاره و ان بلغ فى الفسق و الفجور إلى حد لا يناله يد انكار و لا يرتاب فيه أحد و لعمري أنى أستحيى من نقل هذه القضيّه الصادره منه و لكنى أقول: ان من جانب المراء و اللداد و تقليد الاباء و الأجداد و اعرض عن الأغراض النفسانيه و العصبيّه و نظر بعين العلم و البصيره و تفكر ساعه فى معانى الايات و الأخبار و تأمل فى غرض البعثه و تكليف العباد و أراد ان يسلك مسلك السداد و الرشاد هل يرضى بأماره من يرتكب من المعاصى و الفواحش ما يستحيى بذكره الانسان و هلا يقضى عقله بأنّه لو كان الوليد و أشياعه مالكي ازمه الأمور و القائمين مقام الرسول لما كان إرسال الرسل و إنزال الكتب إلّا اللهو و العبث و اللعب.

قال أبو الفرج الاصبهاني فى الاغانى (ص ١٧٤ ج ١٩ طبع ساسى) فى ترجمه عمار ذى كنانز باسناده عن العمرى أنّه قال: استقدمنى الوليد بن يزيد بعد هشام بن عبد الملك ثمّ قال لى: هل عندك شىء من شعر عمار ذى كنانز؟ فقلت: نعم، أنا أحفظ قصيده له و كنت لكثره عبثى به قد حفظتها فانشدته قصيدهته التى يقول فيها:

حبذا أنت يا سلامه الفين حبذا

إلى آخر القصيده و أنا اعرضت عن الإتيان بها لشناعتها و قباحتها و اجلّ صحيفتى المكرّمه عن أن تملأ بتلك القصائد المنسيه عن ذكر الله و هى شرح كتاب علوى عجز الدهر أن يأتى بمثله.

و بالجملة قال العمرى بعد ذكر القصيده: فضحك الوليد حتّى سقط على

ص: ٦٠

قفاه و صفق يديه و رجله و أمر بالشراب فاحضر و أمرني بالانشاد فجعلت انشده هذه الأبيات و اكررها عليه و هو يشرب و يصفق حتى سكر و أمر لي بحلتين و ثلاثين ألف درهم فقبضتها ثم قال: ما فعل عمار؟ فقلت حي كميت قد غشى بصره و ضعف جسمه لا حراك به فأمر له بعشره آلاف درهم فقلت له: ألا أخبر أمير المؤمنين بشيء يفعل لا ضرر عليه فيه و هو أحب إلى عمار من الدنيا بحذافيرها لو سيقت إليه؟ فقال:

و ما ذاك؟ قلت: إنه لا يزال ينصرف من الحانات و هو سكران فترفعه الشرط فيضرب الحد فقد قطع بالسياط و لا يدع الشراب و لا يكف عنه فتكتب بأن لا يعرض له فكتب إلى عامله بالعراق أن لا يرفع إليه أحد من الحرس عمارا في سكر و لا غيره إلا ضرب الرافع له حدين و أطلق عمارا. إلى آخر ما قال.

و في المجلس التاسع من أمالي الشريف المرتضى: أن وليد بن يزيد بن عبد الملك ابن مروان كان مشهورا بالاحاد متظاهرا بالعناد غير محتشم في اطراح الدين أحدا و لا مراقب فيه بشرا و قد عزم على أن يبنى فوق البيت الحرام قبه يشرب عليها الخمر و يشرف على الطواف و نشر يوما المصحف و كان خطه كأنه إصبع و جعل يرميه بالسهم و هو يقول:

تذكرني الحساب و لست أدري أحقا ما تقول من الحساب

فقل لله يمنعي طعامي و قل لله يمنعي شرابي

و فتح المصحف يوما فرأى فيه «وَأَشِيتَفْتَحُوا وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» «إبراهيم: ١٥» فاتخذ المصحف غرضا و رماه بالنبل حتى مزقه و هو يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

فان لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني وليد

و هذا هو الحجاج هدم الكعبة و قتل من المؤمنين و المتقين و أولياء الله و عباده ممّا لا يحصى و فعل في إمارته ما فعل من أنواع الظلم بلغت إلى حد التواتر و يضرب بها المثل السائر فلو كان مراده عزّ و جلّ من أولى الأمر مطلق من تولى أمر المسلمين للزم التناقض في حكمه تعالى و ذلك لأنه تعالى جعل مثلاً

الكعبة البيت الحرام قياما للناس فلو أمر الناس بطاعه الحجاج فى أفعاله فأمرهم بهدم الكعبة فيجب عليهم هدم الكعبة مع أن الله حرم عليهم هتك حرمتها و هل هذا الا التناقض و كذا فى أفعال الوليد، تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

و نعلم قطعاً أن الله تعالى عادل فى حكمه و فعله و قوله و ليس بظلام للعبيد فتعالى عن أن يوجب اطاعه الأمراء الظلمه و هو تعالى يقول «وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ...» «ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ» - «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ» - و «لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ» و غيرها من الايات بهذا المضمون. فالعقل الناصع يحكم بأن مراده تعالى من الايه ليس مطلق اولى الأمر و لا تشمل الظالمين منهم قضاء لحق البرهان العقلى، جلّ جناب الرب أن يوجب على الناس اتباع هؤلاء الظلمه و اتباعهم و ما أحلى قول الشاعر:

إذا كان الغراب دليل قوم فمأواهم محلّ الهالكينا

و ما أجاد قول العنصرى بالفارسى:

هر که را رهبرى کلاغ کند بى گمان دل بدخمه داغ کند

ثم نقول: ان غير المعصوم ظالم و الظالم لا- يصلح لا- يكون من اولى الأمر فان الظالم واضح للشيء فى غير موضعه و غير المعصوم كذلك فلا يؤمن فى الشرع من الزياده و النقصان و التغيير و التبديل فلا بدّ من أن يكون أولو الأمر معصومين.

ثم نقول: العصمه ملكه تمنع عن الفجور مع القدره عليها و تحصل بالعلم بمثالب المعاصى و مناقب الطاعات و تتأكد بتتابع الوحي بالأوامر و النواهي فعلى الله تعالى أن يعرّف اولى الأمر لأنه خارج عن طوق البشر و وسعهم فان العصمه أمر باطنى لا يعلمها إلا الله على أنا نقول كما ان الملوك مثلاً إذا امروا الناس بطاعه الأمراء و القضاء فمعلوم بالضروره و مستقر فى النفوس ان مرادهم بذلك وجوب اطاعه الأمراء و القضاء الذين نصبهم و عينهم على الناس لا غير و كذا فى المقام نقول ان الله لا يأمر باطاعه كل من صار أو جعل أمير المسلمين و لو ظلما و زورا بل باطاعه الأمراء الذين عينهم الله تعالى و نصبهم لذلك.

ص: ٦٢

الامر الثالث أن الزّمان لا- يخلو من إمام معصوم منصوب من عند الله تبارك و تعالى لأنّه عزّ و جلّ أوجب اطاعه اولى الأمر و نعلم بالضروره أن امره تعالى في ذلك ليس مقصورا في زمن النّبيّ صلّى الله عليه و آله لأنّ حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة و هو خاتم النّبيّين فكما أنّ إطاعه الله و رسوله لا- يختص بزمانه صلّى الله عليه و آله بل هما واجبتان إلى قيام الساعه فكذا إطاعه اولى الأمر المقرونه باطاعتها و حيث ان الأمر بطاعه المعدوم قبيح ففي كلّ عصر لابد من صاحب أمر حتّى يصلح الأمر بطاعته و هذا لا يصدق إلّا على الأئمه من آل محمّد أوجب الله طاعتهم بالإطلاق بالبرهان الذي قدمنا.

و في المجمع: بعد ما نقل القولين في معنى اولى الأمر أحدهما الأمراء و الآخر العلماء قال: و أمّا أصحابنا فإنّهم رووا عن الباقر و الصّادق عليهما السّلام أن اولى الأمر هم الأئمه من آل محمّد صلّى الله عليه و آله أوجب الله طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته و طاعه رسوله و لا يجوز أن يوجب الله طاعه أحد على الإطلاق الا من ثبتت عصمته و علم أن باطنه كظاهره و أمن منه الغلط و الأمر بالقبيح و ليس ذلك بحاصل في الأمراء و لا- العلماء سواهم، جلّ الله أن يأمر بطاعه من يعصيه أو بالانقياد للمختلقين في القول و الفعل لأنّه محال أن يطاع المختلفون كما أنّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه. و ممّا يدلّ على ذلك أيضا أنّ الله تعالى لم يقرن طاعه اولى الأمر بطاعه رسوله كما قرن طاعه رسوله بطاعته الا- و اولو الأمر فوق الخلق جميعا كما أن الرّسول صلّى الله عليه و آله فوق اولى الأمر و فوق سائر الخلق و هذه صفه أئمه الهدى من آل محمّد الذين ثبتت امامتهم و عصمتهم و اتفقت الأئمه على علوّ رتبتهم و عدالتهم.

ثمّ نقول: لما علم ان الأئمه الهدى من آل محمّد عليهم السّلام قائمون مقام الرّسول و حجج في الشرع فكما في زمن الرّسول صلّى الله عليه و آله ان تنازع النّاس في شيء من امور الدين يجب عليهم الرد إلى الله و الرّسول و كذلك بعد وفاته يجب عليهم الرّد إلى المعصومين القائمين مقامه و الذين هم الخلفاء في امته و الحافظون لشريعته بأمره فالرد إليهم مثل الرد إلى الرّسول صلّى الله عليه و آله و أكّد سبحانه ذلك و عظّمه بقوله عز من

قائل «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» أى الردّ إلى الله و الرّسول و القائمين مقام الرّسول خير لكم و أحسن من تأويلكم.

و ان قلت: كما أن الأمراء المنصوبين من الرّسول صَلَّى الله عليه و آله فى زمنه كمعاذ بن جبل ارسله واليا إلى اليمن و غيره من الولاة الذين كانت اطاعتهم واجبه على الناس بأمر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله لم يكونوا معصومين من الذنوب و الخطأ و السهو و النسيان و غيرها كذلك الحكم فى اولى الأمر بعده فما اوجب عصمه اولى الأمر الذين بعده صَلَّى الله عليه و آله؟ أقول: هذا قياس مع الفارق جدّا و بينهما بون بعيد و امد مديد و ذلك لأن فى عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله لو تنازع الناس فى شىء من امور الدّين و اقبل أمر مشتبّه للحكام و القضاء و الولاة المنصوبين منه صَلَّى الله عليه و آله فى أحكام الله لكان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يكشف عنه و يزيل الشبهه و يقضى بالفصل و يصدع بالحق كما امرهم الله برّد التنازع إلى الله و الرّسول فى الـايه و أمّا بعد وفاته صَلَّى الله عليه و آله لو لم يكن صاحب الأمر القائم مقامه فى كل عصر معصوما و منصوبا من الله و رسوله لو اقبل تنازع فى الدّين فمن يزيل الشبهه و يبيد الغائله؟ و كذا الكلام فى الأمراء و الحكام من قبل الإمام فأنّ الإمام عالم بجميع الأحكام، فوجوده يرتفع التشاجر و يقلع التنازع.

«روايه جابر بن عبد الله فى نزول الـايه» عن جابر بن عبد الله قال: لما نزل قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قلت: يا رسول الله عرفنا الله و رسوله فمن اولى الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتكم؟ فقال: هم خلفائى يا جابر و أئمة المسلمين بعدى أولهم على بن أبى طالب ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عدّ تسعه من ولد الحسين.

الحديث الأول

روى ثقة الاسلام محمّد بن يعقوب الكلينى رضوان الله عليه فى باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّه من الكافى بإسناده عن جعفر بن محمّد عن كرام قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: لو كان النّاس رجلين لكان أحدهما الإمام، و قال: إنّ آخر من يموت الإمام

لئلا يحتج أحد على الله تعالى انه تركه بغير حجّه لله عليه.

أقول: أتى أيضا بعدّه روايات اخر عنه عليه السّلام تقرب من الحديث المذكور مفادا كقوله عليه السّلام: لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجّه، وقوله عليه السّلام:

لو لم يكن في الأرض إلا اثنان لكان الإمام أحدهما، وغيرهما والغرض منها أن العناية الإلهيه كما اقتضت وجود هذا العالم و خلقه بنى آدم فهي يقتضى صلاحه و الصّلاح أنما يتم و يدوم بوجود انسان ربّانى مؤيّد بروح القدس و مسدّد بنور الله و معصوم من كلّ ما يقدر في الغرض من وجوده، يقوم بحجج الله و يؤديها إلى أهلها عند الاحتياج اليها و يعرفهم الطريق إلى الله و معالم الدّين و به يتصل فيض البارى على الخلق إذ هو الواسطه بين الله و عباده و لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما ذلك الإمام يجب على الآخر الاقتداء به فى استكمال نفسه و الاهتداء إلى جناب ربّه حتّى يتمّ الحجّه عليه و لا يحتج على الله انه تركه بغير حجّه لله عليه أنّ الله تعالى أجل و أعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل و قال عز من قائل:

«وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتُنَجِّى آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزَى» (طه آيه ١٣٤) و قال تعالى: «لئلا يكون للناس على الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» (النساء آيه ١٦٣) فتأبى العناية الإلهيه الأذليه عن ان يترك عباده بلا هاد و مرشد فان الله ليس بظلام للعبيد.

ثمّ قال عليه السّلام: ان آخر من يموت الإمام و ذلك لما علم أن الله تعالى عن أن يظلم أحدا فلو بقى فى الأرض رجل واحد بلا- حجّه إلهيه لزم الظلم فى حقّه فالحكمه الكامله الإلهيه و رحمته الواسعه تقتضى بقاء وجود الحجّه بعد الخلق حتّى لا يبقى واحد بلا- إمام و الإمام آخر من يموت كما اقتضت وجود الحجّه قبل ايجاد الخلق و لذا خلق الخليفه أوّلا ثمّ خلق الخليفه كما قال: «إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً» و لذا قال أبو عبد الله الصادق عليه السّلام فى حديث آخر مروي فى الكافى أيضا:

الحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، فارجع البصر كرّتين أيّها الطّالب للرشاد و الباغى للسّداد فى هذا الحديث الذى كأنّه عقل تمثّل بالألفاظ و اقم و استقم

فى الكافى أيضا باسناده عن إسحاق بن عمار عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:

إنَّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها امام كى ما إن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم و ان نقصوا شيئاً أتمّه لهم.

أقول: وكذا جاءت روايات اخرى فيه أيضا تقرب منه مضمونا، منها ما روى عبد الله بن سليمان العامرى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ما زالت الأرض إلّا والله فيها الحجّه يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله، ومنها عن أبى بصير عن أحدهما عليهما السلام قال: إنّ الله لم يدع الأرض بغير عالم ولو لا ذلك لم يعرف الحق من الباطل والغرض ان الإمام يجب أن يكون عالما بجميع الأحكام الإلهية و عارفا بالحلال والحرام بحيث لا يشذ عنه حكم جزئى منها فأنّه لو لم يكن متصفا بهذه الصفه لما يقدر أن يرد شيئا إن زاده المؤمنون أو أتمّه ان نقصوه فيلزم التغيير والتبديل والزيادة والنقصان فى دين الله فلا يكمل نظام النوع الانسانى به بل يلزم الهرج والمرج المهلكان فالامام مستجمع للغايه القصوى من الصدق والامانه وبالغا فى العلوم الربانيه والمعارف الالهيه وتمهيد المصالح الدينيه والدنيويه مرتبه النهايه على أن العقل حاكم بقبح استكفاء الأمر و توليته من لا يعلمه و تعالى الله عن ذلك، فالامام لكونه حافظا للدين ومقتدا الناس فى جميع الاحكام الظاهريه والباطنيه والكليه والجزئيه والدنيويه والاخرويّه والعباديه وغيرها يجب أن يكون عالما بجميعها كما هو الحكم الصريح للعقل السليم، و ليس لأحد أن يقول أنّه إمام فيما يعلم دون ما لا يعلم لظهور قبح هذا القول و شناعتها و المفسدات التاليه عليه ممّا يدركها من كان له أدنى بصيره فى معنى الإمام و غرض وجوده فى الأنام. فاذا علم بحكم العقل أن الإمام يجب أن يكون مقتدا به فى جميع الشريعه وجب أن يكون معصوما لأنه لو لم يكن معصوما لم نأمن فى بعض أفعاله أن يكون قبيحا والفرض ان الاقتداء به واجب علينا والله تعالى الحكيم لا يوجب علينا الاقتداء بما هو قبيح، على أن الإمام إذا كان داعى الناس إلى سبيل الله والمبين للحلال والحرام وحافظ الدين عن

الزيادة و النقصان يستلزم العلم باعطاء كل ذي حق حقه بحسب استحقاقه و هو كما حققناه قبل يستلزم الاطلاع على الكليات و الجزئيات مما يحتاج اليها الناس و هي غير متناهيه فهي غير معلومه إلا لله تعالى و لخلفائه المعصومين المنصوبين من عنده.

الحديث الثالث

قال الشريف المرتضى علم الهدى فى المجلس الثانى عشر من أماليه: روى أن هشام بن الحكم قدم البصره فأتى حلقه عمرو بن عبيد فجلس فيها و عمرو لا يعرفه فقال لعمرو: أليس قد جعل الله لك عينين؟ قال: بلى. قال: و لم؟ قال:

لأنظر بهما فى ملكوت السماوات و الأرض فاعتبره قال: و جعل لك فما؟ قال:

نعم، قال: و لم؟ قال: لأذوق الطعام و اجيب الداعى. ثم عدّد عليه الحواس كلّها، ثم قال: و جعل لك قلباً؟ قال: نعم، قال: و لم؟ قال: لتؤدى اليه الحواس ما أدركته فيميّز بينها. قال: فأنت لم يرض لك ربك تعالى إذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها إماماً ترجع اليه أترضى لهذا الخلق العذّين جشاً بهم العالم ألا يجعل لهم إماماً يرجعون إليه؟ فقال له عمرو: ارتفع حتى ننظر فى مسألتك و عرفه ثم دار هشام فى خلق البصره فما أمسى حتى اختلفوا.

أقول: و رواه الكليني قدس سرّه مفصلاً فى الكافى باسناده عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبى عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن اعين و محمد ابن النعمان و هشام بن سالم و الطيار و جماعة فيهم هشام بن الحكم و هو شاب فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تخبرنى كيف صنعت بعمرو بن عبيد و كيف سألته؟ قال هشام: يا ابن رسول الله إننى أجلك و أستحييك و لا يعمل لسانى بين يديك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أمرتكم بشىء فافعلوا قال هشام: بلغنى ما كان فيه عمرو بن عبيد و جلوسه فى مسجد البصره فعظم ذلك على فخرجت اليه و دخلت البصره يوم الجمعة فأتيت مسجد البصره فاذا أنا بحلقه عظيمه فيها عمرو بن عبيد و عليه شمله سوداء متزر بها من صوف و شمله مرتد بها و الناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لى ثم قعدت فى آخر القوم على ركبتى ثم قلت: أيها العالم إننى

ص: ٦٧

رجل غريب تأذن لي في مسأله؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال:

يا بني أي شيء هذا من السؤال و شيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا سألتني.

فقال: يا بني سل و ان كانت مسألتك حمقاء. قلت: أجبني فيها؟ قال لي: سل.

قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان و الأشخاص قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة. قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعام.

قلت: فلك اذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت. قلت:

ألك قلب؟ قال نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: اميز به كل ما ورد على هذه الجوارح و الحواس. قلت: أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت:

و كيف ذلك و هي صحيحه سليمه؟ قال: يا بني إن الجوارح إذا شكت في شيء شمته أو رآته أو ذاقته أو سمعته ردته إلى القلب فتستيقن اليقين و تبطل الشك، قال هشام: فقلت له: فأنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لا بد من القلب و إلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فالله تعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما يصحح لها الصحيح و يتيقن ما شكت فيه و يترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم و شكهم و اختلافهم لا يقيم لهم إماما يردون إليه شكهم و حيرتهم و يقيم لك إماما لجوارحك ترد إليه حيرتك و شكك؟ قال: فسكت و لم يقل لي شيئا ثم التفت إلي فقال: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، فقال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة. قال:

فاذن أنت هو ثم ضمنى إليه و أقعدني في مجلسه و زال عن مجلسه و ما نطق حتى قمت. قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام و قال: يا هشام من علمك هذا؟ قلت: شيء أخذته منك فقال: هذا و الله مكتوب في صحف إبراهيم و موسى.

بيان الغرض من احتجاج هشام بن الحكم على عمرو بن عبيد وجوب اللطف على الله تعالى فإنه كما اقتضى لطفه خلق القلب إماما لقوى الجوارح و الأعضاء ترجع إليه و ليست في غنى عنه فكذلك اقتضى جعل إمام للناس يرجعون

اليه فى كل ما يحتاجون اليه. و وصف المسأله بالحمقاء تجوز كقولهم نهاره صائم و التصغير للتحقير.

ثم إن المراد بالقلب فى الايات و الأخبار هو اللطيفه الربانيه القدسيه يعبر بالقوه العقلية و بالعقل و بالروح و بالنفس الناطقه أيضا و فى الفارسيه برون و قد ذكر الشيخ - كما فى الفصل الاخر من الباب الخامس من السفر الرابع من الأسفار - فى بعض رسائله بلغه الفرس بهذه العبارة: روح بخارى را جان گویند و نفس ناطقه را روان، لا الجسم اللحمى الصنوبرى الذى فى الحيوانات العجم أيضا و إنما قال عليه السلام: هذا و الله مكتوب فى صحف إبراهيم و موسى لأن الحكم العقلى لا يتغير بمضى الدهور و لا يتبدل بتبدل الزمان و لا يختلف باختلاف الامم فهذا الحكم الكلى العقلى الالهى مكتوب فى الصحف الأولى صحف إبراهيم و موسى و مستكن فى عقول الناس و الخلق جبلوا عليه أزلا و أبدا.

ثم إن ما تدركه هذه القوى صور صرفه و تصوّرات محضه لا توصل إلى معرفه الغائبات فلا بدّ للتصديق و اليقين و الايصال إلى معرفه الغائبات من أن تكون قوه اخرى حاكمه عليها و تلك القوه الحاكمه هو العقل و تلك القوى من شئونه فى الحقيقه تنشأ منه بل هى تفاصيل ذاته و شروح هويته و هو أصلها و متنها و لولاه لفسدت القوى و انهدم البدن و كذا لو لا الحجه لساخت الأرض بأهله.

و قول هشام: شىء أخذته منك، كان هشام من أصحاب الصادق و الكاظم عليهما السلام و اقتبس من مشكاه وجودهما علوما جمه و الف كتبها كثيره قيمه و كان ثقه فى الروايات حسن التحقيق بهذا الأمر و كان ممن فتق الكلام فى الإمامه و هذب المذهب بالنظر و كان حاذقا بصناعه الكلام و كان فى مبدء أمره من الجهميه ثم لقي الصادق عليه السلام فاستبصر بهديه و لحق به.

و قد أشار إلى هذا الاحتجاج أبو عبد الله عليه السلام فى ذيل احتجاجه على أبى شاکر الديصانى فى حدوث العالم و نقله الشيخ المفيد فى الارشاد قال: روى أن أبا شاکر الديصانى وقف ذات يوم فى مجلس أبى عبد الله عليه السلام فقال له، إنك لأحد النجوم

ص: ٦٩

الزواهر و كان آباؤك بدورا بواهر و امهاتك عقيلات عباهر و عنصرك من أكرم العناصر و إذا ذكر العلماء فعليك تشني الخناصر خبرنا أيها البحر الزاخر ما الدليل على حدوث العالم - إلى أن قال: فقال أبو شاكر: دلت يا أبا عبد الله فأوضحت و قلت فأحسنست و ذكرت فأوجزت و قد علمت أنا لا نقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا أو سمعناه بأذاننا أو ذقناه بأفواهنا أو شممناه بأنوفنا أو لمسناه ببشرتنا فقال أبو عبد الله عليه السلام: ذكرت الحواس الخمس و هي لا تنفع في الاستنباط إلا بدليل كما لا تقطع الظلمه بغير مصباح.

الحديث الرابع

في الكافي بإسناده إلى هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبت الأنبياء و الرسل؟ قال: انا لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا و عن جميع ما خلق و كان ذلك الصانع حكيما متعاليا لم يجر أن يشاهده خلقه و لا يلامسوه فيباشرهم و يباشروه و يحاجهم و يحاجوه ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه و عبادته و يدلونهم على مصالحهم و منافعهم و ما به بقاؤهم و في تركه فناؤهم فثبت الامرون و الناهون عن الحكيم العليم في خلقه و المعبرون عنه جل و عز و هم الأنبياء و صفوته من خلقه حكماء مؤدبين في الحكمه مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق و التركيب في شيء من أحوالهم (و أفعالهم - خ ل) مؤيدون عند الحكيم العليم بالحكمه ثم ثبت ذلك في كل دهر و زمان مما أتت به الرسل و الأنبياء من الدلائل و البراهين لكيلا تخلو أرض الله من حجه يكون معه علم يدل على صدق مقالته و جواز عدالته.

أقول: الغرض من هذا الحديث العقلي البرهاني المشتمل على مسائل عظيمه و فوائد مهمه أن الأرض ما دامت باقيه لا تخلو من حجه يهدي الناس إلى سبيل الرشاد و السداد و يستنقذ عباد الله من الجهالة و حيره الضلاله مبتنيا على مقدمات عقليه و ليس الغرض من الاتيان بهذه الأحاديث كما اشرنا إليه آنفا التمسك بها تعبدا حتى يلزم الدور بل لما رأينا من أنها احتجاجات على اساس عقلي برهاني

اردنا ذكره لانجاز المقصود و الايصال إلى المطلوب و بالفرض لو لم تكن أمثال هذا الحديث صادرة عنهم عليهم السّلام لكان استدلالاته تامّة و احتجاجات وافيّة في المقصود و هذه الأحاديث و امثالها معاضدات للعقل في حكمه و ارشادات له في قضائه و نحن بعون الله نأتى في بيان الحديث بطائفه من المطالب المختاره الحكيمه العقليه ليزداد الطالب بصيره إلى الفلاح و هدايه إلى النجاه و النجاح.

قوله عليه السّلام: انا لما اثبتنا ان لنا خالقا صانعا. فيه اشاره إلى معرفه الله تعالى بالعقل و النظر و البرهان لا بتقليد الاباء و الأمّهات و العلماء و الأساتيد و غيرهم.

قوله عليه السّلام: متعاليا عنّا و عن جميع ما خلق. فإنّ ما سواه تعالى مخلوقه و معلوله ممكن في ذاته و محتاج في وجوده و بقائه إلى جنبه فإنّ الممكن في اتصافه بالوجود يحتاج إلى جاعل مرجح يخرجّه من العدم و يجعله متصفا بالوجود فان كلّ عرضي معلّل و لما كانت العلّه المحوجه إليه تعالى هو الامكان و ان الامكان لا يزول عن الممكن الموجود أيضا فمفتقر إلى علته في بقائه و وجود العلّه فوق وجود المعلول في وجوده و جميع صفاته و متعال عن التّجسّم و التّعلّق بالمواد و الأجسام و عن كلّ حد و صمه يتطرق في معلولاته.

قوله عليه السّلام: و كان ذلك الصانع حكيما متعاليا، فإنّ إتقان صنعه في مخلوقه على قدر لائق لكل شيء و النظام الأكمل الأتم المشهور في الكون المحير للعقول و الأمور الغريبه الحاصله في خلق السماوات و الأرض و العجائب المودعه في بنيه الانسان و الحيوان و النبات تدلّ على كمال حكمه بارئه فإنّ الحكمه هو العدل و الحقّ و الصواب و الحكيم هو العالم الذي يضع الأشياء مواضعها، أو لم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق السماوات و الأرض إلّا بالحق، الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا و هو حسير، و بالعدل قامت السماوات و الأرض. ثم ان الصانع الحكيم لا يترك الناس سدى و لا يهملهم فلا بدّ من أن يكون له سفراء في خلقه.

ص: ٧١

قوله عليه السّلام: لم يجز أن يشاهده خلقه اه: فان ما تدركه الأبصار و يباشره الانسان بالحواس الجسم و الجسمانيات أو المتجسم و المتجسد و المتمثل من المجردات و ما يقرب منها كالأجنّه و هو عز و جل متعال عن ذلك علوا كبيرا.

قوله عليه السّلام: ثبت أن له سفراء في خلقه - إلى آخره. دليل على وجوب بعثه الأنبياء و هذا الطريق هو الذي أتى به الحكماء في اسفارهم في وجوب إرسال الرسل على الله تعالى بل هو امتن و أدق و أكمل منه.

و اعلم انه ذهب ارباب الملل و أكثر الفلاسفه إلى حسن بعثه الأنبياء خلافا للبراهمه من الهند و من يحذو حذوهم فأنهم منعوا من حسننها و قالوا إنّ ما يجيء به الرّسول إن خالف العقل فهو مردود و إن وافق ففي العقل غنيه عنه فلا وجه لحسنها.

و هذا القول باطل لأنّ العقل لا يدرك جميع ما يصلح له و ينفعه و يضره على البسط و التفصيل بل كثيرا منها على الاجمال و الابهام أيضا، على أن الفوائد التي ذكرها المتكلمون و الحكماء في حسن بعثه الأنبياء تردّ ما ذهب إليه البراهمه قال المحقق الطوسي في تجريد الاعتقاد:

البعثه حسنه لاشتمالها على فوائد كمعاضده العقل فيما يدلّ عليه و استفاده الحكم فيما لا يدلّ و ازاحه الخوف و استفاده الحسن و القبح و المنافع و المضار و حفظ النوع الانساني و تكميل أشخاصه بحسب استعداداتهم المختلفه و تعليمهم الصنائع الخفيه و الأخلاق و السياسات و الاخبار بالعقاب و الثواب فيحصل اللّطف للمكلف.

ثمّ على تقدير حسننها هل هي واجبه هي الحكمه قال العدليه اعنى الإماميه و المعتزله: نعم، و منعت الأشاعره من وجوبها بناء على أصلهم الفاسد.

ثمّ تقرير الطريق الذي أتى به الحكماء على الاجمال هو أن نقول كلما كان صلاح النوع مطلوبا لله تعالى كانت الشريعه واجبه و كلما كانت الشريعه واجبه كانت البعثه واجبه فكلما كان صلاح النوع مطلوبا فالبعثه واجبه و على التفصيل ما ذكره زينون الكبير تلميذ ارسطاطاليس في رسالته في المبدأ و المعاد و ما ذكره الشيخ في مقاله العاشره من إلهيات الشفاء من الفصل الثّاني إلى الخامس و في

الإشارة الأولى من النمط التاسع من الإشارات والتنبيهات وغيرهم من الحكماء الشامخين في مؤلفاتهم الحكمية و تأتي بما في الإشارات و شرحه للعلامه الطوسي فانهما وافيان في المقصود مع جزاله اللفظ و رزانه النظم قال الشيخ:

لما لم يكن الانسان بحيث يستقل وحده بأمر نفسه إلا بمشاركه آخر من بني جنسه و بمعاوضه و معارضه تجريان بينهما يفرغ كل واحد منهما لصاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد كثير و كان ممّا يتعسر ان أمكن، و جب أن يكون بين الناس معامله و عدل يحفظه شرع يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعه لاختصاصه بايات تدل على أنها من عند ربّه و و جب أن يكون للمحسن و المسيء جزاء من عنده القدير الخبير فوجب معرفه المجازى و الشارع و مع المعرفه سبب حافظ للمعرفه ففرضت عليهم العباده المذكوره للمعبود و كزرت عليهم ليستحفظ التذكير بالتكرير حتى استمرت الدعوه إلى العدل المقيم لحياه النوع ثم لمستعمليها بعد النفع العظيم في الدنيا الأجر الجزيل في الأخرى ثم زيد للعارفين من مستعمليها المنفعه التي خصوا بها فيما هم مولون وجوههم شطره فانظر إلى الحكمه ثم إلى الرحمه و النعمه تلحظ جنابا تبهرك عجائبه ثم أقم و استقم.

و قال المحقق الطوسي في شرحه: اثبت النبوه و الشريعه و ما يتعلّق بهما على طريقه الحكماء و ذلك مبني على قواعد و تقريرها أن نقول: الانسان لا يستقل وحده بامور معاشه لأنه يحتاج إلى غذاء و مسكن و سلاح لنفسه و لمن يعوله من أولاده الصغار و غيرهم و كلّها صناعيه لا يمكن أن يرتبها صانع واحد إلا في مدّه لا يمكن أن يعيش تلك المده فاقتدا إياها أو يتعسر إن أمكن لكنّها تيسّر لجماعه يتعاونون و يتشاركون في تحصيلها يفرع كل واحد منهم لصاحبه عن ذلك فيتم بمعارضه و هي أن يعمل كلّ واحد مثل ما يعملّه الآخر، و معاوضه و هي أن يعطى كلّ واحد صاحبه من عمله بازاء ما يأخذه منه من عمله فاذن الانسان بالطبع محتاج في تعيشه إلى الاجتماع مؤد إلى صلاح حاله و هو المراد من قولهم الانسان مدني بالطبع، و التمدن في اصطلاحهم هو هذا الاجتماع فهذه قاعده.

ثم نقول: و اجتماع الناس على التعاون لا ينتظم إلا إذا كان بينهم معامله

و عدل لأنَّ كلَّ واحد يشتهي ما يحتاج إليه و يغضب على من يزاحمه في ذلك و تدعوه شهوته و غضبه إلى الجور على غيره فيقع من ذلك الهرج و يختل أمر الاجتماع أما إذا كان معاملته و عدل متفق عليهما لم يكن كذلك فاذن لابد منهما و معاملته و العدل لا يتناولان الجزئيات الغير المحصوره إلا إذا كانت لها قوانين كليّه و هي الشرع فاذن لابدّ من شريعته، و الشريعة في اللغه مورد الشاربه و أنّما سمى المعنى المذكور بها لاستواء الجماعه في الانتفاع منه و هذه قاعده ثانيه.

ثمّ نقول: و الشرع لابدّ له من واضع يقنّن تلك القوانين و يقرّها على الوجه الذى ينبغى و هو الشّارع، ثمّ إنّ النّاس لو تنازعوا في وضع الشرع لوقع الهرج المحذور منه فاذن يجب أن يمتاز الشّارع منهم باستحقاق الطاعه ليطيعه الباقون في قبول الشريعته. و استحقاق الطاعه إنّما يتقرر بايات تدلّ على كون تلك الشريعته من عند ربّه، و تلك الايات هي معجزاته و هي إمّا قوليه و إمّا فعليه و الخواصّ للقوليه أطوع، و العوام للفعليه أطوع. و لا يتم الفعليه مجرّده عن القوليه لأنّ النبوه و الاعجاز لا يحصلان من غير دعوه إلى خير فاذن لابدّ من شّارع هو نبىّ ذو معجزه و هذه قاعده ثالثه.

ثمّ إنّ العوام و ضعفاء العقول يستحقرون اختلال عدل النّافع في امور معاشهم بحسب النّوع عند استيلاء الشوق عليهم إلى ما يحتاجون إليه بحسب الشخص فيقدمون على مخالفه الشرع، و إذا كان للمطيع و العاصى ثواب و عقاب أخرويان يحملهم الرجاء و الخوف على الطاعه و ترك المعصيه، فالشريعته لا تنتظم بدون ذلك انتظامها به فاذن وجب أن يكون للمحسن و للمسيء جزاء من عند الاله القدير على مجازاتهم، الخير بما يبدوه أو يخفونه من أفكارهم و أقوالهم و أفعالهم و وجب أن يكون معرفه المجازى و الشّارع واجبه على الممثلين للشريعته في الشريعته، و المعرفه العاميه قلما تكون يقينيّه فلا تكون ثابتة فوجب أن يكون معها سبب حافظ لها و هو التذكّار المقرون بالتكرار و المشتمل عليهما إنّما تكون عباده مذكّره للمعبود مكرّره في أوقات متتاليه كالصلوات و ما يجرى مجراها فاذن يجب أن

يكون النبي داعياً إلى التصديق بوجود خالق مدبر خبير، و إلى الايمان بشارع مبعوث من قبله صادق، و إلى الاعتراف بوعد و وعيد اخرويين، و إلى القيام بعبادات يذكر فيها الخالق بنعوت جلاله، و إلى الانقياد لقوانين شرعيه يحتاج إليها الناس في معاملاتهم حتى يستمر بذلك الدّعوة إلى العدل المقيم لحياه النّوع و هذه قاعده رابعه.

ثم إنّ جميع ذلك مقدر في العناية الأولى لاحتياج الخلق إليه فهو موجود في جميع الأوقات و الأزمنه و هو المطلوب و هو نفع لا يتصور نفع اعمّ منه.

و قد اضيف لممثلى الشرع إلى هذا النفع العظيم الدنياوى الأجر الجزيل الأخرى حسب ما وعدوه و اضيف للعارفين منهم إلى النفع العاجل و الأجر الاجل الكمال الحقيقى المذكور، فانظر إلى الحكمة و هى تبقية النظام على هذا الوجه، ثم إلى الرّحمه و هو إيفاء الأجر الجزيل بعد النفع العظيم، و إلى النعمه و هى الابتهاج الحقيقى المضاف إليهما، تلحظ جناب مفيض هذه الخيرات جناباً تبهرك عجائبه أى تغلبك و تدهشك. ثم أقم أى أقم الشرع، و استقم أى فى التوجه إلى ذلك الجناب المقدس.

و إذا علم ذلك فلنرجع إلى بيان سائر فقرات الحديث، قوله عليه السّلام: يعبرون عنه إلى خلقه و عبادته. قال الجوهرى فى الصّيحاح: عبرت عن فلان إذا تكلمت عنه، و المراد أن الأصل الأوّل فيما يستنه هذا السانّ المعدّل الالهى هو إيقاظ فطره النّاس من نوم الغفله عن مبدء العالم عزّ و جلّ و إناره عقولهم من أنوار المعرفه به تعالى و إثارة نفوسهم إلى الوصول ببابه و الحضور إلى جنابه فان الايمان باللّه أصل شجره الدّين و أساس بنية السنه و الشريعة و سائر الأصول و الفروع متفرع عليه فمن عرف الله حقّ معرفته عرف ان له صفات عليا و أسماء حسنى لا ثقه بذاته و أنّه تعالى واجب الوجود لا يشارك شيئاً من الأشياء فى ماهيته و قيوم برىء عن جميع انحاء التعلق بالغير و أنّه تعالى لم يخلق العالم و آدم عبثاً فانّ العبث قبيح لا يتعاطاه المبدأ الحكيم، و المبدأ الحكيم تعالى عن أن يترك النّاس حيارى و لا

ص: ٧٥

يهدى سبيل الخير والهدى و ما يوجب لهم عنده الزلفى، فلا بد من وجوب التكليف فى الحكمه و إلا لكان مغريا بالقبيح تعالى عن ذلك لأنه خلق فى العبد الشهوه و الميل إلى القبائح و النفره و التأبى عن الحسن فلو لم يقرر عبده عقله و لم يكلفه بوجوب الواجب و قبح القبيح و يعده و يتوعده لكان مغريا له بالقبيح و الاغراء بالقبيح قبيح و التكليف لا يتم إلا بالإعلام و هو لا يتم إلا بارسال الرسل المؤيدين بادابه المؤيدين من عنده بامور قدسيه و كرامات الهيه و معجزات و خوارق عادات.

و بالجمله من هدى عقله إلى جناب الرب هدى إلى ما يتفرع عليه فقد افلح و سعد و فاز و لذا ترى من سنه الأنبياء أن أول ما لقنوا عباد الله كلمه لا إله إلا الله و المروى عن خاتمهم صلى الله عليه و آله قولوا لا إله إلا الله تفلحوا.

نعم لا- يجب على السانّ تلقين جميع الناس معرفته تعالى على الوجه الذى لا- يفهمه إلا- الأوحى من الناس الحكيم المتأله المرتاض فى الفنون و العلوم فان معاشر الأنبياء بعثوا ليكلموا الناس على قدر عقولهم، و لا- ريب أن الادراكات و النيل إلى المعارف و العلوم يتفاوت بحسب مراتب الناس فى صفاء نفوسهم و صقاتها قال الشيخ فى إلهيات الشفاء:

و يكون الأصل الأول فيما يسنه تعريفه إياهم أن لهم صانعا واحدا قادرا و أنه عالم بالسرّ و العلانيه و أنه من حقّه أن يطاع أمره فأنه يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق، و أنه قد أعدّ لمن أطاعه المعاد المسعد و لمن عصاه المعاد المشقى حتّى يتلقى الجمهور رسمه المنزل على لسانه من الاله و الملائكه بالسمع و الطاعه و لا ينبغي له أن يشغلهم بشيء من معرفه الله فوق معرفه أنه واحد حق لا شبيه له.

فأمّا ان يعدى بهم إلى أن يكلفهم أن يصدّقوا بوجوده و هو غير مشار إليه فى مكان و لا- منقسم بالقول و لا خارج العالم و لا داخله و لا شيء من هذا الجنس، فقد عظم عليهم الشغل و شوش فيما بين أيديهم الدين و أوقعهم فيما لا تخلص عنه إلا لمن كان المعان الموفق الذى يشذ وجوده و يندر كونه، فأنه لا يمكنهم أن يتصوروا هذه الأحوال على وجهها إلا بكّد و إنّما يمكن القليل منهم أن يتصوروا حقيقه هذا

التوحيد و التنزيه فلا- يلبثوا أن يكذبوا بمثل هذا الموجود و يقعوا في تنازع و ينصرفوا إلى المباحثات و المقاييسات بمثل التي تصدّهم عن أعمالهم المدنيه، و ربما أوقعهم في آراء مخالفه لصالح المدينه و منافيه لواجب الحق و كثرت فيهم الشكوك و الشبه و صعب الأمر على السانّ في ضبطهم فما كل بميسّر له في الحكمه الالهيه و لا السانّ يصلح له أن يظهر أن عنده حقيقه يكتمها عن العامه بل يجب أن لا- يرخّص في تعرض شيء من ذلك. بل يجب أن يعرفهم جلال الله تعالى و عظمته برموز و أمثله من الأشياء التي هي عندهم جليله و عظيمه و يلقي إليهم مع هذا هذا القدر أعني أنّه لا نظير له و لا شريك له و لا شبيه.

و كذلك يجب أن يقرر عندهم أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته و يسكن إليه نفوسهم و يضرب للسعاده و الشقاوه أمثالا ممّا يفهمونه و يتصورونه. و أمّا الحق في ذلك فلو يلوح لهم منه إلا- أمرا مجملا- و هو أن ذلك شيء لا- عين رأت و لا أذن سمعت و أن هناك من اللّه ما هو ملك عظيم و من الألم ما هو عذاب مقيم.

و كذا قال زينون الكبير تلميذ ارسطاطا ليس في رسالته في المبدأ و المعاد:

النبيّ يضع السنن و الشرائع و يأخذ الأعمه بالترغيب و التهيب يعرفهم أن لهم الها مجازيا لهم على أفعالهم يثيب الخير و يعاقب على الشر و لا- يكلفهم بعلم ما لا يحتملونه فان هذه الرتبه هي رتبته العلم أعلى من أن يصل إليها كلّ أحد. ثمّ قال: قال معلمى ارسطاطاليس حكايه عن معلمه افلاطن: إنّ شاهر المعرفه أشمخ من أن يطير إليه كلّ طائر و سرادق البصيره أحجب من أن يحوم حوله كلّ سائر.

أقول: و كأن الشيخ الرئيس قد لاحظ عبارته زينون فيما قاله في آخر النمط التاسع من الاشارات: جل جناب الحقّ عن أن يكون شريعته لكلّ وارد أو يطلع عليه إلاّ واحدا بعد واحد.

قوله عليه السلام: و يدلّونهم على مصالحهم و منافعهم و ما به بقاؤهم و في تركه فناؤهم ذلك لما مرّ آنفا من أن الانسان مدنى بالطبع محتاج في تعيشه و بقائه إلى اجتماع فلا بد لهم من سانّ معدّل يدبّر امورهم و يعلمهم طريق المعيشه في الدنيا

و النجاه من العذاب فى العقبى و لو لا هذا السانّ لوقع الهرج و اختل أمر الاجتماع و لزم مفاصد كثيره اخرى. ذكر بعضها من قبل و نعم ما قال الشيخ فى الشفاء:

فالحاجه إلى هذا الانسان فى أن يبقى نوع الناس و يتحصّل وجوده أشدّ من الحاجه إلى انبات الشعر على الأشفار على الحاجبين و تقعير الأخمص من القدمين و اشياء اخرى من المنافع التى لا ضروره فيها فى البقاء بل أكثر ما لها أنّها ينفع فى البقاء، و وجود الإنسان الصالح لأن يسرّ و يعدل ممكن فلا يجوز أن تكون العناية الأولى تقتضى تلك المنافع و لا تقتضى هذه التى هى أسها، و لا- أن يكون المبدأ الأوّل و الملائكه بعده يعلم ذلك و لا يعلم هذا، و لا أن يكون ما يعلمه فى نظام الخير الممكن وجوده الضرورى حصوله لتمهيد نظام الخير لا- يوجد بل كيف يجوز أن لا- يوجد، و ما هو متعلق بوجوده مبنى على وجوده موجود فواجب إذن أن يوجد نبى.

ثمّ أنّ فى قوله عليه السّلام: يدلونهم على مصالحهم، إشارة إلى ما ذهب إليه العدليه من أنّ الأحكام الالهيه متفرعه على مصالح و المفاصد لا كما مال اليه الأشعرى.

قوله عليه السّلام: فثبتت الامرون و الناهون عن الحكيم العليم فى خلقه و المعبرون عنه جلّ و عزّ. هذه نتيجه ما قدّم عليه السّلام من المقدمات البرهانيه العقلية المستحكمه المباني: الأولى أن لنا صانعا، و الثانى أنّه متعال عن أوصاف مخلوقه. فلم يجر أن يشاهده خلقه و يباشروه فلا بد من وسائط، الثالث أنّه حكيم عالم بوجوه الخير و المنفعه فى النّظام و سبيل المصلحه للخلائق فى المعيشه و القوم و البقاء و الدوام و الحكيم لا يخلّ بالواجب، الرابعه ان الانسان مدنى بالطبع فلا بدّ له من سانّ معدل.

قوله عليه السّلام: هم الأنبياء و صفوته من خلقه إلى قوله: ثمّ ثبت. بين عليه السّلام فى هذه الفقرات أمرين: الأوّل أنّ النبى لا بد أن يكون بشرا حيث قال: على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب. الثانى انه مع البشرىّه يجب أن يكون متميزا من سائر الناس باوصاف قدسيه خلقا و خلقا حيث قال: غير مشاركين

للنَّاسِ فِي شَيْءٍ مِنْ أحوالِهِمْ.

أَمَّا الْأَوَّلُ اعْنَى كونه من جنس البشر فلو جوه: الْأَوَّلُ انس النَّاسِ به فان الجنس إلى الجنس يميل و لنعم ما نظم العارف الرومي في المقام:

يک زنی آمد به پیش مرتضی گفت شد بر ناودان طفلی مرا

گرش می خوانم نمی آید بدست ور هلم ترسم که او افتد به پست

نیست عاقل تا که دریابد چو ما گر بگویم کز خطر پیش من آ

هم اشارت را نمی داند بدست ور بداند نشنود این هم بد است

بس نمودم شیر پستان را بدو او همی گرداند از من چشم و رو

از برای حق شما یید ای مهان دستگیر این جهان و آن جهان

زود درمان کن که می لرزد دلم که بدرد از میوه دل بگسلم

گفت طفلی را برآور هم بپام تا به بیند جنس خود را آن غلام

سوی جنس آید سبک زان ناودان جنس بر جنس است عاشق جاودان

زن چنان کرد و چو دید آن طفل او جنس خود خوش بدو آورد رو

سوی بام آمد ز متن ناودان جاذب هر جنس را همجنس دان

غزغزان آمد بسوی طفل طفل وارheid از اوفتادن سوی سفلی

زان شدستند از بشر پیغمبران تا بجنسیت رهند از ناودان

پس بشر فرمود خود را مثلکم تا بجنس آیند و کم گردند گم

زان که جنسیت بغایت جاذبست جاذبش جنس است هر جا طالبست

و الوجه الثانی النَّاسِ فی حالتهم العادیه لا- يستطيعون أن یروا الملک فی صورته الّتی خلق علیها لانه روحانی الذات و القوه البشريه لا- تقوى علی رؤیه الملک بل الجن ما لم یتجسما و یتمثلا- بالأجسام الكثیفه و الأمثال المرئیة و ان کانا یرانا کما قال تعالی فی الشیطان «إِنَّهُ یَراکُمْ هُوَ وَ قَبیلُهُ مِنْ حَیْثُ لا تَرَوْنَهُمْ» بل ابصارنا لا تقوى علی رؤیه بعض الأجسام من عالمنا هذا أيضا

كالهواء و العناصر البسيطة الّتي يتألف منها الهواء فكيف تقدر على رؤيه ما هو ألطف من الهواء كالجنّ

ص: ٧٩

و ما هو ألطف من الجن كالملك و ما هو ألطف منه.

ثم لو فرض أن يتمثل الملك أو يتجسد أو يتجسم بحيث عاينه الناس لكان في صورة البشر أيضا للوجهين المتقدمين قال عز من قائل: «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ». ولذلك كان جبرئيل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبي. والملائكة الذين دخلوا على إبراهيم في صورة الضيفان حتى قدم إليهم عجلا- جسدا و كذلك الذين أتوا لوطا و كذلك لما تسور المحراب على داود الملك كانا في صورة رجلين يختصمان إليه و جبرئيل تمثل لمريم بشرا سويا نعم يمكن للأنبياء ان يروا بقوتهم القدسيه الملائكة و اشباههم على صورتهم الأصلية كما جاءت عدّه روايات ان خاتمهم صلى الله عليه وآله رأى جبرئيل على صورته الأصلية مرتين و سيأتى الكلام فى ذلك فى خواص الأنبياء.

الوجه الثالث النبى لو كان ملكا و إن تجسم بشرا لما يتم الحجه على الناس و لا يسلمه العقول و لا تنقاده النفوس لانه ان ظهرت أیه معجزه منه لقالوا لو كان لنا مثل ما كان لك من القدره و القوه و العلم و غيرها من الصفات القاهره على صفات البشر لفعلنا مثل فعلك فتقوى الشبهات من هذه الجبهه و بذلك علم ضعف ما تخيل ضعفاء العقول من الناس أنّ الأنبياء إذا كانوا من طائفه الملائكة من حيث إن علومهم أكثر و قدرتهم أشدّ و مهابتهم أعظم و امتيازهم عن الخلق أكمل و الشبهات و الشكوك فى نبوتهم و رسالتهم أقل و الحكيم إذا أراد تحصيل مهم فكلّ شىء كان أشدّ إفضاء إلى تحصيل ذلك المطلوب كان أولى.

و هذه الوجوه الثلاثه ما أجاب بها رسول الله صلى الله عليه وآله مشركى القريش لما جادلوه و احتجوا عليه بقولهم: لو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك و نشاهده و لو اراد الله أن يبعث إلينا نبيا لكان إنما يبعث إلينا ملكا لا بشرا مثلنا كما هو المروى فى الاحتجاج للطبرسى رضوان الله عليه و البحار و كثير من كتب الحديث: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان قاعدا ذات يوم بمكّه بفناء الكعبه إذا اجتمع جماعه من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومى و أبو البختري بن هشام و أبو جهل بن هشام

ص: ٨٠

و العاص بن وائل السهمي و عبد الله بن أبي أمية المخزومي و كان معهم جمع ممن يليهم كثير و رسول الله صلى الله عليه و آله في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله و يؤدي إليهم عن الله أمره و نهيه فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمد و عظم خطبه فتعالوا نبدأ بتقريعه و تبكيته و توبيخه و الاحتجاج عليه و إبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه و يصغر قدره عندهم فلعلّه ينزع عَمَّا هو فيه من غيّه و باطله و تمرّده و طغيانه، فان انتهى و إلّا عاملنا بالسيف الباتر. قال أبو جهل: فمن الذي يلي كلامه و مجادلته؟ قال عبد الله بن أبي أمية المخزومي: أنا إلى ذلك، أ فما ترضاني له قرنا حسيبا و مجادلا كفتيا؟ قال أبو جهل: بلى. فأتوه بأجمعهم فابتدأ عبد الله بن أبي أمية المخزومي فقال:

يا محمد لقد ادعيت دعوى عظيمة و قلت مقالا- هائلا- زعمت أنك رسول الله ربّ العالمين و ما ينبغي لربّ العالمين و خالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشرا مثلنا تأكل ممّا نأكل و تمشي في الأسواق كما نمشي - و ساق الحديث إلى أن قال - قال المخزومي: و لو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك و نشاهده بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيا لكان لنا ملكا لا بشرا مثلنا ما أنت يا محمد إلّا مسحورا و لست نبيا - و ساق الحديث إلى أن قال:

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه و آله: و أمّا قولك: «و لو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك و نشاهده بل لو أراد أن يبعث إلينا نبيا لكان لنا ملكا لا بشرا مثلنا» و الملك لا تشاهده حواسكم لأنّه من جنس هذا الهواء لا عيان منه و لو شاهدتموه بأن يزداد في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكا بل هذا بشر لانه إنمّا كان يظهر لكم بصوره البشر الذي قد ألفتتموه لتفهموا عنه مقالته و تعرفوا خطابه و مراده فكيف كنتم تعلمون صدق الملك و أنّ ما يقوله حق؟ بل إنمّا بعث الله بشرا و أظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عما جاء به أنّه معجزه و أن ذلك شهادة من الله بالصدق له و لو ظهر لكم ملك و ظهر على يده ما تعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلّكم ان ذلك لكم

ليس فى طبائع سائر أجناسه من الملائكه حتّى يصير ذلك معجزا ألا ترون أنّ الطيور التى تطير ليس ذلك منها بمعجز لأنّ لها أجناسا تقع منها مثل طيرانها و لو أنّ آدميا طار كطيرانها كان ذلك معجزا فالله عزّ و جلّ سهّل عليكم الأمر و جعله بحيث يقوم عليكم حجّته و أنتم تقترحون عمل الصّعب الذى لا حجّجه فيه.

ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: و أمّا قولك: «ما أنت إلّا رجل مسحور» فكيف أكون كذلك و قد تعلمون أنّه فى صحه التميز و العقل فوقكم فهل جرّبتم على منذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنه خزيه أو ذلّه أو كذبه أو خيانه أو خطأ من القول أو سفها من الرأى أ تظنون أن رجلا يعتصم طول هذه المدّه بحول نفسه و قوّتها أو بحول الله و قوّته - إلى آخر الحديث بطوله.

أما الأمر الثّانى اعنى أنّ النّبىّ مع البشريّه يجب أن يكون متميزا عن سائر النّاس باوصاف قدسيّه، فإشار عليه السّلام إليها بقوله: إنّ الأنبياء صفوته من خلقه أولا، و أنّهم حكماء مؤدّبين فى الحكمه ثانيا، و مبعوثين بها ثالثا، و غير مشاركين للنّاس على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب فى شىء من أحوالهم رابعا، مؤيدون عند الحكيم العليم بالحكمه خامسا. و هذه امور لا بدّ للنّاظر من البحث عنها و النيل إلى حقيقه مغزاها.

و اعلم أنّ الأنبياء لكونهم سفراء له تعالى إلى خلقه و امناء على وحيه و خلفاءه لا بدّ من أن يكونوا متصفين بالأوصاف القدسيّه الالهيه و متخلّقين بالأخلاق الرّبوبيّه فإنّ الخليفه لا بدّ و أن يكون موصوفا بصفات المستخلف حتّى يتحقّق له اسم الخلافه و العناية الأزليه تأبى بعث من لم يكن كذلك لبعده عن الانصاف بصفات الحقّ و الاتصال بحضره القدس. و قد قال الحكماء و منهم الشّيخ فى الشّفاء إنّ النّفس الناطقه كمالها الخاصّ بها أن يصير عالما عقليا مرتسما فيها صور الكلّ و النّظام المعقول فى الكلّ و الخير الفاضل فى الكلّ و أفضل النّاس من استكملت نفسه عقلا بالفعل محصلا و للأخلاق التى تكون فضائل عمليه و أفضل هؤلاء هو

المستعدّ لمرتبه النبوه و هو العدى فى قواه النفسانيه خصائل ثلاث: أن يعلم جميع المعلومات أو أكثرها من عند الله، و أن يطيعه ماده الكائنات باذن الله، و أن يسمع كلام الله و يرى ملائكه الله.

أما العلم بجميع المعلومات و الاطلاع على الأمور الغايه من غير كسب و فكر فيحصل من صفاء جوهر النفس و شدّه صقالتها و نورانيّتها الموصل لها إلى المبادئ العاليه و شدة الاتصال بها.

و أما اطاعه مادّه الكائنات فبسبب شدّه انسلاخهم عن النواصيت الانسانيه تدوم عليهم الاشراقات العلويه بسبب الاستضاءه بضوء القدس و الإلف بسنا المجده فتطيعهم ماده العنصريه القابله للصور المفارقة فيتأثر المواد عن أنفسهم كما يتأثر أبدانهم عنها، فلهذا يكون دعاؤهم مسموعا فى العالم الأعلى و القضاء السابق و يتمكن فى أنفسهم نور خلاق به يقدرّون على بعض الأشياء التي يعجز عنها غيرهم.

قال الله تعالى فى عيسى بن مريم عليهما السلام «و رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْمَأْكُمَةَ وَ الْمَأْبْرَصَ وَ أُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُتَبِّعُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ » (آل عمران. الايه ٤٤).

و أما الخصله الثالثه فلاّن الأنبياء لهم نفوس مقدسه قلت شواغلها عن الحواس الظاهره فتخلّصت بذلك عن المادّه الجسمانيه فلم يكن بينها و بين الأنوار حجب و لا- شواغل لأنّها من لوازم المادّه فإذا تخلّصت النفس عن تعلقاتها كانت مشاهده للأنوار و المفارقات البرئيه عن الشوائب الماديّه و اللّواحق الغريبه و لذا يكونون مشاهدين للملائكه على صورهم بقوتهم القدسيه، سامعين لكلامهم، قابلين لكلام الله تعالى بطريق الوحي و معلوم أنّ المادّه التي تقبل هذه الخصائل و الكمالات تقع فى قليل من الأمزجه و لذا قال عليه السلام: إنّ الأنبياء و صفوته من خلقه، فمزاجهم اعدل الأمزجه الانسانيه و نفسهم الفائضه من الأوّل تعالى الطّف و أشدّ و أقوى و أوسع وجودا من غيرها، فهم غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب

فى شىء من أحوالهم، وقوله عليه السّلام: فى شىء من أحوالهم تتعلّق بقوله غير مشاركين للنّاس.

و اعلم أنّ الله جعل المزاج الانسانى أعدل الأمزجه لتستوكره نفسه الناطقه التى هى أشرف النفوس و لابدّ أن يكون وكرها لائقا لها و قال المعلّم الثّانى أبو نصر الفارابى فى المختصر الموسوم بعيون المسائل كما نقله عنه المحقّق الطوسى فى آخر التّمط الثّانى من شرحه على الاشارات: حكمه البارى تعالى فى الغايه لأنّه خلق الأصول (يعنى بها العناصر) و أظهر منها الأمزجه المختلفه و خص كل مزاج بنوع من الأنواع و جعل كلّ مزاج كان أبعد عن الاعتدال سبب كلّ نوع كان أبعد عن الكمال و جعل النّوع الأقرب من الاعتدال مزاج البشر حتّى يصلح لقبول النّفس النّاطقه انتهى.

و كما أنّ النفس الناطقه مميّزه عن سائر النفوس باثّار و أفعال تخصّ بها و لابدّ أن يكون مزاجها المتعلق بها اعدل من غيره كذلك الأنبياء الذين غير مشاركين للنّاس على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب فى شىء من أحوالهم و أفعالهم لابدّ من أن يكون مزاجهم أعدل الأمزجه الانسانيه اللائق بنفوسهم القدسيه.

و لما كان الأنبياء عليهم السّلام بعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ» الايه (البقره: ٢٥٥) فلا بدّ من أن يكونوا متفاوتين فى اعتدال المزاج و صفاء النّفس النّاطقه القدسيه و سعتها الوجوديه و كذا الكلام فى خاتمهم الذى هو أكمل موجود فى النّوع الانسانى و اوتى جوامع الكلم التى هى امّهات الحقائق الالهيه و الكونيه، و لذا كان الرّوح المحمّدى صلّى الله عليه و آله أوّل دليل على ربّه لأنّ الربّ لا يظهر إلّا بمربوبه و مظهره و كمالات الذات بأجمعها إنّما تظهر بوجوده الأكمل. و المروى عنه صلّى الله عليه و آله: و الله لو كان موسى حيّا بين أظهركم ما حلّ له إلّا أن يتبعنى.

قوله عليه السّلام: حكماء مؤدّبين فى الحكمه. أى أدّبهم الله تعالى فى الحكمه يقال: أدّبه إذا هدّبه و راض أخلاقه و أدّبه فى أمر إذا علّمه و راضه حتّى تأدّب فيه و فى الجامع الصّغير فى أحاديث البشير النذير نقلا عن ابن عدى فى الكامل عن

ابن مسعود أنّه صَلَّى الله عليه وآله قال: أدبني ربّي فأحسن تأديبي. و من حيث أنّهم عليهم السّلام حكماء مؤدّبين في الحكمه و الحكمه هو العدل و الوسط في كلّ أمر فهم على الجاده الوسطى التي ليست النّجاه إلّا بالاستقامه فيها فمن اقتدى بهم و اقتفى آثارهم فقد هدى إلى الصّراط المستقيم فإنّ الحجج الالهيه في الحقيقه موازين للنّاس و نبى كلّ أمّه هو ميزان تلك الأمه لأن ميزان كلّ شيء بحسبه هو المعيار الذي يعرف به قدره و حدّه و صحته و سقمه و زيادته و نقصانه و استواؤه فقد يكون ذلك الشيء من الأجسام فميزانه ما وضع من جنسه من الأحجار و غيرها كالمدّ و المنّ و المكاييل و الزرع و غيرها لتعيين وزن ذلك الشيء و تقديره و قد يكون ذلك الشيء من الكلمات فيوزن صحتها و اعتلالها بميزانه الذي هو الفاء و العين و اللام كما بين في علم الصرف. و علم المنطق يكون ميزانا لتمييز النتيجة الصحيحه من السقيمه، و علم العروض ميزانا للأشعار، و ميزان النّاس ما يوزن به قدر كل امرء و قيمته على حسب أعماله و أخلاقه و عقائده و صفاته و حيث أنّ الأنبياء بعثوا على الحق و لا يميلون عن العدل مقدار قطمير و لا يصدر منهم سهو و لا نسيان فهم معيار الحق و ميزان الصّديق و يفصل الأمور فمن تأسّى بهم و حذا حذوهم فقد فاز فوزا عظيما و إلّا فقد خسر خسرانا مبينا.

و بما ذكرنا علم ما في الكافي عن الامام الصّادق عليه السّلام من أنّه سئل عن قول الله «و نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» (الأنبياء: ٤٨) قال: هم الأنبياء و الأوصياء و كذا في روايه اخرى عنه عليه السّلام: نحن الموازين القسط.

قوله عليه السّلام: يؤيدون عند الحكيم العليم بالحكمه، أى كما أنّهم مؤدّبون في الحكمه كذلك يؤيّدون بالحكمه من عنده تعالى تدلّ على صدق مقالته و جواز عدالته ليميز الخبيث من الطيب و الحق من الباطل فلو لم يكونوا مؤيدين بها من عنده تعالى بالحكمه أعنى بالبينات و المعجزات القوليه و الفعليه لما يفصل بين النّبى و المتنبى، قال عزّ من قائل «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أُنزِلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» (الحديد: ٢٦).

قوله عليه السّلام: ثمّ ثبت ذلك - إلى آخره لما هدينا العقل بتلك المقدمات إلى هذا المطلب الاسنى فدل على أن الأرض لا تخلو في كلّ دهر و زمان من لدن خلق البشر إلى قيام القيامة من حجّه الهيّه و دريت أن الخليفة في الأوّل قبل الخليفة و في الآخر بعدها لئلا يحتجّ أحد على الله تعالى أنّه تركه بغير حجّه لله عليه.

الحديث الخامس

في الكافي بإسناده إلى منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: إن الله أجلّ و أكرم من أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون بالله قال: صدقت قلت: إن من عرف أن له ربّا فقد ينبغي له أن يعرف أن لذلك الربّ رضا و سخطا و أنّه لا يعرف رضاه و سخطه إلّا- بوحى أو رسول فمن لم يأتّه الوحي فينبغي له أن يطلب الرسل فإذا لقيهم عرف أنّهم الحجّه و أنّ لهم الطاعه المفترضه فقلت للنّاس: أليس تعلمون أن رسول الله صلّى الله عليه و آله كان هو الحجّه من الله على خلقه؟ قالوا: بلى، قلت: فحين مضى عليه السّلام من كان الحجّه؟ قالوا: القرآن فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجى و القدرى و الزنديق الذى لا- يؤمن به حتّى يغلب الرّجال بخصومته فعرفت أن القرآن لا يكون حجّه إلّا بقيم فما قال فيه من شىء كان حقّا فقلت لهم: من قيم القرآن؟ فقالوا: ابن مسعود قد كان يعلم و عمر يعلم و حذيفه يعلم، قلت:

كلّه؟ قالوا: لا، فلم أجد أحدا يقال: أنّه يعرف القرآن كلّه إلّا عليّا عليه السّلام و إذا كان الشىء بين القوم فقال هذا: لا أدري و قال هذا: لا أدري و قال هذا: لا أدري و قال هذا: أنا أدري فأشهد أن عليّا كان قيم القرآن و كانت طاعته مفروضه و كان الحجّه على النّاس بعد رسول الله و أن ما قال في القرآن فهو حق فقال:

رحمك الله - إلى آخر الحديث.

بيان هذا الحديث مشتمل على مطالب عقليّه مهّدت للزوم الحجّه على النّاس ما دامت الأرض باقيه يأمرهم بالخير و الصّلاح و يهديهم إلى سبيل الرّشاد و لا بد أن يكون معه علم بالله و آياته. و تلك المطالب رتبت على اسلوب بديع و أساس متين الأوّل أنّ الله أجلّ و أكرم من أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون بالله و ما أحسن هذا القول و أحلاه و يعلم منه أن منصور بن حازم كان حازما حاذقا في اصول العقائد

و غرضه من ذلك إما أن معرفه الله تعالى فطرى غريزى فطره الله التى فطر الناس عليها و العقل وحده كاف فى معرفته عز و جل و هو القائد إلى جنبه و اصول صفاته فلا- يحتاج الإنسان فى معرفته تعالى إلى خلقه بما اعطاه من العقل يسلكه إلى الصراط المستقيم قال عز من قائل «و نَفْسٍ و ما سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا» فهو تعالى أجل و أكرم من أن يعرف بخلقه بل يعرف بالعقل الذى اعطاه خلقه.

و إمّا أن الله جل جلاله هو الغنى القائم بالذات واجب الوجود فى ذاته و صفاته و ما سواه ممكن مفتقر إليه و مستند به تعالى ظاهر بظهوره و موجود بوجوده «يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» و هو تعالى لارتفاع مكانه و جلال كبريائه و شدة وجوده و بساطته أجل من أن يعرف بخلقه على أنه تعالى لا حدّ عليه و لا ضدّ و لا ندّ حتّى يعرف بها بل هو سبب كلّ شىء و علتة فهو الأوّل عند اولى الأبصار، فإن أوّل ما يعرف من عرفان كلّ شىء هو الله تعالى قال سيد الموحدين على أمير المؤمنين عليه السلام: ما عرفت شيئا إلّا و قد عرفت الله قبله و قال عليه السلام: اعرفوا الله بالله.

و من كلام مولانا سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين عليه السلام فى دعاء عرفه: كيف يستدلّ عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك. و قال أيضا: تعرفت لكلّ شىء فما جهلك شىء و قال:

تعرفت إلىّ فى كلّ شىء فرأيتك ظاهرا فى كلّ شىء فأنت الظاهر لكلّ شىء.

فهو تعالى أجل و أكرم من أن يعرف ذاته و من جهه خلقه بل لا يعرف غيره على الحقيقة إلّا به.

و إمّا أنه تعالى أجل و أكرم من أن يدرك عامه الناس لطائف صنعه و دقائق حكمته و مصلحته فى فعله و قوله بل الخلق يعرفونها بالله تعالى اى بارساله الرسل و انزاله الكتب و الظاهر أن خير الوجوه أوسطها.

و المطلب الثانى أن من عرف ان له ربّا عرف ان لذلك الربّ صفات قدوسيه متعالیه لائقه بجنبه فلما عرف ذلك بنور العقل السليم و العقل السليم يشاقق التقرب إلى جنبه و يطلب ما يوصله ببابه لأنّ الانسان جبّل

على النيل إلى السعادة والميل عن الشقاوة سيما السعادة الدائمة الأبدية التي لا تحصل إلا بالتخلق بأخلاق الله والاتصاف بصفاته العليا وليس كل طريق وفعل وقول بمقرب الناس إليه تعالى بالضرورة فيحتاج إلى هاد يهديه سبل الخير وما فيه رضوانه تعالى وما فيه سخطه ولا يتأتى ذلك إلا بالوحي ولا يوحى إلى كل واحد من آحاد الناس لعدم قابلية كل واحد لذلك فإن للنبوّه صفات خاصه لا يتحملها إلا الأوحى من الناس المؤيد من عند الله تبارك وتعالى كما حقق في محله فالعقل السليم يطلب من الله تعالى ارسال الرسل فلو لا بعثه لكان الله تعالى ظالما لعباده فاذا اوحى الله تعالى ما فيه خير البريه وسعادته وما يوجب رضوانه تعالى وسخطه إلى رسول بالبراهين والمعجزات والبيّنات فيأخذ الناس معالم دينه ومعارف شريعته من الرسول قال عز من قائل «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» وقال تعالى «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ».

المطلب الثالث أنّ الحجّه على الناس بعد خاتم النبيّن من هو؟ وهذا المطلب في المقام هو الأهم لأنّ المسلمين اتفقوا في وجود من يكون حافظا للشرع من الزيادة والنقصان ولأهمه من الظلم والطغيان كما علم على ما بيناه في المباحث السالفه وأنما الكلام في ذلك الحجّه بعد النّبىّ صلى الله عليه وآله وهو إما الكتاب أو السنّه المتواتره أو الخبر الواحد أو الاجماع أو القياس أو البراءه الأصلية أو الاستصحاب أو العالم القائم مقام النّبىّ والأخير أيضا على وجهين: إما العالم مطلقا أو العالم المعصوم من الذنوب، المنزه من العيوب، المنصوب من عند علام الغيوب، المؤيد بتأييدات سماويه، المهدي بهدايه الهيّه وهذه وجوه محتمله في المقام لابدّ للبصير الناقد أن ينظر فيها ويبحث عنها.

فنعول: أمّا الكتاب فهو كما قال منصور بن حازم يخاصم به المرجى والقدرى والزنديق الذي لا يؤمن به حتّى يغلب الرجال بخصومته فالقرآن لا يكون حجّه إلا بقيّم.

و نزيدك بيانا في المقام حتى يتبين الحق فنقول: لا ريب ان الله تعالى في كل واقعه و في كل ما يحتاج إليه الناس في معاشهم و معادهم حكما و هي امور غير متناهيه و كذا لا ريب ان الله تعالى نزل القرآن تبيانا لكل شيء كما نص به عز من قائل في سورة النحل آيه ٩٢ «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ». و في الأنعام آيه ٣٩: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ». و في ذلك روى ثقة الاسلام الكليني قدس سره في اصول الكافي بإسناده عن مرآزم عن أبي عبد الله عليه السلام قال ان الله تعالى انزل في القرآن تبيان كل شيء حتى و الله ما نزل الله شيئا يحتاج إليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا انزل في القرآن إلا و قد أنزله الله فيه.

و فيه أيضا بإسناده إلى عمرو بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول ان الله تعالى لم يدع شيئا يحتاج إليه الامة إلا أنزله في كتابه و بينه لرسوله صلى الله عليه و آله و جعل لكل شيء حدا و جعل عليه دليلا يدل عليه و جعل على من تعدى ذلك الحد حدا. و كذا غيرهما من الأخبار الاخر في ذلك الباب.

و كذا لا ريب ان القرآن لم يبين تلك الفروع و الأحكام الجزئية و كل ما يحتاج إليه الناس في امورهم الدنيوية و الدنيوية على التفصيل و البسط و هذا لا ينافي قوله عز و جل في الايتين المذكورتين لأن الكتاب مشتمل على اصول كليه يستنبط منها الأحكام الجزئية و القوانين الالهية من كان عارفا بها حق المعرفة فلنقدم لك مثالا في ذلك توضيحا للمراد.

قال المفيد في إرشاده: و روى عن يونس عن الحسن أن عمر أتى بامرأه قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله تعالى يقول: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» و يقول جل قائلًا: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْتَظَرَ الرِّضَاعَةُ» فإذا تمت المرأة الرضاعة سنتين و كان حمله و فصاله ثلاثين شهرا كان الحمل منها ستة أشهر فخلى عمر سبيل المرأة و ثبت الحكم بذلك فعمل الصحابة و التابعون و من أخذ عنه إلى يومنا هذا انتهى.

و كذا غيره من الوقائع التى قضى فيها أمير المؤمنين على عليه السّلام بكتاب الله مما يحير العقول فهذا الحكم كان ثابتا فى الكتاب المجيد و لكن لا- تبلغه عقول الرجال إلا- الكمل منهم الذين هداهم الله إليه و علمهم معالم دينه و جاءت الرواية فى ذلك فى الكافى بإسناده عن المعلّى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام ما من أمر يختلف فيه إثنان إلا و له أصل فى كتاب الله و لكن لا تبلغه عقول الرجال.

و نظير ما نقله المفيد جاء فى الكافى للكلينى بإسناده عن على بن يقطين قال:

سأل المهدي أبا الحسن عليه السّلام عن الخمر هل هى محرمة فى كتاب الله تعالى فإنّ الناس إنّما يعرفون النهى عنها و لا يعرفون التحريم لها.

فقال له أبو الحسن عليه السّلام: بل هى محرمة فى كتاب الله تعالى يا أمير المؤمنين فقال له: فى أى موضع هى محرمة فى كتاب الله يا أبا الحسن؟. فقال: قول الله تعالى «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ» فأما قوله: ما ظهر منها، يعنى زنا المعلن و نصب الرايات التى كانت ترفعها الفواجر للفواحش فى الجاهلية. و أما قوله تعالى: «وَ مَا بَطَّنَ»، يعنى ما نكح من الاباء لأنّ الناس كانوا قبل أن يبعث النبىّ صلى الله عليه و آله إذا كان للرجل زوجة و مات عنها يزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن امه فحرم الله تعالى ذلك. و أما الإثم، فانها الخمر بعينها و قد قال الله تعالى فى موضع آخر «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ» فأما الإثم فى كتاب الله فهى الخمر و الميسر و اثمهما أكبر كما قال الله تعالى. فقال المهدي: يا على بن يقطين فهذه فتوى هاشميه.

قال: قلت له: صدقت و الله يا أمير المؤمنين الحمد لله الذى لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت قال: فو الله ما صبر المهدي أن قال لى: صدقت يا رافضى.

تنبيه

و اعلم أن نظائرهما المرويّه عن أئمتنا عليهم السّلام المستنبطه من ضم الايات القرآنيه بعضها من بعض غير عزيز و استبصر من هذا أنما يعرف القرآن من خوطب به و أن القرآن يفسّر بعضه بعضا. قال عزّ من قائل: «وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ». و معلوم أن من الأشياء القرآن نفسه فهو تبيان لنفسه أيضا و لكن لا

تبلغه عقول الرجال كما دريت. و انّ للاستنباط من الكتاب رجالا- عينهم الله لنا في كتابه: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (النساء: ٨٦).

على أنا نقول: إن في الكتاب محكما ومتشابهها وناسخا ومنسوخا و عاميا و خاصا و مبينا و مجملا تميزها و استنباط الفروع الجزئية و الأحكام الالهية منها صعب مستصعب جدّا بل خارج عن طوق البشر الا من اختاره الله و علّمه فقه القرآن و ملأ قلبه علما و فهما و حكما و نورا و من المجلل في الكتاب قوله تعالى «السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» فانّ اليد يطلق على العضو المعروف إلى الاشاجع و إلى الزند و إلى المرفق و إلى المنكب فيقال ادخلت يدي في الماء إلى الاشاجع و إلى الزند و إلى المرفق و إلى المنكب و اعطيت يدي و إنّما اعطاه بأنامله و كتبت يدي و إنّما كتبه بأصابعه و الاستعمال ظاهر في الحقيقة فيحصل الاشتراك و يأتي الاجمال في حدّ القطع كما انها مجمله في أنّ المراد قطع يدي السارق كليهما أو إحداها و على الثاني اليد اليمنى أو اليسرى و كذا في المقدار المسروق الذي تقطع فيه أيديهما و في من تكررت منه السرقة بعد القطع أو قبل القطع و غيرها من أحكام السرقة المدونة في كتب الحديث و الفقه و كذا غيره من الأحكام و الفرائض مثل فرض الصّلاه و الزّكاة و الصوم و الحجّ و الجهاد و حدّ الزّنا و نظائرها ممّا نزل في الكتاب مجملا فلا بدّ لها من مفسّر و مبين.

ثمّ انه لو كان كتاب الله وحده بلا قيم و مفسّر و مبين كافيا لما أمر الله تعالى باطاعه الرسول في عدّه مواضع من كتابه الكريم كما حرّراه من قبيل و دريت ان القائل حسبنا كتاب الله خبط خبط عشواء.

«الكلام في ان السنه وحدها لا تكون حجه إلا بقيم»

و أمّا السنه فالكلام فيها الكلام في الكتاب فان كلام حجج الله تعالى دون كلام خالق و فوق كلام مخلوق و لكثير من الروايات ان لم نقل لجميعها وجوه محتمله و قد يعارض بعضها بعضا و لبعضها بطون علميه كالايات القرآنيه فقد روى

الصدوق في المجلس الأول من اماليه باسناده عن عمرو بن اليسع عن شعيب الحداد قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: ان حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان أو مدينه حصينه قال عمرو: فقلت لشعيب: يا أبا الحسن و أي شيء المدينه الحصينه؟ قال: فقال: سألت الصادق عليه السلام عنها فقال لي: القلب المجتمع. على أن الروايات ليست بوافيه في جميع الأحكام على سبيل التنقيص في الجزئيات بل كليات أيضا يستنبط منها تلك الفروع الجزئيه مع أن الروايات أكثرها منقوله بالمعنى و لم يثبت بقاؤها على هيئتها التي صدرت عن المعصوم عليه السلام اعني أنها لم تتواتر لفظا و إن تواتر مدلول كثير منها حتى ذهب الشهيد الثاني في الداريه إلى أن روايه واحده يمكن ادعاء تواتره لفظا حيث قال: و التواتر يتحقق في اصول الشرايع كثيرا و قليل في الأحاديث الخاصه و إن تواتر مدلولها حتى قال أبو الصيلاح من سئل عن إبراز مثال لذلك اعياء طلبه، نعم حديث من كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من النار يمكن ادعاء تواتره فقد نقل نقله عن النبي صلى الله عليه و آله من الصحابه الجم الغفير. انتهى.

قال المجلسي (ره) في مرآه العقول: من المعلوم أن الصيحابه و أصحاب الأئمه عليهم السلام لم يكونوا يكتبون الأحاديث عند سماعها و يبعد بل يستحيل عادة حفظهم جميع الألفاظ على ما هي عليه و قد سمعوها مره واحده خصوصا في الأحاديث الطويله مع تطاول الأزمنه و لهذا كثيرا ما يروى عنهم المعنى الواحد بألفاظ مختلفه انتهى ما اردنا من نقل كلامه.

أما القرآن الكريم فإنه المنزّل من الله تعالى المحفوظ على هيئته التي نزلت بلا تغيير و تبديل في ألفاظه بلا خلاف بل اتفق الكل من المسلمين و غيرهم على أن القرآن بين الكتب المنزله هو الكتاب العبدى لم يتطرق إليه تحريف أو تصحيف أو زياده أو نقصان مطلقا.

فاذا كان الأحاديث على ذلك المنوال فيأتى البحث في الأخبار على اطوار كثيره مضبوطه في كتب الدرايه و الرجال و غيرهما مثلا ينظر في الزاوى هل كان أهلا للنقل أم لا كما روى الكليني في الصحيح عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام

أسمع الحديث منك فأزيد و أنقص. قال: إن كنت تريد معناه (معانيه - خ ل) فلا بأس.

و بالجمله الكلام فى القرآن و الحديث هو ما ذكره مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام نقله الرضى فى التهج كما مضى فى الخطبه الثمانيه و المأتين و كذا نقله الكلينى فى الكافى و فى الوافى (ص ٦٢ م ١).

روى الكلينى بإسناده عن أبان بن عياش عن سليم بن قيس الهلالي قال:

قلت لأمر المؤمنين عليه السلام: انى سمعت من سلمان و المقداد و أبى ذر شيئا من تفسير القرآن و أحاديث عن نبى الله غير ما فى أيدى الناس ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم و رأيت فى أيدى الناس أشياء كثيره من تفسير القرآن و من الأحاديث عن نبى الله صلى الله عليه و آله أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون ان ذلك كله باطل أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه و آله متعمدين و يفسرون القرآن بآرائهم قال: فأقبل عليه السلام على فقال: قد سألت فافهم الجواب:

إن فى أيدى الناس حقا و باطلا- و صدقا و كذبا و ناسخا و منسوخا و عامّا و خاصّا و محكما و متشابها و حفظا و وهما و قد كذب على رسول الله صلى الله عليه و آله على عهده حتى قام خطيبا فقال: أيها الناس قد كثرت على الكذابه فمن كذب على متعمدا فليتبؤه مقعده من النار ثم كذب عليه من بعده.

و انما أتاكم الحديث من أربعه ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الايمان متصنّع بالاسلام لا يتأثم و لا يتحرج ان يكذب على رسول الله متعمدا فلو علم الناس انه منافق كذاب لم يقبلوا منه و لم يصدقوه و لكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله و رآه و سمع منه فيأخذون عنه و هم لا- يعرفون حاله و قد اخبر الله عن المنافقين بما اخبره و وصفهم بما وصفهم فقال تعالى «وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِن يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ » ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلاله و الدعاة إلى النار بالزور و الكذب و البهتان فولوهم الأعمال و حملوهم على رقاب الناس و أكلوا بهم الدنيا و انما

ص: ٩٣

الناس مع الملوكة و الدنيا إلا من عصم الله فهذا أحد الأربعة.

و رجل سمع من رسول الله صلى الله عليه و آله شيئا لم يحمله على وجهه و وهم فيه و لم يتعمد كذبا فهو في يده يقول و يعمل به و يرويه و يقول أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه و آله فلو علم المسلمون أنه و هم لم يقبلوه و لو علم هو انه و هم لرفضه.

و رجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه و آله شيئا أمر به ثم نهى عنه و هو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به و هو لا يعلم فحفظ منسوخه و لم يحفظ النسخ فلو علم أنه منسوخ لرفضه و لو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

و آخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه و آله مبعوض للكذب خوفا من الله و تعظيما لرسوله لم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه و لم ينقص منه و علم النسخ و المنسوخ و عمل بالنسخ و رفض المنسوخ فان أمر النبي صلى الله عليه و آله مثل القرآن ناسخ و منسوخ و خاص و عام و محكم و متشابه قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه و آله الكلام له وجهان كلام عام و كلام خاص مثل القرآن و قال الله تعالى في كتابه «ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فأتوه» فيشته على من لم يعرف و لم يدر ما عنى الله به و رسوله صلى الله عليه و آله. و ليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله كان يسأله من الشيء يفهم و كان منهم من يسأله و لا يستفهمه حتى ان كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي و الطاري فيسأل رسول الله صلى الله عليه و آله حتى يسمعوا.

أقول: أنه عليه السلام يذكر بعد قوله حتى يسمعوا: منزلته عند النبي صلى الله عليه و آله و سند ذكر هذا الدليل أيضا في محله، فبما حررناه دريت أن الكتاب و السنه غير وافيين بكل الأحكام مع أن لله تعالى في كل واقعه حكما يجب تحصيله فهما يحتاجان إلى قيم.

في الكافي بإسناده عن أبي البختری عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن العلماء ورثة الأنبياء و ذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهما و لا دينارا و إنما ورثوا من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظا وافرا فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه فان فينا أهل البيت في كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين

و حيث علم معنى العدل فيما تقدم و علم أنّ الإمام المنصوب الالهي على العدل المحض و يهدون بأمر الله تعالى إلى طريق الحق علم أنّ المراد بالعدل هم الأئمة الهادين المهديين لا غير و جاء خبر آخر في الكافي كانه مفسر له حيث روى بإسناده عن ابن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله أنّ عند كلّ بدعه تكون من بعدى يكاد بها الايمان وليا من أهل بيتى موكلا به يذب عنه ينطق بالهام من الله و يعلن الحق و ينوره و يرد كيد الكائدين يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولى الأبصار و توكّلوا على الله.

و نعم ما قال الفيض في الحديث بيانا: المراد من ورثه الأنبياء ورثتهم من غذاء الروح لأنهم أولادهم الروحانيون الذين ينتسبون إليهم من جهة أرواحهم المتغذية بالعلم المستفاد منهم عليهم السّلام كما أنّ من كان من نسلهم ورثتهم من غذاء الجسم لأنهم أولادهم الجسمانيون الذين ينتسبون إليهم من جهة أجسادهم المتغذية بالغذاء الجسماني حظا وافرا كثيرا لأنّ قليل العلم خير ممّا طلعت عليه الشمس.

فانظروا يعني لَمّا ثبت أنّ العلم ميراث الأنبياء فلا بدّ أن يكون مأخوذا عن الأنبياء عليهم السّلام و عن أهل بيت النبوة الذين هم مستودع اسرارهم و فيهم أصل شجره علمهم دون غيرهم فان المجاوزين عن الوسط الحقّ يحزفون الكلم عن مواضعه بحسب أهوائهم. و المبطلون يدعون لأنفسهم العلم و يلبسون الحقّ بالباطل لفساد أغراضهم. و الجاهلون يؤولون المتشابهات على غير معانيها المقصوده منها لزيغ قلوبهم فيشتبه بسبب ذلك طريق التعلّم على طلبه العلم.

و في أهل بيت النبي صلوات الله عليه و عليهم في كلّ خلف بعد سلف امه وسط لهم الاستقامه في طريق الحق من غير غلو و لا تقصير و لا- زيغ و لا- تحريف يعني الإمام المعصوم و خواصّ شيعته الأئمة على أسرارهم الحافظين لعلمه الضابطين لأحاديثه فانّ الأرض لا تخلو منهم ابدا و هم لا يزالون ينفون عن العلم تحريف الغالين

و تلبس المبطلين و تأويل الجاهلين فخذوا علمكم عنهم دون غيرهم لتكونوا ورثة الأنبياء.

و هذا الحديث ناظر إلى ما روى عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله أَنَّهُ قَالَ: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين و تفسير للعدول الوارد فيه.

و الخلف بالتحريك و السكون كل من يجيء بعد من مضى إلا أَنَّهُ بالتحريك في الخير و بالتسكين في الشر يقال: خلف صدق و خلف شر.

و أمّا القياس فقد حققنا في المباحث السالفه أَنَّ لله تعالى في كل واقعه حكما و أن الأحكام مبتنية على مصالح و مفسد في الأشياء لا- تبلغها العقول و لا- يعلمها إلا علام الغيوب و لو تأملنا حق التأمل في الدين لرأينا أن دين الله لم يبن على القياس فان المراد بالقياس في المقام القياس الفقهي الذي يسمّى في علم الميزان بالتمثيل و مبنى الشرع على اختلاف المتفقات كوجوب الصّوم آخر شهر رمضان و تحريمه أول شوال، و اتفاق المختلفات كوجوب الوضوء من البول و الغائط و اتفاق القتل خطأ و الظهار في الكفاره. مع أَنَّ الشارع قطع يد سارق القليل دون غاصب الكثير و جلد بقذف الزنا و أوجب فيه أربع شهادات دون الكفر و ذلك كله ينافي القياس و قد قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: تعمل هذه الأمة برهه بالكتاب و برهه بالسنة و برهه بالقياس فاذا فعلوا ذلك فقد ضلّوا و أضلّوا.

و ليس القياس إلا اتباع الهوى و قال الله تعالى «وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ».

و لو تطرق في الشريعة العمل بالقياس لمحق الدين لأنّ لكل أحد أن يرى برأيه و نظره مناسبه بين الحكمين و غالبا لا يخلو الشيطان عن مناسبه ما فيلزم عندئذ تحليل الحرام و تحريم الحلال و آراء كثيره مرديه في موضوع واحد مع أنّ حكم الله واحد لا يتغير و قد روى شيخ الطائفة في التهذيب بإسناده عن أبي مريم

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال صلوات الله عليه: لو قضيت بين رجلين بقضيه ثم عادا إلي من قابل لم ازدهما على القول الأول لأن الحق لا يتغير.

و قد دريت آنفا أنه ليس شيء مما يحتاج إليه الناس إلا و قد جاء فيه كتاب أو سنه و أن الله تعالى نص في كتابه العزيز انزل في القرآن تبيان كل شيء قال تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» (النحل - ٩٢) و قال تعالى: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (الأنعام - ٣٩) و غيرهما من الايات الاخر فاذا بين القرآن كل شيء و كذا السنه و إن كان لا تبلغها عقول الرجال فعلينا أن نطلب من عنده علم الكتاب و ليس لنا أن نختار بالقياس و الاستحسان و امثالهما حكما نفتي به أو نعمل فان الله حذرنا عن ذلك في كتابه بقوله: «وَرُبُّكَ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» و قال عز و جل: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ». و قال عز و جل: «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» و قال تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» و قال تعالى:

«وَأَسِيتَقِمُ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ». و قال تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» و قال تعالى «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى» و غيرها من الايات القرآنيه.

فهذه الايات القرآنيه تذكّر من رغب عن اختيار الله و اختيار رسوله إلى اختياره و تنهيه عن ذلك أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها، أم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، أم قالوا سمعنا و هم لا يسمعون، ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون.

«فى النهى عن العمل بالقياس»

قد رويت عن الأئمة الهداه المهديين روايات فى النهى عن العمل بالقياس و احتجاجات على القوم فى ذلك نورد ههنا شطرا منها تبصره للمستبصرين فان من كان له قلب استهدى بها:

١ - فى الكافى باسناده إلى أبى شيبه الخراسانى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزداهم المقاييس من الحق إلّا بعدا و أن دين الله لا يصاب بالمقاييس.

أقول: إنّ القياس فى جميع العلوم الثقليه لا يزداد القائس من الحقّ و الواقع إلّا بعدا فكما أنّ اللغه و النحو و القرائه و السير و امثالها لا يستقيم بالقياس و التخمين فكذلك الأحكام فإنّ لله تعالى فى كلّ واقعه حكما لا يصاب بالظنّ و التخمين و القياس.

على أنّ فى الشرع يوجد كثيرا جمع الأحكام المختلفه فى الصفات الظاهره و تفريق الأحكام المتشاركه فى الاثار الواضحه.

٢ - و فيه باسناده إلى أبان بن تغلب عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إنّ السنه لا تقاس ألا ترى أنّ المرأه تقضى صومها و لا تقضى صلاتها يا أبان أنّ السنه إذا قيس محق الدين.

أقول: قال الفيض فى بيانّه: المحق ذهاب الشىء كله حتّى لا يرى منه أثر و إنّما يمحى الدين بالقياس لأن لكلّ أحد أن يرى بعقله أو هواه مناسبه بين الشىء و ما أراد أن يقيسه عليه فيحكم عليه بحكمه و ما من شىء إلّا و بينه و بين شىء آخر مجانسه أو مشاركه فى كم أو كيف أو نسبه فاذا قيس بعض الأشياء على بعض فى الأحكام صار الحلال حراما و الحرام حلالا حتّى لم يبق شىء من الدين ٣ - و فيه باسناده إلى أبان عن أبى شيبه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

ضلّ علم ابن شبرمه عند الجامعه املاء رسول الله صلى الله عليه و آله و خطّ على عليه السلام بيده أنّ

الجامعه لم تدع لأحد كلاما فيها علم الحلال و الحرام ان أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعدا إن دين الله لا يصاب بالقياس.

أقول: سيأتي الكلام في الجامعه عند ترجمه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام و ابن شبرمه هو عبد الله بن شبرمه القاضي كان يعمل بالقياس.

٤ - و فيه عن الحسين بن ميثاق عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ان إبليس قاس نفسه بادم فقال: خلقتني من نار و خلقتة من طين فلو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار كان ذلك أكثر نورا و ضياء.

٥ - و فيه بإسناده عن عيسى بن عبد الله القرشي قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا أبا حنيفة بلغني أنك تقيس قال: نعم، قال: لا- تقس فان أول من قاس إبليس حين قال: خلقتني من نار و خلقتة من طين فقاس ما بين النار و الطين و لو قاس نوريه آدم بنوريه النار عرف فضل ما بين النورين و صفاء أحدهما على الآخر.

أقول: إن هذين الخبرين من الأخبار الأنيقه و العلوم الدقيقه التي صدرت من بيت أهل العصمه و تجلت من مشكاه الإمامه و بدت من فروع شجره النبوه لاحتوائهما على لطيفه قدسيه عرشيّه لم يعهد صدور مثلها عن غير بيت الال في ذلك العصر، و لعمري لو لم تكن لرسول الله صلى الله عليه و آله و آله الطاهرين معجزات فعليّه أصلا لكفى أمثال هذه الأخبار الصادره عنهم عليهم السلام في صدق مقالتهم بأنهم سفراء الله لخلقه و وسائط فيضه. و بالجملة قال عليه السلام في الأول منهما فلو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار كان ذلك أكثر نورا و ضياء و في الثاني و لو قاس نوريه آدم بنوريه النار عرف فضل ما بين النورين و صفاء أحدهما على الآخر. و ذلك الجوهر النورى هو النفس الناطقه المجرده و الروح المقدسه التي من عالم الأمر لا سيما روحه القدسيه النبويه التي بها صار مسجود الملائكه، و معلوم أن هذا النور المعنوى لا نسبه له إلى الأنوار الحسيه كنور النار و السراج و الشمس و القمر و النجوم و أمثالها لأنه لا يكون منغمرا في الزمان و المكان و الأجسام بل هو فوق

الزمان و الزمانيات و لذا به يظهر ما لا- يظهر بالأنوار الحسيّة فإنّ الحسيّة يظهر المحسوسات بخلاف النور العقلي فإنّه يظهر المعقولات و فوق المحسوسات فلا- يقاس أحدهما بالآخر فإنّ العقلاني بمراحل عن الجسماني و لذا قال وليّ الله الأعظم فلو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار كان ذلك أكثر نورا و ضياء.

و أيضا أنّ كلامه عليه السّلام يدلّ على تجرد الروح و تنزهه عن الجسم و الجسمانيات كما أنّه يدلّ ان شيئيه الشّيء بصورته لا بمادته، و قياس إبليس و هم حيث توهم ان الفضل و الشرف بمادّة البدن و أن شيئيه الأشياء بمادّتها و لم يعلم أنّ الانسان إنسان بجوهره المجرد النوري العقلاني و أنّما الشّيئيه بالصّوره لأنّه لم يكن له نصيب من هذا النور القدسي النبوي حتّى يرى نسبه سائر الأنوار بالقياس إليه و يعرفه حق المعرفة.

و اعلم أنّ الوجود الكامل من مادّه ناقصه أفضل من موجود ناقص من مادّه كامله و ذلك لما تحقّق في الحكمه العاليه أنّ الصّوره هي الأصل و المادّه فرعها و شيئيه الموجودات بصورها لا بالماده.

٦ - في الكافي: أنّ عليّاً عليه السّلام قال: من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس و من دان الله بالرأى لم يزل دهره في ارتماس.

٧ - و فيه أيضا قال أبو جعفر عليه السّلام: من أفنى النّاس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم و من دان الله بما لا يعلم فقد ضاّد الله حيث أحلّ و حرّم فيما لا يعلم.

٨ - و في كتاب القضاء من الوسائل: أنّ ابن شبرمه قال دخلت أنا و أبو حنيفه على جعفر بن محمّد فقال لأبي حنيفه: اتق الله و لا تقس في الدّين برأيك فإنّ أوّل من قاس إبليس إلى أن قال: و يحكك أيهما أعظم قتل النّفس أو الزّنا؟ قال: قتل النفس. قال: فان الله عزّ و جلّ قد قبل في قتل النفس شاهدين و لم يقبل في الزنا إلّا أربعة. ثمّ أيهما أعظم الصّلاه أم الصّوم؟ قال: الصّلاه. قال: فما بال الحائض تقضى الصّيام و لا تقضى الصلاه فكيف يقوم لك القياس فاتق الله و لا تقس. قال:

فأيّهما اكبر البول أو المنى؟ قلت: البول، قال: فلم أمر الله تعالى في البول بالوضوء

و فى المنى بالغسل. قال: فأَيُّما أضعف المرأه أو الرجل؟ قلت: المرأه، قال:

فلم جعل الله تعالى فى الميراث للرجل سهمين و للمرأة سهم أ فبقاس لك هذا؟ قلت:

لا. قال: فبم حكم الله فىمن سرق عشر دراهم القطع و إذا قطع الرجل يد رجل فعليه ديته خمسـه آلاف درهم أ فبقاس لك هذا؟ قلت: لا. الحديث.

و فى الوافى (ص ٥٩ م ١) روى عن أبى حنيفه أنه قال: جئت إلى حجاج ليخلق رأسى فقال لى: ادن ميامنك و استقبل القبلة و سم الله فتعلّمت منه ستّ خصال لم تكن عندى فقلت له: مملوك أنت أم حرّ؟ فقال: مملوك؟ قلت: لمن؟ قال لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قلت: أشاهد أم غائب؟ قال: شاهد فصرت إلى بابه و استأذنت عليه فحجبنى و جاء قوم من أهل الكوفه فاستأذنوا فاذن لهم فدخلت معهم فلمّا صرت عنده قلت له: يا ابن رسول الله لو أرسلت إلى أهل الكوفه فنهيتهم أن يشتموا أصحاب محمد فانى تركت بها أكثر من عشره ألف يشتمونهم، فقال:

لا يقبلون منى فقلت: و من لا يقبل منك و أنت ابن رسول الله فقال: أنت أول من لا يقبل منى دخلت دارى بغير إذنى و جلست بغير أمرى و تكلمت بغير رأى و قد بلغنى أنّك تقول بالقياس قلت: نعم قال: ويحك يا نعمان أول من قاس الله إبليس - ثم ذكر قريب ما نقلناه عن الوسائل و كذا هذا الخبر المذكور فى مجلس يوم الجمعة التاسع من رجب سنه سبع و خمسين و أربعمائه فراجع.

و الأخبار فى النهى عن القياس فى الدّين و السرّ فى نهيه كثيره فى كتب الرّوايه فعليك بكتاب القضاء من الوسائل و المجلّد الأول من البحار و الكافى و باب البدع و الرأى و المقائيس من الوافى (ص ٥٦ م ١).

المنقول من الزمخشري فى ربيع الأبرار قال يوسف بن أسباط: ردّ أبو حنيفه على رسول الله صلّى الله عليه و آله للفرس سهمان و للرجل سهم، قال أبو حنيفه: لا أجعل سهم بهيمه أكثر من سهم المؤمن. و اشعر رسول الله صلّى الله عليه و آله و أصحابه البدن و قال أبو حنيفه: الاشعار مثله. و قال صلّى الله عليه و آله: البيعان بالخيار ما لم يتفرّقا، و قال أبو حنيفه: إذا وجب البيع فلا خيار. و كان صلّى الله عليه و آله يقرع بين نسائه إذا اراد سفرا و أقرع أصحابه، و قال أبو حنيفه القرعه قمار.

ص: ١٠١

و أما الإجماع فبعد الفراغ عن حجّيته و البحث عن أقسامه فنقول: إنّ من المعلوم عدم قيام إجماع في كلّ واقعه واقعه.

و أما البراءة الأصليّة فلأنّه يلزم منها ارتفاع أكثر الأحكام الشرعيّة إذ يقال الأصل براءته الذمه من وجوب أو حرمة.

أما الاستصحاب فعدم صلاحيّته للمحافظة بديهيّ فلأنّه يستلزم اليقين السابق و الشكّ اللاحق حتّى يجرى و أنّى يكون كلّ حكم من الأحكام في كلّ موضع مع عدم تناهيها كذلك، على أن الاستصحاب و القياس و الخبر الواحد لا تفيد إلاّ ظناً و الظن لا يغني من الحق شيئاً. فإذا اتضح عدم صلاحيّة هذه الأقسام لحفظ الدّين و حجّه على النّاس بحيالها بلا قيم مبيّن و مفسر بعد خاتم النّبيين فلم يبق أن يكون الحافظ للشرع إلاّ العالم و العالم مطلقاً فقد دريت أنّه لم يكن حافظاً فبقى العالم المعصوم المنصوب من الله اعني الإمام بالحق و ذلك هو المطلوب و قد اشار البارى تعالى إليه بقوله: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (النساء: ٨٦) ثمّ إنّ لأئمتنا صلوات الله عليهم احتجاجات على من ذهب إلى أنّ الكتاب وحده بلا قيم كاف للعباد كلّ واحد منها حجّه بالغه و برهان تام أبان الفصل و أفحم الخصم تركنا الاتيان بها روما للاختصار فعليك بكتاب الاحتجاج للطبرسي و اصول الكافي للكليني و الارشاد للمفيد و المجلّد الرابع من البحار للمجلسي.

ثمّ مضى في الخطبه الثالثه و العشرين و المأه قوله عليه السّلام: و هذا القرآن إنّما هو مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان و لا بدّ له من ترجمان - إلى آخر ما قال. فراجع فتبصر.

احتجاج ثامن الأئمه عليه السّلام على المخالفين في امر الإمامه

روى الشيخ الجليل الصّيّدوق رضوان الله عليه في المجلس السابع و التسعين من أماليه و كذا الشيخ الجليل الطبرسي في الاحتجاج و ثقه الاسلام الكليني في الكافي (الوافي ص ١١٥ م ٢) روايه جامعه كافيه في أمر الإمامه عن الرضا عليّ بن

ص: ١٠٢

موسى ثامن الأئمة الهداه المهديين تهدى بغاه الرشد للتى هو أقوم جعلناها خاتمه بحثنا ليختم بالخير ختامه مسك و فى ذلك فليتنافس المتنافسون و فى الأمالى.

حدثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى رضى الله عنه قال: حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا أبو محمد القاسم بن العلى عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا فى أيام على بن موسى الرضا عليهما السلام بمرور فاجتمعنا فى مسجد جامعها فى يوم جمعه فى يدى مقدمنا فأدار الناس أمر الإمامه و ذكروا كثره اختلاف الناس فدخلت على سيدى و مولاي الرضا عليه السلام فأعلمته ما خاض الناس فيه فتبسم عليه السلام ثم قال:

يا عبد العزيز جهل القوم و خدعوا عن أديانهم إن الله عز و جل لم يقبض نبيه صلى الله عليه و آله حتى أكمل له الدين و أنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شىء بين فيه الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام و جميع ما يحتاج الناس إليه كملا فقال عز و جل «ما فرطنا فى الكتاب من شىء» و أنزل فيه فى حجه الوداع و هى آخر عمره صلى الله عليه و آله «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» و أمر الامامه من تمام الدين و لم يمض صلى الله عليه و آله حتى بين لامته معالم دينهم و أوضح لهم سبيله و تركهم على قصد الحق و أقام لهم عليا عليه السلام علما و ما ترك شيئا يحتاج إليه الامه إلا بينه فمن زعم أن الله عز و جل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله و من رد كتاب الله فهو كافر فهل تعرفون قدر الإمامه و محلها من الأئمه فيجوز فيها اختيارهم؟ إن الامامه أجل قدرا و أعظم شأنا و أعلى مكانا و أمتع جانبا و أبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها برأيهم أو يقيموا إماما باختيارهم. إن الإمامه خص الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوه و الخله مرتبه ثالثه و فضيله شرفه الله بها فأشار بها ذكره فقال عز و جل «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» قال الخليل مسرورا؟؟؟ بها «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي» قال الله تبارك و تعالى «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» فابطلت هذه

الاية إمامه كل ظالم إلى يوم القيامة و صارت فى الصفوه.

ثم أكرمهم الله أن جعلها فى ذريته أهل الصفوه و الطهاره فقال عز و جل «وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ » فلم يزل فى ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها النبى صلى الله عليه و آله فقال جل جلاله «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ » فكانت له الخاصه فقلدها النبى صلى الله عليه و آله عليا عليه السلام بأمر ربّه عزّ و جلّ على رسم ما فرض الله فصارت فى ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم و الايمان بقوله عزّ و جلّ «وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ » و هى فى ولد علي عليه السلام خاصه إلى يوم القيامة إذ لا نبى بعد محمد صلى الله عليه و آله فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟ إنّ الامامه هى منزله الأنبياء و إرث الأوصياء إنّ الامامه خلافه الله عزّ و جلّ و خلافة الرسول و مقام أمير المؤمنين و ميراث الحسن و الحسين. إنّ الامامه زمام الدين و نظام المسلمين و صلاح الدنيا و عزّ المؤمنين. إنّ الإمامه اسّ الاسلام النامى و فرعه النامى.

بالامام تمام الصلاه و الزكاه و الصيام و الحجّ و الجهاد و توفير الفىء و الصّدقات و إمضاء الحدود و الأحكام و منع الثغور و الأطراف.

الامام يحلّ حلال الله و يحرم حرام الله و يقيم حدود الله و يذبّ عن دين الله و يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمه و الموعظه الحسنه و الحجّه البالغه.

الامام كالشمس الطالعه للعالم و هى فى الافق بحيث لا تنالها الأيدى و الأبصار.

الامام البدر المنير و السراج الظاهر و النور الساطع و النجم الهادى فى غياهب الدجى و البلد القفار و لجج البحار.

الامام الماء العذب على الظماء و الدال على الهدى و المنجى من الردى.

ص: ١٠٤

الإمام النار على اليفاع الحار لمن اصطلى و الدليل على الملك من فارقه فهالك.

الإمام السحاب الماطر و الغيث الهاطل و الشمس المضيئه و الأرض البسيطة و العين الغزيره و الغدير و الروضه.

الإمام الأمين الرفيق و الوالد الرقيق و الأخ الشفيق و مفرع العباد فى الداهيه.

الإمام أمين الله فى أرضه و حجته على عباده و خليفته فى بلاده و الداعى إلى الله و الذاب عن حرم الله.

الإمام المطهر من الذنوب المبرأ من العيوب مخصوص بالعلم موسوم بالحلم نظام الدين و عز المسلمين و غيظ المنافقين و بوار الكافرين.

الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد و لا يعادله عالم و لا يوجد به بدل و لا له مثل و لا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منزله و لا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذى يبلغ بمعرفه الإمام أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات ضلّت العقول و تاهت الحلوم و حارت الأبواب و حسرت العيون و تصاغرت العظماء و تحيرت الحكماء و تقاصرت الحلما و حصرت الخطباء و جهلت الأبواب و كلّت الشعراء و عجزت الأدباء و عيت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيله من فضائله فأقرت بالعجز و التقصير. و كيف يوصف أو ينعت بكنهه أو يفهم شىء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه و يغنى عنه لا، كيف و أين و هو بحيث النجم من أيدي المتناولين و وصف الواصفين فأين الاختيار من هذا و أين العقول عن هذا و أين يوجد مثل هذا؟ أظنوا أن ذلك يوجد فى غير آل الرسول صلى الله عليه و آله؟ كذبتهم و الله أنفسهم و منتهم الأباطيل و ارتقوا مرتقى صعبا حضا تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم راموا إقامه الإمام بعقول حائره بائره ناقصه و آراء مضله فلم يزدادوا منه إلا بعدا قاتلهم الله أنى يؤفكون؟ لقد راموا صعبا و قالوا إفكا و ضلّوا ضلّالا بعيدا و وقعوا فى الحيره

ص: ١٠٥

إذ تركوا الإمام عن بصيره و زين لهم الشيطان أعمالهم و صدّهم عن السبيل و كانوا مستبصرين رغبوا عن اختيار الله و اختيار رسوله إلى اختيارهم و القرآن يناديهم «و رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » و قال عزّ و جلّ «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » و قال عزّ و جلّ «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ سَيَلَّهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ » و قال عزّ و جلّ: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»، أم طبع الله «على قلوبهم فهم لا يفقهون»، أم قالوا «سمعنا و هم لا يسمعون»، «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ»، و «قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا»، بل هو «فَضَّلَ اللَّهُ يُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

فكيف لهم باختيار الإمام و الإمام عالم لا- يجهل راع لا- ينكل معدن القدس و الطهارة و النسك و الزهاده و العلم و العبادة مخصوص بدعوه الرسول و هو نسل المطهره البتول لا مغمز فيه فى نسب و لا يدانيه ذو حسب فى البيت من قريش و الذروه من هاشم و العتره من الرسول و الرضا من الله شرف الأشراف و الفرع من عبد مناف نامى العلم كامل اللحم مضطلع بالإمامه عالم للسياسه مفروض الطاعه قائم بأمر الله ناصح لعباد الله حافظ لدين الله.

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأَئِمَّةَ يُوَفِّقُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَ حِلْمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ غَيْرُهُمْ فَيَكُونُ عَلَيْهِمْ «عِلْمُهُمْ ظ» فوق كلّ أهل زمانهم فى قوله جلّ و عزّ «فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » و قوله جلّ و عزّ «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» و قوله عزّ و جلّ فى طالوت «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » و قال عزّ و جلّ لنبىه صلى الله عليه و آله «وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا». و قال عزّ و جلّ فى الأئمة من أهل بيته و عترته و ذريته «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ

«آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا».

و أنَّ العبد إذا اختاره الله عزَّ و جلَّ لأمور عبادته شرح صدره لذلك و أودع قلبه يتابع الحكمة و ألهمه العلم الهاما فلم يعى بعده بجواب و لا- يحير فيه عن الصواب و هو معصوم مؤيد موفق مسدد قد أمن الخطايا و الزلل و العثار و خصه الله بذلك ليكون حجته على عبادته و شاهده على خلقه و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

فهل يقدررون على مثل هذا فيختاروه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدموه تعدوا و بيت الله الحق و نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون و فى كتاب الله الهدى و الشفاء فنبذوه و اتبعوا أهوائهم فذمهم الله و مقتهم أنفسهم فقال عزَّ و جلَّ «وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » و قال:

«فَتَعَسَّأَ لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» و قال عزَّ و جلَّ «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ».

انتهى الحديث الشريف.

«الأئمة بعد الرسول صلى الله عليه و آله هم آله عليهم السلام لا غير»

الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه و آله بلا فصل هو علي بن أبي طالب و بعده ابنه الحسن بن علي بن أبي طالب المجتبى و بعده اخوه الحسين بن علي سيد الشهداء ثم ابنه علي ابن الحسين زين العابدين ثم ابنه محمد بن علي باقر علوم النبيين ثم ابنه جعفر بن محمد الصادق ثم ابنه موسى بن جعفر الكاظم ثم ابنه علي بن موسى الرضا ثم ابنه محمد بن علي الجواد التقى ثم ابنه علي بن محمد النقى الهادى ثم ابنه الحسن ابن علي العسكري ثم ابنه الإمام القائم المنتظر الحجة بن الحسن عليهم السلام.

و يدل عليه وجوه من الأدلة العقلية و النقلية فقد قدمنا البحث عنها و لا تنطبق إلا عليهم سلام الله عليهم و أما النقلية فكثير من الايات و الأخبار

ص: ١٠٧

المتواتره عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَظُهُورَ مُعْجَزَاتِ كَثِيرَةٍ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَقِيبَ ادْعَائِهِمُ الْإِمَامَهُ مِمَّا أَتَى بِهَا مُتَكَلِّمُو الشَّيْعَةِ فِي كُتُبِهِمُ الْكَلَامِيَّةِ وَرَوَاهَا فِرْقُ الْمُسْلِمِينَ فِي آثَارِهِمْ وَأَسْفَارِهِمُ الْقِيَمَةِ وَالتَّعَرُّضَ بِذِكْرِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَالنَّقْلَ عَنْ مَا خَذَهَا وَتَقْرِيرَ دَلَالَتِهَا عَلَى التَّفْصِيلِ وَالبَسْطِ يُوْدِي إِلَى تَأْلِيفِ مُجَلَّدَاتٍ عَلَيْهِ وَنَحْنُ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى نَحْرِرُهَا مُوجِزَةً فِي أَبْحَاثِنَا الْآتِيَةِ، وَآنُمَا الْأَهَمُّ مِنْ غَرَضِنَا فِي الْمَقَامِ أَقَامَهُ الْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ فِي وَجُودِ الْإِمَامِ وَ قَدْ أَتَيْنَا بِطَائِفَةٍ مِنْهَا فِي ضَمَنِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ الَّتِي فِي أَوْصَافِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِيَزِدَادَ الطَّالِبُ لِلْحَقِّ بِصِيرِهِ.

و لَكِنْ لَمَّا كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَفَ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَنَّهُمْ عِيشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ وَ أَنَّهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَ غَيْرَهَا مِنَ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْخُطْبِ السَّابِقَةِ فَلَنَذْكُرُ نَبْذَةً مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَ شَرِذْمَهُ مِنْ آثَارِهِمْ كَيْ يَكُونَ أَنْمُودَجًا لِلطَّالِبِ فِي أَنْوَارِ عُلُومِهِمْ وَ عَظَمِ مَقَامِهِمْ وَ إِنْ كَانَتْ عَقُولُنَا قَاصِرَةً عَنْ اكْتِنَاهُ مَا جَبَلَ فِي نَفُوسِهِمُ الْقُدْسِيَّةِ وَ الْارْتِقَاءَ إِلَى مَرْتَبَتِهِمُ الْعَرْشِيَّةِ وَ نَعَمْ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْعَارِفُ الرُّومِيُّ بِالْفَارَسِيَّةِ.

در نیابد حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید و السلام

و فِي الْحَقِيقَةِ مَدَحُنَا إِيَّاهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ رَاجِعٌ إِلَيْنَا اَعْنَى أَنَا إِذَا مَدَحْنَاهُمْ مَدَحُنَا أَنْفُسَنَا لِأَنَّا نَخْبِرُ عَنْ حَسَنِ سِرِّرَتِنَا وَ طِيبِ سَجِيَّتِنَا وَ سَلَامَةِ عَيْنِ بَصِيرَتِنَا كَالَّذِي يَمْدَحُ الشَّمْسُ يَخْبِرُ عَنْ شِدَّةِ نَوْرِ بَصَرِهِ وَ سَلَامَةِ عَيْنِهِ وَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَا يَحِبُّنَا إِلَّا مُؤْمِنٌ تَقَى وَ لَا يَبْغِضُنَا إِلَّا مُنَافِقٌ شَقَى. وَ نَعَمْ مَا قَالَ الْعَارِفُ الْمَذْكُورُ أَيْضًا:

مادح خورشید مدّاح خود است که دو چشمش روشن و نامرمد است

ذمّ خورشید جهان ذمّ خود است که دو چشمش کور و تاریک و بد است

تو ببخشا بر کسی کاندلر جهان شد حسود آفتاب کامران

تا ندش پوشید هیچ از دیده ها و ز طراوت دادن پوشیده ها

یا ز نور بی حدش تانند کاست یا بدفع جاه او تانند خاست

نور مردان مشرق و مغرب گرفت آسمانها سجده کردند از شگفت

هر کسی کو حاسد کیهان بود آن حسد خود مرگ جاویدان بود

ص: ۱۰۸

شمع حق را پف کنی تو ای عجز هم تو سوزی هم سرت ای گنده پوز

کی شود دریا ز پوز سگ نجس کی شود خورشید از پف منطمس

مه فشانند نور و سگ عوعو کند هر کسی بر خلقت خود می تند

ای بریده آن لب و حلق و دهان که کند تف سوی ماه آسمان

سوی گردون تف نیابد مسلکی تف برویش باز گردد بی شکی

تا قیامت تف بر او بارد ز ربّ همچو تبّ بر روان بو لهب

و کذا قال العارف الجامی فی الدفتر الأوّل من سلسله الذهب.

مادح اهل بیت در معنی مدحت خویشان کند یعنی

مؤمنم موقنم خدای شناس وز خدایم بود امید و هراس

از کجیها در اعتقادم پاک نیست از طعن کج نهادم پاک

دوستدار رسول و آل ویم دشمن خصم بد سگال ویم

جوهر من ز دکان ایشانست رخت من از دکان ایشانست

إلی أن قال:

این نه رفض است محض ایمان است رسم معروف اهل عرفانست

رفض اگر هست حبّ آل نبی رفض فرض است بر ذکی و غبی(۱)

«الإمام الأول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»

و اعلم أنّ تلك الأوصاف المذكورة في الخطب لا تصدق حقيقته إلا على آل محمّد صلّى الله عليه وآله والمراد باله ليس مطلق من صحبه أو عاصره أو عاش معه لأنّ الضرورة قاضيه على خلافه فانا لو نظرنا في صحابه الرسول صلّى الله عليه وآله و سبرناهم لوجدنا بعد

١- (١) - بيت العارف الجامي كانما يشير إلى ما قال الشافعي: قالوا: ترفضت، قلت: كلاما الرفض ديني و لا اعتقاديلكن توليت
غير شكخير امام و خير هادان كان حب الوصى رفضافانني أرفض العباد

النبي صَلَّى الله عليه وآله من كان وجوده حياه العلم و حياته دعامه الاسلام و من ازاح الباطل و ابطل المناكير و أعاد الحق إلى حده و مستقره، هو أمير المؤمنين علي عليه السلام لا غير فإن الكل متفق على أنه عليه السلام كان أفضل الصيحابه في جميع الكمالات النفسانيه و البدنيه و ما طعن أحد في حكمه و فعله و قوله و علمه و صدرت من غيره عليه السلام ما لو لا علي عليه السلام لمحق الدين و هلك الناس كما اذعن الجميع بها و نقلها رواه السنه في جوامعهم و كان المسلمون عند حدوث معضل يضربون به المثل بقولهم:

قضيه لا أبا حسن لها.

قال القاضي العضد الايجي الشافعي في مبحث الإمامه من المواقف: علي اعلم الصحابه لأنه كان في غايه الذكاء و الحرص على التعلم و محيّد علي عليه وآله اعلم الناس و أحرصهم على ارشاده و كان في صغره في حجره و في كبره ختنا له يدخل عليه كل وقت و ذلك يقتضي بلوغه في العلم كل مبلغ، و أما أبو بكر فاتصل بخدمته في كبره و كان يصل إليه في اليوم مره أو مرتين و لقوله صَلَّى الله عليه وآله: أفضاكم علي، و القضاء يحتاج إلى جميع العلوم و لقوله تعالى «وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعِيَةٌ» و أكثر المفسرين على أنه علي و لأنه نهى عمر عن رجم من ولدت لسته أشهر و عن رجم الحامله فقال عمر: لو لا علي لهلك عمر، و لقول علي عليه السلام لو كسرت لى الوساده ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراه بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بانجيلهم و بين أهل الزبور بزبورهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم، و قوله عليه السلام و الله ما من آيه نزلت في بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلا أنا أعلم فيمن نزلت و في أى شيء نزلت، و لأن عليا عليه السلام ذكر في خطبه من أسرار التوحيد و العدل و النبوه و القضاء و القدر ما لم يقع مثله في كلام الصحابه، و لأن جميع الفرق ينتسبون إليه في الاصول و الفروع و كذا المتصوفه في علم تصفيه الباطن و ابن عباس رئيس المفسرين تلميذه و كان في الفقه و الفصاحه في الدرجه القصوى، و علم النحو انما ظهر منه و هو الذي أمراً بالأسود الدثلي بتدوينه و كذا علم الشجاعه و ممارسه الأسلحه و كذا علم الفتوه و الأخلاق. إلى آخر ما قال فراجع..

ص: ١١٠

و فى الكافى بإسناده إلى أبان بن أبى عيَّاش عن سليم بن قيس الهلالي فى ذيل خطبه نقل صدرها الرضى رضوان الله عليه فى نهج البلاغه (الخطبه ٢٠٨) و وعدنا نقل الذيل قبيل هذا، عنه عليه السلام: و قد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه و آله كل يوم دخله و كل ليله دخله فيخلىنى فيها أدور معه حيث دار و قد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيرى فربما كان فى بيتى يأتينى رسول الله صلى الله عليه و آله أكثر ذلك فى بيتى و كنت إذا دخلت عليه بعض منازلہ أخلانى و أقام عنى نساءه فلا يبقى عنده غيرى و إذا أتانى للخلوه معى فى منزلى لم يقم عنى فاطمه و لا أحدا من بنى و كنت إذا سألتہ أجابنى و إذا سكَّت عنه و فنيت مسألى ابتدأنى فما نزلت على رسول الله آيه من القرآن إلا أقرأنيها أو أملاها على فكتبتها بخطى و علمنى تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابها و خاصها و عامها و دعى الله أن يعطينى فهمها و حفظها فما نسيت آيه من كتاب الله تعالى و لا علما أملاها على و كتبته منذ دعا الله لى بما دعا و ما ترك شيئا علمه الله من حلال و لا حرام و لا أمر و لا نهى كان أو يكون و لا كتاب منزل على أحد قبله من طاعه أو معصيه إلا أعلمنيه و حفظته فلم أنس حرفا واحدا ثم وضع يده على صدرى و دعى الله لى أن يملأ قلبى علما و فهما و حكما و نورا فقلت يا رسول الله بأبى أنت و أمى منذ دعوت الله لى بما دعوت لم أنس شيئا و لم يفتنى شيئا لم أكتبه. أفتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك النسيان و الجهل.

و أيضا كتبه و رسائله و خطبه و حكمه من أوضح البراهين على ذلك و قد تحيرت فى بعضها العقول و خضعت له افكار الفحول لاشتغالها على اللطائف الحكميه و المباحث العقليه و المسائل الالهيه فى توحيد الله و صفاته عز اسمه و لم ينقل لأحد من كبار الصحابه و فصحاءهم و لا من العرفاء الشامخين و الحكماء المتألهين نحو خطبه واحده منها لا لفظا و لا معنى بل كلهم عيال له و كفى ببطل العلم فخرا ان يتناول من مآدبته و يرتوى من مشرع فصاحته.

و هذا هو عبد الحميد الذى قال فيه ابن خلّكان فى وفيات الأعيان: أو غالب

عبد الحميد بن يحيى بن سعيد الكاتب البليغ المشهور كان كاتب مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني أمية و به يضرب المثل في البلاغه حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد و ختمت بابن العميد و كان في الكتابه و في كل فن من العلم و الأدب إماما و عنه أخذ المترسلون و لطريقته لزموا و لا ثاره اقتفوا و هو الذي سهل سبيل البلاغه في الترسل و مجموع رسائله مقدار ألف ورقه و هو أول من اطلال الرسائل و استعمل التحييدات في فصول الكتاب فاستعمل الناس ذلك بعده - قال: حفظت سبعين خطبه من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت، و يعنى بالأصلع أمير المؤمنين عليا عليه السلام.

و هذا هو ابن نباته قائل الخطبه المناميّه - الذي قال فيه ابن خلكان:

أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباته صاحب الخطب المشهوره كان إماما في علوم الأدب و رزق السعاده في خطبه التي وقع الاجماع على أنه ما عمل مثلها و فيها دلالة على غزاره علمه و جوده قريحته - قال: حفظت من الخطابه كنز لا يزيد الانفاق الا سعه و كثره حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب.

و هذا هو الحكيم البارع الالهى المولى صدرا قدس سره تمسك في الفصل الثالث من الموقف الثاني من المجلد الثالث من الأسفار الأربعة المعنون بقوله في تحقيق القول بعيته الصفات الكمالية للذات الأحديّه - بقوله عليه السلام في نفى المعانى و الصفات الزائده عن ذاته تعالى، فقال:

و قد وقع في كلام مولانا و إمامنا مولى العارفين و إمام الموحدين ما يدل على نفى زياده صفات الله تعالى بأبلغ وجه و أكد حيث قال عليه السلام في خطبه من خطبه المشهوره: أول الدين معرفته، و كمال المعرفة التصديق به، و كمال التصديق به توحيده و كمال التوحيد الاخلاص له، و كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه بشهادة كل صفة أنّها غير الموصوف و شهاده كل موصوف أنّه غير الصفة فمن وصفه سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزاه، و من جزاه فقد جهله، و من أشار

ص: ١١٢

إليه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه، و من قال فيم فقد ضمّنه، و من قال عليم فقد أخلّى عنه.

انتهى كلامه المقدّس على نبينا و عليه و آله السّلام و الاكرام و هذا الكلام الشريف مع وجاهته متضمن لأكثر المسائل الالهيه ببراهينها و لنشر إلى نبذ من بيان أسرارّه و أنموذج من كنوز أنواره. ثمّ نشرحه في ذلك الفصل بما تيسّر له من فهم أسرار كلماته عليه السّلام.

و لله درّ من قال: إنّ كلامه عليه السّلام دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين و كأنّ روح القدس نفث في روع الشريف الرّضى رضى الله عنه أن سمّى ما جمعه من كلامه عليه السّلام بنهج البلاغه.

و هذا هو خصمه النّاصب و محاربه المعاند الجاحد و عدوّه و مبغضه الذي يجتهد في وصمه و يلعنه على المنابر و أمر الناس بلعنه امام الفئه الباغيه معاويه بن أبى سفيان قال لعبد الله بن أبى محجن الثقفي لما قال له انّى أتيتك من عند الغبىّ الجبان البخيل ابن أبى طالب، فقال معاويه: لله أنت! أ تدرى ما قلت؟ أمّا قولك: الغبىّ، فو الله لو أنّ ألسن النّاس جمعت فجعلت لسانا واحدا لكفاهها لسان على؛ و أمّا قولك: إنّ جبان، فثكلتك امّك، هل رأيت أحدا قطّ بارزه إلّا قتله؟ و أمّا قولك: إنّ بخيل فو الله لو كان له بيتان أحدهما من تبر و الاخر من تبّن لأنفد تبره قبل تبّنه. فقال الثقفى. فعلام تقاتله إذا؟ قال: على دم عثمان، و على هذا الخاتم الذى من جعله فى يده جازت طينته و اطعم عياله و ادّخر لأهله. فضحك الثقفى ثمّ لحق بعلىّ فقال: يا أمير المؤمنين هب لى يدي بجرمى لا- دنيا أصبت و لا آخره. فضحك علىّ عليه السّلام ثمّ قال: أنت منها على رأس امرك و إنّما يأخذ الله العباد بأحد الأمرين «نقله ابن قتيبه الدينورى فى الإمامه و السياسه».

و قال ابن حجر فى صواعقه: أخرج أحمد أن رجلا سأل معاويه عن مسأله فقال: سل عنها عليّا فهو أعلم، قال: جوابك فيها أحب إلّى من جواب علىّ قال:

بئس ما قلت لقد كرهت رجلا- كان رسول الله يغره بالعلم غرّا و لقد قال له: أنت منّى بمنزله هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدى و كان عمر إذا أشكل عليه شيء

ثم إن قولنا و ما طعن فيه أحد مما شهد له المخالف و الموالف و إن كان الخصم ربما يشتمه و يسبه كشم الوطواط الشمس. و من الشواهد في ذلك ما كتبه المورخون و الرواه و المحدثون خلفا عن سلف ان اناسا لما اجتمعوا و تبادروا إلى ولايه الأمر و اتفق لأبى بكر ما اتفق و بدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفا من إدراك على عليه السلام الأمر لم يجدوا فيه عليه السلام مطعنا و لا مغمزا إلا- عابوه بالدعابه فاستمسكوا بها في منعه عليه السلام عن الخلافه و ممن أتى بما قلنا الفاضل الشارح ابن أبى الحديد المعتزلى فى الموضوعين من مقدمه شرحه على نهج البلاغه حيث قال فى سجاحه اخلاقه عليه السلام (ص ٦ ج ١ طبع الطهران ١٣٠٤): و أمّا سجاحه الأخلاق و بشر الوجه و طلاقه المحيا و التبسم فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك اعداؤه قال عمرو بن العاص لأهل الشام: أنه ذو دعابه و قال على عليه السلام فى ذاك: عجا لابن النابغه يزعم لأهل الشام ان فى دعابه و انى امرؤ تلعبه اعافس و امارس، و عمرو بن العاص أنما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله لما عزم لاستخلافه: لله أبوك لو لا دعابه فيك، إلا ان عمر اقتصر عليها و عمرا زاد فيها و سمجها.

ثم قال (ص ١١ منه): و أمير المؤمنين عليه السلام كان أشجع الناس و أعظمهم اراقه للدم و أزهدهم و أبعد الناس عن ملاذ الدنيا و أكثرهم وعظا و تذكيرا بأيام الله و مثلاته و أشدهم اجتهادا فى العباده و ادابا لنفسه فى المعامله و كان مع ذلك ألطف العالم أخلاقا و أسفرهم وجهها و أكثرهم بشرا و أوفاهم هشاشه و بشاشه و أبعدهم عن انقباض موحش أو خلق نافر أو تجهّم مباعدا أو غلظه و فظاظه تنفر معهما نفس أو يتكدر معهما قلب حتى عيب بالدعابه و لما لم يجدوا فيه مغمزا و لا- مطعنا تعلقوا بها و اعتمدوا فى التنفير عليها. مصرع: و تلك شكاه طاهر عنك عارها. انتهى ما اردنا من نقل كلامه.

بعد الصفح عن الاثار الباقية عن على عليه السلام الداله على علوّ رتبته و رفعه منزلته بحيث لم يسبقه الأولون و لا يدركه الآخرون علما و حكمه و زهدا و معرفه بالله، نجد روايات متواتره متضافره عن النبى صلى الله عليه و آله منقوله من جوامع الفريقين مما لا تحصى كثره و كذا آيات كثيره قرآنيه فى أنّه عليه السلام خليفه رسول الله بلا فصل و وصيه و أخوه و انه أفضل من غيره و اعلم الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و باب مدينه العلم و أنّه من رسول الله بمنزله هارون من موسى إلا أنّه لا نبى بعده و أنّه قاضى دينه صلى الله عليه و آله «بكر الدال» و أنّه وليّ كلّ مؤمن و مؤمنه من بعده صلى الله عليه و آله و أنّه نفس رسول الله و أن الله أذهب عنه الرجس و طهره تطهيرا و غيرها ممّا دوّنت لها و لضبط طرقها و اسانيدھا كتب مفصله عليّ حده ملأت الافاق فهو عليه السلام عيش العلم و دعامة الاسلام

الإمام الثانى و الثالث

سبطا رسول الله صلى الله عليه و آله و ريحانتاه و سيّدا شباب أهل الجنّة الحسن و الحسين سلام الله عليهما. قال ابن الأثير فى اسد الغابه فى معرفه الصحابه و كذا فى كثير من كتب جوامع الفريقين و التفاسير العديده بالأسانيد الكثيره و الطرق المتضافره: نزلت هذه الايه على النبى صلى الله عليه و آله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» فى بيت ام سلمه فدعا النبى صلى الله عليه و آله فاطمه و حسنا و حسينا فجلّلهم بكساء و على خلف ظهره ثم قال: هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا قالت ام سلمه: و أنا معهم يا رسول الله؟ قال: أنت على مكانك أنت إلى خير.

ثم قال ابن الأثير: بإسناده عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله إننى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتى أهل بيتى و لن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

و فيه عن البراء قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله واضعا الحسن بن على على عاتقه و هو يقول: اللهم إننى احبّه فأحبّه.

و فيه عن يعلى بن مره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسين منى و أنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط.

و فيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله سمي الحسن و الحسين و المحسن بأسماء ولد هارون شبر و شبير و مشبر.

أقول: فى هذا الحديث إشاره إلى قوله صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام أنت منى بمنزله هارون من موسى.

و روى الشيعة عنه صلى الله عليه وآله متواتراً: انه قال للحسين عليه السلام: هذا ابنى إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمه تسعة تاسعهم قائمهم.

و الأحاديث المنقوله عن النبى صلى الله عليه وآله من الفريقين مشتركه فيهما و منفرده فى كل واحد منها الداله على امامتها و فضلها على غيرهما و أنّهما على الحق حيث دارا و دار مما لا تحصى كثره.

الإمام الرابع

هو سيد الساجدين و زين العابدين و قدوه السالكين و الزاهدين امام الثقلين ذو الثغفات أبو الحسن على بن الحسين صلوات الله عليهما خلف عليه السلام كتاباً جذب عقول الحكماء المتألهين إلى دقائق حقائقه و شحذ افكار العلماء الشامخين فى درك أسرار لطائفه فغاصوا فى بحار معانيه لاقتناء درره و شمروا عن ساق الهمه لاجتناء ثمره فنالتهم العائده من تلك المائده الالهيه بقدر الوسع و القابليه ألا و هو زبور آل محمد و انجيل أهل البيت الصحيفه الكامله السجاديّه. أ رأيت هل تيسر لأحد من العلماء المتبحرين فى الفنون العديده أن يحذو حذوه عليه السلام فى أداء تلك المعانى الجزيله بتلك العبارات الوجيزه الجميله و هل تجد لأسلافنا الماضين من غير بيت الال من نسج المعانى بالألفاظ على ذلك المنوال؟ و لعمري و ما عمري على بهين لو أعيد عبد الحميد و عوضد بابن العميد على أن يأتى بمثل دعاء منها لرأيت أنه لا يلوم إلا نفسه و لا يروم إلا رسمه.

و لله درّ الحكيم البارع و العالم الجامع المتضلّع فى الفنون العلميه صاحب

ص: ١١٦

الكتب القيمه صدر الدين المدني على بن أحمد نظام الدين الحسيني الحسنی حيث قال في مقدمه شرحه على صحيفه سيد الساجدين الموسوم برياض السالكين:

و اعلم أن هذه الصحيفه الشريفه عليها مسحه من العلم الالهى و فيها عقبه من الكلام النبوى كيف لا و هى قبس من نور مشكاة الرساله و نفحه من شميم رياض الإمامه حتى قال بعض العارفين: إنها تجرى مجرى التنزيلات السماويه و تسير مسير الصحف اللوحيه و العرشيّه لما اشتملت عليه من أنوار حقائق المعرفه و ثمار حقائق الحكمه و كان اخيار العلماء وجهها بذ القدماء من السلف الصالح يلقبونها بزبور آل محمد و انجيل أهل البيت، قال الشيخ الجليل محمد بن على بن شهر آشوب في معالم العلماء في ترجمه المتوكل بن عمير: روى عن يحيى بن زيد بن على عليه السلام دعاء الصحيفه و تلقب بزبور آل محمد. ثم قال: و أما بلاغه بيانها فعندها تسجد سحره الكلام و تدعن بالعجز عنها مداره الأعلام و تعترف بأن النبوه غير الكهانه و لا يستوى الحقّ و الباطل في المكانه و من حام حول سمائها بغاسق فكره الواقب رمى من رجوم الخذلان بشهاب ثاقب حكى ابن شهر آشوب في مناقب آل أبى طالب عليه السلام ان بعض البلغاء بالبصره ذكرت عنده الصحيفه الكامله فقال: خذوا عني حتى املئ عليكم مثلها فأخذ القلم و أطرق رأسه فما رفعه حتى مات، و لعمرى لقد رام شططا فنال سخطا. انتهى ما اردنا من نقل كلامه.

«كلام طنطاوى صاحب التفسير فى الصحيفه السجديه»

قال بعض علمائنا المعاصرين فى مقدمته على صحيفه سيد الساجدين (ص كح طبع طهران عاصمه ايران ١٣٦١ هـ): و إننى فى سنه ١٣٥٣ هـ بعثت نسخه من الصحيفه الشريفه إلى العلامة المعاصر الشيخ جوهرى طنطاوى صاحب التفسير المعروف مفتى الاسكندريه ليطلبها فكتب إلى من القاهره وصول الصحيفه و شكر لى على هذه الهديه السنيّه و أطرى فى مدحها و الثناء عليها - إلى أن قال: و من الشقاء أننا إلى الان لم نقف على هذا الأثر القيم الخالد من موارث النبوه و أهل البيت و إننى كلما تأملتها رأيتها فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق - إلى آخر ما قال:

ص: ١١٧

ثم سأل عنى هل شرحها أحد من علماء الاسلام فكتبت اليه أسامى من شرحه ممن كنت أعلم به وقدمت لسماحته رياض السالكين للسيد عليخان و كتب فى جواب وصوله إتنى مصمم و مشمر الذيل على أن أكتب شرحا على هذه الصحيفة العزيزه.
انتهى.

«كلام محيى الدين الاعرابى (او المغربى) فيه عليه السلام»

قال فى المناقب: صلوات الله و ملائكته و حملة عرشه و جميع خلقه من أرضه و سمائه على آدم أهل البيت، المنزه عن كيت و ما كيت، روح جسد الإمامه، شمس الشهامه، مضمون كتاب الابداع، حلّ تعميه الاختراع سرّ الله فى الوجود، إنسان عين الشهود، خازن كنوز الغيب مطلع نور الإيمان كاشف مستور العرفان، الحجه القاطعه، و الدرہ اللامعه، ثمره شجره طوبى القدسيه، ازل الغيب و أبد الشهاده، السرّ الكلّ فى سرّ العباده، وتد الأوتاد و زين العباد، إمام العالمين، و مجمع البحرين، زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام.

«كلام محمد بن طلحه الشافعى فيه عليه السلام»

هذا زين العابدين و قدوه الزاهدين و سيد المتقين و امام المؤمنين، شتمته يشهد له أنه من سلاله رسول الله، و سمته يثبت مقام قربه من الله زلفى، و ثفناته يسجل بكثره صلاته و تهجده، و اعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده، درت له أخلاق التقوى فيعوقها، و اشرفت لربه أنوار التاييد فاهتدى بها، و ألقته أوراد العباده فانس بصحبته، و خالفته وظائف الطاعه فتحلى بحليتها، طالما اتخذ الليل مطيه ركبها لقطع طريق الاخره، و ظماء هواء حرّ دليلا استرشد به فى مفاز المسافره، و له من الكرامات و خوارق العادات ما شوهد بالأعين الباصره، و ثبت بالاثار المتواتره، و شهد له أنه من ملوك الاخره.

قال أحمد بن خلّكان فى وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان فى ترجمته عليه السلام:

أبو الحسن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام المعروف بزين العابدين و يقال له: على الأصغر و ليس للحسين عقب إلا من ولد زين العابدين هذا و هو أحد الأئمه

الاثنا عشر و من سادات التابعين، قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه، و كان يقال لزین العابدین علیه السّلام ابن الخیرین لقوله صلّى الله عليه و آله: لله تعالى من عباده خیرتان خیرته من العرب قریش و من العجم فارس. و ذکر أبو القاسم الزمخشري فی کتاب ربيع الأبرار أن الصحابه لما أتوا المدينه بسبی فارس فی خلافه عمر بن الخطاب كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد أيضا فباعوا السبايا و أمر عمر ببيع بنات يزدجرد فقال له عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: ان بنات الملوك لا يعاملن معامله كغيرهنّ من بنات السوقه، فقال: كيف الطريق إلى العمل معهنّ؟ قال: يقوّمن و مهما بلغ من ثمنهنّ قام به من يختارهنّ فقوّمن فأخذهنّ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام فدفّع واحده لعبد الله بن عمر و الأخرى لولده الحسين و الأخرى لمحمّد بن أبي بكر فأولد عبد الله أمته ولده سالما و أولد الحسين أمته زين العابدين عليه السّلام و اولد محمّد أمته القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خاله و أمهاتهم بنات يزدجرد.

ثمّ قال: و حكى المبرّد في كتاب الكامل ما مثاله يروى عن رجل من قریش لم يسمّ لنا قال: كنت أجالس سعيد بن المسيّب فقال لى يوما: من أخوالك؟ فقلت: امى فتاه فكأنى نقصت فى عينه فامهلت حتّى دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلما خرج من عنده قلت: يا عم من هذا؟ فقال: يا سبحان الله العظيم أتجهل مثل هذا هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر، قلت: فمن أمّه؟ فقال فتاه، قال: ثمّ أتاه القاسم بن محمّد بن أبي بكر الصديق فجلس عنده ثمّ نهض قلت: يا عمّ من هذا؟ قال: أتجهل من أهلك مثله ما أعجب هذا هذا القاسم بن محمّد ابن أبي بكر قلت: فمن أمّه قال: فتاه فامهلت شيئا حتّى جاءه عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام فسلم عليه ثمّ نهض قلت: يا عمّ من هذا فقال: هذا الذى لا يسع مسلما أن يجهله هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام فقلت:

من أمّه؟ فقال: فتاه فقلت: يا عم رأيتنى نقصت من عينك حين قلت لك: امى فتاه أ فما بالى بهؤلاء اسوه قال فجلّلت فى عينه جدّا.

ثمّ قال: و كان زين العابدين كثير البرّ بأمّه حتّى قيل له: إنك من أبرّ

النَّاسَ بِأَمِّكَ و لَسْنَا نَرَاكَ تَأْكُلُ مَعَهَا فِي صَحْفِهِ فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَ يَدِي إِلَى مَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ عَيْنُهَا فَأَكُونَ قَدْ عَقَقْتُهَا. إِلَى أَنْ قَالَ: وَ فُضَائِلُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ وَ مَنَاقِبُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصُرَ. وَ كَانَتْ وَلَادَتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي بَعْضِ شُهُورِ سَنَةِ ٣٨ لِلْهِجْرَةِ وَ تُوُفِيَ سَنَةِ ٩٤ وَ قِيلَ ٩٩ وَ قِيلَ ٩٢ لِلْهِجْرَةِ بِالْمَدِينَةِ وَ دُفِنَ فِي الْبَقِيعِ فِي قَبْرِ عَمِّهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي الْقَبْرِ الَّتِي فِيهَا قَبْرُ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ إِنَّ لِفَارِسِ مِيدَانَ الشَّعْرِ سَجْبَانَ عَصْرَهُ أَبِي فَرَّاسَ هَمَامِ بْنِ غَالِبِ بْنِ الصَّعْصَعَةِ الْمَلَقَبِ بِالْفَرَزْدَقِ التَّمِيمِيِّ الْمَجَاشَعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي مَدْحِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَصِيدَهُ غَزَاءً بَلَّغَتْ فِي جَوْدِهِ أَلْفَظَهَا وَ عَذُوبَةِ مَعَانِيهَا غَايَةَ تَسْتَشْهَدُ بِأَبْيَاتِهَا الْأَدْبَاءُ وَ الْحَرِيُّ فِيهَا أَنْ يَقَالَ: إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحَكْمِهِ وَ إِنْ مِنَ الْكَلَامِ لِسِحْرَاءٍ، أَشَارَ فِيهَا إِلَى طَائِفَةٍ مِنْ عُلُوِّ رَتْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ سَمُوِّ دَرَجَتِهِ وَ شَرِّ ذِمِّهِ مِنْ مَنْزِلِهِ شَأْنُهُ وَ مَكَانِهِ أَمْرُهُ فِي وَاقِعِهِ اقْتَضَتْ ذَلِكَ كَمَا نَشِيرُ إِلَيْهَا، وَ أَتَى بِبَعْضِ أَبْيَاتِهَا أَبُو تَمَامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِي فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِالْحِمَاسَةِ (الْحِمَاسَةُ ٧٠٨) الَّتِي دَلَّتْ عَلَى غَزَاوِهِ فَضْلُهُ وَ اتِّقَانِ مَعْرِفَتِهِ بِحَسَنِ اخْتِيَارِهِ مَعْنُونًا بِقَوْلِهِ: وَ قَالَ الْفَرَزْدَقُ يَمْدَحُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّ أَبِي طَالِبَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مَبْتَدَأُ بِقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ: إِذَا رَأَتْهُ قَرِيشٌ قَالَ قَائِلُهَا، وَ بَعْدَهُ: هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبُطْحَاءُ، وَ بَعْدَهُ: يَكَادُ يَمْسُكُهُ، وَ بَعْدَهُ: أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ، وَ بَعْدَهُ:

بِكَفِّهِ خَيْرَانَ، وَ بَعْدَهُ يَغْضَى حَيَاءً، وَ خَتَمَ بِهِ. وَ كَذَا أَتَى بِعِشْرِينَ بَيْتًا مِنْهَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْأَغَانِي فِي تَرْجُمَةِ الْفَرَزْدَقِ (الْجُزْءُ التَّاسِعُ عَشَرَ ص ٤٠ طَبْعٌ سَاسِيٌّ) وَ كَذَا أَتَى بَعْدَهُ أَبْيَاتٌ مِنْهَا الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى عِلْمُ الْهَدْيِ فِي أَمَالِيهِ الْمَعْرُوفِ بِغُرْرِ الْفَوَائِدِ وَ دُرَرِ الْقَلَائِدِ، وَ كَذَا ذَكَرَ سَبْعًا وَ عِشْرِينَ مِنْهَا أَحْمَدُ بْنُ خُلَّكَانٍ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ عِنْدَ تَرْجُمَةِ الْفَرَزْدَقِ، وَ كَذَا غَيْرُهُمْ مِنْ كِبَارِ الْمُؤَلِّفِينَ وَ أَعَاضِمِ الْمُؤَرِّخِينَ وَ لَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِهِمْ لِأَنَّ الْقَضِيَّةَ بَلَّغَتْ فِي وَضُوحِهَا كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ وَ يَعَدُّ مِنْ مُتَوَاتِرَاتِ الْأَخْبَارِ وَ الْأَثَارِ.

وَ أَمَّا تِلْكَ الْوَاقِعَةُ الْمَوْعُودَةُ فَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْأَغَانِي: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ الْحَسَنِ الْهَاشِمِيُّ عَنْ حَيَّانَ بْنِ عَلِيٍّ الْعَنْزِيِّ عَنْ مَجَالِدٍ عَنْ

الشعبي قال: حجّ الفرزدق بعد ما كبر و قد أتت له سبعون سنه و كان هشام بن عبد الملك قد حجّ في ذلك العام فرأى عليّ بن الحسين في غمار النَّاس في الطواف فقال: من هذا الشاب اللّذى تبرق أسره وجهه كأنّه مرآه صيّته تترأى فيها عذارى الحيّ وجوهها؟ فقالوا: هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم فقال الفرزدق: هذا اللّذى تعرف البطحاء وطأته: إلى آخر ما أتى بها، و قال بعد نقل القصيده: فغضب هشام فحبسه بين مكّه و المدينه فقال:

أ تحبسنى بين المدينه و التّى إليها قلوب النَّاس يهوى منيها

تقلّب رأسا لم يكن رأس سيد و عينا له حواء باد عيوبها

فبلغ شعره هشاما فوجّه فأطلقه. و قال في ينابيع المودّه: و كان هشام أحول.

و قال ابن خلّكان في وفيات الأعيان في ترجمه الفرزدق: و تنسب إليه مكرمه يرجى له بها الجنّه و هى أنّه لما حجّ هشام بن عبد الملك في أيّام أبيه فطاف و جهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر لكثرة الزحام فنصب له منبر و جلس عليه ينظر إلى النَّاس و معه جماعه من أعيان أهل الشام فينما هو كذلك إذا أقبل زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنهم و كان من أحسن النَّاس وجهها و أطيبهم أرجا فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر تنحى له النَّاس حتّى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا اللّذى هابه النَّاس هذه الهيئه؟ فقال هشام: لا أعرفه مخافه أن يرغب فيه أهل الشام فيملكون، و كان الفرزدق حاضرا فقال: أنا أعرفه، فقال الشامى: من هو يا أبا فراس؟ فقال:

هذا اللّذى تعرف البطحاء - إلى آخر ما ذكر من ابيات تلك القصيده.

و نحن نذكر القصيده بتمامها تيّمنا بها و نشرح بعض ما يحتاج إليه بالتفسير و السؤال:

يا سائلى أين حلّ الجود و الكرم عندى بيان إذا طلا به قدموا

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم(١)

هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التقى النقى الطاهر العلم

هذا الذى أحمد المختار والده صلّى عليه إلهى ما جرى القلم(٢)

لو يعلم الركن من ذا جاء يلثمه لخزّ يلثم منه ما وطى القدم(٣)

هذا علىّ رسول الله والده أمست بنور هداه تهتدى الأمم(٤)

هذا الذى عمّه الطيار جعفر و المقتول حمزه ليث حبه قسم

هذا ابن سيّده النسوان فاطمه و ابن الوصى الذى فى سيفه سقم(٥)

إذا رأته قریش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم(٦)

ص: ١٢٢

١- (٢) قال المرزوقى فى شرحه: «هذا» يعنى على بن الحسين بن على صلوات الله عليه «الذى تعرف البطحاء وطأته» من بين وطأت الناس إذا مشوا عليها و فيها. و البطحاء: أرض مكة المنبطحه، و كذلك الأبطح و بيوت مكة التى هى للأشراف بالأبطح، و التى هى فى الروابى و الجبال للغرباء و أوساط الناس. انتهى و البيت بيت الله زاده الله شرفا. و الحرم حرمة و فى كتاب الحج من التهذيب للشيخ الطوسى باسناده عن زراره قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: حرم الله حرمة بريدا فى بريد. و الحل ما جاوز الحرم.

٢- (٤) لم يأت بهذا البيت أبو الفرج فى الأغانى و ابن خلكان فى وفيات الأعيان و كذا لم يذكر فى كثير من النسخ و انما أتى به المجلسى فى البحار و يوجد فى بعض النسخ أيضا و هو قريب من البيت السادس الذى يوجد فى النسخ غالبا فلا بعد أن يكون ملحقا بالقصيده

٣- (٥) و فى نسخه: من قد جاء يلثمه. لثمه من بابى ضرب و علم: قبله. خر: انكب على الأرض.

٤- (٦) الامم فاعل كلا الفعلين على سبيل التنازع. و فى نسخه مجالس المؤمنين للقاضى تهتدى الظلم. اى امست الامم أو الظلم تهتدى بنور هداه.

٥- (٨) فى نسخه: فى سيفه نغم.

٦- (٩) قال المرزوقى فى شرحه على الحماسه: فائده إلى فى قوله «إلى مكارم هذا» الانتهاء، و الجملة فى موضع المفعول لقال و المعنى ان الكريم إذا انتهى إلى درجه مكارم هذا وقف، لانها الغايه الساميه و المرتبه التى لا متجاوز منها إلى ما هو أعلى.

ينمى إلى ذروه العزّ التي قصرت عن نيلها عرب الاسلام و العجم (١)

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم (٢)

ص: ١٢٣

١- (١٠) فى نسخه الاغانى: ينمى إلى ذروه الدين التى قصر تعنها الاكف و عن ادراكها القدم ينمى على صيغه المجهول يائى اى ينسب و يسند إلى ذروه العز. و الذروه بالضم و الكسر: اعلى الشىء. عرب فاعل لقصرت و العجم عطف عليها. و تستعمل العرب مؤنثه على تأويل الأُمه و القبيله و الطائفه و نحوها كما يقال العرب العرباء و العاربه و العرب المستعربه و المتعربه. و العجم كالعرب.

٢- (١١) ركن الحطيم مرفوع على انه فاعل يمسكه. و عرفان مضاف منصوب على انه مفعول له اى يكاد يمسكه ركن الحطيم لامن عرف راحته. و الراحه هنا الكف جمعها الراح قال ابن جنى فى التنبيه: يجوز فى البيت اوجه: احدها نصب العرفان على انه مفعول له و رفع ركن الحطيم على انه فاعل يكاد، أو فاعل يمسكه عرفان راحته لركن البيت و يجوز رفعهما جميعا اى يكاد يمسكه أن عرف راحته ركن الحطيم فيرفع العرفان بيكاد أو يمسكه و يرفع ركن الحطيم بانه العارف و إذا نصبت عرفان راحته على انه مفعول له كنت مخيرا فى نصبه ان شئت بيكاد و ان شئت يمسكه و لا- يجوز نصب العرفان و الركن جميعا لثلا يبقى الفعل بلا فاعل. و الاستلام: تناول الحجر مشتق من السّلام بالكسر اى الحجر. و استلم الحجر لمسه اما بالقبلة أو باليد و لا يهمز لانه مأخوذ من السّلام و هو الحجر كما تقول استنوق الجمل و بعضهم يهمله كما قال الجوهري فى الصحاح. و الحطيم: كعليم قال المرزوقى: الجدار الذى عليه ميزاب الكعبه فكانه حطم بعض حجره. أقول: هذا سهو من المرزوقى و الصواب أن الحطيم هو ما بين الحجر الأسود و باب الكعبه زادها الله شرفا و عظمه. و لا يخفى ان الاستلام هو لمس الحجر الأسود كما دريت و بين ذلك الركن الذى فيه الحجر الأسود و بين الجدار الذى عليه ميزاب الكعبه بون بعيد فالقول بان من جاء للاستلام يكاد يمسكه الجدار الذى عليه ميزاب الكعبه مع كثره البعد..... بينهما و اختلاف جهتهما و عدم المناسبه بينهما ظاهر التهافت فبأى وجه يصح حمل الشعر عليه؟ و لعل منشأ سهوه ظاهر عباره الجوهري فى الصحاح حيث قال: قال ابن عباس: الحطيم الجدر يعنى جدار حجر الكعبه. و الحطيم و ان جاء فى تفسيره و تعيينه من البيت و جوه و لكن أهل البيت أدرى بما فى البيت ففى الكافى لثقه الاسلام الكلينى قدس سره باسناده عن الحسن بن الجهم قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السّلام عن افضل موضع فى المسجد يصلّى فيه؟ قال: الحطيم ما بين الحجر و باب البيت: قلت و الذى يلى ذلك فى الفضل؟ فذكر انه عند مقام إبراهيم صلّى الله عليه. الحديث. و فى من لا يحضره الفقيه للصدوق رضوان الله عليه: قال الصادق عليه السّلام: ان تهيا لك أن تصلّى صلواتك كلها الفرائض و غيرها عند الحطيم فافعل فانه أفضل بقعه على وجه الأرض و الحطيم ما بين باب البيت و الحجر الأسود و هو الموضع الذى فيه تاب الله على آدم. الحديث. و فى النهايه الأثيريه: يحطمكم الناس أى يدوسونكم و يزدحمون عليكم و منه سمى حطيم مكه و هو ما بين الركن و الباب. فالمراد من البيت انه عليه السّلام ابن رسول الله (صلّى الله عليه و آله) الذى شرف به هذه المواضع فهى عارفه به و إذا جاء الى المستلم يكاد يتمسك به الركن تمييزا لراحته عن راحه غيره. و فى البحار نقلا عن الخرائج: روى أن الحجاج بن يوسف لما خرب الكعبه بسبب مقاتله عبد الله بن الزبير ثم عمروها فلما اعيد البيت و أرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود فكلما نصبه عالم من علمائهم أوقاض من قضاتهم أو زاهد من زهادهم يتزلزل و يضطرب و لا يستقر

الحجر فى مكانه فجاءه على بن الحسين عليهما السّلام و أخذاه من أيديهم و سمى الله ثمّ نصبه فاستقر فى مكانه و كبر الناس و
لقد الهم الفرزدق فى قوله: يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

و ليس قولك: من هذا؟ بضائره(١) العرب تعرف من انكرت و العجم

ص: ١٢٤

١- (١٢) و ليس قولك من هذا؟ كما فى الروايه الاتيه المنقوله فى البحار عن الاختصاص لما أراد هشام أن يصغر منه قال: من هو؟ بضائره اى بضاره. و فى الصحاح: ضاره يضوره..... و يضيره ضيرا و ضورا أى ضره، قال الكسائى سمعت بعضهم يقول لا ينفعنى و لا يضورنى. العرب بضم الأول و سكون الثانى و العرب بفتحهما واحد و كذا العجم و العجم.

يغضى حياء و يغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يتسم (١)

فى كفّه خيزران ريحه عقب من كف أروع فى عرينه شمم (٢)

ص: ١٢٥

١- (١٣) هذا البيت مذكور أيضا فى جامع الشواهد، يغضى الأولى على صيغه المعلوم و الثانى على المجهول من الاغضاء يقال: فلان اغضى عينه إذا طبق جفنيها حتى لا يبصر. قال المرزوقى: قوله «يغضى حياء» أى لحيائه يغض طرفه فهو فى ملكته و كالمنخرل له، و «يغضى من مهابته» أى و يغضى معه مهابه له، فمن مهابته فى موضع المفعول له، كما أن قوله «حياء» انتصب لمثل ذلك و المفعول له لا يقام مقام الفاعل كما أن الحال و التمييز لا يقام واحد منهما مقام الفاعل، ثم قال: فان قيل: إذا كان الأمر على هذا فأين الذى يرتفع بيغضى؟ قلت: يقوم مقام فاعله المصدر كأنه قال: و يغضى الاغضاء من مهابته. و الدال على الاغضاء يغضى، كما أنك إذا قلت: سير بزيد يومين لك أن تجعل القائم مقام الفاعل المصدر كأنه قيل: سير السير بزيد يومين و هو أحد الوجوه التى فيه فاعلمه. انتهى ما اردنا من نقل كلامه. و كذا فى جامع الشواهد قال: يغضى بصيغه المجهول و نائب فاعله ضمير المصدر أى الاغضاء. أقول: لما كان الإغضاء ادناء الجفون فيغضى يدل فى كلا الموضعين على مفعوله اعنى الطرف و لما كان من مهابته لا يقوم مقام نائب الفاعل لعدم صحه المعنى حينئذ فيدل هو أيضا على أن نائب الفاعل محذوف و لا يكون ذلك الطرف الأول لانه لا يصح أن يقال فلان اغضى طرفه من مهابته بل يغضى طرف غيره من مهابته. و الفاء فى فما و يروى مكانه فلا للتعليل أيضا و يكلم بصيغه المجهول و ضميره يرجع اليه عليه السلام فمعنى البيت هو عليه السلام يغضى طرفه من حياؤه و يغضى طرف الناس من مهابته و لاجل مهابته لا يقدر أحد ان يتكلم معه (عليه السلام) إلا حين يتسم.

٢- (١٤) خيزران بفتح أوله و ضم ثالثه قال فى الصحاح: اسم شجر و هو عروق القناه و الجمع الخيازر و الخيزران القصب. قال المرزوقى فى شرح الحماسه: يعنى به المخصره.....يمسكها الملوك بأيديهم يتعشون بها. فى البحار: نقل كلام يناسب المقام فيه غرابه، قال الزمخشري فى الفائق: على بن الحسين (عليهما السلام) مدحه الفرزدق فقال: فى كفّه جهنى ريحه عقب، من كف أروع فى عرينه شمم. قال القتيبي: الجهنى: الخيزران و معرفتى هذه الكلمه عجيبه و ذلك ان رجلا من أصحاب الغريب سألنى عنه فلم أعرفه فلما أخذت من الليل مضجعى أتانى آت فى المنام ألا أخبرته عن الجهنى قلت: لم أعرفه قال: هو الخيزران فسألته شاهدا فقال: هديه طريفه فى طبق مجنه فهبيت و أنا أكثر التعجب فلم ألث إلا يسيرا حتى سمعت من ينشد: فى كفّه جهنى، و كنت أعرفه فى كفّه خيزران، انتهى. قال المرزوقى: قوله «ريحه عقب» إذا فتح الباء فمخرجه مخرج المصادر كأنه نفس الشئ؛ أو على حذف المضاف، و الأصل ذات عقب، و إذا كسرت فهو اسم الفاعل و معناه اللاصق بالشئ لا يفارقه. يريد ان رائحته تبقى فهى تشم الدهر من كف أروع، و هو الجميل الوجه. ثم قال: و الشمم: الطول. و العرين: الأنف و ما ارتفع من الأرض و أول الشئ و تجعل العرين كناية عن الأشراف و الساده و إذا قرن الشمم بالعرين او الأنف فالقصد إلى الكرم. لذلك قال حسان بن ثابت: بيض الوجوه كريمه أحسابهمشم الانوف من الطراز الأول انتهى ما قاله المرزوقى فى شرح هذا البيت. أقول: جعل العرايين كناية عن الاشراف و الساده مما لا كلام فيه قال الشاعر: ان العرايين تلقاها محسدهو لا ترى للناس حسادا و لكن الظاهر من قول الفرزدق «فى عرينه شمم» انه يصفه عليه السلام بانه جميل الوجه، حسن المحيا، صحيح الخلقه أشم الانف أى أقنى الانف ضيق المنخرين ليس بأفطس فان الفطسه عيب و عاهه و الحجج الالهيه سليمة عن العيوب و العاهات خلقا و دينا كما اشرنا اليه

قبل. قال الجوهري: الفطس بالتحريك: تطامن قصبه الأنف وانتشارها والرجل أفطس والاسم الفطسه لانه كالعاهه. و الشمم ارتفاع قصبه الأنف مع حسنها واستواء اعلاها وانتصاب..... الارنبه او ورود الأرنبه و حسن استواء القصبه و ارتفاعها او أن يطول الأنف و يدق و تسيل روثته فان ورود الأرنبه و شم العرنين دليل النجا به و هذا مراد من قال: العرب انما ينجح بالشمم نفا عن انفهم الفطس الذى يكون فى الزنج. و جاء فى وصف شمائل رسول الله صلى الله عليه و آله كما فى السيره الحليه (ص ٣٧١ ج ٣ طبع مصر) روايه انه (صلى الله عليه و آله) دقيق العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم و فسر الأشم فى السيره بقوله اى مرتفعاً. و فى الكافى لثقه الاسلام الكليني باسناده عن جابر قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: صف لى نبى الله صلى الله عليه و آله و سلم، قال عليه السلام: كان نبى الله (صلى الله عليه و آله) ابيض مشرب بالحمرة - إلى أن قال -: يكاد أنفه إذا شرب أن يرد الماء، الحديث و كنى باشراف أنفه ورود الماء عند شربه عن ستر رأسه المنخرين و ميله إلى قدام (كما فى الوافى ص ١٦٠ ج ٢) و عن عدم كونه كانف الزنج. و فى البحار للمجلسي رحمه الله (ص ١٠٧ ج ١١ الكمپانى) نقلا عن مناقب ابن شهر آشوب فى شمائل جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: كان الصادق عليه السلام ربع القامه أزهر الوجه حالك الشعر جعداً أشم الأنف. و فى كتاب سر الأدب فى مجارى كلام العرب المعروف بفقهِ اللغه تأليف أبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابورى فى الفصل السابع عشر فى اوصاف الأنوف المحموده و المذمومه: الشمم: ارتفاع قصبه الأنف مع استواء أعلاها. القنا: طول الأنف و دقه ارنبته و حذب فى وسطه. الفطس: تطامن قصبته مع ضخم ارنبته. إلى آخر ما قال. و أما ما استشهد به المرزوقى من بيت الحسان فهو ما جوزه الشريف علم الهدى فى أماليه (فى باب المعمرين فى ترجمه ذى الاصبع العدوانى) بعد ما احتمل ذلك المعنى الذى اخترناه. على ان الشم فى بيت الحسان جمع اشم و الاشم كما فى المعاجم: السيد ذو الانفه، و لأحد أن يدعى ان الشم إذا قرن بالانف فالقصد إلى الكرم لا الشمم بالعرنين و ذلك لان الانف نسب اليه الحميه و الغضب و العزه و الذله حتى قال الشاعر كما فى مفردات الراغب: إذا غضبت تلك الأنوف لم أرضهاو لم اطلب العتبي و لكن أزيدها و لذا قيل شمش فلان بأنفه للمتكبر، و ترب أنفه للذليل، و أنف فلان من كذا بمعنى استكف حتى قيل الانفه الحميه و لم ينقلوا للعرنين هذه المعانى مع أن مادته لا يحتملها فتأمل.

ينشقّ ثوب الدجى عن نور غرّته كالشمس تنجّاب عن اشراقها الظلم (١).

ما قال لا قطّ إلّا فى تشهده لو لا التشهد كانت لاؤه نعم

مشتقه من رسول الله نبعت طابت مغارسه و الخيم و الشيم (٢).

حمّال أثقال أقوام إذا فدحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعم (٣).

إن قال قال بما تهوى جميعهم و إن تكلم يوما زانه الكلم (٤).

ص: ١٢٨

١- (١٥) فى كثير من النسخ: ينشق نور الهدى عن نور غرته. و فى البحار: ينجّاب نور الهدى، و ما اخترناه مطابق الاغانى يقال: انجّاب الثوب إذا انشق و انجّابت السحابه إذا انكشفت و كذلك الظلم فى البيت.

٢- (١٧) نبعت اى أصله، يقال فلان من نبعه كريمه اى من أصل كريم. و فى عده النسخ: طابت عناصره. و المختار موافق للأغانى و المغارس واحد المغرس كالمجلس اى موضع الغرس. و الخيم بالكسر و سكّون الثانى: الطبيعه و السجيه. و الشيم بكسر الأول و فتح الثانى جمع الشيمه بالكسر فالكسر فالكسر: الطبيعه و الخلق أيضا.

٣- (١٨) فى الكافى كما فى ص ١٧٦ من الجزء الثانى من الوافى عن أبى عبد الله عليه السّلام - إلى أن قال -: و كان على بن الحسين عليهما السّلام يخرج فى الليله الظلماء فيحمل الجراب فيها الصرر من الدنانير و الدراهم حتى يأتى بابا بابا فيقرعه ثم ينيل من يخرج اليه فلما مات على بن الحسين عليهما السّلام فقدوا ذاك فعلموا أن عليا عليه السّلام كان يفعلوه و فى الأغانى: انه كان على بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به. و الروايات فى ذلك أكثر من أن تحصى.

٤- (١٩) فى بعض النسخ: بما يحوى جميعهم.

هذا ابن فاطمه إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا

الله شرفه قدما و عظمه جرى بذاك له فى لوحه القلم(١)

من جدّه دان فضل الأنبياء له و فضل أمته دانت له الأمم

عمّ البريّة بالاحسان و انقشعت عنها العمايه و الإملاق و الظلم

كلتا يديه غياث عمّ نفعهما يستو كفان و لا يعرفهما عدم

سهل الخليقه لا تخشى بوادره يزينه خصلتان الحلم و الكرم(٢)

لا يخلف الوعد ميمون نقيته رحب الفناء أريب حين يعترم(٣)

من معشر حبهم دين و بغضهم كفر، و قريبهم منجى و معتصم

يستدفع السوء و البلوى بحبهم و يستزاد به الاحسان و النعم(٤)

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم فى كل بدء و مختوم به الكلم(٥)

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض؟ قيل هم(٦)

لا يستطيع جواد بعد جودهم و لا يدانيهم قوم و إن كرموا(٧)

هم الغيوث إذا ما أزمه أزمته و الأسد أسد الشرى و البأس محتدم(٨)

ص: ١٢٩

١- (٢١) فى نسخه: الله فضله قدما و شرفه.

٢- (٢٥) فى وفيات الأعيان: يزينه اثنان حسن الخلق و الشيم.

٣- (٢٦) فى وفيات الأعيان: مأمون نقيته. و هذا من تصحيف النساخ و الصواب ما اخترناه و فى صحاح اللغة للجوهري: النقيه: النفس يقال فلان ميمون النقيه إذا كان مبارك النفس. انتهى. و قال آخر: و انى لميمون النقيه منجحو ان كان مطلوبى سنا الشمس فى البعد

٤- (٢٨) فى الاغانى: يستدفع الشر و البلوى بحبهمو يسترب به الاحسان. و فى نسخه و يشرق به الاحسان.

٥- (٢٩) فى نسخه: فى كل بر، و فى اخرى: فى كل فرض و المختار مطابق الاغانى و الوفيات.

٦- (٣٠) فى نسخه: من خير خلق الله.

٧- (٣١) فى نسخ: بعد غايتهم.

٨- (٣٢) الأزمه بالفتح: الشده و الضيقه و القحط.

يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحْلَ الذَّمَّ سَاحَتَهُمْ خِيمَ كَرِيمٍ وَأَيْدٍ بِالْنَدَى دِيمٍ (١)

لَا يَقْبِضُ الْعَسْرَ بَسْطًا مِنْ أَكْفَهُمْ سَيَّانَ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدَمُوا (٢)

أَيَّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيهِ هَذَا أَوَّلُهُ نَعَمْ (٣)

مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوَّلِيَّتَهُ فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ (٤)

بَيُوتُهُمْ فِي قَرِيْشٍ يَسْتَنْضَاءُ بِهَا فِي النَّائِبَاتِ وَعِنْدَ الْحَكَمِ إِنْ حَكَمُوا

فَجَدَّهَ مِنْ قَرِيْشٍ فِي أَرْوَمَتِهَا مُحَمَّدٌ وَعَلَى بَعْدَهُ عِلْمٌ

بَدْرٌ لَهُ شَاهِدٌ وَالشَّعْبُ مِنْ أَحَدٍ وَالْخَنْدَقَانِ وَيَوْمَ الْفَتْحِ قَدْ عِلِمُوا (٥)

وَحَيْبِرٌ وَحَنِينٌ يَشْهَدَانِ لَهُ وَفِي قَرِيْظِهِ يَوْمَ صَيْلِمَ قَتَمَ

مَوَاطِنٌ قَدْ عُلْتُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ عَلَى الصَّحَابَةِ لَمْ أَكْتُمْ كَمَا كَتَمُوا

ص: ١٣٢

١- (٣٣) الديم كالشيم جمع الديمه كالشيمه: وهى مطر تدوم أياما. وفى نسخه: بالندى هضم.

٢- (٣٤) أثروا: مشتقه من الثروه.

٣- (٣٥) فى بعض النسخ: أى الخلائق ليست، لأولويه هذا. أتى بهذا البيت فى الحماسه وقال المرزوقى فى شرحه: يريد أن طوائف الناس مغمورون بنعمه أو نعم سلفه يعنى النبى والوصى عليهما السلام لانهم اهتموا بدعائهم و فارقوا الهلك والضلالة بارشادهم ودلائهم فلا قبيل إلا و رقابهم قد شغلت بما قدمت من منهم، و ذممهم قد رهنّت بما حملت من عوارفهم.

٤- (٣٦) فى نسخه: أولويه ذا، وفى أخرى: والدين.

٥- (٣٩) ذكر ابن هشام فى السيره اشعارا من الذين قالوا فى غزوه الخندق على هيئة التثنيه والجمع منها قوله (ص ٢٥٤ ج ٢ طبع ١٣٧٥ هـ): وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس فى يوم الخندق: كانهم إذا صالوا وصلنا بباب الخندقين مصافحونا وهذا البيت فى قصيده له. ومنها ما قاله كعب فى الرد على ضرار فى قصيده هذا البيت منها (ص ٢٥٦): بباب الخندقين كأن أسد اشوابكهن يحمين العرينا ومنها ما قال ابن الزبعرى من قصيده آخرها (ص ٢٥٨): لو لا الخنادق غادروا من جمعهم قتلى لطير سغب و ذئاب ولا يخفى أن المراد بالخندقين والخنادق فى اشعار السيره الخندق والتثنيه والجمع باعتبار جهتي الباب والاطراف. و كذا مراد الفرزدق فى البيت نعم لو لم يكن فى البيت التالى قوله: وفى قريظه يوم، لا يمكن أن يقال ان المراد بالخندقين غزوه الخندق و غزوه بنى قريظه لان بعد غزوه الخندق اقبل غزوه بنى قريظه بلا تراخ وان المسلمين لما ظفروا عليهم وحاصروهم كما فى السيره الهشاميه (ص ٢٤٠ ج ٢) حبسهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينه فى دار بنت الحارث امرأه من بنى النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى سوق المدينه فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب اعناقهم فى

تلك الخنادق يخرج بهم اليه أرسالا و انزل الله تعالى (ص ٢٤٥) في أمر الخندق و أمر بنى قريظه من القرآن القصه فى سوره الاحزاب: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا» الايه و الجنود قريش و غطفان و بنو قريظه و كانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكه. يقول الله «إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ». الايه. فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظه و الذين جاءوهم من اسفل منهم قريش و غطفان إلى آخر ما قال. فليتأمل. ثم ان العارف الجامى نظم تلك الواقعه و ترجم تلك القصيده فى الدفتر الأول من سلسله الذهب بالفارسيه و أجاد. و بعض تلك الأبيات: پور عبد الملك بنام هشامدر حرم بود با اهالى شامى زد اندر طواف كعبه قدمليكن از ازدحام أهل حرماستلام حجر ندادش دستبهر نظاره گوشه بنشستناگهان نخبه نبى و وليزين عباد بن حسين عليدر كساء بها و حله نوربر حريم حرم فكنند عبورهر طرف مى گذشت بهر طوافدر صف خلق مى فتاد شكافزد قدم بهر استلام حجرگشت خالى ز خلق راه و گذرشامى كرد از هشام سؤالكيست اين با چنين جمال و جلال؟ از جهالت در آن تعلل كردوز شناسائيش تجاهل كرد..... گفت شناسمش ندانم كيستمدينى يا يمانى يا مكى استبو فراس آن سخنور نادر بود در جمع شاميان حاضرگفت من ميشناسمش نيكوزو چه پرسى بسوى من كن روآن كس است اين كه مكه و بطحازمزم و بو قبيس و خيف و مناكرم و حل و بيت و ركن حطيمناودان و مقام ابراهيممروه مسعى صفا حجر عرفاتطيه و كوفه كربلا و فراهير يك آمد بقدر او عارفبر علو مقام او واقفقره العين سيد الشهدا استغنيچه شاخ دوحه زهرا استميوه باغ احمد مختارلاله راغ حيدر كرار إلى أن قال: چون هشام آن قصيده غراكه فرزدق همى نمود انشاكرد از آغاز تا باخر گوشخونش اندر رگ از غضب زد جوشبر فرزدق گرفت حالى دقهمچو بر مرغ خوش نوا عققساخت بر چشم شاميان خوارشحبس فرمود بهر آن كارشاگرش چشم راست بين بوديراست كردار و راست دين بوديدست بيداد ظلم نگشاديچاى آن حبس خلعتش دادياى بسا راست بين كه شد مبدلاز حسد حس او شده أحولاًآنكه احوال بود ز اول كارچون شود حالش از حسد هشدار أقول: فى البيت الأخير و الذى قبله بسطرين اشاره إلى أن هشام كان أحوال كما قلنا آنفا. ثم أخذ فى نظم ما أهدى السجاد عليه السلام إلى فرزدق و ما جرى بينهما ثم أردفه بمدح فرزدق و ختم القصيده به فقال: مستعد شد رضای رحمان رامستحق شد رياض رضوان راز آنكه نزديك حاكم جائر كرد حق را برای حق ظاهر أقول: البيت الأخير اشاره إلى الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أفضل الأعمال كلمه حق يقولها بين یدی امام جائر.

و قال ابن خَلَّكان: لَمَّا سَمِعَ هِشامُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ غَضِبَ وَ حَبَسَ الْفَرَزْدَقَ وَ أَنْفَذَ لَهُ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمًا وَ قَالَ: مَدَحْتَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَا لِلْعَطَاءِ فَقَالَ: إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ إِذَا وَهَبْنَا شَيْئًا لَا نَسْتَعِيدُهُ فَقَبِلَهَا.

و فِي الْبَحَارِ نَقْلًا عَنْ الْإِخْتِصَاصِ بِإِسْنَادِهِ: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ يُونُسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الْعُلُوِي، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جَمْهُورٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ الْمَازَنِيِّ، عَنْ كَيْسَانَ، عَنْ جَوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ فَرْعَانَ وَ كَانَ مِنْ رَوَاهِ الْفَرَزْدَقِ قَالَ: حَجَجْتُ سَنَهُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَنَظَرَ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَارَادَ أَنْ يَصْغُرَ مِنْهُ فَقَالَ: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

فَقُلْتُ عَلَى الْبَدِيهِهِ الْقَصِيدَةَ الْمَعْرُوفَةَ: هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ، هَذَا التَّقِيُّ النُّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ، حَتَّى أَتَمَّهَا وَ كَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ يَصِلُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَحَرَمَهُ تِلْكَ السَّنَةُ فَشَكَى ذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَ سَأَلَهُ أَنْ يَكَلِّمَهُ فَقَالَ: أَنَا أَصْلُكَ مِنْ مَالِي بِمِثْلِ الَّذِي كَانَ يَصْلُكَ بِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَصَّيْتُ عَنْ كَلَامِهِ، فَقَالَ: وَ اللَّهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَا رِزْأَتَكَ شَيْئًا وَ ثَوَابَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي الْآجِلِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ثَوَابِ الدُّنْيَا فِي الْعَاجِلِ، فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِمَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ وَ كَانَ أَحَدَ سَمَحَاءِ بَنِي هَاشِمٍ لِفَضْلِ عُنْصَرِهِ وَ أَحَدَ أَدْبَائِهَا وَ ظُرَفَائِهَا فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا فَرَّاسٍ كَمْ تَقْدِرُ الَّذِي بَقِيَ مِنْ عَمْرِكَ؟ قَالَ: قَدَرُ عَشْرِينَ سَنَةً قَالَ: فَهَذِهِ عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ أَعْطَيْتُكَهَا مِنْ مَالِي وَ أَعْفَ أَبَا مُحَمَّدٍ أَعَزَّهُ اللَّهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فِي أَمْرِكَ فَقَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ أَبَا مُحَمَّدٍ وَ بَذَلَ لِي مَالَهُ فَأَعْلَمْتُهُ أَنِّي أَخَرْتُ ثَوَابَ ذَلِكَ لِأَجْرِ الْآخِرَةِ. انْتَهَى.

بَيَّانَ كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَكْنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ أَيْضًا. ثُمَّ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَى الرَّاوِي حَيْثُ أَخَذَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ مَكَانَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

«الإمام الخامس»

أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ الْمَلَقَبُ بِالْبَاقِرِ. قَالَ ابْنُ خَلَّكان فِي تَارِيخِهِ وَ كَانَ الْبَاقِرُ عَالِمًا سَيِّدًا كَبِيرًا وَ أَمَّا قِيلَ لَهُ الْبَاقِرُ لِأَنَّهُ تَبَقَّرَ فِي الْعِلْمِ أَيْ تَوَسَّعَ

ص: ١٣٣

و التبقر التوسع و فيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى و خير من لبيّ على الأجل

أقول: ذلك الشاعر القرظي.

و قال ابن الحجر فى الصواعق المحرقة: أبو جعفر محمّد الباقر سمى بذلك من بقر الأرض أى شقها و أثار مخبئاتها و مكانها فلذلك هو أظهر من مخبئات كنوز المعارف و حقائق الأحكام و اللّطائف ما لا يخفى إلّا على منطمس البصيره أو فاسد الطويه و السريره و من ثم قيل: هو باقر العلم و جامعه و شاهر علمه و رافعه صفا قلبه و زكى علمه و عمله و طهرت نفسه و شرفت خلقه و عمرت أوقاته بطاعه الله و له من الرسوخ فى مقامات العارفين ما يكلّ عنه ألسنه الواصفين و له كلمات كثيره فى السلوك و المعارف لا تحتملها هذه العجالة.

قال المفيد فى الارشاد: و لم يظهر عن أحد من ولد الحسن و الحسين عليهما السّلام من علم الدّين و الاثار و السنه و علم القرآن و السيره و فنون الاداب ما ظهر عن أبى جعفر عليه السّلام و روى عنه معالم الدين بقايا الصحابه و وجوه التابعين و رؤساء فقهاء المسلمين و صار بالفضل به علما لأهله تضرب به الأمثال و تسير بوصفه الاثار و الاشعار و فيه يقول القرظي: يا باقر العلم، البيت. و قال مالك بن أعين الجهنى يمدحه عليه السّلام.

إذا طلب الناس علم القرآن كانت قریش عليه عيالا

و إن قيل أين ابن بنت النّبىّ نلت بداك فروعا طوالا

نجوم تهلّل للمدلجين جبال تورث علما جبالا

و روى بإسناده عن الشريف أبى محمّد الحسن بن محمّد قال: حدّثنى جدّى قال حدّثنا محمّد بن القاسم الشيبانى قال: حدّثنا عبد الرحمن صالح الأزدي عن أبى مالك الجهنى عن عبد الله بن عطاء المكي قال: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم

ص: ١٣٤

عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام و لقد رأيت الحكم بن عتيبه مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه و كان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمد بن علي عليهما السلام شيئا قال: حدثني وصي الأوصياء و وارث علوم الأنبياء محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام.

قال فيه: و روى مخول بن إبراهيم عن قيس بن الربيع قال: سألت أبا إسحاق السبيعي عن المسح على الخفين فقال: أدركت الناس يمسحون حتى لقيت رجلا من بني هاشم لم أر مثله قط محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام فسألته عن المسح فنهاني عنه و قال: لم يكن علي أمير المؤمنين عليه السلام يمسح و كان يقول: سبق الكتاب المسح على الخفين قال أبو إسحاق: فما مسحت منذ نهاني عنه قال قيس بن الربيع و ما مسحت أنا منذ سمعت أبا إسحاق.

إلى أن قال: و كان مع ما وصفناه من الفضل في العلم و السؤدد و الرياسة و الإمامه ظاهر الجود في الخاصة و العامه مشهود الكرم في الكافه معروفا بالفضل و الاحسان مع كثره عياله و توسط حاله.

و قد روى أبو جعفر عليه السلام أخبار المبتدأ و أخبار الأنبياء و كتب عنه المغازي و أثروا عنه السنن و اعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه و آله و كتبوا عنه تفسير القرآن و روت عنه الخاصه و العامه الأخبار و ناظر من كان يرد عليه من أهل الامراء و حفظ عنه الناس كثيرا من علم الكلام و ألف عليه السلام كتابا في تفسير القرآن رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجاروديه الزيديه كذا نقل ابن النديم في الفهرست.

و بالجمله مناقبه و معجزاته و مكارم اخلاقه و الروايات المنقوله عنه و الروايات الاخذون منه من الصحابه و التابعين و تلامذته و معالي اموره و غرائب شأنه و أحوال أصحابه و مناظراته و القصائد في مدحه عليه السلام أكثر و أشهر من أن يخفى على أحد نقلها الفريقان في تصانيفهم و لو أثبتناها ههنا لكثرت الخطب.

ص: ١٣٥

كشاف أسرار العلوم و بحر الحقائق أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه. قد تحيرت العقول دونه و أخرجت الألسن فيه كيف لا و هو شمس سماء العلم و المعرفة و التوحيد قد استنار الكلّ من نور وجوده و استفادوا من رشحات فيضه و استمطروا سحاب علمه و استندروا سماء جوده و اغترفوا من بحر معارفه و استضاءوا من مشكاة حقائقه، أشرقت أضواء علومه و عالم الانسانيه و أثمرت شجره عنصره الطيبه ما ملأت الافاق من الأصول الكليه الحكيمه و العلوم الغريبه المكنونه القيمه و القواعد الرصينه الفقيهيه و المطالب النوريه لتزكيه الباطن و تهذيب النفس و المسائل الجامعه الاجتماعيه لحفظ نظام الحوزه البشريه حتّى بلغ عدد الاخذين عنه عليه السلام و المتعلمين من حضرته إلى أربعة آلاف رجل من أهل الحجاز و الشام و العراق و الخراسان و الفارس و غيرها، و دوت في مجلسه الشريف أربعمائيه مصنف في العلوم هي المسماه بالاصول الأربعمائيه فراجع اصول الكافي و كتاب التوحيد للصدوق و الاحتجاج للطبرسي و غيرها من الكتب الحاويه للحقائق الصادره عنه عليه السلام حتّى يتضح لك انه عليه السلام كيف أسس قواعد التوحيد و شيّد أركانه و قلع الشبهات الناشئه من الاراء السخيفه المعوجّه و أظهر اسرار الايات القرآنيه و بطونها مما كلّت عندها الألسن و الهت لديها الأحلام فهو عليه السلام عيش العلم و موت الجهل و دعاه الاسلام.

هر بوی که از مشک و قرنفل شنوی از دولت آن زلف چو سنبل شنوی

«كلام المفيد فيه عليه السلام»

قال رحمه الله في الارشاد: و كان الصادق جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام من بين اخوته خليفه أبيه محمد بن عليّ عليهما السلام و وصيّيه القائم بالإمامه من بعده و برز على جماعتهم بالفضل و كان أنبهم ذكرا و أعظمهم قدرا و أجملهم في العامه و الخاصه

ص: ١٣٦

و نقل النَّاس عنه من العلوم ما سارت به الركبان و انتشر ذكره في البلدان و لم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه و لا لقي أحد منهم من أهل الآثار و نقله الأخبار و لا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السَّلام فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الأراء و المقالات فكانوا أربعة آلاف رجل و كان له عليه السَّلام من الدلائل الواضحة في امامته ما بهرت القلوب و أخرست المخالف عن الطعن فيها بالشبهات. إلى أن قال: و الأخبار فيما حفظ عنه عليه السَّلام من العلم و الحكمه و البيان و الحجه و الزهد و الموعظه و فنون العلم كله أكثر من أن تحصي بالخطاب أو تحوى بالكتاب.

كلام كمال الدين محمد بن طلحه الشافعي

«فيه عليه السَّلام»

قال في كتابه: جعفر بن محمّد الصادق ابن أبي محمّد عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب هو من عظماء أهل البيت و ساداتهم عليهم السَّلام ذو علوم جمّة و عباده موفوره و أوراد مواصله و زهاده بينه و تلاوه كثيره تتبع معاني القرآن الكريم و استخراج من بحر جواهره و استنتج عجائبه و قسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليه نفسه، رؤيته تذكره الآخرة، و استماع كلامه تزهد في الدنيا، و الاقتداء بهديه يورث الجنّة، نور قسماته شاهد أنّه من سلاله النّبوه، و طهاره أفعاله تصدع بأنّه من ذرية الرساله، نقل الحديث و استفاد منه العلم جماعه من أعيان الأئمه و أعلامهم مثل يحيى بن سعيد الأنصاري، و ابن جريح، و مالك بن أنس، و الثوري، و ابن عيينه، و أبي حنيفة، و شعبه، و أيوب السجستاني و غيرهم و عدوا أخذهم عنه عليه السَّلام منقبه شرفوا بها، و فضيله اكتسبوها.

«كلام القاضي عبد الرحمن بن أحمد العضد الايجي»

«الشافعي فيه عليه السَّلام»

قال في مبحث الإمامه من المواقف: الثامن اختصاصه (يعنى عليّا عليه السَّلام)

ص: ١٣٧

بصاحبه كفاطمه و ولدين كالحسن و الحسين و هما سيّدا شباب أهل الجنّه ثمّ اولاد اولاده ممن اتفق الأنام على فضلهم على العالمين حتّى كان أبو يزيد سقاء في دار جعفر الصادق رضى الله عنه و معروف الكرخي بوّاب دار عليّ بن موسى الرضا.

«كلام الشيخ العارف محيي الدين الأعرابي او المغربي»

«فيه عليه السّلام»

قال في المناقب: صلوات الله و ملائكته و حمله عرشه و جميع خلقه من أرضه و سمائه على استاذ العالم و سند الوجود مرتقى المعارج و منتهى الصعود، البحر المّوّاج الأزلي، و السّراج الوّهّاج الأبدى ناقد خزائن المعارف و العلوم، محتد العقول و نهايه الفهوم، عالم الأسماء، دليل طرق السماء، الكون الجامع الحقيقي، و العروه الوثقى الوثيقى، برزخ البرازخ، و جامع الأضداد، نور الله بالهدايه و الارشاد، المستمع القرآن من قائله، الكاشف لأسراره و مسائله، مطلع شمس الأبد جعفر بن محمّد عليه صلوات الله الملك الأحد.

«كلام أبي يزيد البسطامي فيه عليه السّلام»

قال القاضي الشهيد نور الله مرقده في المجلس السادس من مجالس المؤمنين: قال المولى نور الدين جعفر البدخشي رحمه الله في كتاب الأحباب: إن السلطان طيفور المعروف بأبي يزيد البسطامي قدّس سرّه قد صحب كثيرا من المشايخ ثمّ جاء إلى حضره امام الصادق و صحبه مستفيضا من الصادق فقال: لو لم أصل إلى الصادق لمّت كافرا مع انه كان بين الأولياء كجبرئيل بين الملائكه، و كانت هدايته نهايه السالكين.

«ما قال مؤلف تعقيب التقريب»

قال الأمير عليّ من علماء العامه صاحب تعقيب التقريب اى تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني: روى عن جعفر الصادق الأئمه و خلق لا يحصون.

ص: ١٣٨

«الاربلى الشافعى الاشعرى»

قال فى وفيات الأعيان المعروف بتاريخ ابن خلكان: أبو عبد الله جعفر الصادق ابن محمد الباقر أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الإماميه كان من سادات أهل البيت و لقب بالصادق لصدقه فى مقالته و فضله أشهر من أن يذكر و له كلام فى صنعه الكيمياء و الزجر و الفال و كان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفى الطرطوسى قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقه يتضمن رسائل جعفر الصادق و هى خمسمائه رساله.

ثم بعد نبذه من ذكر كرامته عليه السلام لما اراد المنصور إشخاصه إلى العراق معه عند مسيره إلى المدينه قال: و حكى كشاجم فى كتاب المصائد و المطارد أنه عليه السلام سأل أبا حنيفة فقال عليه السلام: ما تقول فى محرم كسر رباعيه ظبي؟ فقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه و آله ما أعلم ما فيه. فقال عليه السلام له: أنت تندهى و لا تعلم أن الظبي لا يكون له رباعيه و هو ثنى أبدا. انتهى.

أقول: أنه عليه السلام و إن كان صادقا فى مقالته لكن المروى عن أئمتنا و المسلم عندنا الإماميه ان النبى صلى الله عليه و آله سمّاه الصادق لىتميز من المدعى للإمامه بغير حقّها جعفر الكذاب.

«كلام ابن قتيبه فى علمه (عليه السلام) بالجفر»

قال عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى المتوفى ٢٧٢ هـ صاحب التصانيف الكثيره كما فى الفهرست لابن النديم، فى كتاب ادب الكاتب: و كتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر فيه كل ما يحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة.

قال الشيخ العلامة البهائى فى شرح الأربعين: قد تضافرت الأخبار بأن النبى صلى الله عليه و آله أملى على أمير المؤمنين عليه السلام كتابى الجفر و الجامعه و أن فيهما علم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة.

ص: ١٣٩

و قد مرّ في البحث عن القياس الخبر المروى من الكافي عن أبي شيبة قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ضلّ علم ابن شبرمه عند الجامعة املاء رسول الله صلى الله عليه وآله و خط عليّ عليه السلام بيده ان الجامعة لم تدع لأحد كلاما فيها علم الحلال و الحرام الحديث (ص ٥٨ م ١ من الوافي).

و في الكافي و الارشاد و ينابيع المودّة للشيخ سليمان (ص ١٦٢ الطبع الناصري) عن أبي عبد الله عليه السلام انه كان يقول: علمنا غابر و مزبور و نكت في القلوب و نقر في الاسماع و أن عندنا الجفر الأحمر و الجفر الأبيض و مصحف فاطمه عليها السلام و أن عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج.

فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال: أمّا الغابر فالعلم بما يكون، و أمّا المزبور فالعلم بما كان، و أمّا النكت في القلوب فهو الالهام، و النقر في الاسماع حديث الملائكة نسمع كلامهم و لا نرى أشخاصهم، و أمّا الجفر الأحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله و آلّه و لن يخرج حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، و أمّا الجفر الأبيض فوعاء فيه توراى موسى و انجيل عيسى و زبور داود و كتب الله الأولى، و أمّا مصحف فاطمه عليها السلام ففيه ما يكون من حادث و اسماء كلّ من يملك إلى أن تقوم الساعة، و أمّا الجامعة فهي كتاب طوله سبعون ذراعا املاء رسول الله صلى الله عليه وآله و آلّه من فلق فيه و خط عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده فيه و الله جميع ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة حتّى أن فيه أرش الخدش و الجلد و نصف الجلد.

و قد عنون جعفر الصادق عليه السلام الشيخ أحمد عليّ البوني في كتابه الموسوم بشمس المعارف الكبرى من ص ٣٠٦ إلى ص ٣١٦ طبع مصر و سيأتي طائفه من قوله و قول المحقق الشريف في شرح المواقف و شعر أبي العلاء المعرى فيه في الإمام الثامن عليه السلام.

«ذكر عده ممن أخذوا عنه عليه السلام»

قد ذكرنا أن المستضيئين من نبراس وجوده و المغترفين من بحر جوده بلغوا

ص: ١٤٠

إلى أربعة آلاف رجل و صنف ابن عقده كتاب الرجال لأبى عبد الله عليه السلام عددهم فيه. و نحن نذكر ههنا عده من الاعلام الذين أخذوا عنه و ندع ترجمتهم خوفا للإطالة.

فمنهم: أبو حنيفة النعمان بن ثابت أحد أئمة المذاهب الأربعة عند أهل السنه و فى المناقب عن مسند أبى حنيفة قال الحسن بن زياد سمعت أبا حنيفة و قد سئل من أفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث إلى فقال يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهبىء له من مسائلك الشداد فهبأت له أربعين مسألة ثم بعث إلى أبو جعفر (يعنى المنصور) و هو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه و جعفر عليه السلام جالس عن يمينه فلما بصرت به دخلنى من الهيبة لجعفر عليه السلام ما لم يدخلنى لأبى جعفر فسلمت عليه فأومى إلى فجلست ثم التفت إليه فقال:

يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة قال: نعم أعرفه ثم التفت إلى فقال يا با حنيفة ألق على أبى عبد الله من مسائلك فجعلت ألقى عليه فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا و أهل المدينة يقولون كذا و نحن نقول كذا فربما تابعنا و ربما تابعهم و ربما خالفنا جميعا حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أخل منها بشيء ثم قال أبو حنيفة:

أليس ان أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟.

قال السيد الشبلنجى الشافعى فى نور الأبصار فى أحوال الصادق عليه السلام:

و مناقبه كثيره تكاد تفوت عند الحاسب و يحار فى أنواعها فهم اليقظ الكاتب روى عنه جماعه من أعيان الأئمة و أعلامهم كيحيى بن سعيد و ابن جريح و مالك ابن أنس و الثورى و ابن عيينه و أبى حنيفة و أبى أيوب السجستاني و غيرهم.

و فى الخصال للشيخ الصدوق (العدد ١٩٠ من الخصال الثلاث) مالك بن أنس فقيه المدينة يقول: كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فيقدم لى مخده و يعرف لى قدرا و يقول: يا مالك انى احبك فكنت أسرّ بذلك و أحمد الله عليه و كان عليه السلام لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إمّا صائما و إمّا قائما و إمّا ذاكرا و كان من عظماء العباد و أكابر الزهاد الذين يخشون الله عزّ و جلّ و كان كثير

ص: ١٤١

الحديث طيب المجالسه كثير الفوائد فاذا قال: قال رسول الله اخضر مره و اصفر اخرى حتى ينكره من يعرفه و لقد حججت معه سنه فلما استوت راحلته عند الاحرام كان كلما همم بالتليه انقطع الصوت فى حلقه و كاد يخز من راحلته فقلت: قل يا ابن رسول الله فلا بد لك أن تقول فقال: يا ابن أبى عامر كيف أجسر أن أقول لبيك اللهم لبيك و أخشى أن يقول عز و جل لا لبيك و لا سعديك.

و قال مالك بن أنس: ما رأيت عين و لا سمعت اذن و لا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق عليه السلام فضلا و علما و عباده و ورعا. و كان مالك كثيرا ما يدعى سماعه و ربما قال: حدثنى الثقة يعنيه عليه السلام.

و منهم: شعبه بن الحجاج، و عبد الله بن عمرو و روح بن القاسم و سليمان بن بلال و إسماعيل بن جعفر و حاتم بن إسماعيل و عبد العزيز بن المختار و وهيب بن خالد و إبراهيم بن طهمان و الحسن الصالح و عمر بن دينار و أحمد بن حنبل و محمّد بن الحسن. و كان أبو يزيد البسطامي طيفور السقاء خدمه و سقاه ثلاث عشره سنه و قال أبو جعفر الطوسى: كان إبراهيم بن أدهم و مالك بن دينار من غلمانه.

قال أبو حاتم: جعفر الصادق ثقه لا يسأل عن مثله. و دخل إليه عليه السلام سفيان الثورى يوما فسمع منه كلاما أعجبه فقال: هذا و الله يا ابن رسول الله الجوهر، فقال له: بل هذا خير من الجوهر و هل الجوهر إلا الحجر.

و منهم أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان و محمّد بن إسحاق صاحب المغازى و السير و غيرهم المذكور فى كتب الفريقين كفهرست الشيخ الطوسى و نور الأبصار للشبلنجى و الصواعق لابن حجر و ينابيع الموده للشيخ سليمان و الخلاصه للعلامه و غيرها.

و منهم من كان من أصحابه عليه السلام و أخذ عنه و فاز فوزا عظيما و أفاد غيره أيضا كأبان بن تغلب و اسحاق بن عمار الصيرفى و بريد بن معاويه العجلي و أبى حمزه الثمالى و حريز بن عبد الله السجستانى و حمران بن أعين الشيبانى و أخيه زراره و صفوان بن مهران الجمال و عبد الله بن أبى يعفور و عمران بن عبد الله القمى و فضيل

ص: ١٤٢

ابن يسار البصرى و فيض بن المختار الكوفى و ليث بن البخترى و محمّد بن مسلم و معاذ بن كثير و معلّى بن خنيس و أبى المنذر هشام بن محمّد السائب الكلبي و يونس الظبيان الكوفى و مؤمن الطاق.

فى الفهرست لابن النديم: أبو جعفر محمّد بن النعمان الأحول هو من أصحاب أبى عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام و كان حسن الاعتقاد و الهدى حاذقا فى صناعه الكلام سريع الحاضر و الجواب و له مع أبى حنيفة مناظرات:

منها لما مات جعفر الصّادق عليه السّلام قال أبو حنيفة لمؤمن الطاق: قد مات إمامك. قال: لكن إمامك لا يموت إلى يوم القيامة (و فى بعض النسخ: قال لكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) يعنى إبليس.

و قال له أبو حنيفة: ما تقول فى المتعه؟ قال حلال. قال: أفسرك أن تكون أخواتك و بناتك يمتّع بهنّ؟ قال: شىء قد أحله الله تعالى ان كرهته مما خبلنى و لكن ما تقول أنت فى النبيذ؟ قال: حلال. قال: أفسرك أن تكون أخواتك و بناتك نباذات هنّ؟ و قال له أبو حنيفة يوما: ألسنا صديقين؟ قال: بلى. قال: و أنت تقول بالرجعه؟ قال: إى و أيم الله. قال: فانى شديد الحاجه و أنت متمكّن فلو أنّك أقرضتنى خمسمائه درهم أتسع بها و أردّها عليك فى الرجعه كنت قد قضيت حقى و وصلت إلى غفل، قال: أنا لأقول إنّ الناس يرجعون.

و فى البحار عن كتاب مقتضب الأثر لابن عيّاş عن عبد الله بن محمّد المسعودى عن الحسن بن محمّد الوهيبى عن على بن قادم عن عيسى بن داب قال: لما حمل أبو عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السّلام عن سريره و أخرج إلى البقع ليدفن قال أبو هريره الشاعر العجلي:

أقول و قد راحوا به يحملونه على كاهل من حامله و عاتق

أ تدرّون ما ذا تحمّلون إلى الثرى ثبرا ثوى من رأس علياء شاهق

غداه حثا الحاثون فوق ضريحه ترابا و أولى كان فوق المفارق

ص: ١٤٣

أيا صادق بن الصادقين اليه بابائك الأطهار حلفه صادق

لحقا بكم ذو العرش أقسم في الوري فقال تعالى ربّ المشارق

نجوم هي اثنا عشره كن سبعا إلى الله في علم من الله سابق

«الإمام السابع»

أبو إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السّلام. كلّت الألسنه دون كلماته القاهره و حارت العقول لدى معجزاته الباهره. ادعيته تذيب الصّم الصلاب، و مناظراته حجه لأولى الأبواب، وجوده اكسير فلزّات العرفاء و معيار نقود الأصفياء. قد علم الخافقان أنّه باب الحوائج إلى الله، و اذعن الفرقتان أنّه كاشف اسرار كتابه تعالى.

«ما قال الخطيب في تاريخ بغداد فيه عليه السّلام»

في تاريخ ابن خلّكان: قال الخطيب في تاريخ بغداد: كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته و اجتهاده. روى أنّه دخل مسجد رسول الله صلّى الله عليه و آله فسجد سجده في أوّل الليل و سمع و هو يقول في سجوده: عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى و يا أهل المغفرة فجعل يردّها حتّى أصبح و كان سخيا كريما و كان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه فيبعث اليه بصرّه فيها ألف دينار - إلى أن قال: و ذكر أيضا أن هارون الرشيد حجّ فأتى قبر النّبي صلّى الله عليه و آله زائرا و حوله قريش و افناء القبائل و معه موسى بن جعفر فقال: السّلام على يا رسول الله يا ابن عمّ افتخارا على من حوله، فقال موسى: السّلام عليك يا أبت، فتغير وجه هارون الرشيد و قال: هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقا. إلى آخر ما قال و ذكر بعض معجزاته عليه السّلام فراجع.

«ما قال كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحه الشافعي»

«فيه عليه السّلام»

قال: أبو الحسن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن

ص: ١٤٤

أبى طالب عليهم السّلام هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكثير التهجد، الجادّ في الاجتهاد، المشهود له بالكرامات، المشهور بالعبادة و ظهور خوارق العادات، المواظب على الطاعات، يبيت الليل ساجدا و قائما، و يقطع النهار متصدقا و صائما و لفرط علمه و تجاوزه عن المعتدّين عليه دعى كاظما، كان يجازى المسىء بالاحسان و عن الجاني بالبرّ و العفو و الاحسان، و لكثرة عبادته ليلا و نهارا كان يسمى العبد الصالح، و يعرف في العراق باب الحوائج إلى الله لإنجاح مطالب المتوسلين به إلى الله و كراماته تحار فيه العقول، و تقضى بأنّ له عند الله قدم صدق لا يزول.

«ما قال علي بن عيسى الاربلي صاحب كشف الغمه»

«فيه عليه السّلام»

مناقب الكاظم و فضائله و معجزاته الظاهره و دلائله و صفاته الباهره و مكارمه تشهد أنه بلغ قمه الشرف و علاها، و سمي إلى أوج المزايا فبلغ اعلاها، طالت اصوله فسمت إلى أعلى رتب الجلال، و طابت فروعها فعملت إلى حيث لا تنال، يأتيه المجد من كلّ أطرافه و يكاد الشرف يقطر من أعطافه، السحاب الماطر قطره من كرمه، و العباب الزاخر نعمه من نعمه، و اللّباب الفاخر عبد من عبيده و خدمه، الالباء عظام، و الأبناء كرام عنصره من أكرم العناصر، و آباؤه بدور بواهر، و امهاته عقيلات عباهر، و هو أحد النجوم الزواهر، كم له من فضيله جليله و منقبه بعلوّ شأنه كفيله، اليه ينسب العلماء و عنه يأخذ العظماء و منه يتعلم الكرماء، هم الهداه إلى الله و هم الأمناء على اسرار الغيب، و هم المطهّرون من الرجس و العيب، هم النجوم الزواهر في الظلام و هم الشمس المشرقه في الأيام، هم الحذّين أوضحو شعائر الاسلام، و عرفوا الحلال و الحرام، فلهم كرم الأبوه و النبوه، و هم معادن الفتوه و المروه، السماح في طبائعهم غريزه، الأقوال و إن طالت في مدائحهم و جيزه قليله، بحور علم لا ينزف، و أقمار عزّ لا يخسف، و شمس مجد لا يكسف.

يا آل طه ان ودّى لكم باق على حبكم اللازم.

ص: ١٤٥

«فيه عليه السلام»

قيل له رحمه الله في مرض موته في بغداد (كما في مجالس المؤمنين للقاضي وروضات الجنات للخوانساري): ألا توصي على حمل جسدك إلى مشهد النجف الأشرف الأطهر؟ فقال: لا بل استحيي من وجه سيدي الإمام الهمام موسى بن جعفر عليهما السلام أن أمر بنقل جسدي من أرضه المقدسه إلى موضع آخر. وقد نقلوا نظير هذه الواقعة للشيخ المفيد أيضا.

و بالجمله الروايات العلميه الحكميه و الفقهيه و الأخلاقيه و الاجتماعيه و الكرامات العاليه الأقدار الخارقه العوائد من هذا الولي الأعظم بلغت إلى حد لا يعدّ و لا يحصى و نعم ما قال ابن طلحه الشافعي المقدم ذكره فيه عليه السلام أيضا:

و لا- يؤتوها إلّا من أفاضت عليه العناية الربانيه أنوار التأييد، و درّت له أخلاف التوفيق و ازلفتة من مقام التقديس و التطهير و ما يلقيها إلا الذين صبروا و ما يلقيها إلّا ذو حظّ عظيم.

«الإمام الثامن»

أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال ابن خلّكان الشافعي الأشعري في تاريخه: و كان المأمون زوّجه ابنته ام حبيب في سنه اثنتين و مأتين و جعله وليّ عهده و ضرب اسمه على الدينار و الدرهم و كان السبب في ذلك أنّه استحضر اولاد العباس الرجال منهم و النساء و هو بمدينة مرو فكان عددهم ثلاثه و ثلاثين ألفا ما بين الكبار و الصغار و استدعى عليّا المذكور فأنزله أحسن منزله و جمع له خواصّ الأولياء و أخبرهم أنّه نظر في أولاد العباس و أولاد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلم يجد في وقته أحدا أفضل و لا أحق بالأمر من عليّ الرضا فبايع له بولايه عهده و أمر بازاله السواد من اللباس و الاعلام و لبس الخضره - إلى أن قال: و فيه يقول أبو نواس:

قيل لى أنت أحسن الناس طرّا فى فنون من المقال النبیه

لك من جيد القريض مديح يثمر الدرّ فى يدى مجتنيه

ص: ١٤٦

فعلى ما تركت مدح ابن موسى و الخصال التى تجتمع فيه

قلت لا أستطيع مدح امام كان جبريل خادما لأبيه

و كان سبب قوله هذه الأبيات أن بعض أصحابه قال له: ما رأيت أوقح منك ما تركت خمرا و لا طردا و لا معنى إلا قلت فيه شيئا و هذا على بن موسى الرضا فى عصر ك لم تقل فيه شيئا، فقال: و الله ما تركت ذلك إلا إعظاما له و ليس قدر مثلى أن يقول فى مثله ثم أنشد بعد ساعه هذه الأبيات.

ثم قال ابن خلكان: و فيه يقول أبو نواس أيضا و له ذكر فى شذور العقود فى سنه احدى و مأتين او سنه اثنتين و مأتين:

مطهرون نقيات جيوبهم تجرى الصلاه عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبه فما له فى قديم الدهر مفتخر

الله لما برا خلقا فأتقنهم صفاكم و اصطفاكم أيها البشر

فاتمم الملاء الأعلى و عندكم علم الكتاب و ما جاءت به السور

و قال الفخر الرازى: إن أبا يزيد البسطامى كان يفتخر بأنه يستقى الماء لدار جعفر بن محمد الصادق عليه السلام و كان معروف الكرخى أسلم على يد أبى الحسن الرضا على بن موسى و كان بواب داره إلى أن مات.

روى المفيد فى الارشاد باسناده إلى معاوية بن حكيم عن نعيم القابوسى عن أبى الحسن موسى عليه السلام قال: إن ابنى على أكبر ولدى و آثرهم عندى و أحبهم إلى و هو ينظر معى فى الجفر و لم ينظر فيه إلا نبى او وصى نبى.

و قال المحقق الشريف فى شرح المواقف فى مبحث تعلق العلم الواحد بمعلومين: إن الجفر و الجامعه كتابان لعللى كرم الله وجهه و قد ذكر فيهما على طريق علم الحروف الحوادث التى تحدث إلى انقراض العالم و كان الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونهما و يحكمون بهما. و فى كتاب قبول العهد الذى كتبه على بن موسى الرضا إلى المأمون: أنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرف آباؤك فقبلت منك عهدك إلا أن الجفر و الجامعه يدلان على أنه لا يتم. و لمشايخ

ص: ١٤٧

المغاربه نصيب من علم الحروف ينتسبون فيها إلى أهل البيت و رأيت بالشام نظما اشير اليه بالرموز إلى أحوال ملوك مصر و سمعت أنه مستخرج من ذينك الكتابين.

انتهى.

و روى ثقة الاسلام الكليني في الكافي و المفيد في الارشاد و كثير من اعظم المحدثين عن الإمام الصادق عليه السلام أحاديث كثيرة في أن الجفر و الجامعه كانا عنده عليه السلام و أنّهما لا يزالان عند الأئمه يتوارثونهما واحدا بعد واحد.

و قال العلامة التفتازانى الشافعى فى شرح المقاصد فى مبحث الإمامه بعد ما قال فى المحقق العلامة الخواجه نصير الدين الطوسى ما قال، قال: و العظماء من عتره النبى و أولاد الوصى الموسومون بالدرايه المعصومون فى الروايه لم يكن معهم هذه الأحقاد و التعصبات و لم يذكروا من الصحابه إلّا الكملات و لم يسلكوا مع رؤساء المذهب من علماء الاسلام إلّا طريق الإجلال و الإعظام و ها هو الإمام على بن موسى الرضا مع جلاله قدره و نباهه ذكره و كمال علمه و هداه و ورعه و تقواه قد كتب على ظهر كتاب عهد المأمون له ما ينبىء عن وفور حمده و قبول عهده و التزام ما شرط عليه و أن كتب فى آخره: و الجامعه و الجفر يدلان على ضدّ ذلك - إلى أن قال: و هذا العهد بخطهما موجود الآن فى المشهد الرضوى بخراسان.

«اشعار أبى العلاء المعرى فى جفر أهل البيت»

قال ابن خلّكان فى تاريخه فى ذيل ترجمه عبد المؤمن بن على القيسى:

قال ابن قتيبه: هو جلد جفر ادّعوا أنّه كتب لهم فيه الإمام كلّما يحتاجون إلى علمه و كلما يكون إلى يوم القيامة. ثمّ قال ابن خلّكان: قلت و قولهم: الإمام يريدون به جعفر الصادق عليه السلام و إلى هذا الجفر اشار أبو العلاء المعرى بقوله:

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم فى مسك جفر

و مرآه المنجم و هى صغرى ارته كلّ عامره و قفر

و قوله فى مسك جفر، المسك بفتح الميم و سكون السين المهمله الجلد.

و الجفر بفتح الجيم و سكون الفاء و بعدها راء من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر

ص: ١٤٨

و جفر جنباه و فصل عن امه و الأثنى جفره. و كانت عاداتهم أنهم في ذلك الزمان يكتبون في الجلود و العظام و الخزف و ما شاكل ذلك و الله سبحانه و تعالى يعلم.

انتهى كلام ابن خلكان.

أقول: المراد من قوله «مرآة المنجم» هو الاسطرلاب و هو اسم لآله مشتمله على حجره و عضاده و صفحه عنكبوت و صفائح مرسوم فيها خطوط مستقيمة و مستديره تامه و ناقصه متوازيه و غير متوازيه يعرف بها كثير من أحوال الفلكيات و الأرضيات و الزمانيات حتى أن العلامة الفلكي عبد الرحمن بن عمر الصوفي المتوفى سنة ٣٧٦ هـ صنف كتابا في العمل بالاسطرلاب أنهاء إلى ٣٨٦ أبواب كل باب في معرفه شيء من الأحوال المذكوره.

و كلمه اسطرلاب على ما ذهب اليه حمزه الاصبهاني (كما نقل العلامة أبو ریحان البيروني في رسالته الموسومه بافراد المقال و كذا في كتابه الموسوم بالتفهيم) معربه استاره ياب، أى مدرك النجوم.

و قال البيروني: و ممكن أن يكون معربا من اليونانيه فان اسمه باليونانيه اسطرلابون و اسطر هو النجم بدليل أن علم الهيئه يسمى عندهم اسطرونوميا.

(افراد المقال ص ٦٩ طبع حيدر آباد الدكن ١٣٦٧ هـ).

و قال في التفهيم: اسطرلاب چیست؟ اين آلتی است يونانيان را، نامش اسطرلابون ای آيينه نجوم. و حمزه اسپاهانی او را از پارسی بیرون آورده که نامش ستاره ياب است.

و الصواب ما ذهب اليه البيروني كما اختاره المعري في البيت حيث قال مرآة المنجم و يوافقه ما في اللغة الفرنسيه أن كلمه الاسطرلاب باليونانيه مركبه من **Astre** ای الكوكب و **Lambanein** ای المرآه أو الميزان و لذا فسرّه كوشيار بميزان الشمس كما نقل عنه الفاضل البيرجندی في شرحه على رساله الاسطرلاب للخواجه نصير الدين الطوسي. و كان الصحيح ان يفسره بميزان الكوكب لأن كلمه **Astre** لا تفيد معنى الشمس و لم يذكر في المعاجم أن الشمس أحد معانيها

ص: ١٤٩

ثم إن في أحاديثنا فسر الجفر بأنه جلد ثور لا أنه من جلد اولاد المعز كما فسرہ ابن خلّكان ففى الكافى لثقہ الاسلام الكلينى (الوافى ص ١٣٥ م ٢) باسناده إلى ابن رثاب عن الحذاء قال: سأل أبا عبد الله عليه السّلام بعض أصحابنا عن الجفر؟ فقال عليه السّلام: هو جلد ثور مملوّ علما. الحديث.

«الإمام التاسع»

أبو جعفر محمّد بن عليّ بن موسى الملقب بالجواد و التقى صلوات الله و سلامه عليه قال ابن خلّكان فى ترجمته عليه السّلام: و كان يروى مسندا عن آبائه إلى عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام أنه قال: بعثنى رسول الله صلى الله عليه و آله إلى اليمن فقال لى و هو يوصينى:

يا عليّ ما خاب من استخاره، و لا ندم من استشار. يا عليّ عليك بالدّلجه فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، يا عليّ أعذ باسم الله فان الله بارك لأمتى فى بكورها و كان يقول: من استفاد أخا فى الله فقد استفاد بيتا فى الجنّة. و قال جعفر بن محمّد بن مزيد: كنت ببغداد فقال لى محمّد بن منده بن مهران: هل لك أدخلك على محمّد بن عليّ الرضا؟ فقلت: نعم، قال: فادخلنى عليه فسلمنا و جلسنا فقال: حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم إنّ فاطمه عليها السّلام أحصنت فرجها فحرم الله ذريّتها على النّار قال: ذلك خاص بالحسن و الحسين عليهما السّلام و له حكايات و أخبار كثيرة.

انتهى ما أردنا من نقل كلام ابن خلّكان.

أقول: و من تلك الأخبار و الحكايات الدّالة على وفور علمه و تميزه على كافه أهل الفضل و العلم مع صغر سنه احتجاجة على يحيى بن اكثم قاضى زمانه فى مجلس المأمون عند جمّ غفير من أهل العلم و الفضل رواه الشيخ المفيد فى الارشاد و الشيخ الجليل الطبرسى فى الاحتجاج و أتى به المجلسى فى المجلد الرابع من البحار و غيرهم من أعظم العلماء الأخيار فى جوامعهم المحتويه من أخبار الأئمة الأطهار. قال فى الارشاد: و كان المأمون قد شعف بأبى جعفر عليه السّلام لما رأى من فضله مع صغر سنه و بلوغه فى العلم و الحكمه و الأدب و كمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان فزوّجه ابنته ام الفضل و حملها معه إلى المدينه

ص: ١٥٠

و كان متوفرا على إكرامه و تعظيمه و إجلال قدره.

قال: و روى الحسن بن محمّد بن سليمان عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، عن الريّان بن شبيب قال: لما أراد المأمون أن يزوّج ابنته ام الفضل أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السّلام بلغ ذلك العبّاسيين فغلظ عليهم و استكبروه و خافوا أن ينتهى الأمر معه إلى ما انتهى إليه مع الرّضا عليه السّلام فخاضوا فى ذلك و اجتمع منهم أهل بيته الأذنون منه فقالوا: ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر المذى قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فإننا نخاف أن تخرج به عنّا أمرا قد ملكناه الله و تنزع منّا عزّا قد ألبسناه، فقد عرفت ما بيننا و بين هؤلاء القوم قديما و حديثا و ما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم و التصغير بهم و قد كنّا فى وهله من عملك مع الرضا ما عملت حتّى كفانا الله المهمّ من ذلك فالله الله أن تردّنا إلى غمّ قد انحسر عنّا و اصرف رأيك عن ابن الرضا عليه السّلام و اعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أمّا ما بينكم و بين آل أبى طالب فأنتم السبب فيه و لو انصفتهم القوم لكانوا أولى بكم، و أمّا ما كان يفعله من قبلى بهم فقد كان به قاطعا للرحم و أعوذ بالله من ذلك و الله ما ندمت على ما كان منّى من استخلاف الرضا و لقد سألته أن يقوم بالأمر و أنزعه عن نفسى فأبى و كان أمر الله قدرا مقدورا، و أمّا أبو جعفر محمّد ابن عليّ قد اخترته لتبريزه على كافه أهل الفضل فى العلم و الفضل مع صغر سنّه و الاعجوبة فيه بذلك و أنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا أن الرأى ما رأيت فيه.

فقالوا: إنّ هذا الفتى و إن راقك منه هديه فإنّه صبى لا معرفه له و لا فقه فأمهله ليتأدّب و يتفقه فى الدين ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم إنّى أعرف بهذا الفتى منكم و أن هذا من أهل بيت علمهم من الله و مواده و إلهامه لم يزل آباؤه أغنياء فى علم الدّين و الأدب عن الرعايا الناقصه عن حدّ الكمال فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفت

ص: ١٥١

قالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين و لأنفسنا بامتحان فحل بيننا وبينه نصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة فإن أصاب الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره و ظهر للخاصه و العامه سديد رأى أمير المؤمنين، و إن عجز عن ذلك فقد كفيينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم و ذاك متى أردتم. فخرجوا من عنده و اجتمع رأيهم على مسأله يحيى بن أكثم و هو يومئذ قاضى الزمان على أن يسأله مسأله لا يعرف الجواب فيها و وعدوه بأموال نفيسه على ذلك و عادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوما للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك فاجتمعوا في اليوم الذى اتفقوا عليه و حضر معهم يحيى بن أكثم فأمر المأمون أن يفرش لأبى جعفر عليه السلام دست و يجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك و خرج أبو جعفر عليه السلام و هو يومئذ ابن تسع سنين و أشهر فجلس بين المسورتين و جلس يحيى بن أكثم بين يديه و قام الناس في مراتبهم و المأمون جالس في دست متصل بدست أبى جعفر عليه السلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أ تأذن لى يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟ فقال له المأمون: استأذنه في ذلك. فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أ تأذن لى جعلت فداك في مسأله؟ قال له أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت.

قال يحيى: ما تقول جعلنى الله فداك في محرم قتل صيدا؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: قتله في حل أو حرم، عالما كان المحرم أم جاهلا، قتله عمدا أو خطأ، حرًا كان المحرم أم عبدا، صغيرا كان أو كبيرا، مبتدئا بالقتل أم معيدا، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد كان أم من كبارها، مصرًا على ما فعل أو نادما، فى الليل كان قتله للصيد أم نهارا، محرما كان بالعمره إذ قتله أو بالحج كان محرما؟ فتحير يحيى بن أكثم و بان فى وجهه العجز و الانقطاع و لجلج حتى عرف جماعه أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمه و التوفيق لى

فى الرأى. ثم نظر إلى أهل بيته و قال لهم: أعرستم الان ما كنتم تنكرونه؟ ثم أقبل على أبى جعفر عليه السّلام فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين. فقال له المأمون: اخطب جعلت فداك لنفسك فقد رضيتك لنفسى و أنا مزوّجك أم الفضل ابنتى و إن رغم قوم لذلك.

فقال أبو جعفر عليه السّلام: الحمد لله إقرارا بنعمته و لا- إله إلا- الله إخلاصا لوحدايته و صلى الله على محمّد سيّد بريته و الأصفياء من عترته أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه: «وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » ثم إنّ محمّد بن على بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون و قد بذل لها من الصّداق مهر جدّته فاطمه بنت محمّد صلى الله عليه و آله و هو خمسمائه درهم جيادا، فهل زوّجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصّداق المذكور؟ قال المأمون: نعم، قد زوّجتك يا أبا جعفر أم الفضل ابنتى على الصّداق المذكور فهل قبلت النكاح؟ فقال أبو جعفر عليه السّلام: قد قبلت ذلك و رضيت به.

فأمر المأمون: أن يقعد الناس على مراتبهم فى الخاصّه و العامّه.

قال الريّان: و لم نلبث أن سمعنا أصواتا تشبه أصوات الملاحين فى محاوراتهم فاذا الخدم يجرون سفينه مصنوعه من الفضه مشدوده بالحبال من الإبريسم على عجل مملؤه من الغاليه فأمر المأمون أن يخضب لحاء الخاصه من تلك الغاليه ثم مدّت إلى دار العامّه فطيبوا منها و وضعت الموائد فأكل الناس و خرجت الجوائز إلى كلّ قوم على قدرهم.

فلما تفرق الناس و بقى من الخاصّه من بقى قال المأمون لأبى جعفر عليه السّلام:

إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فضّلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه و نستفيده؟ فقال أبو جعفر عليه السّلام: نعم إنّ المحرم إذا قتل صيدا فى الحلّ و كان الصيد من ذوات الطير و كان من كبارها فعليه شاه، فإن أصابه فى الحرم فعليه الجزاء

مضاعفاً، فاذا قتل فرخاً في الحلّ فعليه حمل قد فطم من اللبن، و إذا قتله في الحرم فعليه الحمل و قيمه الفرخ، و إن كان من الوحش و كان حمار وحش فعليه بقره، و إن كان نعامه فعليه بدنه، و إن كان ظيباً فعليه شاه، فان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبه، و إذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه و كان إحرامه بالحجّ نحره بمنى، و إن كان إحرامه بالعمره نحره بمكه، و جزاء الصيد على العالم و الجاهل سواء، و في العمده المأثم و هو موضوع عنه في الخطاء، و الكفاره على الحرّ في نفسه، و على السيّد في عبده، و الصغير لا كفاره عليه، و هى على الكبير واجبه، و النادم يسقط بندمه عنه عقاب الاخره، و المصّرّ يجب عليه العقاب في الاخره.

فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك، فان رأيت أن تسأل يحيى عن مسأله كما سألك؟ فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى: أسألك؟ قال: ذلك إليك جعلت فداك فان عرفت جواب ما تسألنى عنه و إلاّ استفدته منك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: أخبرنى عن رجل نظر إلى امرأه في أوّل النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار حلّت له، فلمّا زالت الشمس حرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر حلّت له؛ فلمّا غربت الشمس حرمت عليه، فلمّا دخل عليه وقت عشاء الاخره حلّت له، فلمّا كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلمّا طلع الفجر حلّت له، ما حال هذه المرأة و بما ذا حلّت له و حرمت عليه؟ فقال له يحيى بن أكثم: و الله ما اهتدى لى جواب هذا السؤال و لا أعرف الوجه فيه، فان رأيت أن تفيدناه؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه أمه لرجل من الناس نظر إليها أجنبىّ في أوّل النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من مولاه فحلّت له، فلمّا كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العشاء الاخره كفر عن الظهار فحلّت له، فلمّا كان في نصف الليل طلقها واحده فحرمت عليه،

ص: ١٥٤

فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له.

قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسأله بمثل هذا الجواب أو يطرف القول فيما تقدّم من السؤال؟ قالوا: لا والله إنّ أمير المؤمنين أعلم بما رأى.

فقال لهم: ويحكم إنّ أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل وإنّ صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول الله صلّى الله عليه وآله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين و قبل منه الإسلام وحكم له به ولم يدع أحدا في سنّه غيره، وبايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما ابنا دون ست سنين ولم يبايع صبيّا غيرهما؟ أفلا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم وأنهم ذريّه بعضها من بعض يجرى لاخرهم ما يجرى لأولهم؟ قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين.

ثم نهض القوم فلما كان من الغد حضر الناس وحضر أبو جعفر عليه السلام وصار القوّاد والحجاب والخاصّه والعامّه لتهنئته المأمون وأبي جعفر عليه السلام فاخرجت ثلاثه أطباق من الفضّه فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبه بأموال جزيله وعطايا ستيّه وأقطاعات فأمر المأمون بنثرها على القوم في خاصّيته فكان كلّ من وقع في يده بندقه أخرج الرقعه التي فيها والتمسه فاطلق له وضعت البدر فنثر ما فيها على القوّاد وغيرهم وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا وتقدّم المأمون بالصدقه على كافه المساكين ولم يزل مكرما لأبي جعفر عليه السلام معظما لقدره مدّه حياته يؤثره على ولده وجماعه أهل بيته.

بيان: المراد بابن الرضا هو أبو جعفر محمّد بن عليّ الرضا عليهما السلام، راقك منه أى عجبه وسره، الهدى بالفتح ثم السكون: السير والهيئه والطريقه وهو فاعل لقولهم راقك، على مسأله يحيى بن أكثم أى أن يستدعوا منه. والدست بالفتح ثم السكون: الوساده ويقال بالفارسيّه تشك. المسوره كمكنسه المتكأ من آدم. لجلج أى تردّد. اخطب جعلت فداك لنفسك: جعلت فداك معترضه

ص: ١٥٥

وقعت فى البين و لنفسك متعلق بقوله: اخطب. جياتا جمع الجيد، و هو ضد الردى.

و الإبريسم معرب أبريشم. العجل كالأجل: الاله التى تحمل عليها الأثقال و يقال بالفارسيه: گارى. الغاليه: الطيب. ظاهر منها: أى قال لها: ظهرك على كظهر امى كما بين فى الفقه.

«الإمام العاشر»

أبو الحسن على الهادى النقى ابن محمّد الجواد ابن على الرضا عليهم السلام و يعرف بالعسكرى أيضا كما أن ابنه الإمام الحادى عشر معروف بهذا القلب و سيأتى وجهه. قال ابن خلكان فى تاريخه فى ترجمته عليه السلام و المسعودى فى مروج الذهب فى ذكر خلافة المتوكل باسناده إلى محمّد بن يزيد المبرد قالا: و قد كان سعى به إلى المتوكل و قيل إنّ فى منزله سلاحا و كتباً و غيرها من شيعة و أوهموه أنّه يطلب الأمر لنفسه فوجّه إليه بعده من الأتراك ليلا فهجموا عليه فى منزله على غفلة فوجدوه وحده فى بيت مغلق و عليه مدرعه من شعر و على رأسه ملحفه من صوف و هو مستقبل القبلة يترنم بايات من القرآن الكريم فى الوعد و الوعيد و ليس بينه و بين الأرض بساط إلا الرمل و الحصا فأخذ على الصورة التى وجد عليها و حمل إلى المتوكل فى جوف الليل فمّثل بين يديه و المتوكل يستعمل الشراب و فى يده كأس فلما رآه أعظمه و أجلسه إلى جانبه و لم يكن فى منزله شىء مما قيل عنه و لا حجه يتعلّل عليه بها فناوله المتوكل الكأس العذى كان بيده فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى و دمى قط فاعفنى منه فأعفاه. و قال: أنشدنى شعرا أستحسنه فقال: إئتى لقليل الروايه فى الشعر، فقال: لا بدّ أن تنشدى شيئا فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل

و استنزّلوا بعد عز من منازلهم(١) فاودعوا حفرا يابئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسره و التيجان و الحلل؟

أين الوجوه التى كانت منعمه من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود تنتقل(٢)

قد طالما أكلوا دهرا و ما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد اكلوا

و طالما عمروا دورا لتحصنهم ففارقوا الدور و الأهلين و انتقلوا

ص: ١٥٦

١- (١) (عن معاقلهم - خ ل)

٢- (٢) (تقتل - خ)

و طالما كنزوا الأموال و آذخروا فخلفوها على الأعداء و ارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطله و ساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال: فأشفق من حضر على علي عليه السلام و ظنوا أن بادره تبدر منه إليه قال: و الله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بليت دموعه لحيته و بكى من حضره ثم أمر برفع الشراب ثم قال له: يا أبا الحسن أ عليك دين؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها إليه و ردّه إلى منزله من ساعته مكرما.

و نقل القصة ثقة الاسلام الكليني في الكافي و الفيض (ره) في الوافي (ص ١٩٥ م ٢) و الشيخ الجليل المفيد في الارشاد أعجب ما نقله ابن خلّكان، قال المفيد: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمّد، عن محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم، عن ابن النعيم ابن محمّد الطاهري قال: مرض المتوكل من خراج خرج به فأشرف منه على الموت فلم يجسر أحد أن يمسه بحديده فنذرت أمّه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام مالا جليلا من مالها و قال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرّجل يعني أبا الحسن عليه السلام فسألته فأنه ربّما كان عنده صفة شيء يفرج الله به عنك فقال: ابعثوا إليه فمضى الرسول و رجع فقال: خذوا كسب الغنم فديفوه بماء الورد وضعوه على الخراج فأنه نافع باذن الله، فجعل من يحضر المتوكل يهزأ من قوله فقال لهم الفتح: و ما يضرّ من تجربه ما قال فو الله إنّي لأرجو الصّلاح به فأحضر الكسب و ديف بماء الورد و وضع على الخراج فانفتح و خرج ما كان فيه و بشرت أمّ المتوكل بعافيه فحملت إلى أبي الحسن عليه السلام عشرة آلاف دينار تحت ختمها و استقل المتوكل فلما كان بعد أيام سعى البطحائي بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكل و قال: عنده أموال و سلاح فتقدم المتوكل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلا و يأخذ ما يجده عنده من الأموال و السلاح و يحمل إليه، قال إبراهيم بن محمّد:

قال لي سعيد الحاجب: صرت إلى دار أبي الحسن عليه السلام بالليل و معي سلّم فصعدت منه إلى السطح و نزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة فلم أدر كيف أصل إلى الدار فناداني أبو الحسن عليه السلام من الدار يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعه فلم

ص: ١٥٧

ألبث أن أتوني بشمعه فنزلت فوجدت عليه جبّه صوف و قلنسوه منها و سجدته على حصير بين يديه و هو مقبل على القبلة فقال لى: دونك البيوت فدخلتها و فتشتها فلم أجد فيها شيئا و وجدت البدره مختومه بخاتم امّ المتوكل و كيسا مختوما معها.

فقال لى أبو الحسن عليه السّلام دونك المصلّى فرفعته فوجدت سيفا فى جفن ملبوس فأخذت ذلك و صرت إليه فلمّا نظر إلى خاتم امّه على البدره بعث إليها فخرجت إليه فسألها عن البدره فأخبر بعض خدام الخاصّه أنها قالت: كنت نذرت فى علّتك إن عوفيت أن أحمل إليه من مالى عشره آلاف دينار فحملتها إليه و هذا خاتمى على الكيس ما حرّكه و فتح الكيس الاخر فاذا فيه أربعمائه دينار فأمر أن يضم إلى البدره بدره اخرى و قال لى: احمل ذلك إلى أبى الحسن عليه السّلام و اردد عليه السيف و الكيس بما فيه فحملت ذلك إليه و استحيت منه فقلت له: يا سيدى عزّ على دخولى دارك بغير اذنك و لكّنّى مأمور فقال لى: «و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ».

بيان: الخراج بالضم ما يخرج فى البدن من القروح كالدمل و شبهه. و فى الصحاح: الكسب بالضم عصاره الدهن و قال بعض أهل اللغة: هو ما تلبد من أبعاد الشاه و لهذا اضيف الكسب إلى الغنم و جاء فى الكافى كسب الشاه مكان كسب الغنم.

دافه بالشىء أى خلطه. ضعوه فعل أمر. استقل المتوكل أى رفع علته و برأ.

عزّ على أى اشتدّ و صعب على دخولى دارك بغير إذنك. و فى الكافى: سعى إليه البطحائى العلوى.

أقول: تلك الأبيات المذكوره فى الديوان المنسوب إلى جدّه و سمّيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهم السّلام و تنتهى إلى خمس و عشرين بيتا، و فضائله و مناقبه و معجزاته و احتجاجاته فى التوحيد و سائر العلوم الدينيه و الدنياويه على المخالف و المؤلف حجه قاطعه على اولى الدرايه و النهى فى سمّ مقامه و تكامل فضله و وفور علمه و امامته و خلافته.

فى الاحتجاج: سئل أبو الحسن عليه السّلام عن التوحيد فقل له: لم يزل الله وحده لا شىء معه ثم خلق الأسماء بديعا و اختار لنفسه الأسماء و لم تزل الأسماء و الحروف

معه قديمه. فكتب عليه السلام: لم يزل الله موجودا ثم كَوْن ما أراد لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه تاهت أوهام المتوهمين و قصر طرف الطارفين و تلاشت أوصاف الواصفين و اضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب (لعظيم - خ ل) شانه أو الوقوع بالبلوغ على علو مكانه فهو بالموضع الذي لا- يتناهى و بالمكان الذي لم تقع عليه فيه عيون بأشاره و لا عباره هيهات هيهات.

و فيه أيضا: قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأه مسلمه فأراد أن يقيم الحد عليه فأسلم فقال يحيى بن أكثم: قد هدم إيمانه شرکه و فعله و قال بعضهم يضرب ثلاثه حدود و قال بعضهم: يفعل به كذا و كذا فأمر المتوكل بالكتاب إلى أبي الحسن العسكري عليه السلام و سؤاله عن ذلك فلمّا قرأ الكتاب كتب: يضرب حتى يموت، فأنكر يحيى و أنكر فقهاء العسكر ذلك فقالوا: يا أمير المؤمنين سل عن هذا فإنه شيء لم ينطق به كتاب و لم تجيء به سنه فكتب اليه: إن فقهاء المسلمين قد أنكروا هذا و قالوا: لم تجيء به سنه و لم ينطق به كتاب فبين لنا لم أوجب عليه الضرب حتى يموت؟ فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم «فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده و كفّرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا» الآية. فأمر به المتوكل فضرب حتى مات.

و كذا غيرها من الاحتجاجات الانيقه العلميه رواها ثقات المحدثين. و بالجملة و قد اجتمعت فيه خصال الإمامه و تكامل علومه و فضله و جميع خصال الخير فيه و كانت أخلاقه كلّها خارقه للعاده كاخلاق آبائه عليهم السلام و لو ذكرنا جميع محاسنه الكريمه و آثاره العلميه لطال الكتاب بها.

«الإمام الحادي عشر»

أبو محمّد الحسن العسكري ابن عليّ الهادي عليهما السلام. قال ابن خلّكان في تاريخه:

هو أحد الأئمه الاثنى عشر على اعتقاد الإماميه و هو والد المنتظر صاحب السرداب و يعرف بالعسكري و أبوه عليّ يعرف بهذه النسبه - إلى أن قال: و العسكري بفتح العين المهمله و سكون السين المهمله و فتح الكاف و بعدها راء هذه النسبه إلى

ص: ١٥٩

سرّ من رأى و لما بناها المعتصم و انتقل إليها بعسكره قيل لها العسكر و انما نسب الحسن المذكور إليها لأن المتوكل أشخص أباه عليا إليها و اقام بها عشرين سنه و تسعه أشهر فنسب هو و ولده هذا اليها. انتهى كلامه.

و فى الخرائج و الجرائح للراوندى: كانت أخلاقه كاخلاق رسول الله صلى الله عليه و آله و كان رجلا أسمر حسن القامه جميل الوجه جيد البدن حدث السن له جلاله و هيئه حسنه تعظمه العامه و الخاصه اضطرارا يعظمونه لفضله و يقدونه لعفاهه و صيانته و زهده و عبادته و صلاحه و اصلاحه و كان جليلا نبيلافاضلا كريما يحمل الأثقال و لا يتضعضع للنواكب أخلاقه خارقه للعاده على طريقه واحده.

و فى الاحتجاج للطبرسى بإسناده إلى أبى يعقوب يوسف بن محمد بن زياد و أبى الحسن على بن محمد بن سيار أنهما قالا: قلنا للحسن أبى القائم: إن قوما عندنا يزعمون أن هاروت و ماروت ملكان اختارتهما الملائكه لما كثر عصيان بنى آدم و أنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدنيا و أنهما افتتنا بالزهره و ارادا الزنا بها و شربا الخمر و قتل النفس المحرمه و أن الله يعذبهما ببابل و أن السحره منهما يتعلمون السحر و أن الله مسح تلك المرأه هذا الكوكب الذى هو الزهره؟ فقال الإمام عليه السلام: معاذ الله من ذلك إن ملائكه الله معصومون محفوظون من الكفر و القبائح بالطفاف الله فقال عزّ و جلّ لهم «لا- يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» و قال «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ» - يعنى الملائكه - «لا- يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَسْتَحْسِبُونَ يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ» و قال فى الملائكه . «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْتَبْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ» - إلى قوله: «مُشْفِقُونَ» كان الله قد جعل هؤلاء الملائكه خلفاءه فى الأرض و كانوا كالأنبياء فى الدنيا و كالأئمه أ فيكون من الأئمه قتل النفس و الزنا؟!.

ثم قال عليه السلام: أو لست تعلم أن الله لم يخل الدنيا من نبيّ أو إمام من البشر؟ أو ليس الله تعالى يقول «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» - يعنى إلى الخلق - «إِلَّا رِجَالًا- نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى» فأخبر أنه لم يبعث الملائكه إلى الأرض ليكونوا أئمه و حكاما

و إنما ارسلوا إلى أنبياء الله.

قالا: قلنا له عليه السلام: فعلى هذا لم يكن إبليس أيضا ملكا. فقال عليه السلام: لا بل كان من الجنّ أما تسمع أن الله تعالى يقول: «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ » فاخبر انه كان من الجن و هو الذى قال الله تعالى «وَ الْجَانُّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ».

و قال الإمام عليه السلام: حدّثني أبي عن جدّي عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليه السلام عن رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّ الله اختارنا معاشر آل محمّد و اختار النبيين و اختار الملائكة المقربين و ما اختارهم إلّا على علم منه بهم أنّهم لا يواقعون ما يخرجون به عن ولايته و ينقطعون به عن عصمته و ينضمّون به إلى المستحقين لعذابه و نقمته.

قالا: قلنا: فقد روى لنا إنّ عليّا صلوات الله عليه لما نصّ عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله بالإمامه عرض الله ولايته على فئام و فئام من الملائكة فأبوها فمسخهم الله ضفادع، فقال عليه السلام: معاذ الله هؤلاء المتكذبون علينا، الملائكة هم رسل الله كسائر أنبياء الله إلى الخلق أفيكون منهم الكفر بالله؟ قلنا: لا. قال: فكذلك الملائكة إنّ شأن الملائكة عظيم و إنّ خطبهم لجليل. انتهى.

و بالجملة ان فضائله و مناقبه و معجزاته و احتجاجاته و شيمه و علومه و زهده و كمال عقله و عصمته و شجاعته و كرمه و كثره اعماله المقربة إلى الله تعالى و اجتماع خلال الفضل فيه تنادى بأعلى صوتها تقدمه على كافه أهل عصره و إمامته الرياسة الالهية على جميع من سواه و أعرضنا عن تفصيلها روما للاختصار.

«كلام محيي الدين الاعرابي أو المغربي فيه (عليه السلام)» قال في المناقب: صلوات الله و ملائكته و حمله عرشه و جميع خلقه من أرضه و سمائه على البحر الزاخر، زين المفاخر، الشاهد لأرباب الشهود، الحجّة على ذوى الجحود، معرّف حدود حقائق الربانيّة، منوّع أجناس العالم السبحانيه، عنقاء قاف القدم، العالى عن مرقاه الهمم، وعاء الأمانه، محيط الإمامه، مطلع الأنوار

ص: ١٦١

«الإمام الثانى عشر»

المسمّى باسم رسول الله صلّى الله عليه وآله والمكّنّى بكنيته الذى بيمنه رزق الورى و ببقائه بقيت الدنيا خاتم الأوصياء و شرف الأرض و السماء بقيه الله فى أرضه و المنتقم من أعدائه الحجّه من آل محمّد صاحب الزمان و خليفه الرحمن إمامنا و مولانا ابن الحسن العسكرى عجل الله تعالى فرجه كان سنّه عند وفاه أبيه خمس سنين آتاه الله فيها الحكمه و فصل الخطاب و جعله آيه للعالمين و آتاه الحكمه كما آتاها يحيى صيبا و جعله إماما فى حال طفولته كما جعل عيسى فى المهد نبيا هو المعصوم من الزلات و المقوم للعصاه سيرته سيره آبائه عليه و عليهم السّلام خارقه للعادة، و كان الخبر بغيبته ثابتا قبل وجوده و بدولته مستفيضا قبل غيبته و هو صاحب السيف من أئمه الهدى عليهم السّلام و القائم بالحق المنتظر لدوله الإيمان الذى يملأ الله به الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما.

و الأخبار من رسول الله صلّى الله عليه وآله بأسانيد كثيره و طرق عديده من الفريقين فى أن المهدي عليه السّلام من ولده صلّى الله عليه وآله يواطى اسمه اسمه و يبلغ سلطانه المشرق و المغرب و يملأ الله به الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا، بلغت إلى حدّ التواتر حتّى أن الشيخ الحافظ أبا عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجى الشافعى المتوفى سنة ٦٥٨ هـ صاحب كتاب كفايه الطالب صنع كتابا على خمس و عشرين بابا كلّ من طرق علماء السنه و رواتهم عاريا عن أحاديث الشيعة فى أخبار صاحب الزّمان عليه السّلام سماه كتاب البيان فى أخبار صاحب الزّمان و هذا الكتاب طبع بایران سنة ١٣٢٤ هـ فى ذيل كتاب الغيبه لشيخ الطائفة الاماميه الشيخ محمّد بن حسن الطوسى. و قال فى مقدمه الكتاب:

و سميته بالبيان فى أخبار صاحب الزّمان و عزّيته عن طرق الشيعة تعريه تركيب الحجّه إذ كل ما تلقته الشيعة بالقبول و إن كان صحيح النقل فإنما هو خرّيت منارهم و خداريه زمارهم فكان الاحتجاج بغيره أكد و فيه أبواب:

الباب الأول فى ذكر خروجه عليه السّلام فى آخر الزمان.

الباب الثّانى فى قوله صلّى الله عليه و آله المهدي من عترتى من ولد فاطمه.

الباب الثّالث فى ذكر المهدي من سادات أهل الجنّة.

الباب الرّابع فى أمر النّبىّ صلّى الله عليه و آله بمبايعه المهدي عليه السّلام.

الباب الخامس فى ذكر نصره أهل المشرق للمهدي عليه السّلام.

الباب السادس فى مقدار ملكه بعد ظهوره عليه السّلام.

الباب السابع فى بيان انه يصلّى بعيسى عليه السّلام.

الباب الثّامن فى تحليه النّبىّ صلّى الله عليه و آله المهدي عليه السّلام.

الباب التاسع فى تصريح النّبىّ صلّى الله عليه و آله بأنّ المهديّ من ولد الحسين عليه السّلام.

الباب العاشر فى ذكر كرم المهدي عليه السّلام.

الباب الحادى عشر فى الرد على من زعم أنّ المهدي عليه السّلام هو المسيح بن مريم الباب الثّانى عشر فى قوله صلّى الله عليه و آله لن تهلك امه أنا فى أولّها و عيسى فى آخرها و المهدي فى وسطها.

الباب الثّالث عشر فى ذكر كنيته و أنّه يشبه النّبىّ صلّى الله عليه و آله فى خلقه.

الباب الرّابع عشر فى ذكر اسم القرية التى يكون فيها خروج المهدي عليه السّلام.

الباب الخامس عشر فى ذكر الغمامه التى تظلّ المهدي عليه السّلام (١).

الباب السابع عشر فى ذكر صفه المهدي عليه السّلام و لونه و جسمه (٢).

الباب التاسع عشر فى ذكر كيفيه اسنان المهدي عليه السّلام.

الباب العشرون فى ذكر فتح المهدي عليه السّلام القسطنطينيه.

الباب الحادى و العشرون فى ذكر خروج المهدي عليه السّلام بعد ملك الجبابره.

الباب الثّانى و العشرون فى قوله صلّى الله عليه و آله المهدي عليه السّلام إمام صالح.

الباب الثالث و العشرون فى ذكر تنعم الأئمة زمن المهدي عليه السلام.

الباب الرابع و العشرون فى أخبار رسول الله صلى الله عليه و آله أنّ المهدي خليفة الله.

الباب الخامس و العشرون فى الدلالة على جواز كون المهدي عليه السلام حيا

ص: ١٦٣

-
- ١- (١) هذه الصفحة مطابقه للأصل و قد سقط منها الباب السادس عشر و الباب الثامن عشر و لم يتيسر لى تحصيل المصدر حتى أراجعه فأثبتته على ما هو عليه. «المصحح»
- ٢- (٢) هذه الصفحة مطابقه للأصل و قد سقط منها الباب السادس عشر و الباب الثامن عشر و لم يتيسر لى تحصيل المصدر حتى أراجعه فأثبتته على ما هو عليه. «المصحح»

باقيا مذ غيبته. ثم أخذ في نقل الاحاديث المنقوله من كتب الصحاح الستة و غيرها من كتب العامه لكل باب.

و إن ساعدنا التوفيق نأتى بطائفه من المطالب العلميه الاخر قمعا لبعض الشبهات الموهومه الموهونه فى المقام فى ضمن كلامه عليه السلام لكميل بن زياد النخعي:

(اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجه إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله و بيناته - إلخ) و نسأل الله و نرجو من رحمته الله الواسعه ان يوفقنا لذلك فإنه ولى التوفيق.

و اعلم أن ما حررنا و نقلناه فى المقام قطره من بحار علمهم و رشحه من سماء فيضهم و كفى لطالب الحق العالم البصير شاهدا أن المستضيئين من أنوار علومهم لا يعدون و لا يحصون كثرة و ما تفوّه أحد بأنهم عليهم السلام أخذوا تلك المعارف الالهيه من غيرهم و اشتغلوا بالدراسه لدى عالم بل اتفق محققو الامه و منصفوها بأن كل واحد منهم عليهم السلام أفضل عصره فى جميع الكمالات و الفضائل و المحامد و الخصال فتنبّه و تيقن بأن علومهم لدنيه و انهم حجج الله تعالى المنصوبون من عنده و المعصون مما لا يليق لهم.

قال المؤلف الشارح الفقير المفتاق إلى رحمه ربّه و المشتاق إلى حضره جنابه نجم الدين الحسن بن عبد الله الطبرى الاملى: أشهد أن هؤلاء أئمتى و سادتى و قادتى أئمه الهدى و مصاييح الدجى و ينابيع الحسنى من فاضل طينتهم خلقت، و بحبهم ولدت، و بحبهم أعيش و بحبهم أموت و بحبهم ابعث حيّا إنشاء الله تعالى و بهم أتولى و من أعدائهم أتبرأ. قد افلح من استمسك بذيل ولايتهم و فاز من دخل فى حصن أمنهم و شرفهم و اغترف من قاموس علمهم و ارتوى من بحر جودهم و من اعرض عنهم فان له معيشه ضنكا و هو فى الاخره من الخاسرين. لأنهم عليهم السلام شهداء الله على خلقه و خلفاؤه فى أرضه و أبواب رحمته و انهم نور الله و ولاه أمره و خزنه علمه و عيبه و حيه و بهم عرف الصواب و علم الكتاب فمن أطاعهم فقد أطاع الله و من عصاهم فقد عصاه هم العروه الوثقى و الوسيله إلى الله جلّ و علا. صدق

ص: ١٦٤

ولَّى الله الأعظم أبو عبد الله الصِّادق عليه السَّلام حيث قال لخيثمه (الكافي). وفي الوافي ص ١٢٨ م ٢): يا خيثمه نحن شجرة النَّبوه وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمه ومعدن العلم وموضع الرساله ومختلف الملائكه وموضع سر الله ونحن وديعه الله في عبادته ونحن حرم الله الأكبر ونحن ذمه الله ونحن عهد الله فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله ومن خفها فقد خفر ذمه الله وعهده.

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله. فلنعد إلى شرح جمل الخطبه الشريفه بعون الله تعالى فنقول:

أنه عليه السَّلام ذكر فيها لال محمّد عليهم السَّلام أوصافا وهذه الأوصاف على الكمال والتمام لا يليق إلا بهم ولا يصدق إلا عليهم فإنه لا يتصف بمجموعها إلا من كان مؤيّدا من الله ومنصوبا من عنده وبالجملة على من جعله الله تعالى خليفه له واما للناس قوله عليه السَّلام: (هم عيش العلم) أى هم حياه العلم ونفسه يدور معهم حيث داروا ومتى كان الإمام كان العلم وسائر الصفات الكماليه الانسانيه وبالجملة ان العلم حى بهم فكأنما العلم ذو جسد روحه آل محمّد عليهم السَّلام ومن تتبع الكتب العلميه يجد أن أنوار علوم الأئمه اشرفت الأرض و انارت القلوب و أضاءت النفوس فعليك بنهج البلاغه والصحيحه الكامله و مجلّدات الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه و روايات مجلّدات البحار و تفاسير علماء الإماميه وغيرها ممّا لا تحصى كثره بل فى تاليف العامه أيضا حتى ترى بعين اليقين أنّ الكل عيالهم عليهم السَّلام فى حقائق الأصول و دقائق الفروع.

«كلام ابن الجوزى فى على أمير المؤمنين و على» «زين العابدين عليهما السلام» المنقول عن ابن الجوزى فى خصائص الأئمه، فانه قال: لو لا أمير المؤمنين على عليه السَّلام لما كمل توحيد المسلمين وعقائدهم إذا التّبيّ صلى الله عليه وآله لم تحصل له الفرصه إلا بقدر أداء امهات العقائد والفروع و أما دقائقها من كون الصفات مثلا قسمين:

ذاتيه و فعليه و أن أيها عين ذاته تعالى و أيها ليست بعينها وغيرها من دقائق المطالب

ص: ١٦٥

و رقائقها فإنّ المسلمين عيال على أمير المؤمنين متعلمون منه. - إلى أن قال في حق مولانا سيد الساجدين ما محصله: ان عليّ بن الحسين زين العابدين له حق التعليم في الاملاء و الإنشاء و كيفية المكالمة و المخاطبة و عرض الحوائج إلى الله تعالى فانه لولاه لم يعلم المسلمون كيف يتكلمون و يتفوهون سبحانه في حوائجهم فان هذا الإمام عليه السلام علمهم بأنّه متى ما استغفرت فقل كذا و متى ما استسقيت فقل كذا و متى ما خفت من عدوّ فقل كذا - إلخ - و قد روى عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام فقهاء العامة من العلوم ما لا تحصي كثره و حفظ عنه من المواعظ و الأدعية و فضائل القرآن و الحلال و الحرام و المغازي و الأيّام ما هو مشهور بين العلماء.

و هذا هو الصادق جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين استضاء من مشكاة وجوده و ارتوى من بحر جوده أربعة آلاف رجل مما تلوناه عليك و بعض آثارهم و أقوالهم في حق استاذهم الصادق عليه السلام.

قوله عليه السّلام: (و موت الجهل) أي هم موت الجهل يعني أنّ الجهل يموت بوجودهم عليهم السّلام و ذلك كما باشرق النور الحسى كنور الشمس مثلا تزول الظلمة و تموت و لا يجتمعان كذلك بنور العلم تموت ظلمة الجهل فلمّا كان آل محمّد صلّى الله عليه و آله شمس سماء العلم و المعرفة و ارواح اجساد العلوم و الحقائق و عيش العلم فلا محالة تعدم ظلمة الجهل بهم.

قوله عليه السّلام: (يخبركم حلمهم عن علمهم). الحلم هو طمأنينة النفس بحيث لا يحركها الغضب بسهولة و لا يزعجه المكروه بسرعه فهو ضد الغضب، و الحلم من اشرف الكمالات النفسية بعد العلم و لذا ترى كلما يسأل عن العلم أو يمدح يقارن بالحلم قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: اللهم أغنني بالعلم و زيني بالحلم.

و قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام «كما يأتي في باب المختار من حكمه»:

ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك و لكن الخير أن يكثر علمك و يعظم حلمك.

و في باب صفة العلماء من الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام: اطلبوا العلم و تزينوا

ص: ١٦٦

و فيه عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السّلام قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: نعم وزير الإيمان العلم و نعم وزير العلم الحلم و نعم وزير الحلم الرّفق و نعم وزير الرفق الصبر.

و انما كان حلمهم عليهم السّلام يخبركم عن علمهم لأن الحلم يلازم العلم بمواقع الحلم.

و فى الارشاد للمفيد: روى إسحاق بن منصور السلولى قال: سمعت الحسن ابن صالح يقول: سمعت أبا جعفر محمّد بن علىّ عليهما السّلام يقول: ما شيب شىء بشىء أحسن من حلم بعلم.

و فى البحار و غيره من كتب الأخبار: لمّا مات الحسن بن علىّ عليهما السّلام و أخرجوا جنازته حمل مروان سريره فقال له الحسين عليه السّلام: أتحمل سريره؟ أما و الله لقد كنت تجرعه الغيظ فقال مروان: إنّى كنت أفعل ذلك بمن يوازى (يوازن - خ ل) حلمه الجبال.

ثمّ جاء فى بعض النسخ كما فى شرح المعتزلى و ينابيع المودّه بعد قوله هذا قوله: (و ظاهرهم عن باطنهم) فإنّ الظاهر عنوان الباطن فالأفعال الحسنه الصادره عنهم و الأخلاق الكريمة البارزه منهم تدلّ على حسن سريرتهم و اخلاصهم لأن بدن الانسان بمنزله مدينه مدبره و سلطانه هو القلب اعنى العقل و سائر القوى عمّاله و جنوده فاذا سلم القلب لا يصدر منه إلّا الخير فان القوى حينئذ كانت باسرها تحت اشاره العقل و تديرها و وقعت مصالحه و مسالمة بينها و العقل تستعملها فى المواضع اللائقه بها على ما ينبغى لها قال عزّ من قائل «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا». كما أن العقل إذا صار مغلوب القوى غلبت على الانسان الشرور و لا يبرز منه إلّا الأفعال الحيوانيه و الاثار الشيطانيه فيسقط فى مهاوى المهلكه كما قال تعالى «وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» و عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: فى الانسان مضغه إذا هى سلمت و صحت سلم بها سائر الجسد فاذا سقمت سقم بها سائر الجسد و فسد و هى القلب

و نعم ما قال العارف المعروف مجدود بن آدم السنائي في الحديقه:

دل آن كس كه گشت بر تن شاه بود آسوده ملك از او و سپاه

بد بود تن چه دل تباه بود ظلم لشكر ز ضعف شاه بود

این چنین پر خلل دلی که تراست دد و دیوند با تو زین دل راست

پاره گوشت نام دل کردی دل تحقیق را بحل کردی

این که دل نام کرده ای بمجاز رو به پیش سگان کوی انداز

از تن و نفس و عقل و جان بگذر در ره او دلی بدست آور

آن چنان دل که وقت پیچاپیچ اندر او جز خدا نیابی هیچ

دل یکی منظری است ربّانی خانه دیو را چه دل خوانی

از در نفس تا بکعبه دل عاشقان را هزار و یک منزل

و لقد تكلمنا في ذلك و أتينا ببعض الاشعار و الامثال في شرح الخطبه ٢٣١ عند قوله عليه السّلام ألا- إنّ اللسان بضعه من الانسان فراجع.

قوله عليه السّلام: (و صمتهم عن حكم منطقهم) لا يخفى أنّ الصمت في موقع الكلام قبيح كالكلام في موقع الصمت و سيأتي في باب المختار من حكمه عليه السّلام، الحكمه ٢٨٢ قوله عليه السّلام: لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل. و ما اجاد كلام الشيخ السعدى:

دو چیز طیره عقلست دم فرو بستن بوقت گفتن و گفتن بوقت خاموشی

و العارف بمواقع السكوت يكون عارفا بمواقع الكلام أيضا فصمته في موقعه يدلّ على أن منطقه يكون على حكمه و صواب فمن لم يعلم مواقع السكوت يتكلّم بما لا يعنيه و يسكت عن ما يعنيه. فصمتهم عليهم السّلام عن ما لا يعنيههم، يخبركم على أن منطقهم يكون على حكمه و واقعا في محلّه.

ثمّ أنّه سئل السّجاد علىّ بن الحسين عليهما السّلام عن الكلام و السكوت أيهما أفضل فقال: لكل واحد منهما آفات فاذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت قيل: كيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأنّ الله عزّ و جلّ ما بعث الأنبياء و الأوصياء

بالسكوت انما بعثهم بالكلام ولا استحقت الجئه بالسكوت ولا استوجبت ولايه الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت و ما كنت لأعدل القمر بالشمس انك تصف فضل السكوت بالكلام و لست تصف فضل الكلام بالسكوت.

ثم إن في بعض النسخ جاءت العبارة هكذا: (و صمتهم عن منطقهم) و في بعض النسخ كما اخترناه و على هذا يمكن أن يقرأ الحكم بضم الحاء و سكون الثانى أى صمتهم يخبركم عن حكم منطقهم يعنى أن حكم منطقهم صواب و حقيقه كما تقول: ذلك الشيء يكون حكمه كذا، و يمكن أن يقرأ بكسر الحاء و فتح الثانى جمع الحكمه كما علم.

قوله عليه السلام: (لا يخالفون الحق) فان الحق فى كل شىء هو العدل المحض الذى وسط الافراط و التفريط و آل محمد صلوات الله عليهم هم الأئمة المهديون من الله يهدون بأمر الله و ينظرون بنور الله و قد دريت مما قدّمنا ان الحجج الالهيه لمكان عصمتهم لا يعدلون عن الحق طرفه عين أبدا و هم الموازين القسط و المعايير الحق و المناهج الصدق و على بينه من ربهم. قال الله تعالى «و بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَّلَ» (الكهف - ١٠٧) و قال رسول الله صلى الله عليه و آله: على مع القرآن و القرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض (١). فعلى عليه السلام يكون مع الحق إلى يوم القيامة كما نصّ به

ص: ١٦٩

١- (١) هذه الروايه رواها كثير من نقله الأحاديث و حملة الأخبار فى جوامعهم منهم الشيخ الاجل المفيد قدس سره فى كتاب الجمل (ص ٢٠٩ طبع نجف) قال: روى المسعودى عن هاشم بن الوليد عن ابن سعيد التميمى عن أبى ثابت مولى أبى ذر قال: شهدت مع أمير المؤمنين على عليه السلام الجمل فلما رأيت عائشه واقفه بين الصفين و معها طلحه و الزبير، قلت: ام المؤمنين و زوجة الرسول (صلى الله عليه و آله) و حوارى الرسول و صاحبه باحد فدخلنى ما يدخل الناس من الشك حتى كان عند صلاه الظهر كشف الله ذلك عن قلبى و قلت: على أمير المؤمنين و أخو سيد المرسلين و أولهم اسلا ما لم يكن بالذى يقدم على شبهه فقاتلت معه قتالا شديدا فلما انقضى الحرب أتيت المدينه فسرت الى بيت ام سلمه فاستأذنت عليها فقبل من هذا؟ فقلت: سائل، فقالت: أطعموا السائل؛ فقلت: انى و الله لم أسأل طعاما و لكنى مولى أبى ذر رجعت أسأل عن دينى فقالت مرحبا بك فقصصت عليها قصتى؛ فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرها؟ فقلت انى بينما احس ذلك اذ كشف الله عن قلبى فقاتلت مع أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى فرغ، فقالت احسنت انى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: ان عليا مع القرآن و القرآن مع على لا يفترقان حتى يردا الحوض. و كذا اخرج الطبرانى فى الأوسط عن ام سلمه قالت ام سلمه قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول على مع القرآن و القرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض. (منه)

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله الحق مع عليّ حيث دار والأخبار في ذلك المعنى من طرق الفريقين لا تحصى كثره. وكذا الكلام في باقى الأئمة الاحد عشر الحق معهم حيث داروا لعصمتهم. وفي الكافي بإسناده عن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

كتاب الله فيه نبا ما قبلكم و خبر ما بعدكم و فصل ما بينكم و نحن نعلمه.

قوله عليه السلام: (و لا يختلفون فيه) فان كثره الأقوال من واحد فى مسأله واحده او اختلاف الاثنين أو أكثر فيها انما يكون بجهلهم عن الحق لأن الحق لا يكون إلا واحدا و لا يتكرر و لا يتغير.

ففى التهذيب لشيخ الطائفة قدس سرّه بإسناده عن أبى مريم عن أبى جعفر عليه السلام (ص ٦٠ م ١ من الوافى) قال: قال عليّ صلوات الله عليه: لو قضيت بين رجلين بقضيّه ثم عادا إلى من قابل لم ازدهما على القول الأول لأن الحق لا يتغير.

و حيث إن الحق مع آل محمد حيث دار فلا يتطرق الاختلاف فى أقوالهم و آرائهم لأن علومهم من معدن واحد و عين واحده و ذواتهم عليهم السلام من نور واحد كما صرّحوا به فى كثير من الأخبار و فى بعضها خلقنا واحد و علمنا واحد و فضلنا واحد و كلنا واحد عند الله و فى روايه: و نحن شيء واحد.

و فى الكافي بإسناده إلى حماد بن عيسى و غيره قالوا سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول:

حديثى حديث أبى و حديث أبى حديث جدّى و حديث جدّى حديث الحسين و حديث الحسين حديث الحسن و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين و حديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و حديث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قول الله تعالى.

ص: ١٧٠

و فيه بإسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الحديث اسمعه منك أرويه عن أبيك أو أسمعه من أبيك أرويه عنك؟ قال: سواء إلا أنك ترويه عن أبي أحب إلي. وقال أبو عبد الله عليه السلام لجميل: ما سمعت مني فاروه عن أبي.

و في الكافي أيضا في حديث طويل (الوافي ص ١٤ م ٢) عن أبي جعفر عليه السلام فقد مكن ولأه الأمر بعد محمد صلى الله عليه وآله والعلم و نحن هم فاسألونا فان صدقناكم فأقرّوا و ما أنتم بفاعلين أما علمنا فظاهر، أما أبان أجلنا الذي يظهر فيه الدين مناحتي لا- يكون بين الناس اختلاف فان له أجلا من ممر الليالي و الأيام إذا أتى ظهر و كان الأمر واحدا، و أيم الله لقد قضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف و لذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد علينا و لنشهد على شيعتنا و ليشهد شيعتنا على الناس، أباي الله تعالى أن يكون في حكمه اختلاف أو بين أهل علمه تناقض، الحديث قوله عليه السلام: (هم دعائم الاسلام) شبه الدين بالبيت أو الفسطاط مثلا و آل محمد صلى الله عليه وآله و آلهم بدعائمه و كما أن البيت قائم بالدعائم و الأركان كذلك الاسلام بال محمد و ذلك لما دريت أنفا أن الله تعالى أنزل القرآن تبيانا لكل شيء و ما فرط في الكتاب من شيء و كذا علمت انه ما من أمر يختلف فيه اثنان الا و له أصل في كتاب الله و لكن لا تبلغه عقول الرجال، فلا بد للقرآن من قيم مؤيد بتأييدات سماوية حافظ للدين و مبين للكتاب المبين و ذلك القيم المبين في كل عصر لا بد أن يكون خازن علم الله و عيبه و حيه و أن تكون أفعاله معهوده من الله حتى يحفظ الدين به و آل محمد صلى الله عليه وآله و آلهم و خزنه علمه.

في الكافي بإسناده عن الحسن بن موسى عن علي عن عمه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن ولأه امر الله و خزنه علم الله و عيبه و حيه الله.

و فيه عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال له: جعلت فداك ما أنتم؟ قال: نحن خزّان علم الله و نحن تراجعهم و حيه الله نحن الحجة البالغة على من دون السماء و من فوق الأرض.

قوله عليه السلام: (و ولائج الاعتصام) أي هم أهل أن يعتمد الوري عليهم و يتخذوهم ولائج و يتمسكوا بهم، فإنهم منار الهدى و اعتصام الوري، قال رسول الله صلى الله عليه وآله و آلهم

مثل أهل بيتي كسفينه نوح من ركبها نجى و من تخلف عنها هوى.

و فى المجلس السادس و التسعين من أمالى الصّيدوق باسناده إلى الحكم بن الصلت عن أبى جعفر محمّد بن علىّ عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: خذوا بحجزه هذا الأنزع يعنى عليّا عليه السّلام فانه الصديق الأكبر و هو الفاروق يفرق بين الحقّ و الباطل من أحبه هداه الله و من أبغضه أبغضه الله و من تخلف عنه محقه الله و منه سبطا امتى الحسن و الحسين و هما ابنائى و من الحسين أئمه الهدى اعطاهم الله علمى و فهمى فتولّوهم و لا تتخذوا وليجه من دونهم فيحلّ عليكم غضب من ربّكم و من يحلل عليه غضب من ربّه فقد هوى و ما الحيوه الدّنيا إلا متاع الغرور.

قوله عليه السّلام: (بهم عاد الحقّ فى نصابه) أى بوجودهم أو بتصرّفهم و ولايتهم رجع الحقّ إلى حدّه و مستقره و أصله و قد علم ممّا قدمنا فى هذه الخطبه أنّ الحجج الالهيه هم الموازين القسط و انهم يهدون بأمر الله و لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون و أنّ الرياسه إذا كانت بيدهم كان الزمان نورانيا لأنّهم يحكمون بالعدل و ينطقون بالقسط و يعملون بالحقّ و بعد الحقّ ليس إلاّ الضلال فلو كانت الرياسه بيد غيرهم كانت الظلمات غالبة و الأباطيل رائجه و أحكام الله معطله و يسدّ الباطل مسدّ الحقّ فانظر إلى الذين تولّوا امور المسلمين ممّن لم يكونوا من بيت آل العصمه كالأمويين و العباسيين و غيرهم كيف شوّهوا الدّين و لعبوا به و روّجوا الباطل و عنوا به و ردّوا الأئمه على أدبارهم القهقرى و أخذوا مال المسلمين طعمه لهم و لو لا سبل الهدى آل محمّد صلوات الله عليهم فى قباهم لانمحت اعلام الهدى فانظر إلى سيره أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام بعد من تقمصوا الخلافه كيف خلص الدين من المهالك و بين الحق على أوضح المسالك و لله در محمّد بن الحبيب الضبّى قائلا:

لو لا الأئمه واحدا عن واحد درس الهدى و استسلم الاسلام

كل يقوم مقام صاحبه إلى أن ينتهى بالقائم الأيام

قوله عليه السّلام: (و انزاح الباطل عن مقامه) أى بهم زال الباطل و ذهب عن مقام الحقّ فان زمن ولايه أمراء الجور اقيم الباطل مقام الحق هذا ان ارجعنا

ص: ١٧٢

الضمير إلى الحقّ وإن ارجعناه إلى الباطل فالمعنى أن الباطل لما عمل به صار في قبال الحقّ ذا محلّ و مقام، فبال محمّد صلّى الله عليه وآله زهق الباطل و اجتثت شجرته الخبيثه من أصله.

قوله عليه السّلام: (و انقطع لسانه عن منبته) استعار للباطل لسانا و الضمير في منبته كمقامه يحتمل الوجهين فالمعنى على الأوّل أنّ الباطل في منبت الحقّ كشوك نبت في ترعه أو كبقول مرّ نبت في زرع مزرعه فال محمّد جثوا نبات الباطل من روضه الحقّ و انقطاع لسان الباطل كناية عن اضمحلاله أو عن سكوته لأنّ قطع اللسان كثيرا ما يجعل كناية عن السكوت.

و في كلمتي لو لا و لو ما من باب الحروف من شرح أنموذج الزمخشري قيل:

ان سائلا- دخل على النّبىّ صلّى الله عليه وآله و أنشد بيتا فقال النّبىّ صلّى الله عليه وآله لبعض الصحابه: اقطع لسانه فاذهبه ذلك البعض ليقطع لسانه فلقاه علىّ عليه السّلام فقال له: ما تريد بهذا الرّجل؟ فقال: أقطع لسانه، فقال علىّ عليه السّلام: أحسن إليه فان الإحسان يقطع اللّسان فرجعا إلى النّبىّ صلّى الله عليه وآله فقالا له: أى شىء تعنى بالقطع يا رسول الله؟ فقال: الإحسان.

و أمّا على الوجه الثانى فظاهر معناه و لا يبعد أن يجعل كلمه «لسانه» كناية عن النبات كما أن لسان الحمل و لسان الثور و لسان الكلب و لسان العصافير و غيرها مما هى مذكوره فى الكتب الطبيه كالتحفة و غيره أسام لنباتات، كما يحتمل أن يكون المراد من لسان الباطل لسان من ينطق به و ينصره.

قوله عليه السّلام: (عقلوا الدّين عقل وعاء و رعايه لا عقل سماع و روايه فان روات العلم كثير و رعاته قليل) يأتى منه عليه السّلام فى باب المختار من حكمه (كلمه الحكمه ٩٨) قوله: اعقلوا الخير إذا سمعتموه عقل رعايه لا عقل روايه فإن روات العلم كثير و رعاته قليل.

و فى اصول الكافى (ص ٤٥ م ١ من الوافى) بإسناده إلى طلحه بن زيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إن روات الكتاب كثير و إن رعاته قليل و كم من مستنصح للحديث مستغش للكتاب فالعلماء يحزنهم ترك الرعايه و الجهلاء يحزنهم

ص: ١٧٣

حفظ الروايه فراع يرعى حياته و راع يرعى هلكته فعند ذلك اختلف الراعيان و تغاير الفريقان.

و فى الروضه منه (ص ٢٤ م ١٤) من قول أبى جعفر عليه السلام فى رسالته إلى سعد الخير: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله - إلى أن قال:

و كل امه قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه و ولّاهم عدّوهم حين تولوه و كان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه و حرّفوا حدوده فهم يروونه و لا يرعونه و الجهال يعجبهم حفظهم للروايه و العلماء يحزنهم تركهم للرعايه. الحديث بطوله.

و فى اصول الكافى بإسناده عن الحلبي عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام (فى آخر الحديث): ألا لا خير فى علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير فى قراءه ليس فيها تدبر، ألا لا خير فى عبادته ليس فيها تفكر.

و اعلم أن النيل إلى درك حقائق ما فى الكتاب و السنّه و الفوز إلى فهم أسرارهما و التعقل و التدبّر فى معانيهما إنّما يتأتى للأوحدى من الناس الذى تنزّه عن الهواجس النفسانيه و تخلص عن الوسوس النفسانيه فزرّق القوه العقليه الوقاده و قدس القلب و تلطيف السرّ لأن الوصول إلى العلوم اليقيتيه ثمره التقوى و التوجه التام إلى الله تعالى و بالتقوى يتقرب العبد إلى عالم النور و يصير من سنخه فاذا تحصل له ملكه صالحه و استعداد تامّ و سعه وجوديه فيتيسر له استكشاف حقائق ما أوحى إلى سفراء الله و استعلام ما اريد به و استنباط الأحكام الالهيه منه قال عزّ من قائل: «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ» و قال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» (آخر العنكبوت). و قال تعالى: «وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا» (الجن - ١٧) و قال فى المجمع: و فى تفسير أهل البيت عن أبى بصير قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام قول الله «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» قال:

هو و الله ما أنتم عليه «وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا». و عن بريد العجلي عن أبى عبد الله عليه السلام قال: معناه لأفدناهم علما كثيرا يتعلّمونه من الأئمه انتهى ما فى المجمع من تفسير الايه.

ص: ١٧٤

والمروى عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام كما في أمالي الصدوق قال عليه السلام ان حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينه حصينه و المدينه الحصينه هي القلب المجتمع، كما مر آنفا.

و في نهج البلاغه (الخطبه ١٨٧) قال عليه السلام: إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان و لا يعي حديثنا إلا صدور أمينه و أحلام رزينه. و نعم ما قال محمد بن محمود الاملى صاحب نفائس الفنون بالفارسيه:

بهوس راست نيايد بتمنى نشود اندر اين راه بسى خون جگر بايد خورد

ولا- ريب أن الفائز بهذه النعمه العظمى و النائل بهذه السعاده الكبرى لا- يكون إلا- قليلا من المخلصين و نعم ما قال افلاطن الحكيم (ص ٨ رساله زينون الكبير اليونانى طبع حيدر آباد الدكن ١٣٤٩ هـ): إن شائق المعرفة أشمخ من أن يطير إليه كل طائر و سرادق البصيره أحجب من أن يحوم حوله كل سائر و كأن الشيخ الرئيس أخذ منه حيث قال فى آخر النمط التاسع من الاشارات:

جلّ جناب الحقّ عن أن يكون شريعته لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحدا بعد واحد و لذا يكون رعات العلم قليل. و أما حفظ ألفاظ الكتاب و السنه و نقلهما و تصحيحهما و تجويد قراءتهما و ضبط اصطلاحات العلوم و نحوها فلا يحتاج إلى كثير تجشّم و تحمل مشقّه و عناء و لذا يكون روايتها كثير.

ثم إن اسلوب الكلام يقتضى أن يقال: فان روات الدين كثير و رعاته قليل و انما عدل من الدين إلى العلم اشاره إلى أن الدين هو العلم و ما يحتويه الكتاب و السنه علم ليس إلا قال الله تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ» - إلى قوله: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّوْهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: ١٥٧) و قال تعالى كذا: العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء.

و قال تعالى: «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (الحديد: ٩) فما انزل معه علم ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

ص: ١٧٥

فی الکافی عن أبی البختری عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: إنّ العلماء ورثه الأنبياء و ذاک إنّ الأنبياء لم یورثوا درهما و لا دینارا و إنما أورثوا أحادیث من أحادیثهم فمن أخذ بشیء منها فقد أخذ حظا وافرا - الحدیث. و الحمد لله ربّ العالمین.

الترجمه

این یکی از خطبه های ولیّ الله اعظم است که در آن آل محمّد صلوات الله علیهم أجمعین را بأوصافی نام می برد:

آل محمّد زندگی دانش و مرگ نادانی اند (بوجودشان دانش زنده است و نادانی مرده) بردباریشان از دانششان آگاهی می دهد، و خاموشیشان از حکمت (یا - از حکم) گفتارشان. (بردباری بجا حاکی از پختگی عقل و علم است و خاموشی بجا دلیل بر صواب گفتار که آن گفتار نیز بجا و صواب است) نه با حق مخالفت کنند و نه در آن اختلاف. ایشان ستون خانه اسلام اند و معتمد و راز دار کسی که چنگ بذیل عنایتشان در زند، بوجود ایشان حق بجای خود آمد و باطل از جایش بر کنده و زبانش از رستنگاهش بریده شد. دین را در دل نگاشته و حرمت آن را نگاهداشته اند نه چون کسی که فقط آنرا شنیده و روایت کرده (که بحقیقت آن نرسیده و واقع آنرا نیافته است) چه راویان علم بسیارند و پاس داران آن کم.

و من کلامه علیه السّلام و هو المأتان و الثامن

اشاره

و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

قاله لعبد الله بن العباس و قد جاءه برساله من عثمان و هو محصور یسأله فیها الخروج إلى ماله ینبع لیقلّ هتف الناس باسمه للخلافه من بعد أن کان سألّه مثل ذلک من قبل فقال له علیه السّلام:

ص: ۱۷۶

يا ابن عيّاس ما يريد عثمان أن يجعلني إلّا جملاً ناضحاً بالغرب أقبل و أدبر بعث إليّ أن اخرج، ثم بعث إليّ أن اقدم، ثم هو الآن يبعث إليّ أن اخرج والله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثماً.

اللغة

قال ياقوت الحموي في مراصد الاطلاع: (ينبع) بالفتح ثم السكون و الباء موحده مضمومه و عين مهمله «على وزن ينصر» مضارع نبع: حصن و قريه عتاء على يمين رضوى لمن كان متحدرا من أهل المدينة إلى البحر على ليله من رضوى.

و هي لبنى حسن بن عليّ بن أبي طالب و فيها عيون عذاب و واديهها ليليل يصب في عنقها قيل: أقطعها عمر عليّا رضى الله عنه. انتهى كلامه. و فى النهايه أيضا انها قريه كبيره بها حصن على سبع مراحل من المدينة من جهه البحر. و قيل على أربع مراحل.

و فى أخبارنا انه من أوقاف عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام اجرى عينه. و ان صحّ الأول فلا منافاه بينهما كما لا يخفى. و الله تعالى يعلم.

قال الجوهري في الصحاح: (التهف): الصوت، يقال: هتفت الحمامه تهتف هتفا و هتف به هتافا أى صاح به. و قوس هتافه و هتفى أى ذات صوت. و المراد هنا أن الناس كانوا ينادون باسمه عليه السّلام للخلافه.

(الناضح) بالحاء المهمله: البعير الذى يستقى عليه الماء من النضح بمعنى الرش و الشرب دون الرى كالنضخ بالخاء المعجمه و قيل: النضخ بالمعجمه أبلغ منه و قيل: دونه، و يؤيد الأول قوله تعالى «فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ» أى فوّارتان غزيرتان و لكن لا يقال للبعير الذى يستقى عليه الناضخ بالمعجمه. و انثى الناضح: الناضحه و جمعها نواضح قال قسام بن رواح السنبسى (الحماسه ٣٣٠)

لبئس نصيب القوم من أخويهم طراد الحواشى و استراق التّواضح

ص: ١٧٧

وَأَمَّا سَمَى الَّذِي يَسْتَقِي عَلَيْهِ الْمَاءَ نَاضِحًا أَوْ الَّتِي يَسْتَقِي عَلَيْهَا الْمَاءَ نَاضِحُهُ أَوْ نَوَاضِحٌ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا كَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَنْضَحُ الزَّرَاعَاتُ وَالنَّخِيلُ. وَهُمْ يَسَمُّونَ الْأَكَّارَ النَّضَّاحَ أَيْ الَّذِي يَنْضَحُ عَلَى الْبَعِيرِ أَيْ يَسُوقُ النَّاضِحَةَ يَسْقِي نَخْلًا.

وَيُقَالُ لَانْتَى النَّاضِحِ السَّانِيهِ أَيْضًا.

قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ فِي شَرْحِ الْحِمَاسَةِ ٧٤٧: النَّضْحُ كَالنَّضْخِ إِلَّا أَنَّ النَّضْحَ لَهُ أَثَرٌ وَالْعَيْنُ تَنْضَحُ بِالْمَاءِ. وَكَذَلِكَ الْكُوزُ. وَالنَّضِيجُ الْعِرْقُ لِأَنَّ جَرَمَ اللِّسَانِ يَنْضَحُ بِهِ وَسَمَّى أَبُو ذُؤَيْبُ الْهَذَلِي سَاقِي النَّخْلِ نَضَّاحًا كَمَا سَمَّى الْبَعِيرَ الَّذِي يَسْتَقِي عَلَيْهِ الْمَاءَ النَّاضِحَ. فَعَلَى ذَلِكَ قَالَ الْهَذَلِي:

هَبْطَنَ بَطْنُ رَهَاطٍ وَاعْتَصَبَنَ كَمَا يَسْقَى الْجَذْوَعُ خِلَالَ الدَّوْرِ نَضَّاحٍ

(الْغَرْبُ) بَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ: الدَّلُو الْعَظِيمَةُ. سَمِيَتِ الدَّلُو غَرْبًا لِتَصَوُّرِ بَعْدِهَا فِي الْبَثْرِ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ بْنُ أَبِي عَامِرٍ السَّلْمِيُّ الصَّحَابِيُّ قَبْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ فِي ابْيَاتٍ لَهُ:

أَرَاكَ إِذَا قَدْ صَرْتَ لِلْقَوْمِ نَاضِحًا يُقَالُ لَهُ بِالْغَرْبِ أَدْبَرُ وَأَقْبَلُ

وَآتَى بِسَبْعَةِ ابْيَاتٍ مِنْهَا أَبُو تَمَامٍ فِي الْحِمَاسَةِ ١٤٩ الْآتَى نَقْلَهَا.

الاعراب

كَلِمَةُ مَا نَافِيَةٍ. وَكَلِمَةُ أَنْ بِالْفَتْحِ وَالسُّكُونِ حَرْفُ مَصْدَرٍ نَاصِبٍ لِيَجْعَلَنِي فَتَكُونُ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ لِيُرِيدَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى «فَمَازَدْتُ أَنْ أَعْيِيهَا» وَكَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا. وَكَلِمَةُ أَنْ إِذَا كَانَتْ مَصْدَرِيَّةً تَقَعُ فِي مَوْضِعَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي الْإِبْتِدَاءِ فَتَكُونُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى «وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» وَالثَّانِي بَعْدَ لَفْظٍ دَالٍ عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْيَقِينِ فَتَكُونُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ» الْآيَةِ. وَفِي مَوْضِعِ نَصَبٍ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ كَمَا عَلِمَ. وَفِي مَوْضِعِ جَرٍّ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «مَنْ قَلِيلٌ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ» الْآيَةِ. وَاسْتِثْنَاءٍ مَفْرُغٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَيَأْتِي اللَّهُ»

ص: ١٧٨

«إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» فقولته عليه السَّلام جملاً ناضحاً معمول يجعلنى و ناضحاً صفه للجمل و بالغرب متعلّق بكلّ واحد من أقبل و أدبر لا بالناضح و الشاهد بيت العباس بن مرداس المقدم آنفاً و يمكن أن يقرأ «أقبل» على صيغه الأمر و كذا «أدبر» أى يقول لى عثمان: أقبل و أدبر كما يقول النضاح للجمل الناضح، و الظاهر أن صيغه التكلم فيهما كما اخترناها انسب بأسلوب العبارة. بعث إلى. إلخ بيان لقوله المقدم كان سائلاً سألته عن قوله كيف جعلك جملاً ناضحاً إلخ؟ فاجاب بعث إلى إلخ و قوله: و الله لقد دفعت، اخبار عن نفسه أنه دفع عنه غير مرّه كما يأتى فى الشرح، و كلمه أن فى المواضع الثلاثه دون الاولى و الاخره مفسره بمنزله أى. و الشرط فى المفسره أن تكون مسبوقة بجمله فيها معنى القول دون حروفه نحو قوله تعالى «فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ» و قوله تعالى «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا» و يصح أن يقرأ «أخرج» فى الموضوعين و «أقدم» على هيتى التكلم و الأمر و اللام فى لقد دفعت لام جواب القسم كقوله تعالى: «تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا» و قوله تعالى «تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ».

المعنى

اشاره

سيأتى ذكر ما فعل عثمان بن عفان فى أوان رئاسته و أيام أمارته و ما فعل الناس به عند قول أمير المؤمنين على عليه السَّلام من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفه و جبهه الأنصار و سنام العرب - إلخ فى أوّل باب المختار من كتبه و رسائله.

قول الرضى رضى الله عنه (و هو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع - اه) أنّ الصحابه بأجمعهم اجمعوا على حربه لما رأوا منه أشياء منكره تفرع سمعك و كانوا يومئذ بين خاذل و قاتل حتى حصروه فى داره و منعه من الماء أيّاماً و آخر الأمر قتلوه فى بيته بين ولده و نسائه فى المدينه و دار الهجره و هو بين ظهراى المسلمين حتّى قيل إنّ المجمعين على قتل عثمان كانوا أكثر من المجمعين على بيعته لأجل أحداثه التى نقوموها منه.

و إنّما سأله الخروج إلى بينبع ليقبّل هتف الناس باسمه للخلافه، و ذلك

لما رأى ان ميل الناس إلى علي عليه السلام و كانوا يذكرونه عليه السلام على رؤوس الأشهاد و يهتفون أى ينادون باسمه للخلافه.

قال الطبرى فى تاريخه (ص ٤٠٩ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) قالوا لعثمان:

إنك قد أحدثت أحداثا عظاما فاستحققت بها الخلع و ما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك و نستبدل بك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله من لم يحدث مثل ما جربنا منك و لم يقع عليه من التهمه ما وقع عليك فاردد خلافتنا و اعتزل أمرنا فان ذلك اسلم لنا منك و اسلم لك منا.

أقول: و هم يعنون بذلك الصحابى الذى لم يحدث مثل ما احدث عثمان أمير المؤمنين عليا عليه السلام لما سنبين أن قلوب الجماعه كانت معه عليه السلام و لذا خاف عثمان من ذلك كل الخوف حتى رأى أن لو يخرج علي عليه السلام من بينهم كان الأمر عليه أهون.

قال الشارح كمال الدين ابن ميثم البحرانى: و قد كان قصده بتلك الرساله من بين سائر الصحابه لأحد أمرين أحدهما ما اخترناه، و الثانى: انه كان يعتقد أن له شركه مع الناس فى فعلهم به و كانت بينهما هناه فكان بعثه له من بين الجماعه متعينا لأنهم ان رجعوا بواسطته فهو الغرض و ان لم يرجعوا حصلت بعض المقاصد و هو تأكد ما نسبته إليه من المشاركه فى أمره و بقاء ذلك حجه عليه لمن بعده ممن يطلب بدمه حتى كان بسبب هذا الغرض الثانى ما كان من الوقايع بالبصره و صفين و غيرهما. انتهى.

أقول: هذا الأمر الثانى ينافى ما صرح به الرضى رضوان الله عليه حيث علل سؤال عثمان خروجه عليه السلام إلى ينبع بقوله: ليقل هتف الناس باسمه للخلافه و لا شك أن الرضى كان اعرف بذلك منه على أنه ينافى أيضا قوله عليه السلام: و الله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما. و قوله عليه السلام المنقول من الطبرى كما يأتى: و الله ما زلت أذب عنه حتى أتى لأستحي. و مع ذلك ينافى قوله عليه السلام: ثم بعث إلى أن اقدم أيضا. لأن عثمان لو رأى أن له عليه السلام شركه معهم فى قتله ما

ص: ١٨٠

سأله الاقدام من ينبع إليه و هذا بعيد جدًا إلا أن يقال إنما عرضه ذلك الغرض بعد قدومه المدينة من ينبع فسأله الخروج إليه ثانيا و لكنه ينافي الأولين كما دريت، فالصواب هو الأمر الأول المختار.

قوله عليه السّلام: (يا ابن عباس ما يريد عثمان أن يجعلني إلّا جملا ناضحا بالغرب اقبل و ادبر) هذا يقال لمن كان مسخرا لغيره و ينقاد فعله و قوله كأنه لا رأى له و لا اعتبار و لا تدبر و لا اختيار متى قال الغير له أدبر عن كذا يدبر و إذا قال له أقبل إلى كذا يقبل. كالبعير الناضح يقال له ادبر و اقبل بالغرب و هو ينقاد و يلتزم. قال العباس بن مرداس السلمى الصّحابي كما فى الحماسه لأبى تمام (الحماسه ١٤٩):

ابلق أبا سلمى رسولا يروعه و لو حلّ ذا سدر و أهلى بعسجل

رسول امرىء يهدى إليك نصيحه فإن معشر جادوا بعرضك فابخل

و إن بؤأوك مبركا غير طائل غليظا فلا تنزل به و تحوّل

و لا تطمعن ما يعلفونك إنهم أتوك على قرباهم بالمثل

أبعد الإزار مجسدا لك شاهدا اتيت به فى الدار لم يتزّيل

أراك إذا قد صرت للقوم ناضحا يقال له بالغرب أدبر و أقبل

فخذها فليست للعزيز بحطّه و فيها مقال لامرئ متذلّل

قوله عليه السّلام: (بعث إلى أن اخرج، ثم بعث إلى أن أقدم، ثم هو الان يبعث إلى أن اخرج):

هذا شرح و تفسير لقوله المقدم أن عثمان اراد ان يعامل معه معامله النّضاح للنّاضح فقال عليه السّلام: بعث إلى أن اخرج من المدينة إلى ينبع ثم بعث إلى أن أقدم من ينبع إليها ثم هو الان بعث ان عباس و يطلب خروجه إلى ينبع ثانيا.

قوله عليه السّلام (و الله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثما).

و كان عثمان قد قسم المال و الأرض فى بنى اميه فبدأ ببنى أبى العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف و اعطى بنى عثمان مثل ذلك و قسم فى

بنى العاص و فى بنى العيص و فى بنى حرب و لانت حاشيه عثمان لاولئك الطوائف و أبى المسلمون إلا قتلهم و أبى إلا تركهم قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه: فلما نزل القوم ذا خشب جاء الخبر أن القوم يريدون قتل عثمان إن لم ينزع فلما رأى عثمان ما رأى جاء عليًا فدخل عليه بيته فقال يا ابن عمّ إنّه ليس لى مترك و إن قرابتى قريبه و لى حقّ عظيم عليك و قد جاء ما ترى من هؤلاء القوم و هم مصبحى و أنا أعلم أن لك عند الناس قدرا و أنّهم يسمعون منك فأنا احبّ أن تركب إليهم فتردّهم عنى - إلى أن قال: فركب عليّ و ركب معه نفر من المهاجرين و كلّهم على و محمّد ابن مسلمة و هما اللذان قدما فسمعوا مقاتلتهما و رجعا.

و قال (ص ٤٣٣) بإسناده عن عكرمه عن ابن عبّاس لما حصر عثمان الحصر الآخر، قال عكرمه فقلت لابن عبّاس أو كانا حصرين؟ فقال ابن عبّاس الحصر الأوّل حصر اثنتى عشره و قدم المصريون فلقبهم عليّ عليه السّلام بذى خشب فردّهم عنه و قد كان و الله عليّ له صاحب صدق. إلى آخر ما قال.

ثمّ قال الطبرى و المسعودى: و لما انصرفوا فصاروا إلى الموضع المعروف بحمّس إذا هم بغلام على بعير و هو مقبل من المدينه فتأملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فقرروه فأقرّ و أظهر كتابا إلى ابن أبى سرح صاحب مصر: إذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان و اقل فلانا و افعل بفلان كذا و أحصى أكثر من فى الجيش و أمر فيهم بما أمر فرجعوا إلى المدينه و حصروا عثمان فى داره و منعوه الماء فأشرف على النّاس و قال: ألا أحد يسقينا؟ - إلى أن قال: فبلغ عليا طلبه الماء فبعث إليه بثلاث قرب ماء. قال المسعودى: فلما بلغ عليا أنّهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن و الحسين و مواليه بالسّلاح إلى بابه لنصرتة و أمرهم أن يمنعوه منهم.

قال الطبرى: (ص ٤١٠) و كان عثمان يسترجع ممّا يرى على الباب فقال مروان: إن كنت تريد أن تذبّ عنه فعليك بابن أبى طالب فانه متستر و هو لا يجبه فخرج سعد حتّى أتى عليًا و هو بين القبر و المنبر فقال: يا أبا حسن قم فداك أبى و امى جئتكم و الله بخير ما جاء به أحد قط إلى أحد تصل رحم ابن عمّك و تأخذ بالفضل

عليه و تحقن دمه و يرجع الأمر على ما نحبّ قد أعطى خليفتك من نفسه الرضى فقال على عليه السّلام: تقبل الله منه يا أبا إسحاق و الله ما زلت أذبّ عنه حتّى أنى لأستحي - إلى آخر ما قال.

و قال أيضا: لمّا حصروا عثمان جاء قوم عليا عليه السّلام فكلموه فى عثمان فاقبل على عليه فجعل يخبره ما وجدوا فى كتابهم - إلى أن قال: ثمّ أقبل عثمان على على عليه السّلام فقال: إن لى قرابه و رحما و الله لو كنت فى هذه الحلقة لحللتها منك فاخرج إليهم فكلمهم فانهم يسمعون منك إلى آخر ما قال و سيأتى تفصيله.

أقول: لو لا تصريح الرضى بقوله: يسأله فيها الخروج إلى ما له ينبع، لأمكن أن يفسّر قوله عليه السّلام أن اخرج و أن أقدم بما قدمنا من الطبرى و المسعودى اى اخرج إلى الناس فردّهم عنى، و كذا أن اقدم أى أقدم إلى كما دريت أنّه مره استغاثه بالنصره و مرّه استسقاء فقال: أ لا أحد يسقينا. و مرّه دخل عليه بيته عليه السّلام و سأله أن يرّد الناس عنه.

ثمّ إنّ قوله عليه السّلام: حتّى خشيت أن أكون آثما. يحتمل وجوها الأول ما يتبادر إليه الذهن و يلوح له بدوا أنّ أمير المؤمنين عليا عليه السّلام نها عثمان غير مرّه عن الاحداث التى كان يرتكبها و بالغ فى النهى فلم ينته منها - كما سنتلو طائفه منها عنقريب فى أول باب المختار من كتبه و رسائله عليه السّلام انشاء الله تعالى - و كذا قد دفع عنه غير مره كما دريت و مع ذلك كلّ لم يتبّه و لم ينته فكان عثمان آثما فى أفعاله المخالفه للدين و مصرا عليها و لا كلام أن معاونه الإثم إثم ايضا فلو تظاهر عليه بالإثم كان عليه السّلام آثما قال تعالى: «تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ» (المائدة - ٤) و ذمّ تعالى قوما أيضا فى الكتاب بقوله: «وَ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ» (الاية (المائدة - ٦٨).

الثانى أنّه عليه السّلام اراد منه أنّى و الله لقد دفعت عنه كره بعد كره حتّى خشيت أن ألقى نفسى فى الهلكه و يقتلنى الناس و قتل النفس حرام فمن ارتكبه آثم.

ص: ١٨٣

الثالث أن يكون المراد انى خشيت الإثم بما نلت منهم لما جاهدتهم فى الدفع عنه من الضرب و الشتم و غلظ القول و امثالها.

تنبیه

لا شبهه أن الايات و الأخبار التى جاءت فى فضيله الجهاد لا ينالها يد إنكار بل هى من ضروريات الدين فلو كان عثمان إماما عدلا مستحقا للدفاع عنه لرأى على عليه السلام الجهاد دونه واجبا سواء كان قتل أو قتل و ما يتفوه بقوله: ما يريد إلا أن يجعلنى جملا ناضحا، أو بقوله: لقد خشيت أن أكون آثما. فتبصر.

الترجمه

این یکی از کلام امیر المؤمنین علیه السلام است که بعد الله بن عباس فرمود.

ابن عباس از جانب عثمان هنگامی که محصور بود و مردم گرد خانه او را در مدینه محاصره کرده بودند، نزد آن حضرت آمد که آن بزرگوار از مدینه بیرون رود و به ینبع که از آن حضرتش بود بسر برد تا مردم نامش را برای خلافت کمتر یاد کنند و بدان شعار ندهند و فریاد نزنند، و مثل این خواهش را پیش از این باره نیز از آن جناب کرده بود، امیر المؤمنین علیه السلام در جواب ابن عباس فرمود:

ای پسر عباس! عثمان جز این نمی خواهد که مرا چون شتر آبکش گرداند بیایم و بروم (مسخر او باشم) یک بار بمن فرستاد که (از مدینه) بیرون رو (و در ینبع باش) باز فرستاد که (از ینبع بیا) اکنون باز می گوید از مدینه بیرون رو و در ینبع بسر ببر، سوگند به خدا بس که (در حق او دفاع کردم و مرگ و دشمن را) از او دفع کردم بیم آن دارم که گناهکار باشم.

ص: ۱۸۴

إشارة

و الثلاثون من المختار في باب الخطب،

يحث فيه أصحابه على الجهاد

و الله مستأديكم شكره، و مورثكم (أو - مورثكم) أمره، و ممهلكم في مضمار ممدود (محدود - خ ل) لتتنازعا سبقه، فشددوا عقد المازر، و اطووا فضول الخواصر، لا تجتمع عزيمه و وليمه. ما أنقض النوم لعزائم اليوم و أمحي الظلم لتذاكير الهمم.

اللغة

يقال: استأدى فلانا مالا إذا صادره و اخذه منه. و استأديت ديني عند فلان أي طلبته و في كثر اللغه استثناء طلب أداي چیزی کردن فقله عليه السلام (مستأديكم شكره) أي طالب منكم أدائه على نعمه، (ممهلكم) أي معطيكم مهله، يقال أمهله إذا أنظره و أجله، (مضمار) الموضع الذي تضم فيه الخيل للسباق أي تحضر له لتنازعا و تتنافسا في سبقه و يقال بالفارسيه: میدان اسب دوانی. و جای ریاضت دادن اسبان. المضمار أيضا مده تضمير الخيل، أي اسم للمكان و الزمان و جاء بمعنى غايه الفرس في السباق أيضا. (سبق) في الصحاح: السبق بالتحريك: الخطر الذي يوضع بين أهل السباق. يعني هو الخطر الذي يتراهن عليه المسابقون و يأخذه السابق منهم. و في منتهى الأرب: سبق محركه: آنچه گروبنند بر آن بر اسب دوانیدن و تیر انداختن و جز آن، أسباق جمع، (العقد) جمع العقده كالغرف جمع الغرفه أي ما يمسك الشيء و يوثقه. (المازر) جمع المئزر و المئزره أي الإزار كاللحاف و الملحف و الملحفه جمعها ملاحف. (اطووا) من الطي و أصل الطي: الثني

ص: ١٨٥

و القبض و ضدّ النشر. قال الشاعر:

طوتك خطوط دهرك بعد نشر

(الخواصر) جمع الخاصره أى الشاكله و بالفارسيه: تهیگاه میان و فى منتهى الأرب خاصره كصاحبه تهیگاه و آنچه میان سرسرين و کوتاه ترين استخوان پهلواست قال الحسين بن مطير فى أبيات له (الحماسه ٤٦٠)

مخصرّه الأوساط زانت عقودها بأحسن ممّا زينتها عقودها

يريد أنها دقيقه الخصور غير واسعه الجنوب. و قال آخر:

فتى لا يرى قدّ القميص بخصره و لكنّما تفرى الفرى مناكبه

(الوليمه) طعام العرس و قيل كلّ طعام صنع لدعوه أو غيرها و قيل كلّ طعام يتخذ لجمع الجمع و لائم لكنها ههنا كناية عن لذات الدنيا و خفض العيش و الدعه.

و (الظلم) كالغرف جمع الظلمه كالغرفه و المراد بها الليل و (التذاكير) جمع تذكار لأن التذكره جمعها تذاكر.

الإعراب

اللام من لتتنازعوا جاره للتعليل متعلقه بالممهل و الفعل منصوب بأن الناصبه المصدريه المقدره أى لأن تتنازعوا. و الفاء فى فشدّوا فصيحته تنبىء عن محذوف يدلّ عليه ما قبلها أى إذا أمهلكم الله فى مضمار لتتنازعوا سبقه فشدّوا عقد المازر.

و ما أنقض و أمحى صيغتا تعجب اى و ما أمحى الظلم.

المعنى

كلامه عليه السلام فى التحريض على القتال و الحثّ على الجهاد و فضل المجاهدين و فى ذم القاعدين عنه ذكر فى عده مواضع من النهج كلّها كاف شاف لفظا و معنى على حدّ لا يتأتى لأحد أن ينسج المعانى بالألفاظ بذلك المنوال و من تأملها حق التأمل درى أنها فوق كلام المخلوق.

على أنّها كما تدلّ على قدره بيانه كذلك يدلّ على كمال شجاعته و قدرته الروحيّه و مما بلغ إلى حدّ التواتر أنّ صولته و سطوته و شجاعته أعجزت الأبطال

و قد أقر أعداؤه بذلك ما ولى عليه السلام عن أحد قط مع طول ملاقاته الحروب و كثره من لاقاه من صناديد الأعداء و من تأمل الأخبار فى الغزوات علم أنّ قواعد الاسلام ثبتت بجهاده عليه السلام و أن هذه القوه ما كانت بقوه جسدانيه بل بتأييدات الهيئه كما قال عليه السلام: و الله ما قلعت باب خير بقوه جسدانيه بل بقوه الهيئه و نعم ما اشار إليه العارف الرومى:

این چراغ شمس کو روشن بود نز فتيله پنبه و روغن بود

سقف گردون کانچنین دائم بود نز طناب و استنى قائم بود

قوت جبریل از مطبخ نبود بود از دیدار خلاق و دود

همچنین این قوت ابدال حق هم ز حق دان نز طعام و از طبق

جسمشان را هم ز نور اسرشته اند تا ز روح و از ملک بگذشته اند

على انه عليه السلام فى بعضها يعلم فنون الحرب و فى بعضها قانون تعبیه العسكر و فى بعضها وظيفه المجاهد قبال الخصم من الأفعال و الأقوال لارشاده و هدايته و فى بعضها وظيفته قباله للحراب و القتال كقوله عليه السلام: انه تعالى يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفّا كأنهم بنیان مرصوص فقدّموا الدارع و أخرّوا الحاسر و عضّوا على الأضراس فأنّه أنبا للسيوف على الهام و التّوا فى أطراف الرماح فأنّه أمور للأسنه و غصوا الأبصار فأنّه أربط للجاش و أسكن للقلوب و أميتوا الأصوات فأنّه أطرّد للفشل و أولى بالوقار. و رايتمكم فلا تميلوها و لا تخلوها و لا تجعلوها إلّا فى أيدي شجعانكم فإنّ المانعين للذمار و الصّابرين على نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم و يكشفونها رحم الله امرء منكم آسا أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك لائمه و يأتى به دنائه و لا تعرضوا لمقت الله و لا تفروا من الموت فإنّ الله سبحانه تعالى يقول: «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذْ لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» و أيم الله لئن فررتم من سيف العاجله لا تسلموا من سيف الاخره فاستعينوا بالصبر و الصّلاه و الصدق فى النيه فان الله تعالى بعد الصبر ينزل النصر.

ص: ١٨٧

و لو تعرضنا لكلماته عليه السّلام في الجهاد و المجاهد لكثرت بنا الخطب فالأولى بنا الآن أن نشي القلم على تفسير جمل كلامه هذا عليه السّلام.

قوله عليه السّلام: (و الله مستأديكم شكره) أى إن الله تعالى طالب منكم أداء شكره على نعمه و القيام به كما أمر به في مواضع كثيرة من كتابه كقوله تعالى «وَ اشْكُرُوا لِلّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» (البقره - ١٦٨) و قوله تعالى «وَ اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ» (البقره - ١٤٨) و قوله تعالى: «وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» (النحل - ١١٦) و غيرها من الايات.

ثم ان ههنا كلاما و هو ان كلامه عليه السّلام يكون في حث أصحابه على الجهاد و أى ارتباط لقوله عليه السّلام «و الله مستأديكم شكره» بالجهاد؟ الجواب ان أداء الشكر بإزاء نعمته إنما هو باختلاف النعم و موارده فكما ان التوبه عن المعاصي مثلا ليست التكلم بالاستغفار أو تبت و أمثالهما بل التوبه على الغضب إنما هي رد مال الغير إليه و العزم على تركه في الاستقبال و التوبه على ترك الصلاه قضاؤها كذلك و هكذا في كل معصيه كانت التوبه بحسبها، كذلك شكر النعمه انما يكون بحسبها فقد يكفى التكلم بالحمد لله مثلا في أداء الشكر بإزاء نعمه و لما كان دين الله و كتابه الحاوى لسعاده الدارين و الداعى إلى الخير و الهدى من أعظم نعمه فمن كفر بهذه النعمه العظمى فقد خسر خسرانا مينا و عدم الكفران بها و أداء الشكر لها أن يتنعم بها و يحفظها و يمنعها من كيد الأجانب و سبيله الجهاد فالله يطالب أداء شكره بإزاء هذه النعمه الكبرى أى الجهاد في سبيله لحفظ الدين و رفع كيد المعاندين.

و الحمد لله رب العالمين.

قوله عليه السّلام: (و مورثكم أمره) أمره تعالى هو سلطانه و دولته الحقه في الأرض يورثه عباده الصالحين و المحافظين على رعايه أمره و نهيه من اقامه الصلاه و أداء الزكاه و القيام بالجهاد و غيرها من الفرائض و الانتهاء مما نهى و حرّم قال:

عزّ من قائل: «و لا- تهنؤا و لا- تحزنؤا و أنتم الماعلون إن كُنتم مؤمنين» (آل عمران - ١٣٤) و قوله تعالى: «وَعِدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي»

ص: ١٨٨

«الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لِيَبْدَلَنَّاهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا» (النور - ٥٥)
وقوله تعالى: «وَأَوْزَعْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضًا لَمْ تَطُوهَا» (الأحزاب - ٢٨). وقوله تعالى: «فَلَا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالُكُمْ» (محمد - ٣٨).

ثم إن كلامه عليه السلام هذا يشير أيضا إلى أن أمر الدولة سيرجع إليكم و يزول أمر بني أمية كما أفاد الفاضل الشارح المعتزلي.

قوله عليه السلام: (و مهلككم في مضمار ممدود لتتنازعوا سبقه) و في بعض النسخ في مضمار محدود و كلاهما حق فان المضمار الممدود أي العمر محدود لا محاله «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ» (النحل - ٦٤).

شبه عليه السلام الاجال المقدره التي ضربت للناس أعنى مدّه حياتهم بالمضمار للخيال لغايه السبق فان الدنيا متجر أولياء الله و مكسب الصلحاء ليس للانسان إلا أن يسارع إلى مغفره من ربّه و يسابق غيره في الانصاف بالأوصاف الالهيه و التخلق بالأخلاق الربانيه حتّى يتقرب إلى حضرته جلّ و علا، فان تلك الغايه القصوى هي سبق السالكين و منتهى رغبه الراغبين.

ثم لما كان كلامه عليه السلام في الحثّ على الجهاد فلا بدّ أن يكون دالّا على فضل المجاهدين خاصّه فيحرصهم بالمنافسه في سبق مضمار القتال و هو الجنّه و الراضون و الغفران و الحياه الطيبه و العيش الرغد، و قال عليه السلام في بعض خطبه الماضيه في تحضيضه على القتال: معاشر المسلمين إن الله قد دلّكم على تجاره تنجيكم من عذاب أليم و تشفى بكم على الخير العظيم: الايمان بالله و برسوله و الجهاد في سبيله و جعل ثوابه مغفره الذنب و مساكن طيبه في جنات عدن. إلى آخر ما قال.

و كذا قال عليه السلام في (الخطبه ٢٧): أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنه فتحه الله لخاصّه أوليائه. إلى آخرها.

و قال عزّ من قائل: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ»

ص: ١٨٩

«مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا- خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا- هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ» (آل عمران - ١٦٦).

قوله عليه السلام:(فشدوا عقد المازر)عقد الإزار كناية عن الجدّ و التشمير يقال:

فلا بدّ عقد إزاره أو كشف عن ساقيه أو شمّر عن ساقيه أو شمّر ذيله إذا تهيأ لأمر هائل و خطب عظيم و فطيع لأنّ من عادة الناس أن يشدّوا عقد إزارهم أو يشمّروا عن سوقهم و ذيولهم و يقلصوا أكمامهم عند الأمور الصعبة لأن الشدّ و التشمير عندها أمكن للقراع و الدفاع فإنّ من شدّ عقد الإزار أمن من انحلاله و لا يشغله عما هو بصدده في عمله غير خائف على انه كان أسرع للمشى و أبعد عن العثار كما إذا شدّ و زين الابل و الخيل و نحوهما أمن القتب أو الهودج أو السرج و أمثالها و من عليها من الاضطراب بخلاف إذا كان قلقا.و قالت العوراء ابنه سبيع (الحماسه ٣٩٥).

طيان طاوى الكشح لا يرخى لمظلمه إزاره

تريد انه عقد الإزار شديدا إذا نابته النوائب لا يرخى إزاره، و كذا من شمّر ذيله قال قيس بن زهير بن جذيمه العبسى:

و إذا شمّرت لك عن ساقها فويها ربيع فلا تسأم

و قال الآخر:

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا و جدّت الحرب بكم فجّدوا

و كذا يقال لأمر هائل اشتدّ أنه شمّر أو شمّر عن ساقيه. قال الشّاعر (الحماسه ٦٤٠).

و مستعجل بالحرب و السلم حظه فلمّا استثيرت كلّ عنها محافره

و حارب فيها بامرئ حين شمّرت من القوم معجاز لثيم مكاسره

أى حين شمّرت و كشفت الحرب عن ساقها. و فى الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى (ص ١٢٩ طبع مصر ١٣١٨ هـ) ممّا سأل نافع بن الأرزق ابن عباس أنّه قال له: اخبرنى عن قوله تعالى «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» قال: عن شدّه الاخره أما سمعت

ص: ١٩٠

قول الشاعر؟ قد قامت الحرب بنا عن ساق.

قوله عليه السّلام: (و اطووا فضول الخواصر) الظاهر و الأنسب في المقام أن مراده عليه السّلام من هذه الجملة كالتى سبقتها ارشاد إلى الجّد و التهيأ للقتال فان لثياب العرب سعه فاضله فاذا طووا فضول الخواصر عليها و قَلَصُوا الذيول كان القتال و المشى لهم أهون و أمكن فان الفضول تمنع عن الجلد و الاسراع و تعوق عن السبق و الحراك. و هذا المعنى يقال بالفارسيه: میان بستن، کمر بستن و امثالهما قال المسعود بن سعد بن سلمان في مدح سيف الدوله:

بر بسته میان و در زده ناوک بگشاده عنان و در چده دامن

(۱) أو أنّ مراده عليه السّلام أن ما طال من الثياب التّفوّه و اطووه على الخاصره و ذلك لأنّ من شرع بجّد و اجتهد في عمل يطوى ما فضل من إزاره طولا و يلتفّ بقدميه على خاصرته و يجعله محكما فيها لئلا يمنعها عن المشى و الجّد و السراع كما يقال بالفارسيه: دامن بکمر زد و دامن در چيده و کائما أراد هذا المعنى من قال: قوله عليه السّلام و اطووا فضول الخواصر أى ما فضل من مازرکم يلتفّ على اقدامکم فاطووه حتّى تخفوا في العمل و لا يعوقکم شيء عن الاسراع في عملکم.

و بالجملة على الوجه الأوّل طوى ما فضل و زاد من الثياب عرضا و سعه على الخاصره و على الثانى طوى ما فضل و زاد طولا عليها.

و يمكن أن يجعل الأمر بطى فضول الخواصر كناية عن النهى عن كثره الأكل لأنّ الكثير الأكل لا يطوى فضول خواصره لامتلائها بل يملئها، و القليل الأكل يأكل في بعضها و يطوى بعضها على أن البطنه تذهب الفطنه و تمنع عن الحمله على الفتنة و كانت العرب عند الحرب تمسك عن الأكل و الشبع لذلك و كثيرا ما يوجد في اشعارهم و امثالهم مدح خميص البطن، يابس الجنين، منضم الضلوع، متقارب الجنين، أهضم، طاوى الكشح، مطوى الكشح و الجنب، طيان، صغير البطن، مهضوم الجنين. قليل الطعم، طى البطن، ضامر البطن و نظائرها الكثيره المتقاربه المعنى كما يوجد في أمثال الفرس و أشعارهم مما لا يحصى كثره قال السعدى:

ص: ۱۹۱

۱- (۱) در چده مخفف در چيده.

اسب لاغر میان بکار آید روز میدان نه گاو پرواری

و ذهب إلى هذا المعنى الشارح الفاضل المعتزلى و اتى بثلاثه أبيات شاهدا حيث قال: قال الشاعر:

كلوا فى بعض بطنكم و عَفَّوا فان زمانكم زمن خميص

و قال أعشى باهله:

طاوى المصير على العزا متصلت بالقوم ليله لا ماء و لا شجر

و قال الشقري:

و اطوى على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطه ما رى تغار و تفتل

و ذهب الشارح الفاضل البحرانى إلى أنّ طى فضول الخواصر كناية عن الأمر بترك ما يفضل من متاع الدّنيا على قدر الحاجة من ألوان الطعوم و الملابس و سائر قينات الدنيا و أصله أن للخواصر و البطون احتمال أن يتسع لما فوق قدر الحاجة من المأكول فذلك القدر المتسع لما فوق الحاجة هو فضول الخواصر و كنى بطيها عمّا ذكرناه من لوازم ذلك الطى ترك تلك الفضول. انتهى.

أقول: بيان البحرانى رحمه الله و إن كان له مناسبة ما بالجهاد فإنّ المجاهد يعرض عن نفسه و الدّنيا و ما فيها لكن إرادته هذا المعنى من قوله عليه السّلام لا يخلو من تكلف بل بعيد جدّا غاية البعد و إلّا فإن من كلام إلّا و له مناسبات بعيدة و ملازمات غريبة و الصواب أن يفسّر قوله عليه السّلام لا-تى «لا- تجتمع عزيمه و وليمه» بهذا المعنى أو قريب منه. و لو قيل: فليكن هذه الجملة التالية قرينه على إرادته ذلك المعنى من الأولى ردّ بلزومه التكرار و التأسيس خير منه و لو كان تأكيدا. فتأمل.

قوله عليه السّلام: (لا- تجتمع عزيمه و وليمه) أى من اهتمّ بأمر و اراد إرادته جازمه على تحصيله و اقتنائه لابدّ أن يغضى عنه عن اللذات و الدّعة و خفض العيش فكنى بالوليمه عنها كما مضى و لا تقتنى الفضائل النفسه إلّا بالكفّ عن اللذائذ النفسيه و لا تنال درجات الكمال إلّا بمقاساه الشدائد و ركوب الأهوال

ص: ١٩٢

و نعم ما قال المتنبی:

لولا المشقه ساد الناس كلهم فالجود يفقر و الإقدام قتال

قال الله تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ».

قوله عليه السلام: (ما أنقض النوم لعزائم اليوم): هذه الجملة و التي تليها بصيغه التعجب و هما تؤكدان الأولى و المراد واحد أى أن الاشتغال بالمشتبهات الدنيه البدنيه يثبط الانسان عن الوصول إلى المقامات العاليه. فان من عزم على أمر فى اليوم فنام لم ينجح بالمراد فيكون نوم يومه ناقض روم يومه. أو إذا عزم فى اليوم على أمر يفعله فى الليل أو فى الغد باكرا و نام فى الليل لم يظفر بالحاجه كالمسافر مثلا إذا أراد فى اليوم أن يسير مسافه طويله تلازم الأقدام بها بكره حتى ينال المطلوب فنام و لم يباكر لم يفز به و ما اجاد قول السعدى بالفارسيه:

خواب نوشين بامداد رحيل باز دارد پیاده را ز سیل

قوله عليه السلام: (و أمحى الظلم لتذاكير الهمم). لأن من اهتم فى اليوم مثلا- بعمل فى الليل و إذا جاء الليل غلبه النوم تمحو الظلمه أى يمحو نوم الليل ذلك التذكار. قال المتنبی:

بقدر الكد تكتسب المعالى و من طلب العلى سهر الليالى

تروم العز ثم تنام ليلا يغوص البحر من طلب اللئالى

الترجمه

از جمله کلمات بلاغت نظام اسد الله الغالب کزار غير فرار على بن أبى طالب است که ياران خود را بر جهاد بر مى انگيزاند: خداوند اداى شکرش را از شما خواهان است. و امرش را بشما ارث دهنده (يعنى دولت حق و سلطان و حکومت الهى بدست دوستان خدا و صالحان خواهد آمد. «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» الايه - نور - ۵۵). و شما را در ميدان محدود عمر مهلت

ص: ۱۹۳

داده است تا با یکدیگر مسابقت کنید و گوی سبقت را بر بایید. پس بند میان را استوار کنید و دامن در چینید که آهنگ کار با تن پروری درست نیاید. خواب، عزیمت روز را چه خوب شکننده و بستر شب یاد همتها را چه نیک نابود کننده است.

باب المختار من كتب مولينا أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله

اشاره

إلى أعدائه و امراء بلاده، و يدخل في ذلك ما اختير

من عهوده عليه السلام إلى عماله و وصاياه لأهله و أصحابه.

من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره اليهم من المدينه

اشاره

الى البصره و هو الكتاب الأول من المختار من كتبه عليه السلام.

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى الكوفة جبهه الأنصار و سنام العرب أمّا بعد فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه كعيانه:

إنّ النّاس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه و أقلّ عتابه و كان طلحه و الزّبير أهون سيرهما فيه الوجيف، و أرفق حدائهما العنيف، و كان من عائشه فيه فله غضب فاتيح له قوم فقتلوه، و بايعنى النّاس غير مستكرهين و لا مجبرين، بل طائعين مخيّرين. و اعلّموا أنّ دار الهجره قد قلعت بأهلها و قلعوا بها، و جاشت جيش المرجل و قامت الفتنة على القطب، فأسرعوا إلى أميركم و بادروا جهاد عدوّكم إنشاء الله.

ص: ۱۹۴

قول الرضى رضوان الله عليه: عهوده إلى عَمِّه قال: عهد إلى فلان أوصاه و شرط عليه، قال الجوهرى فى الصحاح: العهد: الأمان، و اليمين، و الموثق، و الذمه، و الحفاظ، و الوصية و قد عهدت إليه أى أوصيته و منه اشتق العهد الذى يكتب للولاه. و فى المنجد: العهد ما يكتبه وليّ الأمر للولاه يأمرهم فيه باجراء العدالة و كان يعرف بالفرمان و الجمع عهود. و الوصايا جمع الوصيه كغنيه بمعنى النصيحة و يقال بالفارسيه: اندرز، و هو اسم من الإيضاء: و بمعنى ما يعهده الإنسان بعد وفاته من وصى يصى إذا وصل الشئ بغيره لأن الموصى يوصل تصرفه بعد الموت بما قبله و الأخير هو المقرر فى كتب الفقه و فى هذا الباب يذكر وصاياه عليه السلام على كلّ واحد من المعنيين.

قوله عليه السلام: (جبهه) الجبهه للناس و غيره معروفه و هى ما بين الحاجبين إلى قصاص مقدم الرأس أى موضع السجود من الرأس و لذا سمى المنزل العاشر من منازل القمر جبهه لأن كواكبها الأربع كالجبهه للكواكب الموسومه بالأسد و يقال: جبهه الأسد لذلك. فى الصحاح و اللسان، الجبهه من الناس بالفتح: الجماعه يقال جاءتنا جبهه من الناس أى جماعه منهم. و على الأول يقال لأعيان الناس و أشرفهم و سادتهم و رؤسائهم جبهه من حيث إنّ الجبهه أعلا الأعضاء و أسناها و تسميتهم بذلك كتسميتهم بالوجوه. و المراد بالأنصار ههنا الأعوان و ليس يريد بهم بنى قبيله و الأنصار جمع نصير كشرىف و أشراف لا جمع ناصر لأنه يجمع على النصير كصاحب و صحب.

(السنام) بفتح أوله كالسحاب: حذبه فى ظهر البعير. الجمع: أسنمه.

و يقال بالفارسيه: كوهان شتر. و من حيث إن السنام أعلا أعضاء البعير يقال لأعلا كلّ شئ سنامه قال حسّان بن ثابت:

و إنّ سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم و والدك العبد

و كذا يقال السنام لمعظم كلّ شئ و منه الحديث: الجهاد سنام الدين و لذا

يقال لكبير القوم و رفيعهم سنامهم كما هو المراد من قوله عليه السّلام سنام العرم. و الصواب أن يكون السنام قرينه على أن المراد بالجبهه هو معناها الأوّل. (العيان) بالكسر كالضراب مصدر عاين يقال عاينه معاينه و عيانا إذا شاهده و رآه بعينه لم يشك في رؤيته إياه. (طعن) فيه و عليه بالقول طعنا و طعننا من بابى نصر و منع: قدحه و عابه. و هو فى الأصل كما فى المفردات للراغب: الضرب بالرمح و بالقرن و ما يجرى مجراهما ثم استعير للوقيعه قال الله تعالى: «وَ طَعْنًا فِي الدِّينِ» - «وَ طَعْنُوا فِي دِينِكُمْ».

(الاستعتاب) من الأضداد يقال استعتبه إذا أعطاه العتبي و كذا إذا طلب منه العتبي، و العتبي هى الرضا. يقال: استعتبت فاعتبني أى استرضيته فأرضاني قال الله تعالى:

«وَ إِنْ يَشِئْ تَغْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُغْتَبِينَ» (حم: ٢٥) فالمعنى على الوجه الثانى أنى طلبت منه العتبي و الرضا بمعنى أن يرجع عما أحدث ممّا صار سبب سخط القوم و طعنهم عليه حتّى يرضوا عنه. و هذا هو الأنسب بالمقام أو طلبت من القوم العتبي له على ما سيتضح فى الشرح إنشاء الله تعالى و فى الكنز: استعتاب خوشنودى خواستن و آشتى خواستن و بازگشتن خواستن از بدى و غير آن.

«بحث لغوى»

فى قوله عليه السّلام (اقل عتابه) لطيفه لغويه لم يتعرضها الشراح و المترجمون بل فى تفسيره عدلوا عن الصواب و ذلك لأن كلمه اقلّ ليس بمعنى اقلّ الشىء إذا جعله قليلا- او أتى بقليل و بالجمله أن معنى اقلّ ليس قبال أكثر و إن جعل قباله فى اللفظ كما ذهب إليه القوم على ما هو ظاهر كلام الشارحين المعتزلى و البحرانى و صريح ترجمه المولى فتح الله القاسانى حيث قال: و كم مى گردانيدم سرزنش او را و المولى الصالح القزوينى حيث قال: و كمتر وقت عتاب مى نمودم، و كذا غيرهما من المترجمين بل الصواب أن المراد من اقل هنا النفي أى ما عاتبت عليه و هذا اللفظ يستعمل كثيرا فى نفي أصل الشىء قال الفاضل الأديب ابن الأثير فى ماده - ق ل ل - من النهايه: و فى الحديث انه كان يقلّ اللغو أى لا يلغو أصلا و هذا اللفظ يستعمل

فى نفى أصل الشىء كقوله تعالى: «فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ» انتهى قوله.

و الشيخ الإمام أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى الأصفهانى فى شرحه على الاختيار المنسوب إلى أبى تمام الطائى المعروف بكتاب الحماسه (طبع القاهره ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م) فى شرح الحماسه ١٣ لتأبط شرا (ص ٩٥) قوله:

قليل التشكى للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى و المسالك

قال: و استعمل لفظ القليل، و القصد إلى نفى الكل، و هذا كما يقال فلان قليل الاكتراث بوعيد فلان، و المعنى لا يكثرث. و على ذلك قولهم: قلّ رجل يقول كذا، و أقلّ رجل يقول كذا، و المعنى معنى النفى، و ليس يراد به إثبات قليل من كثير.

ثم قال: فإن قيل: من أين ساغ أن يستعمل لفظ القليل و هو للإثبات فى النفى؟ قلت: إنّ القليل من الشىء فى الأكثر يكون فى حكم ما لا يتعدّ به و لا يعرّج عليه لدخوله بخفه قدره فى ملكه الفناء و الدروس و الإمحاء، فلمّا كان كذلك استعمل لفظه فى النفى على ما فى ظاهره من الإثبات محترزين من الردّ و مجملين فى القول، و ليكون كالتعريض الذى أثره أبلغ و أنكى من التصريح، و قوله: «كثير الهوى» طابق القليل بقوله كثير من حيث اللفظ لا أنّه أثبت بالأول شيئاً نذراً فقابله بكثير.

و فى شرح الحماسه ١٠٥ (ص ٣٢٢) قول الشاعر:

فقلت لها لا تنكرينى فقلّ ما يسود الفتى حتّى يشيب و يصلعا

قال: و قوله «قلّ ما» يفيد النفى هنا و ما تكون كافه لقلّ عن طلب الفاعل و ناقله له عن الاسم إلى الفعل، فاذا قلت: قلّ ما يقوم زيد فكأنك قلت ما يقوم زيد، يدلّ على ذلك أنّهم قالوا: قلّ رجل يقول ذاك إلا زيد، و أجرى مجرى ما يقول ذاك إلا زيد.

و فى شرح الحماسه ١٦٥ لتأبط شرا أيضا (ص ٤٩٢) قوله:

قليل غرار النوم أكبر همّه دم الثّار أو يلقى كمّيا مسفعا

ص: ١٩٧

قال: فإن قيل ما معنى قليل غرار النوم؟ وإذا كان الغرار القليل من النوم بدلاله قولهم ما نومه إلا غراراً فكيف جاز أن تقول: قليل غرار النوم و أنت لا تقول هو قليل قليل النوم؟ قلت: يجوز أن يراد بالقليل النفي لا إثبات شيء منه و المعنى:

لا ينام الغرار فكيف ما فوقه؟ و في شرح الحماسة ٢٧١ لدريد بن الصّمة (ص ٨١٩) قوله:

قليل التشكى للمصيبات حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

قال: يريد بقوله «قليل» نفي أنواع التشكى كلها عنه؛ على هذا قوله تعالى «فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» و قولهم: قلّ رجل يقول كذا و أقلّ رجل يقول ذاك.

و المعنى أنّه لا- يتألم للنوائب تنزل بساحته و المصائب تتجدد عليه في ذويه و عشيرته و أنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس في غده إلخ.

و في شرح الحماسة ٤٤٧ لمحمد بن أبي شحاذ (ص ١٢٠١) قوله:

و قلّ غناء عنك مال جمعته إذا كان ميراثاً و اراك لاحد

قال: المراد بذكر القلّة ها هنا النفي لا إثبات شيء قليل فيقول: لا يغني عنك مال تجمعه إذا ذهب عنه و تركته لورثتك إلخ.

و في مفردات الراغب: و قليل يعبر به عن النفي نحو قلما يفعل كذا إلا قاعداً أو قائماً و ما يجري مجراه و على ذلك حمل قوله تعالى «فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» و إنّما فسّروا قوله تعالى «فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» بنفي الايمان عنهم لأن ظاهر الآية تدلّ على ذلك قال تعالى: «أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» (٨٢ و ٨٣ من البقرة) و إن كان يمكن أن تجعل الآية المتقدمه عليها و هي قوله تعالى: «أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ» قرينه على اراده القلّة في قبال الكثرة فيها أو يؤول بوجه اخرى على استفاده ذلك المعنى كما ذكر في التفاسير و لكن إفاده القليل معنى النفي في كلام العرب كثير، ففي مجمع البيان في تفسير هذه الآية قال: و الذى يليق بمذهبنا أن يكون المراد به لا إيمان لهم أصلاً و إنما وصفهم بالقليل كما يقال قلّ ما رأيت هذا قطّ أى ما رأيت هذا قطّ.

ص: ١٩٨

و إنما اخترنا النفي من قوله عليه السلام اقل عتابه، و أعرضنا عن حمله على ظاهره لدقيقه نأتى بها فى الشرح.

و ليعلم أن هذه اللفظه قد يستعمل فى الكثره على ما صرح به المرزوقى فى شرح الحماسه أيضا حيث قال: و قالوا أيضا أقل رجل يقول ذلك إلا زيد و أنهم أجروا خلافه مجراه فيقول: كثر ما يقول زيد و على ذلك هذا البيت.

صددت فأطولت الصدود و قلما وصال على طول الصدود يدوم

انتهى (ص ٣٢٢ شرح الحماسه ١٠٥). و لا يخفى أن هذا الاستعمال نزر جدا بخلاف الأول.

و اعلم أنه يمكن أن يكون قوله عليه السلام «اقل عتابه» من أقل فلان الشيء إذا أطاقه و حمله و رفعه. قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ» (الأعراف: ٥٦) أى حملت الرماح سحاباً ثقالاً، و منه قوله صلى الله عليه و آله فى أبى ذر رضى الله عنه: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء أصدق من أبى ذر. و وجه التفسير على هذا الوجه يعلم فى الشرح إن شاء الله تعالى.

ففى الجمع بين أقل بهذا المعنى بل بالمعنى الأول أيضا تحسين بديع و هو مراعاة النظير من وجوه تحسين الكلام المقرر فى فنّ البديع و مراعاة النظير أن يجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان و إن لم يكونا مقصودين ههنا نحو قوله تعالى «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَ النَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ» و بالفارسيه نحو قول الشاعر هر چه آن خسرو کند شیرین بود.

(عتاب) بالكثير مصدر ثان من باب المفاعله كضراب يقال عاتبه عليه معاتبه و عتابا إذا لامه و واصفه الموجهه و خاطبه الإدلال. (الوجيف) وجف الشيء بمعنى اضطرب، قال تعالى: «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ» و الوجيف ضرب من سير الإبل و الخيل فيه سرعه و اضطراب، أو جفت البعير: أسرعه. و فى أقرب الموارد:

وجف الفرس و البعير: عدا و سار العنق، و فى حديث على: أهون سيرهما فيه الوجيف

(حداء) بكسر أوله و ضمّه أيضا ككتاب و ذباب و اوى من حدو: سوق الابل و الغناء لها. يقال حدا الابل و بالابل يحدو حدوا و حداء و حداء من باب نصر ساقها و غنى لها فهو حاد. يقال حدث الريح السحاب أى ساقتها. (العنيف) الشديد من القول و السير. و الذى ليس له رفق بركوب الخيل. عنف به و عليه من باب كرم لم يرفق به و عامله بشده. (الفلته) بالفتح، فى الصحاح يقال كان ذاك الأمر فله أى فجأه إذا لم يكن عن تردد و لا تدبر. و فى أقرب الموارد: حدث الأمر فله أى فجأه من غير تردد و لا تدبر حتى كأنه اقتلت سريعا، قال: يقال: كانت بيعه أبى بكر فله.

(اتيح) تاح له الشىء يتوح توحا من باب نصر و اتيح له الشىء قدّر له و تهىء و أتاح الله له الشىء أى قدره له، قاله فى الصحاح. قال انيف بن حكيم التّبّهانى:

و تحت نحور الخيل حرشف رجله تتاح لغزات القلوب نبالها

و هو من أبيات الحماسه (الحماسه ٣٣ و ٢٠٩) وصفهم بأن نبالهم تقدّر للقلوب الغارّه.

(مستكرهين) قال الفاضل الشارح المعتزلى: و قد ذكر أن خط الرضى رضوان الله عليه مستكرهين بكسر الزاء و الفتح أحسن و أصوب و إن كان قد جاء استكرهت الشىء بمعنى كرهته. انتهى.

أقول: الاستكراه قد جاء بمعنى الاكراه كما جاء بمعنى عدّ الشىء و وجدانه كريها و من الأوّل حديث رفع عن امتى الخطاء و ما استكروهوا عليه. أى ما اكروهوا عليه.

فلو قرئ المستكرهين بفتح الراء لكان بمعنى المكرهين و الإكراه و الإجبار واحد.

و قالوا فى المعاجم: أكرهه على الأمر: حمله عليه قهرا، و كذا قالوا أجبره على الأمر أكرهه عليه فلو قرئ بالفتح للزم التكرار لأنه و المجبرين حينئذ بمعنى واحد فالكسر متعين كما اختاره الرضى. و المستكره بالكسر بمعنى الكاره أى ناخوش و ناپسند دارنده يقال: استكرهت الشىء أى كرهته كما أشار إليه الفاضل الشارح، و فى منتهى

ص: ٢٠٠

الأرب في لغة العرب: استكراه: بنا خواست و ستم بر كاری داشتن، و ناخوش شمردن.

و المراد بدار الهجره مدينه الرسول صَلَّى الله عليه و آله و المنقول من الرواندى رحمه الله أن المراد بدار الهجره ههنا الكوفه التى هاجر أمير المؤمنين على عليه السلام اليها.

أقول: و هذا عجيب جدّا و إنما هو من طغيان قلمه رحمه الله لأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أخبر أهل الكوفه بأنّ المدينه قد قلعت بأهلها و جاشت جيش المرجل على أنّه عليه السّلام حين كتب الكتاب إليهم كان نازلا فى ذى قار بعيدا عن الكوفه و لم يصل إلى الكوفه و لم يقيم فيها بعد فكيف يكتب إليهم يخبرهم عن أنفسهم و هذا ظاهر لا عائده فى الإطاله.

و قيل: يحتمل أن يريد بدار الهجره دار الإسلام و بلادها.

أقول: و لا يخفى ضعف هذا الاحتمال و تكلفه و سيتضح فى الشرح أن المراد من المدينه مدينه الرسول صَلَّى الله عليه و آله ليست إلّا.

(قلعت بأهلها) يقال قلع المنزل بأهله إذا لم يصلح لاستيطانهم و منه قولهم كما فى الصحاح، هذا منزل قلعه بالضمّ أى ليس بمستوطن.

و يمكن أن يقرأ الفعلان مجهولين و تكون الباء فى الموضعين بمعنى مع فيكون آكد للمراد كما لا يخفى؛ أو يقال: الباء زائده للتأكيد و الفعل معلوم فى كلا الموضعين كقوله تعالى: «و كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً» لأن القلع متعد بنفسه يقال قلعه إذا انتزعه من أصله أو حوّله عن موضعه و المراد أن المدينه فارقت أهلها و أخرجتهم منه و كذا قلّعوا بها أى انهم فارقوها و خرجوا منها و لم يستقروا فيه.

(المرجل): القدر اسم آله على وزن مفعّل. (بادروا) أى سارعوا أمر من المبادره.

الاعراب

إشارة

يمكن أن يكون جبهه الأنصار و سنام العرب صفتين لأهل الكوفه كما يمكن أن يكونا بدلين بدل البعض من الكل أو الكل من الكل.

«إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا» بيان للأخبار. «من المهاجرين» ظرف مستقر منصوب

ص: ٢٠١

محلا- صفه للرجل، و يمكن أن تكون جملتا اكثر استعابه و اقل عتابه صفتين له أيضا لأن الجملة نكره، و لكن الظاهر أن الجملتين حالان لضمير كنت. لا يقال:

فلم لم يأت بالواو الحاليه؟ لأننا نقول: المضارع المثبت المجرد من قد لا يقترن بالواو لأنه يشبه اسم الفاعل في الزنه و المعنى و الواو لا تدخل اسم الفاعل و كذلك ما أشبهه و يكون قوله عليه السلام على وزان قوله تعالى «وَلَا تَمُنُّنَ تَشْكُرُ» فجملة تستكثر حال من فاعل تمنن المستتر فيه و لا تكون مقترنه بالواو و في الألفيه لابن مالك.

و ذات بدء بمضارع ثبت حوت ضميرا و من الواو خلت

قال بعض: أهون سيرهما بدل من طلحه و الزبير و الوجيف خبر كان و كذا الكلام في أرفق حدائهما العنيف لأنها عطف على الأولى. قلت: الصواب أن ما ذهب إليه ذلك البعض و هم لأن الوجيف خبر أهون و جملة أهون سيرهما فيه الوجيف خبر كان و كذا الحكم في الجملة الثانيه و ذلك لأن الوجيف لو كان خبر كان لصح حمله على الزبير و طلحه أن يقال طلحه و جيف مثلا و ليس كذلك لأن السير و جيف لما دريت أن الوجيف نوع من سير الابل، على أن فيه معاييب اخرى لا تخفى على العارف بأحكام البدل و تركيب الجمل.

«من عائشه» يتعلق بفلته قدم لسعه الظروف. و فله اسم كان و لم يقل كانت لأن تأنيث اسمه مجازي، و فيه خبر كان قدم على الاسم لأنه ظرف: «فاتيح» الفاء للتسبيح لأن من قوله عليه السلام: إِنَّ النَّاسَ إِلَى هَذَا بَيَانٍ مَبْدَأُ سَبَبِ قَتْلِ الْقَوْمِ عُثْمَانُ؛ أَيْ أَنَّ النَّاسَ لَمَّا طَعَنُوا عَلَيْهِ وَ... فَقَدَرُ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ عَلَى وَزَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى «فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ». و الفاء في فقتلوه للترتيب الذكري لأن أكثر وقوعه في عطف المفصل على المجرم نحو قوله تعالى: «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً» و المقام كذلك أيضا. و يمكن أن تكون للتعقيب نحو قوله تعالى: «أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ» و الفاء في «فأسرعوا» فصيح و التقدير: إذا كان الأمر انجز إلى كذا فأسرعوا. اهـ

نقل الكتاب على صورته اخرى

ص: ٢٠٢

قد نقل ذلك الكتاب الذى كتبه عليه السّلام إلى أهل الكوفه عند مسيره إليهم من المدينه إلى البصره على صورته اخرى قريبه مما فى النهج فى بعض الجمل الشيخ الأجل المفيد قدّس سرّه فى كتابه المترجم بالجمل، أو النصره فى حرب البصره (ص ١١٦ طبع النجف) و هذه صورته.

بسم الله الرحمن الرحيم من علّى بن أبى طالب إلى أهل الكوفه أما بعد فيأتى اخبركم من أمر عثمان حتى يكون أمره كالعيان لكم: إنّ الناس طعنوا عليه فكنت رجلا- من المهاجرين اظهر معه عتبه و أكره و أشقى به و كان طلحه و الزبير أهون سيرهما الرّجيف و قد كان من أمر عائشه و قتله ما عرفتم فلما قتله النّاس بايعانى غير مستنكرين طائعين مختارين و كان طلحه و الزبير أوّل من بايعنى على ما بايعا به من كان قبلى ثمّ استأذنانى فى العمره و لم يكونا يريدان العمره فنقضا العهد و أذنا فى الحرب و أخرجنا عائشه من بيتها يتخذانها فتنه فسارا إلى البصره و اخترت السير إليهم معكم و لعمري إياى تجيبون انما تجيبون الله و رسوله و الله ما قاتلتهم و فى نفسى شك و قد بعثت إليكم ولدى الحسن و عمارا و قيسا مستنفرين لكم فكونوا عند ظنّى بكم و السّلام.

أقول: و نقل الكتاب الدينورى فى الإمامه و السياسه أيضا (ص ٦٦ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ).

المعنى

اشاره

إنّما الحرّى فى المقام أن نذكر

الأحداث التى أحدثها عثمان

اشاره

مما نقمها النّاس منه و طعنوا عليه و صارت سبب قتله ثمّ نتبعه على وقوع فتنه الجمل.

أمّا أحداثه فنذكر طائفه منها ههنا عن الطبرى و المسعودى و غيرهما.

قال المسعودى فى مروج الذهب

:

١ — ذكر عبد الله بن عتبه أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون

و مائه ألف دينار و ألف ألف درهم

و قيمه ضياعه بوادی القرى و حنین و غیرهما مائه ألف دينار و خلف خیلا كثيرا و إبلا.

ص: ۲۰۳

٢ - اقتنى في أيامه جماعه من أصحابه الضياع و الدور منهم الزبير بن العوام

بنى داره بالبصره و ابتنى أيضا دورا بمصر و الكوفه و الاسكندريه و ما ذكر من دوره و ضياعه فمعلوم غير مجهول إلى هذه الغايه. و بلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار و خلف الزبير ألف فرس و ألف عبد و ألف أمه و خططا بحيث ذكرنا من الأمصار.

٣ - و كذلك طلحه بن عبيد الله التيمي

ابتنى داره بالكوفه المعروفه بالكناس بدار الطلحتين و كانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار و قيل أكثر من ذلك و بناحيه سراه أكثر مما ذكرنا. و شيد داره بالمدينه و بناها بالاجر و الجصّ و الساج.

٤ - و كذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري

ابتنى داره و وسعها و كان على مربطه مائه فرس و له ألف بغير و عشره آلاف من الغنم و بلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربعة و ثمانين ألفا.

٥ - و ابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق

فرغ سمكها و وسع فضاءها و جعل أعلاها شرفات.

٦ - و قد ذكر سعيد بن المسيّب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب

و الفضّه ما كان يكسر بالفتوس

غير ما خلف من الأموال و الضياع بقيمه مائه ألف دينار.

٧ - و ابتنى المقداد داره بالمدينه في الموضع المعروف بالجرف على أميال

من المدينه

و جعل أعلاها شرفات و جعلها مجصّصه الظاهر و الباطن.

اشاره

و ديونا على الناس و عقارات و غير ذلك من التركة ما قيمته مائه ألف دينار.

ثم قال المسعودي: و هذا باب يتسع ذكره و يكثر وصفه فيمن تملك من الأموال في أيامه و لم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب بل كانت جاده واضحه و طريقه بينه و حج عمر فأنفق في ذهابه و مجيئه إلى المدينه ستة عشر ديناراً و قال لولده عبد الله: لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا. و لقد شكا الناس أميرهم سعد بن أبي وقاص و ذلك في سنه إحدى و عشرين فبعث عمر محمد بن مسلمه الأنصاري حليف

ص: ٢٠٤

بنى عبد الأشهل فخرق عليه باب قصر الكوفه و جمعهم فى مساجد الكوفه يسألهم عنه فحمده بعضهم و ساءه بعض فعزله و بعث إلى الكوفه عمار بن ياسر على الثغر و عثمان ابن حنيف على الخراج و عبد الله بن مسعود على بيت المال و أمره أن يعلم الناس القرآن و يفقههم فى الدين و فرض لهم فى كل يوم شاه فجعل شطرها و سواقطها لعمار بن ياسر و الشطر الاخر بين عبد الله بن مسعود و عثمان بن حنيف فأين عمر ممن ذكرنا و أين هو عمن وصفنا؟ و فى الشافى للشرىف المرتضى علم الهدى: و من ذلك أنه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة التى هى عدّه للمسلمين نحو ما روى أنه دفع إلى أربعة أنفس من قريش زوجههم بناته أربعمائى ألف دينار و أعطى مروان مائه ألف على فتح إفريقيه و يروى خمس إفريقيه و غير ذلك و هذا بخلاف سيره من تقدم فى القسمة على الناس بقدر الاستحقاق و ايثار الأبعد على الأقارب.

«جواب القاضى عبد الجبار فى المغنى عن ذلك و اعتذاره منه»

قال - كما نقل عنه علم الهدى فى الشافى -: و أما ما ذكره من ايثاره أهل بيته بالأموال فقد كان عظيم اليسار كثير الأموال فلا يمتنع أن يكون إنما أعطاهم من ماله و إذا احتمل ذلك وجب حمله على الصحة و حكى عن أبى على أن الذى روى من دفعه إلى ثلاثه نفر من قريش زوجههم بناته مائه ألف دينار لكل واحد إنما هو من ماله و لا روايه تصحّ فى أنه أعطاهم ذلك من بيت المال و لو صحّ ذلك لكان لا يمتنع أن يكون أعطى من بيت المال ليردّ عوضه من ماله لأنّ للإمام عند الحاجة أن يفعل ذلك كما له أن يقرض غيره.

قال: ثم حكى القاضى عن أبى على أن ما روى من دفعه خمس إفريقيه لما فتحت إلى مروان ليس بمحفوظ و لا- منقول على وجه يوجب قبوله و إنما يرويه من يقصد التشنيع على عثمان. و حكى عن أبى الحسين الخياط أن ابن أبى سرح لما غزا البحر و معه مروان فى الجيش ففتح الله عليه و غنموا غنيمه اشترى مروان الخمس من أبى سرح بماء ألف و أعطاه أكثرها ثم قدم على عثمان بشيرا بالفتح

و قد كانت قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذلك الجيش فرأى عثمان أن يهب له ماله بقى عليه من المال و للإمام فعل ذلك ترغيباً في مثل ذلك الأمور.

قال: قال و هذا الصنيع منه كان في السنه الأولى من امامته و لم يتبرأ أحد منه فيها فلا وجه للتعلق به و ذكر فيما أعطاه لأقاربه أنه وصلهم لحاجتهم و لا يمتنع مثله في الإمام إذا رآه صلاحاً. و ذكر في اقطاعه بنى امية القطائع ان الأئمة قد تحصل في أيديهم الضياع لا مالك لها من جهات و يعلمون أنه لابد فيها ممن يقوم باصلاحها و عمارتها فيؤدى عنها ما يجب من الحق و له أن يصرف ذلك إلى من يقوم به و له أيضا أن يزيد بعضاً على بعض بحسب ما يعلم من الصلاح و التألف و طريق ذلك الاجتهاد.

«اعتراض الشريف علم الهدى على القاضي»

قال في الشافى: فأما قوله في جواب ما يسأل عنه من ايثاره أهل بيته بالأموال أنه لا يمتنع أن يكون إنما أعطاهم من ماله، فالرواية بخلاف ذلك و قد صرح الرجل أنه كان يعطى من بيت المال صله لرحمه و لما وقف على ذلك لم يعتذر منه بهذا الضرب من العذر و لا قال إن هذه العطايا من مالى و لا اعتراض لأحد فيه.

و قد روى الواقدي بإسناده عن الميسور بن عتبة أنه قال: سمعت عثمان يقول إن أبا بكر و عمر كانا يتناولان في هذا المال ظلف أنفسهما و ذوى أرحامهما و إننى ناولت فيه صله رحمى.

و روى عنه أنه كان بحضرته زياد بن عبيد الله الحارثى مولى الحارث بن كلده الثقفى و قد بعث أبو موسى بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين أهله و ولده بالصحاف ففاضت عينا زياد دموعاً لما رأى من صنيعه بالمال فقال: لا تبك فإن عمر كان يمنع أهله و ذوى أرحامه ابتغاء وجه الله و أنا أعطى أهلى و قرابتي ابتغاء وجه الله. و قد روى هذا المعنى عنه من عدة طرق بألفاظ مختلفة.

و روى الواقدي بإسناده قال: قدمت إبل من أهل الصدقة على عثمان فوهبها

للحرث بن الحكم بن أبي العاص.

أقول: كان الحرث هذا ابن عم عثمان فقد قدمنا أن الحكم بن أبي العاص كان عمه.

قال: و روى أيضا أنه ولي الحكم بن أبي العاص صدقات قضائه فبلغت ثلاثمئة ألف فوهبها له حين أتاه بها.

و روى أبو مخنف و الواقدي جميعا أن الناس أنكروا على عثمان إعطائه سعيد ابن أبي العاص مائة ألف فكلّمه عليّ عليه السلام و الزبير و طلحة و سعد و عبد الرحمن في ذلك فقال: إن لي قرابه و رحما، فقالوا: أما كان لأبي بكر و عمر قرابه و ذوو رحم؟ فقال: إن أبا بكر و عمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما و أنا أحتسب في عطاء قرابتي. قالوا: فهديهما و الله أحب إلينا من هديك.

و قد روى أبو مخنف أنه لما قدم على عثمان عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص من مكه و ناس معه أمر لعبد الله بثلاثمئة ألف و لكل واحد من القوم مائة ألف فصكّ بذلك على عبد الله بن الأرقم و كان خازن بيت المال فاستكثره و ردّ الصكّ به و يقال: إنه سأل عثمان أن يكتب بذلك كتاب دين فأبى ذلك و امتنع ابن الأرقم أن يدفع المال إلى القوم، فقال له عثمان: إنما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم: كنت أراني خازنا للمسلمين و إنما خازنك غلامك و الله لا ألي لك بيت المال أبدا فجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر و يقال: بل ألقاها إلى عثمان فدفعها عثمان إلى نائل مولاه.

و روى الواقدي: أن عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت المال إلى عبد الله بن الأرقم في عقيب هذا الفعل ثلاثمئة ألف درهم فلما دخل بها عليه قال له:

يا با محمّد إنّ أمير المؤمنين أرسل إليك يقول إنا قد شغلناك عن التجاره و لك ذو رحم ذات حاجه ففرّق هذا المال فيهم و استعن به على عيالك، فقال عبد الله بن الأرقم:

ما لي إليه حاجه و ما عملت لأين يثيبني عثمان و الله لئن كان هذا من مال المسلمين ما بلغ قدر عملي أن اعطى ثلاثمئة ألف درهم، و لئن كان من مال عثمان ما أحبّ

ص: ٢٠٧

أن أزره من ماله شيئاً و ما فى هذه الأمور أوضح من أن يشار إليه و يتبه عليه.

و أما قوله «لو صحَّ أنه أعطاهم من بيت المال لجاز أن يكون ذلك على طريق القرض» فليس بشيء لأن الروايات أولاً يخالف ما ذكره و قد كان يحب «يجب ظ» لما نقم عليه وجوه الصحابه إعطاء أقاربه من بيت المال أن يقول لهم: هذا على سبيل القرض و أنا أردّ عوضه و لا يقول ما تقدم ذكره من أننى أصل به رحمى.

على أنه ليس للإمام أن يقترض من بيت المال إلا ما ينصرف فى مصلحه للمسلمين مهمه يعود عليهم نفعها أو فى سدّ خلّه و فاقه لا يتمكّنون من القيام بالأمر معها فأما أن يقترض المال لينتدح و يمرح فيه مترفى بنى اميّة و فساقهم فلا أحد يجيز ذلك.

فأما قوله حاكيا عن أبى على «أن دفعه خمس أفريقيه إلى مروان ليس بمحفوظ و لا منقول» فتعلل منه بالباطل لأن العلم بذلك يجرى مجرى الضرورى و مجرى ما تقدّم بسائره، و من قرأ الأخبار علم ذلك على وجه لا يتعرض فيه شك كما يعلم نظائره.

و قد روى الواقدى عن اسامه بن زيد عن نافع مولى الزبير عن عبد الله بن الزبير قال: أغزانا عثمان سنه سبع و عشرين افريقيه فأصاب عبد الله بن سعد بن أبى سرح غنائم جليله فأعطى عثمان مروان بن الحكم تلك الغنائم و هذا كما ترى يتضمن الزيادة على الخمس و يتجاوز إلى إعطاء الكل.

و روى الواقدى عن عبد الله بن جعفر، عن ام بكر بنت الميسور قالت: لما بنى مروان داره بالمدينه دعى الناس إلى طعامه و كان الميسور ممن دعاه فقال مروان و هو يحدثهم: و الله ما انفقت فى دارى هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه، فقال الميسور: لو أكلت طعامك و سكت كان خيرا لك لقد غزوت معنا افريقيه و انك لأقلنا مالا و رقيقا و أعوانا و أخفنا ثقلا فأعطاك ابن عمك خمس افريقيه و عملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين.

ص: ٢٠٨

و روى الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف أنّ مروان ابتاع خمس افريقيه بمأتي ألف أو بمأه ألف دينار و كلم عثمان فوهبها له فأنكر الناس ذلك على عثمان، و هذا بعينه هو الذي اعترف به أبو الحسين الخياط و اعتذر بأن قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذلك الجيش فرأى عثمان أن يهب لمروان ثمن ما ابتاعه من الخمس لمّا جاءه بشيرا بالفتح على سبيل الترغيب، و هذا الاعتذار ليس بشيء لأنّ الذي رويناه من الأخبار في هذا الباب خال من البشاره و إنّما يقتضى أنّه سأله ترك ذلك عليه فتركه أو ابتداء هو بصلته و لو أتى بشيرا بالفتح كما ادّعوا لما جاز أن يترك عليه خمس الغنيمه العائده على المسلمين و تلك البشاره لا يستحق أن يبلغ البشير بها مأتي ألف دينار و لا اجتهد في مثل هذا و لا فرق بين من جوّز أن يؤدي الاجتهاد إلى مثله و من جوّز أن يؤدي الاجتهاد إلى دفع أصل الغنيمه إلى البشير بها، و من ارتكب ذلك الزم جواز أن يؤدي الاجتهاد إلى جواز اعطاء هذا البشير جميع أموال المسلمين في الشرق و الغرب.

و أما قوله: «أنّه فعل ذلك في السنه الأولى من أيامه و لم يتبرّء أحد منه» فقد مضى الكلام فيه مستقصى.

فأمّا قوله: «إنّه وصل بنى عمّه لحاجتهم و رأى في ذلك صلاحا» فقد بيّنا أن صلاته لهم كانت أكثر ممّا يقتضيه الحاجه و الخلّه و أنّه كان يصل منهم المياسير و ذوى الأحوال الواسعه و الضيّاع الكثيره، ثمّ الصلاح الذي زعم أنّه رآه لا يخلو من أن يكون عائدا على المسلمين أو على أقاربه، فان كان على المسلمين فمعلوم ضروره أنّه لا صلاح لأحد من المسلمين في اعطاء مروان مأتي ألف دينار و الحكم بن أبي العاص ثلاثمأه ألف درهم و ابن أسيد ثلاثمأه ألف درهم إلى غير ذلك ممن هو المذكور، بل على المسلمين في ذلك غايه الضرر، و إن أراد الصلاح العائد على الأقارب فليس له أن يصلح أمر أقاربه بفساد أمر المسلمين و ينفعهم بما يضرّ به المسلمين.

فأمّا قوله: «إن القطائع التي أقطعها بنى اميه إنّما أقطعهم إياها لمصلحه يعود على المسلمين لأنّه كانت خرابا لا عامر لها فسلمها إلى من يعمرها و يؤدي الحقّ فيها» فأول ما فيه أنّه لو كان الأمر على ما ذكره و لم يكن هذه القطائع على سبيل الصله و المعونه لأقاربه لما خفى ذلك على الحاضرين و لكانوا لا يعدّون

ذلك من مثالبه ولا يوافقونه عليه في جملة ما واقفوه عليه من أحداثه. ثم كان يجب لو فعلوا ذلك أن يكون جوابه لهم بخلاف ما روى من جوابه، لأنه كان يجب أن يقول لهم: و أي منفعة في هذه القطائع عائده على قرابتي حتى يعدّوا ذلك من جملة صلاتي لهم و إيصال المنافع إليهم؟ و إنما جعلتهم فيها بمنزلة الأكره الذين ينتفع بهم أكثر من انتفاعهم و ما كان يجب أن يقول ما تقدمت روايته من أني محتسب في اعطاء قرابتي و أن ذلك على سبيل الصلة لرحمي إلى غير ذلك ممّا هو خال من المعنى الذي ذكره. انتهى.

أقول: و من قوادحه ما فعل بعبد الله بن سعد قبل خلافته بعد ما هدر رسول الله صلى الله عليه و آله دمه. تفصيله أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكنى أبا يحيى و هو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة أَرْضَعَتْ امه عثمان أسلم قبل الفتح و هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و آله ثم ارتدّ مشركا و صار إلى قريش بمكّة فقال لهم: إنني كنت اصرف محمّدا حيث اريد كان يملئ عليّ عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كلّ صواب فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله صلى الله عليه و آله بقتله و قتل عبد الله بن خطل و مقيس بن صبابه و لو وجدوا تحت أستار الكعبة ففرّ عبد الله بن سعد إلى عثمان بن عفان فغيبه عثمان حتى أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه و آله بعد ما اطمأن أهل مكّة فاستأمنه له فصمت رسول الله صلى الله عليه و آله طويلا ثم قال: نعم فلمّا انصرف عثمان قال رسول الله صلى الله عليه و آله لمن حوله: ما صمت إلا- ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إليّ يا رسول الله؟ فقال: إنّ النبي لا ينبغي أن يكون له خائنه الأعين؛ قاله في اسد الغابه.

و في الصّافي للفيض في تفسير القرآن في ضمن قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» (الأنعام: ٩٤) في الكافي و العياشي عن أحدهما عليهما السلام نزلت الآية في ابن أبي سرح الذي كان عثمان استعمله على مصر و هو ممّن كان رسول الله صلى الله عليه و آله يوم فتح مكّة هدر دمه و كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه و آله فاذا أنزل الله عزّ و جلّ إنّ الله عزيز

حكيم كتب إنَّ اللهَ عليمٌ حكيمٌ فيقول له رسولُ اللهَ صَلَّى اللهُ عليه وآله: دعها فإن اللهَ عليمٌ حكيمٌ و كان ابن أبي سرح يقول للمنافقين إنِّي لأقول من نفسى مثل ما يجىء به فما يغيّر علىّ فأُنزل اللهُ تبارك وتعالى فيه الذى أنزل.

و القمى عن الصادق عليه السّلام قال: إنَّ عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخا عثمان من الرضاعة أسلم و قدم المدينة و كان له خطّ حسن و كان إذا أنزل الوحي على رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله دعاه فكتب ما يمليه عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله فكان إذا قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله: سميع بصير يكتب سميع عليم و إذا قال: و الله بما يعملون خير يكتب بصير، و يفرق بين التاء و الياء و كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله يقول: هو واحد فارتدّ كافرا و رجع إلى مكّة و قال لقريش: و الله ما يدرى محمّد ما يقول أنا أقول مثل ما يقول فلا- ينكر علىّ ذلك فأنا أنزل مثل ما ينزل فأُنزل اللهُ على نبيّه فى ذلك: - «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى» - إلى قوله: «مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» - فلما فتح رسول الله مكة أمر بقتله فجاء به عثمان قد أخذ بيده و رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله فى المسجد فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله ثم أعاد فسكت ثم أعاد فقال هو لك فلمّا مرّ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله لأصحابه: ألم أقل من رآه فليقتله؟ فقال رجل كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إلىّ فأقتله فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله: إن الأنبياء لا يقتلون بالاشارة فكان من الطلقاء.

و قال ابن هشام فى السيرة النبوية: قال ابن إسحاق: و كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله قد عهد إلى امرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكّة، أن لا يقاتلوا إلّا من قاتلهم، إلّا أنّه قد عهد فى نفر سمّاهم أمر بقتلهم و إن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد أخو بنى عامر بن لؤى.

قال: و إنما أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله بقتله لأنّه قد كان أسلم و كان يكتب لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله الوحي فارتدّ مشركا راجعا إلى قريش ففرّ إلى عثمان بن عفان و كان أخاه للرضاعة فغيبه حتّى أتى به رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله بعد أن اطمأنّ الناس و أهل مكّة فاستأمن له، فزعموا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله صمت طويلا، ثم قال: نعم

فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حوله من أصحابه: لقد صمّت ليقيم إليهم بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الأنصار: فهلاً أومأت إلي يا رسول الله قال: إنّ النبي لا يقتل بالاشارة.

قال ابن هشام: ثم أسلم بعد فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر.

وقال الطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن الآية المذكورة وقيل: المراد به عبد الله بن سعد بن أبي سرح أملي عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ» - إلى قوله تعالى - «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ» فجرى على لسان ابن أبي سرح فتبارك الله أحسن الخالقين فأملأه عليه وقال هكذا انزل فارتدّ عدو الله وقال: لئن كان محمد صادقاً فلقد أوحى إلي كما أوحى إليه ولئن كان كاذباً فلقد قلت كما قال وارتدّ عن الإسلام و هدر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمان وقد اخذ بيده و رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد فقال: يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله ثم أعاد فسكت ثم أعاد فسكت فقال هو لك فلما مرّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله لأصحابه:

ألم اقل من رآه فليقتله؟ فقال عباد بن بشر: كانت عيني إليك يا رسول الله ان تشير إلي فأقتله، فقال صلى الله عليه وآله: الأنبياء لا يقتلون بالاشارة.

اقول: لا كلام في ارتداد ابن أبي سرح وإنما الاختلاف في سبب ارتداده و جملته انه نبذ كتاب الله وراء ظهره واتخذة سخرية.

ولكن ما أتى به الفيض في الصافي من الرواية «في ان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قال: سميع بصير يكتب ابن أبي سرح سميع عليم و إذا قال: و الله بما يعملون خبير يكتب بصير و يفرق بين التاء والياء و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول هو واحد» ليست بصحيحه جداً لأنّ شدّه عنايه رسول الله صلى الله عليه وآله و اهتمامه بحفظ القرآن و حراسته عن التحريف و التغيير يمنعنا عن قبول ذلك و سيأتي التحقيق الأنيق بعيد هذا في ان هذا المصحف المكتوب بين الدفتين المتداول الان بين الناس جميع ما نزل عليه صلى الله عليه وآله في نيف و عشرين سنه من غير زياده و نقصان و تصحيف و تحريف و ان تركيب السور

من الايات و ترتيب السور على ما هو فى المصحف توقيفى كان بأمر الله تعالى و أمر امين الوحي عليه السّلام و امر رسول الله صلى الله عليه و آله.

على أنّ صدر كل آيه يدل على انه يناسب و يقتضى كلمات خاصّه فى ختامها و لا يوافق غيرها كما لا يخفى على العارف بأساليب الكلام و فنون الأدب سيما كتاب الله الذى أعجز العالمين عن ان يتفوّهوا باتيان مثله و إن كان سوره منها نحو الكوثر ثلاث آيات.

مثلا أن قوله تعالى: «وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» (الملك - ١٤ و ١٥) لا يناسب إنّه حكيم بذات الصدور، أو هو السميع الخبير مثلا- فان فى الجمع بين يعلم و بين اللطيف لطيفه حكميه يدرکها ذوق التأله بخلاف الجمع بين يعلم و السميع.

و قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُبْحَصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلَدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (النور - ٥ و ٦) يناسب التوبه الغفور الرحيم دون أنّه عزيز ذو انتقام، أو حكيم عليم و أمثالها و كذا فى الايات الأخر فتدبر فيها بعين العلم و المعرفه.

على أنا نرى الحجج الالهيه يمنعون الناس عن التصرّف فى الأدعيّه و تحريفها روى محمّد بن بابويه عليه الرحمه فى كتاب الغيبه باسناده عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: سيصيبكم شبهه فتبقون بلا علم و لا إمام هدى و لا ينجو فيها إلّا من دعا بدعاء الغريق؛ قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال عليه السّلام: تقول:

يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلّب القلوب ثبت قلبى على دينك؛ فقلت: يا مقلّب القلوب و الأبصار ثبت قلبى على دينك، فقال عليه السّلام: إنّ الله عزّ و جلّ مقلّب القلوب و الأبصار و لكن قل كما أقول: ثبت قلبى على دينك.

فاذا كان الدعاء توقيفيا و يردع الإمام عليه السّلام عن التحريف فكيف ظنك بالنبيّ صلى الله عليه و آله مع القرآن.

و غيرهما من بنى اميه و مروان هو طريد رسول الله صلى الله عليه و آله الذى غربه عن المدينه و نفاه عن جواره.

أقول: إنّ الحكم و ابنه مروان كليهما كانا طريدى رسول الله صلى الله عليه و آله و الصواب أن يقال: ان الحكم هو طريد رسول الله صلى الله عليه و آله فان ابنه مروان كان طفلاً حين طرده رسول الله صلى الله عليه و آله و السبب فى ذلك ان الحكم بن أبى العاص عم عثمان كان يحاكى مشيه رسول الله صلى الله عليه و آله و ينقصه و كان يفعل ذلك استهزاء به و سخرية فرآه النّبى صلى الله عليه و آله يوماً و هو يفعل ذلك فقال له النّبى صلى الله عليه و آله و قد غضب لذلك: أ تحكىنى؟ اخرج من المدينه فلا جاورتنى فيها حياً و لا ميتاً فطرده و ابنه مروان و نفاهما إلى بلاد اليمن و نفيا بهما مطرودين مدّه حياه النّبى صلى الله عليه و آله فلمّا مات و ولى أبو بكر طمع عثمان أن يردهما فكلّم أبا بكر فى ذلك فزبره و أغلظ عليه و قال: أ تريدنى يا عثمان أن آوى طريد رسول الله صلى الله عليه و آله كلاً لا يكون ذلك، فسكت عثمان حتّى ولى عمر فكلّمه أيضاً فى ردّهما فأبأ عليه و قال: لا يكون منى أن آوى طريد رسول الله و طريد أبى بكر اعزب عن هذا الكلام فسكت عثمان فلمّا ولى و استتم له الأمر كتب اليهما بأن أقدا المدينه فأقدمهما المدينه على رءوس الأشهاد مكرمين.

و قال ابن الأثير الجزرى فى اسد الغابه: الحكم بن أبى العاص بن اميه الأموى أبو مروان بن الحكم يعدّ فى أهل الحجاز عم عثمان بن عفّان أسلم يوم الفتح. و روى بإسناده إلى نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنا مع النّبى صلى الله عليه و آله فمرّ الحكم بن أبى العاص فقال النّبى صلى الله عليه و آله: ويل لأمّتى مما فى صلب هذا و هو طريد رسول الله صلى الله عليه و آله و نفاه من المدينه إلى الطائف و خرج معه ابنه مروان.

و قد اختلف فى السبب الموجب لنفى رسول الله صلى الله عليه و آله إياه ف قيل: كان يتسمع سرّ رسول الله صلى الله عليه و آله و يطلع عليه من باب بيته و أنّه ألّذى أراد رسول الله صلى الله عليه و آله أن يفقأ عينه بمدرى فى يده لما اطلع عليه من الباب. و قيل: كان يحكى رسول الله صلى الله عليه و آله فى مشيته فالتفت يوماً فرآه و هو يتخلج فى مشيته فقال: كن كذلك، فلم يزل يرتعش فى مشيته من يومئذ، فذكره عبد الرّحمان بن حسان بن ثابت فى هجائه لعبد الرّحمان بن الحكم:

إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلجا مجنونا

يمسى خميص البطن من عمل التقى و يظل من عمل الخبيث بطينا

و معنى قول عبد الرحمان إن اللعين أبوك فروى عن عائشه من طرق ذكرها ابن أبى خيثمه أنها قالت لمروان بن الحكم حين قال لأخيها عبد الرحمان بن أبى بكر لما امتنع من البيعه ليزيد بن معاوية بولايه العهد ما قال: و القصه مشهوره أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه و آله لعن أباك و أنت فى صلبه و قد روى فى لعنه و نقيه أحاديث كثيره لا- حاجه إلى ذكرها إلا أن الأمر المقطوع به أن النبى صلى الله عليه و آله مع حلمه و إغضائه على ما يكره ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم و لم يزل منفيا حياه النبى صلى الله عليه و آله فلما ولّى أبو بكر الخلافه قيل له فى الحكم ليردّه إلى المدينه فقال: ما كنت لأحلّ عقده عقدها رسول الله صلى الله عليه و آله و كذلك عمر فلما ولّى عثمان الخلافه ردّه و قال: كنت قد شفعت فيه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فوعدنى برده و توفى فى خلافه عثمان.

و فيه أيضا: مروان بن الحكم بن أبى العاص بن اميّه الأموى ابن عمّ عثمان ابن عفّان بن أبى العاص و لم ير النبى صلى الله عليه و آله لأنّه خرج إلى الطائف طفلا لا يعقل لما نفى النبى صلى الله عليه و آله اباه الحكم و كان مع أبيه بالطائف حتّى استخلف عثمان فردّهما و اسكتب عثمان مروان و ضمّه إليه و نظر إليه على يوما فقال: و يلك و ويل امّه محمّد منك و من بنيك. و كان يقال لمروان: خيط باطل و ضرب يوم الدار على قفاه فقطع أحد علياويه فعاش بعد ذلك أوقص و الأوقص الذى قصرت عنقه، و لما بويع مروان بالخلافه بالشام قال أخوه عبد الرحمان بن الحكم و كان ماجنا حسن الشعر لا يرى رأى مروان:

فو الله ما أدري و إني لسائل حليله مضروب القفا كيف تصنع

لحا الله قوما أمروا خيط باطل على الناس يعطى ما يشاء و يمنع

أقول: قول على عليه السلام لمروان: و يلك و ويل امّه محمّد منك و من بنيك، إشاره إلى ما قاله رسول الله صلى الله عليه و آله فى أبيه الحكم: و يل لأمتى ممّا فى صلب هذا.

ص: ٢١٥

نقل الشريف المرتضى علم الهدى فى الشافى جوابه عن ذلك عن كتابه المغنى إنه قال: فأما ردّ الحكم بن أبى العاص فقد روى عنه إنه لمّا عوتب فى ذلك ذكر أنّه كان استأذن رسول الله صلّى الله عليه وآله و إنّما لم يقبل أبو بكر و عمر قوله لأنّه شاهد واحد و كذلك روى عنهما فكأنّما جعلاه ذلك بمنزله الحقوق الّتى تخص فلم يقبلوا فيه خبر الواحد و أجرياه مجرى الشهادة فلمّا صار الأمر إلى عثمان حكم بعلمه لأنّ للحاكم أن يحكم بعلمه فى هذا الباب و فى غيره عند شيخنا و لا يفصلان بين حدّ و حقّ و لا أن يكون العلم قبل الولاية أو حال الولاية و يقولون إنه أقوى فى الحكم من البينة و الإقرار.

ثمّ ذكر عن أبى على أنّه يقطع به على كذب روايته فى إذن الرسول صلّى الله عليه وآله فى ردّه، فلا بد من تجويز كونه معذورا.

ثمّ سأل نفسه فى أن الحاكم إنّما يحكم بعلمه مع زوال التهمة و أن التهمة كانت فى ردّ الحكم قويه لقربته، و أجاب بأن الواجب على غيره أن لا يتّهمه إذا كان لفعله وجه يصحّ عليه لأنّه قد نصب منصبا يقتضى زوال التهمة عنه و حمل أفعاله على الصّحة و لو جوّزنا امتناعه للتهمة لأدّى إلى بطلان كثير من الأحكام.

و حكى عن أبى الحسن الخياط أنّه لو لم يكن فى ردّه إذن من رسول الله صلّى الله عليه وآله لجاز أن يكون طريقه الاجتهاد لأنّ النفى إذا كان صلاحا فى الحال لا يمتنع أن يتغيّر حكمه باختلاف الأوقات و تغيير حال المنفى و إذا جاز لأبى بكر أن يستردّ عمر من جيش اسامه للحاجه إليه و إن كان قد أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بنفوذه من حيث تغيرت الحال فغير ممتنع مثله فى الحكم.

«اعتراض علم الهدى عليه و ابطاله جوابه»

اعتراض عليه فى الشافى فقال: يقال له: أمّا ما ادعيته و بنيت الأمر فى قصّه الحكم من أن عثمان لما عوتب فى ردّه ادعى أن الرسول صلّى الله عليه وآله أذن له فى ذلك.

فهو شيء ما سمع إلا منك و لا يدري من أين نقلته و فى أى كتاب وجدته و ما رواه الناس كلّهم بخلاف ذلك.

و قد روى الواقدي من طرق مختلفه و غيره أن الحكم بن أبي العاص لما قدم المدينه بعد الفتح أخرجہ النبی صلی اللہ علیہ و آلہ إلى الطائف و قال: لا تساکننی فی بلد أبدا فجاءہ عثمان فکلمہ فأبی، ثم کان من أبی بکر مثل ذلك، ثم کان من عمر مثل ذلك فلما قام عثمان أدخله و وصله و أکرمه فمشى فی ذلك علی علیه السلام و الزبير و طلحه و سعد و عبد الرحمان بن عوف و عمار بن یاسر حتى دخلوا علی عثمان فقالوا له: إنک قد أدخلت هؤلاء القوم یعنون الحكم و من معه و قد کان النبی صلی اللہ علیہ و آلہ أخرجہ و أبو بکر و عمر، و إنا نذکرک اللہ و الاسلام و معادک فإن لک معادا و منقلبا و قد أبت ذلك الولاه من قبلك و لم یطمع أحد أن یکلمهم فیہ و هذا سبب نخاف اللہ تعالی علیک فیہ.

فقال: إن قرابتهم منی حیث تعلمون و قد کان رسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ حیث کلمته أطمعنی فی أن يأذن له و إنما أخرجهم لکلمه بلغته عن الحكم و لن یضركم مکانهم شیئا و فی الناس من هو شر منهم.

فقال علی علیه السلام: لا أحد شرا منه و لا منهم. ثم قال علی علیه السلام: هل تعلم أن عمر قال: و اللہ لیحملن بنی أبی معیط علی رقاب الناس و اللہ لئن فعل لیقتلنہ؟ قال: فقال عثمان: ما کان منکم أحد یكون بینہ و بینہ من القرابه ما بینی و بینہ و ینال من المقدره ما أنال إلا أدخله و فی الناس من هو شر منه. قال: فغضب علی علیه السلام قال: و اللہ لتأتینا بشر من هذا إن سلمت و ستری یا عثمان غب ما تفعل، ثم خرجوا من عنده.

و هذا كما ترى خلاف ما ادعاه صاحب الكتاب لأن الرجل لما احتفل ادعی أن الرسول صلی اللہ علیہ و آلہ کان أطمعه فی ردہ، ثم صرح بأن رعايته فیہ من القرابه هی الموجه لردہ و مخالفه الرسول صلی اللہ علیہ و آلہ.

و قد روى من طرق مختلفه أن عثمان لم یأ کلم أبابکر و عمر فی ردّ الحكم أغلظا له و زبراه و قال له عمر: یخرجہ رسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ و تأمرنی أن أدخله و اللہ لو أدخلته لم آمن أن یقول قائل غیر عهد رسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ و اللہ لئن اشق بائنین كما تنشق الأبلمه أحبّ إلی من أن ıخالف لرسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ أمرا، و إیاک یا

ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم. و ما رأينا عثمان قال في جواب هذا التعنيف و التوبيخ من أبي بكر و عمر: إن عندى عهدا من الرسول صلى الله عليه و آله فيه لا استحق معه عتابا و لا تهجينا و كيف تطيب نفس مسلم موقر لرسول الله صلى الله عليه و آله معظم له بأن يأتى إلى عدو لرسول الله صلى الله عليه و آله مصرح بعداوتة و الوقيعه فيه حتى بلغ به الأمر إلى أن كان يحكى مشيته فطرده رسول الله صلى الله عليه و آله و أبعد و لعنه حتى صار مشهورا بأنه طريد رسول الله صلى الله عليه و آله فيؤويه و يكرمه و يرده إلى حيث اخرج منه و يصله بالمال العظيم و يصله إما من مال المسلمين أو ماله ان هذا العظيم كبير قبل التصفح و التأمل و التعلل بالتأويل الباطل.

فأما قول صاحب الكتاب «إن أبا بكر و عمر لم يقبلوا قوله لأنه شاهد واحد و جعلنا ذلك بمنزله الحقوق التي تخص» فأول ما فيه أنه لم يشهد عندهما بشيء في باب الحكم على ما رواه جميع الناس. ثم ليس هذا من الباب الذي يحتاج فيه إلى الشاهدين بل هو بمنزله كل ما يقبل فيه أخبار الاحاد و كيف يجوز أن يجرى أبو بكر و عمر مجرى الحقوق ما ليس فيها.

و قوله: لابد من تجويز كونه صادقا في روايته لأن القطع على كذب روايته لا سبيل إليه، ليس بشيء لأننا قد بينا أنه لم يرو عن الرسول صلى الله عليه و آله إذنا و إنما ادعى أنه، اطمعه في ذلك و إذا جوزنا كونه صادقا في هذه الروايه بل قطعنا على صدقه لم يكن معذورا.

فأما قوله: «الواجب على غيره أن لا يتهمه إذا كان لفعله وجه يصح عليه لانتصابه منصبا يفضى إلى زوال التهمة» فأول ما فيه أن الحاكم لا يجوز أن يحكم بعلمه مع التهمة و التهمة قد يكون لها أمارات و علامات فما وقع فيها عن أمارات و أسباب تتهم في العاده كان مؤثرا و ما لم يكن كذلك و كان مبتدأ فلا تأثير له، و الحكم هو عم عثمان و قريبه و نسيبه و من قد تكلم فيه و في رده مره بعد اخرى و لو ال بعد و ال و هذه كلها اسباب التهمة فقد كان يجب أن يتجنب الحكم بعلمه في هذا الباب خاصه لتطرق التهمة فيه.

فأَمَّا ما حكاها عن الخياط من «أن الرسول صَلَّى الله عليه وآله لو لم يأذن في رده لجاز أن يردّه إذا رآه اجتهاده إلى ذلك لأن الأحوال قد تتغير» فظاهر البطلان لأنّ الرسول إذا حظر شيئاً أو أباحه لم يكن لأحد أن يجتهد في إباحه المحظور أو حظر المباح و من جَوَز الاجتهاد في الشريعة لا- يقدم على مثل هذا لأنّه إنّما يجوز عندهم فيما لا نصّ فيه و لو جَوَزنا الاجتهاد في مخالفه ما تناوله النصّ لم نأمن أن يؤدي اجتهاد مجتهد إلى تحليل الخمر و اسقاط الصلاة بأن يتغير الحال و هذا هدم للشريعة. فأَمَّا استشهاد باسترداد عمر من جيش اسامه فالكلام في الأمرين واحد و قد مضى ما فيه.

١٠ - ثم قال المسعودي: و كان عمّاله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط

إشاره

على الكوفه و هو ممن أخبر النّبى صَلَّى الله عليه وآله أنّه من أهل النّار

. و عبد الله بن أبي سرح على مصر و معاويه بن أبي سفيان على الشام و عبد الله بن عامر على البصره، و صرف عن الكوفه الوليد بن عقبة و ولاها سعيد بن العاص و كان السبب في صرف الوليد و ولايه سعيد على ما روى أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه و مغنيّه من أول الليل إلى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاه خرج منفصلاً في غلائله فتقدم إلى المحراب في صلاه الصبح فصلّى بهم أربعاً و قال: تريدون أن أزيدكم و قيل: أنّه قال في سجوده و قد أطال: اشرب و اسقني، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأوّل: ما تريد؟ لا- زادك الله مزيد الخير و الله لا- أعجب إلا- ممن بعثك إلينا واليا و علينا أميرا و كان هذا القائل: عتاب بن غيلان الثقفي.

قال: و خطب النّاس الوليد فحصبه النّاس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنح و يتمثل بأبيات لتأبط شرا:

و لست بعيداً عن مدام و قينه و لا بصفا صلد عن الخير معزل

و لكنني أروى من الخمر هامتي و أمشي الملا بالساحب المتسلسل

و في ذلك يقول الحطيئه كما في الشافي و المروج:

شهد الحطيئه يوم يلقي ربّه إن الوليد أحقّ بالعدر

نادى و قد تمت صلاتهم أ أزيدكم ثملاً و ما يدرى

ليزيدهم اخرى و لو قبلوا منه ل زادهم على عشر

فأبوا أبا وهب و لو فعلوا لقرنت بين الشفع و الوتر

حبسوا عنانك في الصلاة و لو خلّوا عنانك لم تزل تجرى

و اشاعوا بالكوفة فعله و ظهر فسقه و مداومته شرب الخمر فهجم عليه جماعه من المسجد منهم أبو زينب بن عوف الأزدي و أبو جندب بن زهير الأزدي و غيرهما فوجوده سكران مضطجعا على سريريه لا يعقل فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ ثم تقايا عليهم ما شرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده و خرجوا من فورهم إلى المدينه فأتوا عثمان بن عفّان فشهدوا عنده على الوليد أنّه شرب الخمر فقال عثمان: و ما يدريكما أنّه شرب خمرًا؟ فقالا:

هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهليه و أخرجنا خاتمه فمدفعا إليه فرزأهما و دفع في صدورهما و قال: تنحيا عني فخرجا و أتيا عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و أخبراه بالقصّه فأتى عثمان و هو يقول: دفعت الشهود و أبطلت الحدود فقال له عثمان: فما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك فإن أقاما الشهاده عليه في وجهه و لم يدل بحجّه أقمت عليه الحدّ فلمّا حضر الوليد دعاهما عثمان فاقاما الشهاده عليه و لم يدل بحجّه فألقى عثمان السوط إلى عليّ فقال عليّ لابنه الحسن قم يا بني فأقم عليه ما أوجب الله عليه فقال: كيفيه بعض ما ترى فلمّا نظر إلى امتناع الجماعه عن إقامه الحدّ عليه توقيا لغضب عثمان لقربته منه أخذ عليّ السوط و دنا منه فلما أقبل نحوه سبّه الوليد و قال يا صاحب مكس، فقال عقيل بن أبي طالب و كان ممن حضر: إنك لتتكلم يا ابن أبي معيط كائنك لا تدري من أنت و أنت عالج من أهل صفوريه - و هي قريه بين عكا و اللجون من أعمال الأردن من بلاد طبريه كان ذكر أن أباه كان يهوديًا منها - فأقبل الوليد يزوغ من عليّ فاجتذبه فضرب به الأرض و علاه بالسوط فقال عثمان:

ليس لك أن تفعل به هذا قال: بلى و شرّ من هذا إذا فسق و منع حقّ الله تعالى أن يؤخذ منه.

أقول: ان الوليد بن عقبه بن أبي معيط كان أخا عثمان لأمه.

١١ - و ولي عثمان الكوفه بعد الوليد بن عقبه سعيد بن العاص فلمّا دخل

ص: ٢٢٠

سعيد الكوفه واليا أبى أن يصعد المنبر حتى يغسل و أمر بغسله و قال: إن الوليد كان نجسا رجسا فلما اتّصلت أيام سعيد بالكوفه ظهرت منه امور منكره و اشتبه بالأموال و قال فى بعض الأيام و كتب به إلى عثمان إنما هذا السواد فطير لقريش فقال له الأشتر و هو مالك الحرث النخعي: أ تجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا و مراكز رماحنا بستانا لك و لقومك ثم خرج إلى عثمان فى سبعين راكبا من أهل الكوفه فذكروا سوء سيره سعيد بن العاص و سألوا عزله عنهم فمكث الأشتر و أصحابه أياما لا يخرج لهم من عثمان فى سعيد شىء و امتدت أيامهم بالمدينه و قدم على عثمان امرأه من الأمصار، منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح من مصر و معاويه من الشام و عبد الله بن عامر من البصره و سعيد بن العاص من الكوفه فأقاموا بالمدينه أياما لا يردهم إلى أمصارهم كراهه أن يرد سعيدا إلى الكوفه و كره أن يعزله حتى كتب إليه من بأمصارهم يشكون كثرة الخراج و تعطيل الثغور فجمعهم عثمان و قال:

ما ترون؟ فقال معاويه أما أنا فراض بى جندى. و قال عبد الله بن عامر بن كريز ليكفكك امرؤ ما قبله أكفكك ما قبلى و قال عبد الله بن سعد بن أبى سرح ليس بكثير عزل عامل للعامه و توليه غيره. و قال سعيد بن العاص إنك إن فعلت هذا كان أهل الكوفه هم الذين يولّون و يعزلون و قد صاروا حلقة فى المسجد ليس لهم غير الأحاديث و الخوض فجهزهم فى البعوث حتى يكون هم أحدهم أن يموت على ظهر دابته فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج إلى المسجد فاذا طلحه و الزبير جالسان فى ناحيه منه فقالا له: إلينا فصار إليهما فقالا: فما وراءك؟ قال ابشر ما ترك شيئا من المنكر الا أتى به و أمر به و جاء الأشتر فقالا له إن عاملكم الذى قمتم فيه خطباء قد ردّ عليكم و أمر بتجهيزكم فى البعوث و بكذا و كذا.

فقال الأشتر: و الله قد كنا نشكو سوء سيرته و ما قمنا به خطباء فكيف و قد قمنا و ايم الله على ذلك لو لا انى انفدت النفقه و أنضيت الظهر لسبقته إلى الكوفه حتى امنعه دخولها.

فقالا له: فعندنا حاجتك التي تفوتك في سفرك. قال: فاسلفاني إذا مائة ألف درهم فأسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم فقسما بين أصحابه و خرج إلى الكوفة فسبق سعيد و صعد المنبر و سيفه في عنقه ما وضعه بعد. ثم قال: أما بعد فان عاملكم الذي انكرتم تعديده و سوء سيرته قد ردّ عليكم و امر بتجهيزكم في البعوث فبايعوني على أن يدخلها فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة و خرج راكبا متخفيا يريد المدينة أو مكّه فلقى سعيدا بواقصه فأخبره بالخبر فانصرف إلى المدينة كتب الأشر إلى عثمان انا و الله ما منعنا عاملك إلاّ ليفسد عليك عملك و من أحببت فكتب إليهم انظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولّوه فنظروا فاذا هو أبو موسى الأشعري فولّوه.

أقول: هذا ما نقله المسعودي في مروج الذهب و غيره من المورخين بلا خلاف و من تأمل فيه يجد أن عثمان اضطر حينئذ إلى إجابتهم إلى ولاية أبي موسى و لم يصرف سعيدا مختارا بل ما صرفه جملة و انما صرفه أهل الكوفة عنهم.

و كان سعيد هذا أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان بن عفان و لما قتل عثمان لزم بيته فلم يشهد الجمل و لا صفين فلما استقر الأمر لمعاوية أتاه و عاتبه معاوية على تخلفه عنه في حروبه فاعتذر هو فقبل معاوية عذره ثم ولّاه المدينة فكان يوليه إذا عزل مروان عن المدينة و يولى مروان إذا عزله. و قتل أبوه العاص يوم بدر كافرا قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و في اسد الغابه: استعمله عثمان على الكوفة بعد الوليد بن عقبه بن أبي معيط و غزا طبرستان فافتتحها و غزا جرجان فافتتحها سنة تسع و عشرين أو سنة ثلاثين و انتقضت آذربيجان فغزاها فافتتحها في قول.

في الشافى للشرىف المرتضى علم الهدى: و من أحداث عثمان أنّه ولى امور المسلمين من لا يصلح لذلك و لا يؤتمن عليه و من ظهر منه الفسق و الفساد و من لا علم له مراعاة لحرمه القرابه و عدولا عن مراعاة حرمه الدين و النظر للمسلمين حتّى ظهر ذلك منه و تكرر و قد كان عمر حذر من ذلك فيه من حيث وصفه بأنه كلف

باقاربه و قال له إذا وليت هذا الأمر لا تسلط بنى أبى معيط على رقاب الناس فوجد منه ما حذرته و عوتب فى ذلك فلم ينفع العتب فيه و ذلك نحو استعماله الوليد ابن عقبة و تقليده إياه حتى ظهر منه شرب الخمر و استعماله سعيد بن العاص حتى ظهرت منه الأمور التى عندها أخرجه أهل الكوفة، و توليته عبد الله بن سعد بن أبى سرح و عبد الله ابن عامر بن كريز حتى يروى عنه فى أمر ابن أبى سرح أنه لما تظلم منه أهل مصر و صرفه عنهم لمحمد بن أبى بكر و غيره ممن يرد عليه و ظفر بذلك الكتاب و لذلك عظم التظلم من بعد و كثر الجمع و كان سبب الحصار و القتل و حتى كان من أمر مروان و تسلطه عليه و على اموره ما قتل بسببه و ذلك ظاهر لا يمكن دفعه.

«اعتذار القاضى عبد الجبار من ذلك و جوابه عنه فى المغنى»

نقل عنه علم الهدى فى الشافى أنه قال: أما ما ذكروه من توليته من لا يجوز أن يستعمل فقد علمنا أنه لا يمكن أن يدعى أنه حين استعمالهم علم من أحوالهم خلاف الستر و الصلاح لأنّ الذى ثبت عنهم من الأمور حدث من بعد و لا يمتنع كونهم فى الأول مستورين فى الحقيقة أو مستورين عنده و إنما يجب تخطئته لو استعمالهم و هم فى الحال لا يصلحون لذلك. فان قيل لما علم بحالهم كان يجب أن يعزلهم، قيل له: كذلك فعل لأنه استعمال الوليد بن عقبة قبل ظهور شرب الخمر منه فلما شهدوا بذلك جلده الحدّ و صرفه و قد روى مثله عن عمر لأنه ولى قدامه بن مظعون بعض أعماله فشهدوا عليه بشرب الخمر فأشخصه و جلده الحدّ فإذا عدّ ذلك فى فضائل عمر لم يجز أن يعدّ ما ذكروه فى الوليد من معائب عثمان؛ و يقال: إنه لما أشخصه اقيم عليه الحدّ بمشهد أمير المؤمنين عليه السّلام و اعتذر من عزله سعد بن أبى وقاص بالوليد بأن سعدا شكاه أهل الكوفة فأذاه اجتهداه إلى عزله بالوليد.

ثم قال: فأما سعيد بن العاص فإنه عزله عن الكوفة و ولى مكانه أبا موسى الأشعري، و كذلك عبد الله بن سعد بن أبى سرح عزله و ولى مكانه محمد بن أبى بكر و لم يظهر له فى باب مروان ما يوجب أن يصرفه عمّا كان مستعملا فيه و لو كان ذلك طعنا لوجب مثله فى كلّ من ولى و قد علمنا أنه عليه السّلام ولى الوليد بن عقبة فحدث

منه ما حدث و حدث من بعض أمير المؤمنين الخيانه كالعقاع بن شور فأنه ولاه على ميسان (خراسان - ل خ) فأخذ مالها و لحق بمعاويه و كذلك فعل الأشعث ابن قيس بمال آذربايجان. و ولى أبا موسى الحكم و كان منه ما كان. و لا يجب أن يعاب أحد بفعل غيره.

فأما إذا لم يلحقه عيب فى ابتداء الولاية فقد زال العيب فيما عداه. فقولهم: أنه قسم الولايات فى أقاربه و زال عن طريقه الاحتياط للمسلمين و قد كان عمر حذر من ذلك فليس بعيب لأنّ توليه الأقارب كتوليه الأبعد و أنه يحسن إذا كانوا على صفات مخصوصه.

و لو قيل إن تقديمهم أولى لم يمتنع ذلك إذ كان المولى لهم أشد تمكنا من عزلهم و الاستبدال بهم لمكان أقرب؛ و قد ولى أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس البصره و عبيد الله بن عباس و قثم بن العباس مكه حتى قال الأشتر عند ذلك: على ما ذا قتلنا الشيخ أمس فيما يروى و لم يكن ذلك بعيب إذا أدى ما وجب عليه فى اجتهاده.

«اعتراض علم الهدى عليه و ابطاله جوابه»

اعترض عليه الشريف المرتضى علم الهدى فى الشافى أنه يقال له: أما اعتذاره فى ولاية عثمان من ولّاه من الفسقه بانه لم يكن عالما بذلك من حالهم قبل الولاية و إنما تجدد منهم ما تجدد فعزلهم فليس بشيء يعول على مثله لأنه لم يول هؤلاء النفر إلا و حالهم مشهوره فى الخلاعه و المجانه و التحرم و التهتك و لم يختلف اثنان فى أن الوليد بن عقبه لم يستأنف التظاهر بشرب الخمر و الاستخفاف بالدين على استقبال ولايته الكوفه بل هذه كانت سنته و العاده المعروفة منه و كيف يخفى على عثمان و هو قريبه و لصيقه و أخوه لأمه من حاله ما لا يخفى على الأجانب الأبعد فلهذا قال له سعد بن أبى وقاص فى روايه الواقدي و قد دخل الكوفه: يا با وهب أميراً أم زائراً؟ قال: بل أميراً، فقال سعد: ما أدرى أحملت بعدك أم كسست بعدى؟ قال:

ما حمقت بعدى و لا بعدك، و لكن القوم ملكوا فاستأثروا فقال سعد: ما أراك إلا صادقا.

و فى روايه ابى مخنف لوط بن يحيى: أنّ الوليد لما دخل الكوفه مرّ على مجلس عمرو بن زراره النخعي فوقف فقال عمرو: يا معشر بنى اسد بئس ما استقبلنا به «ج ١٤»

ص: ٢٢٤

اخوكم ابن عفان من عدله ان ينزع عنا ابن ابى وقاص الهين اللين السهل القريب و يبعث علينا اخاه الوليد الأحق الماجن الفاجر قديما و حديثا و استعظم الناس مقدمه و عزل سعد به و قالوا: اراد عثمان كرامه اخيه بهوان امه محمد صلى الله عليه و آله.

و هذا تحقيق ما ذكرناه من أن حاله كانت مشهوره قبل الولاية لا ريب فيها على أحد فكيف يقال إنه كان مستورا حتى ظهر منه ما ظهر.

و فى الوليد نزل قوله تعالى «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» (السجده - ٢٠) فالمؤمن ههنا على بن أبى طالب عليه السلام و الفاسق الوليد على ما ذكره أهل التأويل.

و فيه نزل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» و السبب فى ذلك انه كذب على بنى المصطلق عند رسول الله صلى الله عليه و آله و ادعى أنهم منعوه الصدقه، و لو قصصنا مخازيه المتقدمه و مساويه لطال الشرح.

و أما شربه الخمر بالكوفه و سكره حتى دخل عليه من دخل و أخذ خاتمه من اصبعه و هو لا يعلم فظاهر قد سارت به الركبان و كذلك كلامه فى الصلاه و التفاته إلى من يقتدى به فيها و هو سكران و قوله أزيدكم فقالوا لا قد قضينا صلاتنا حتى قال الحطيئه فى ذلك شعرا: شهد الخطيئه يوم يلقي ربه - الأبيات المذكوره آنفا و قال أيضا فيه:

تكلم فى الصلاه و زاد فيها علانيه و جاهر بالنفاق

و مج الخمر فى سنن المصلّى و نادى و الجميع إلى افتراق

أ أزيدكم على أن تحمدونى فما لكم و مالى من خلاق

فأما قوله: «إنه جلده و عزله» فبعد أى شىء كان ذلك؟ و لم يعزله إلا بعد أن دافع و مانع و احتج عنه و ناضل، فلو لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام قهره على رأيه لما عزله و لا مكن من جلده.

و قد روى الواقدى أن عثمان لما جاءه الشهود يشهدون على الوليد بشرب الخمر أوعدهم و تهددهم. قال الراوى: و يقال: إنه ضرب بعض الشهود أسواطاً فأتوا

ص: ٢٢٥

أمير المؤمنين عليه السّلام فشكوا فأتى عثمان فقال: عطلت الحدود و ضربت قوما شهودا على أخيك فقلبت الحكم و قد قال عمر: لا تحمل بنى اميه و آل أبى معيط على رقاب النَّاس، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تعزله و لا تولّيه شيئا من أمور المسلمين، و أن تسأل عن الشهود فإن لم يكونوا أهل ظنّه و لا عداوه أقمت على صاحبك الحدّ.

و تكلم فى مثل ذلك طلحه و الزبير و عايشه و قالوا أقوالا شديده و أخذته الألسن من كلّ جانب فحينئذ عزله و مكّن من إقامه الحدّ عليه.

و روى الواقدى أن الشهود لما شهدوا عليه فى وجهه و أراد عثمان أن يحده أبسه جبّه خزّ و أدخله بيتا فجعل إذا بعث إليه رجلا من قريش ليضربه قال له الوليد انشدك الله أن تقطع رحمى و تغضب أمير المؤمنين فيكفّ، فلما رأى أمير المؤمنين عليه السّلام ذلك أخذ السوط و دخل عليه فجلّده به فأىّ عذر له فى عزله و جلده بعد هذه الممانعه الطويله و المدافعه التامه.

و قصّه الوليد مع الساحر الذى يلعب بين يديه و يغرّ النَّاس بمكره و خديعته و أن جندب بن عبد الله الأزدى امتعض من ذلك و دخل عليه فقتله و قال له: أحي نفسك إن كنت صادقا و أن الوليد أراد أن يقتل جندبا بالساحر حتى أنكر الأزد ذلك عليه فحبسه و طال حبسه حتّى هرب من السجن معروفه مشهوره. أقول: و سيأتى نقل القصه.

قال: فان قيل: قد ولّى رسول الله صلّى الله عليه و آله الوليد بن عقبه صدقه بنى المصطلق و ولّى عمر الوليد أيضا صدقه بنى تغلب فكيف يدعون أنّ حاله فى أنّه لا يصلح للولايه ظاهره؟ قلنا: لا جرم أنّه غر رسول الله صلّى الله عليه و آله و كذب على القوم حتّى نزلت الايه التى قدمنا ذكرها فعزله و ليس خطب ولايه الصدقه خطب ولايه الكوفه. فأما عمر لما بلغه قوله:

إذا ما شددت الرأس منى بمشور فويلك منى تغلب ابنه وائل

عزله. و أمّا عزل أمير المؤمنين عليه السّلام بعض أمرائه لما ظهر منه الحدث كالقعقاع

ابن شور وغيره و كذلك عزل عمر قدامه بن مظعون لما شهدوا عليه بشرب الخمر و جلده له، فأنه لا يشبه ما تقدّم لأن كل واحد ممن ذكرناه لم يولّ الأمر إلا من هو حسن الظن عند توليته فيه حسن الظاهر عنده و عند الناس غير معروف باللعب (باللّعه - خ ل) و لا مشهور بالفساد، ثم لما ظهر منه ما ظهر لم يحام عنه و لا كذب الشهود عليه و كابريهم بل عزله مختار غير مضطرّ و كل هذا لم يجر في امراء عثمان، و لأننا قد بينا كيف كان عزل الوليد و إقامه الحدّ عليه.

فأما أبو موسى فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يولّه الحكم مختاراً لكنّه غلب على رأيه و قهر على أمره و لا رأى لمقهور.

فأما قوله «إن ولاية الأقارب كولاية الأباعد بل الأباعد أجدر و أولى أن يقدم الأقارب عليهم من حيث كان التمكن من عزلهم أشدّ و ذكر توليه أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله و عبيد الله و قثما بنى العباس و غيرهم» فليس بشيء لأن عثمان لم تنقم عليه توليه الأقارب من حيث كانوا أقارب بل من حيث كانوا أهل بيت الظنّه و التهمه و لهذا حدّره عمر منهم و أشعر بأنّه يحملهم على رقاب الناس، و أمير المؤمنين عليه السلام لم يولّ من أقاربه متهماً و لا ظنيماً و حين أحسّ من ابن عباس بعض الريه لم يمهله و لا احتمله و كاتبه بما هو مشهور سائر ظاهر، و لو لم يجب على عثمان أن يعدل عن ولاية أقاربه إلا من حيث جعل عمر ذلك سبب عدوله عن النصّ عليه و شرط عليه يوم الشورى أن لا يحمل أقاربه على الناس و لا يؤثرهم لمكان القرابه بما لا يؤثر به غيرهم لكان صادقاً قوياً فضلاً عن أن ينضاف إلى ذلك ما انضاف من خصالهم الذميمة و طرائفهم القبيحه.

فأما سعيد بن العاص فإنّه قال في الكوفه: إنّما السواد بستان لقريش تأخذ منه ما شئت و تترك حتّى قالوا له أ تجعل ما أفاء الله علينا بستاناً لك و لقومك و نابذوه و أفضى ذلك الأمر إلى تسييره من سير من الكوفه و القصّه مشهوره ثم انتهى الأمر إلى منع أهل الكوفه سعيداً من دخولها و تكلموا فيه و في عثمان كلاماً ظاهراً حتّى كادوا يخلعون عثمان فاضطرّ حينئذ إلى إجابتهم إلى ولاية أبي موسى

ص: ٢٢٧

انزلت فأتاه أبو بكر بصحوه فاحتلب فيها ثم قال لأبي بكر: اشرب فشرب أبو بكر ثم شرب النبي صلى الله عليه وآله بعده ثم قال للضرع: اقلص فقلص فعاد كما كان. ثم أتيت فقلت:

يا رسول الله صلى الله عليه وآله علمني من هذا الكلام أو من هذا القرآن فمسح رأسي و قال: إنك غلام معلم فلقد أخذت منه سبعين سورة ما نازعني فيها بشراً.

وفيه: و قال أبو طيبة مرض عبد الله فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتهي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمه ربي. قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال:

الطبيب أمرضني. قال: ألا- آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه. قال: يكون لبناتك، قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إنني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً. قال: وإنما قال له عثمان ألا آمر لك بعطائك لأنه كان قد حبسه عنه سنتين.

توفي ابن مسعود بالمدينة سنة اثنتين و ثلاثين من الهجرة و دفن ليلاً- أوصى بذلك و لم يعلم عثمان بدفنه فعاتب الزبير على ذلك و صلى عليه عمار و قيل صلى عليه الزبير.

و في الشافى لعلم الهدى الشريف المرتضى: و قد روى كل من روى سيره من أصحاب الحديث على اختلاف طرقهم ان ابن مسعود كان يقول: ليتني و عثمان برمّل عالج يحثي عليّ و احثي عليه حتى يموت الأعجز مني و منه.

وفيه: و روي انه كان يطعن عليه فيقال له ألا- خرجت إليه لنخرج معك؟ فيقول: و الله لئن ازاول جبلاً راسياً أحب إليّ من أن ازاول ملكاً مؤجلاً. و كان يقول في كل يوم جمعه بالكوفة جاهراً معلناً: إن أصدق القول كتاب الله و أحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله و شرّ الأمور محدثاتها و كلّ محدث بدعه و كلّ بدعه ضلالة و كلّ ضلالة في النار، و إنما يقول ذلك معرضاً بعثمان حتى غضب الوليد من استمرار تعرّضه و نهاه عن خطبته هذه فكتب إلى عثمان فيه فكتب عثمان يستقدمه عليه.

وفيه: و روى أنه لما خرج عبد الله بن مسعود إلى المدينة مزعجاً عن الكوفة

خرج النَّاس معه يشيِّعونَه و قالوا: يا با عبد الرَّحمن ارجع فو الله لا يوصل إليك أبدا فانا لا نأمنه عليك، فقال: أمر سيكون و لا احب أن أكون أوّل من فتحه.

أقول: الظاهر أنه يريد من قوله أمر سيكون قيام النَّاس على عثمان و قتلهم إيّاه لَمّا رأى الأمور المحدثه المنكره منه و كلام النَّاس و سخطهم فى عثمان و أفعاله.

و فى الشّافى: و قد روى عنه من طرق لا تحصى كثره انه كان يقول: ما يزن عثمان عند الله جناح ذباب. و تعاطى شرح ما روى عنه فى هذا الباب يطول و هو أظهر من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه. و انه بلغ من اصرار عبد الله على مظاهرتة بالعداوه أن قال لما حضره الموت من يتقبل منّى وصيّيه اوصيه بها على ما فيها؟ فسكت القوم و عرفوا الذى يريد فأعادها فقال عمار بن ياسر: فانا أقبلها. فقال ابن مسعود:

لا يصلّى على عثمان. فقال: ذلك لك. فيقال: انه لما دفن جاء عثمان منكرا لذلك فقال له قائل: إن عمارا ولّى هذا الأمر. فقال لعمار: ما حملك على أن لم تؤذنى؟ فقال له: إنه عهد إلىّ ألاّ اؤذنك فوقف على قبره و أثنى عليه ثم انصرف و هو يقول رفعتم و الله بايدىكم عن خير من بقى فتمثل الزبير بقول الشّاعر:

لأعرفنك بعد الموت تندبنى و فى حياتى ما زودتنى زادى

و فيه: لما مرض ابن مسعود مرضه الذى مات فيه فأتاه عثمان عائدا فقال:

ما تشتكى؟ قال: ذنوبى. قال: فما تشتهى؟ قال: رحمه ربّى قال: ألاّ أدعو لك طبيبا؟ قال: الطبيب أمرضى. قال فلا آمر لك بعطائك؟ قال: منعنيّه و أنا محتاج إليه و تعطينيّه و أنا مستغن عنه. قال: يكون لولدك، قال: رزقهم على الله. قال:

استغفر لى يا با عبد الرحمن، فقال: أسأل الله أن يأخذ لى منك بحقى.

و فيه: ان كل من قرأ الأخبار علم أن عثمان أمر باخراجه من المسجد على أعنف الوجوه و بأمره جرى ما جرى عليه و لو لم يكن بأمره و رضاه لوجب أن ينكر على مولاة كسره لصلعه و يعتذر إلى من عاتبه على فعله بأن يقول: اننى لم آمر بذلك و لا رضيته من فاعله و قد انكرت على من فعله و فى علمنا بأن ذلك لم يكن دليل على

ما قلناه. و قد روى الواقدي بأسناده و غيره ان عثمان لما استقدمه المدينه دخلها ليله جمعه فلما علم عثمان بدخوله قال: أيها الناس انه قد طرقكم الليله دويبه من تمشى على طعامه يقى و يسلح. فقال ابن مسعود: لست كذلك و لكننى صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله يوم بدر و صاحبه يوم بيعه الرضوان و صاحبه يوم الخندق و صاحبه يوم حنين، قال: فصاحت عايشه أيا عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله صلى الله عليه و آله؟ فقال عثمان: اسكتى.

ثم قال لعبد الله بن زمعه بن الأسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى ابن قصي: أخرجته إخراجا عنيفا فأخذه ابن زمعه فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعا من أضلاعه. فقال ابن مسعود: قتلنى ابن زمعه الكافر بأمر عثمان.

و فى روايه اخرى أن ابن زمعه مولى لعثمان أسود كان مسدما طوالا.

و فى روايه اخرى أن فاعل ذلك يحموم مولى عثمان.

و فى روايه أنه لما احتمله ليخرجه من المسجد ناداه عبد الله انشدك الله أن تخرجنى من مسجد خليلي رسول الله صلى الله عليه و آله و هو الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه و آله: لساقا ابن امّ عبد أثقل فى الميزان يوم القيامة من جبل احد.

١٣ – قال المسعودى فى مروج الذهب و غيره: و من ذلك ما نال عمار بن ياسر

إشاره

من الفتن و الضرب و انحراف بنى مخزوم عن عثمان من أجله.

و فى تلخيص الشافى للشيخ الطوسى: و من ذلك إقدامه على عمّار حتى روى أنّه صار به فتق و كان أحد من ظاهر المتظلمين على قتله و كان يقول: قتلناه كافرا.

أقول: قد ذكرنا فى المجلّد الخامس عشر فى شرح الخطبه ٢٣٦ طائفه من الأقوال و الأخبار فى ترجمه عمّار و مناقبه و فضائله فلا حاجه إلى الاعاده فراجع.

قال ابن جمهور الاحسائى فى المجلى: و من قوادح عثمان ضربه لعمار بن

ص: ٢٣١

ياسر حتّى أخذه الفتق على ما رواه الثقات من أهل السيره ان عمار بن ياسر قام فى المسجد يوما و عثمان يخطب على المنبر فوبّخه بأحداثه و أفعاله فنزل عثمان فركضه برجله حتّى ألقاه على قفاه و داس فى بطنه برجله و أمر أعوانه من بنى اميّة فضربوه حتى غشى عليه و هو مع ذلك يشتم عمارا و يسبه و تركه و مضى إلى منزله فاحتمل عمار إلى منزله و هو لما به فلما أفاق من غشوته دخل عليه الناس فلامه بعض و قال و ما لك و التعرض لعثمان و قد علمت أفعاله و أحداثه؟ فقال: إنما حملنى على ذلك كلام سمعت من رسول الله صلى الله عليه و آله فأنه قال: أفضل الأعمال كلمه حق تقولها بين يدى إمام جائر فأردت أن أنال هذه الدرجة و أن لى و لعثمان موقفا عند الله يوم القيامة.

«جواب القاضى عبد الجبار و شيخه أبى على عن ذلك»

قال علم الهدى فى الشافى: قال صاحب الكتاب «يعنى القاضى عبد الجبار صاحب الكتاب المعروف بالمغنى من الحجاج فى الإمامه»: فاما ما طعنوا به من ضربه عمارا حتى صار به فتق فقد قال شيخنا أبو على إن ذلك غير ثابت و لو ثبت انه ضربه للقول العظيم الذى كان يقوله لم يجب أن يكون طعنا لأن للإمام تأديب من يستحق ذلك و ممّا يبعد صحه ذلك أن عمارا لا يجوز أن يكفره و لما يقع منه ما يستوجب الكفر لأن الذى يكفر به الكافر معلوم و لأنه لو كان قد وقع ذلك لكان غيره من الصحابه أولى بذلك و لوجب أن يجتمعوا على خلعه و لوجب أن لا يكون قتله لهم مباحا بل كان يجب أن يقيموا إماما يقتله على ما قدمنا القول فيه و ليس لأحد ان يقول انما كفره من حيث وثب على الخلافه و لم يكن لها اهلا لأننا قد بينا القول فى ذلك، لأنه كان مصوبا لأبى بكر و عمر على ما قدمنا من قبل، و قد بينا ان صحه إمامتهما يقتضى صحه إمامه عثمان.

و روى إن عمّارا نازع الحسن عليه السلام فى أمره فقال عمّار قتل عثمان كافرا و قال الحسن عليه السلام قتل مؤمنا و تعلق بعضهما ببعض فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما ذا تريد من ابن أخيك؟ فقال إننى قلت كذا و قال الحسن عليه السلام كذا فقال أمير المؤمنين عليه السلام أتكفر برّب كان يؤمن به عثمان؟ فسكت عمار.

و حكى عن الخياط أن عثمان لما نقم عليه ضربه لعمار احتجّ لنفسه فقال جاءنى

سعد و عمار فارسلا إلى أن اتنا فانا نريد أن نذاكر ك اشياء فعلتها فارسلا إليهما أنى مشغول فأنصرفا فموعد كما يوم كذا فأنصرف سعد و أبى عمار أن ينصرف فأعدت الرسول إليه فأبى أن ينصرف فتناوله بعض غلمانى بغير أمرى و والله ما أمرت به و لا رضيت و ها أنا فليقتص منى قال: و هذا من أنصف قول و أعدله.

«اعتراض الشريف المرتضى علم الهدى عليه»

قال علم الهدى فى جوابه: أنه يقال له: قد وجدناك فى قصه عثمان و عمار بين أمرين مختلفين: بين دفع لما روى من ضربه و بين اعتراف بذلك و تأول له و اعتذار منه بأن التأديب المستحق لا حرج فيه و نحن نتكلم على الأمرين:

أما الدفع لضرب عمار فهو كالانكار لوجود أحد يسمى عمارا أو لطلوع الشمس ظهورا و انتشارا و كل من قرأ الأخبار و تصفح السير يعلم من هذا الأمر ما لا تنفيه عنه مكابره و لا مدافعه و هذا الفعل يعنى ضرب عمار لم يختلف الرواه فيه و إنما اختلفوا فى سببه:

فروى عيسى عن هشام الكلبي عن أبى مخنف فى اسناده قال: كان فى بيت المال بالمدينه سبط فيه حلّى و جوهر فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه فى ذلك و كلّموه فيه بكلّ كلام شديد حتّى أغضبوه فخطب فقال:

لنأخذن حاجتنا من هذا الفىء و إن زغمت أنوف أقوام فقال على عليه السلام إذا تمنع ذلك و يحال بينك و بينه فقال عمار: اشهد الله ان أنفى أول راغم من ذلك؛ فقال عثمان: أعلّى يا ابن ياسر و سميه تجترى؟ خذوه فأخذوه فدخل عثمان فدعا به فضربه حتّى غشى عليه ثم اخرج فحمل إلى منزل ام سلمه زوج النّبى صلى الله عليه و آله رحمه الله عليها فلم يصلّ الظهر و العصر و المغرب فلما أفاق توضّأ و صلّى و قال:

الحمد لله ليس هذا أول يوم اودينا فيه فى الله فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى و كان عمار حليفا لبني مخزوم، يا عثمان أما على فاتقته و أما نحن فاجترأت علينا و ضربت أخانا حتّى اشفيت به على التلف أما و الله لئن مات لأقتلن به رجلا من بنى اميه عظيم السيره و إنك لها أنا ابن القسريه، قال: فأنهما قسريتان

و كانت امه و جدته قسريتين من بجيله فشتمه عثمان و أمر به فاخرج فأتى به ام سلمه فإذا هي قد غضبت بعمار و بلغ عايشه ما صنع بعمار فغضبت و أخرجت شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه و آله و نعلنا من نعاله و ثوبا من ثيابه و قالت: ما أسرع ما تركتم سنه رسولكم و هذا شعره و ثوبه و نعله لم يبل بعد.

و روى آخرون أن السبب في ذلك أن عثمان مرّ بقبر جديد فسأل عنه فقيل:

عبد الله بن مسعود فغضب على عمار لكتمانهم إياه موته إذا كان المتولى للصلاه عليه و القيام بشأنه فعندها وطىء عثمان عمارا حتّى أصابه الفتق.

و روى آخرون أن المقداد و طلحه و الزبير و عمارا و عدّه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله كتبوا كتابا عدّدوا فيه أحداث عثمان و خوفوه ربّه و أعلموه أنّهم موائبوه إن لم يقلع. فأخذ عمار الكتاب فأتاه به فقراه منه صدرا. فقال عثمان: أعلّى تقدم من بينهم؟ فقال: لأنّى أنصحهم لك. فقال: كذبت يا ابن سمّيه. فقال: أنا و الله ابن سمّيه و أنا ابن ياسر فأمر غلمانهم فمدّوا يديه و رجله فضربه عثمان برجله و هى فى الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق و كان ضعيفا كبيرا فغشى عليه.

فضرب عمار على ما ترى غير مختلف فيه بين الرواه و إنّما اختلفوا فى سببه، و الخبر الذى رواه صاحب الكتاب و حكاه عن الخياط ما نعرفه و كتب السير المعروفه خاليه منه و من نظيره و قد كان يجب أن يضيفه إلى الموضع الذى أخذه منه، فإنّ قوله و قول من اسند إليه ليسا بحجه. و لو كان صحيحا لكان يجب أن يقول بدل قوله ها أنا فليقتصّ منى و إذا كان ما أمر بذلك و لا رضيه و إنّما ضربه الغلام:

هذا الغلام الجانى فليقتصّ منه فإنّه أولى و أعدل و بعد فلا تنافى بين الروايتين لو كان ما رواه معروفا لأنّه يجوز أن يكون غلامه ضربه فى حال اخرى و الروايات إذا لم تتعارض لم يجز اسقاط شىء منها.

فأمّا قوله: إن عمارا لا يجوز أن يكفره و لم يقع منه ما يوجب الكفر، فان تكفير عمار له معروف قد جاءت به الروايات.

ص: ٢٣٤

و قد روى من طرق مختلفه و باسانيد كثيره أن عمارا كان يقول: ثلاثه يشهدون على عثمان بالكفر و أنا الرابع و أنا الرابع و أنا شرّ الأربعة و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون و أنا أشهد أنه قد حكم بغير ما أنزل الله.

و روى عن زيد بن أرقم من طرق مختلفه أنه قيل: بأى شيء أكفرتم عثمان؟ قال: بثلاث: جعل المال دوله بين الأغنياء، و جعل المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله بمنزله من حارب الله و رسوله، و عمل بغير كتاب الله.

و روى عن حذيفه أنه كان يقول: ما فى عثمان بحمد الله أشكّ لكننى أشكّ فى قاتله أ كافر قتل كافرا أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتى قتله و هو أفضل المؤمنين إيمانا.

فأمّا ما رواه من منازعه الحسن عليه السّلام عمارا فى ذلك و ترافعهما فهو أولا غير رافع لكون عمار مكفرا له بل هو شاهد من قوله بذلك. و إن كان الخبر صحيحا فالوجه فيه أن عمارا علم من لحن كلام أمير المؤمنين عليه السّلام و عدوله عن أن يقضى بينهما بصريح القول: أنه متمسك بالتقيّه فأمسك عمار لما فهم من غرضه.

فأمّا قوله لا يجوز أن يكفره من حيث وثب على الخلافه لأنه كان مصوبا لأبى بكر و عمر و لما تقدّم من كلامه فى ذلك فلا بد إذا حملنا تكفير عمار للرجل على الصحه من هذا الوجه أن يكون عمار غير مصوب للرجلين على ما ادّعى.

فأمّا قوله عن أبى على أنه لو ثبت أنه ضربه للقول العظيم الذى كان يقول فيه لم يكن طعنا لأن للإمام تأديب من يستحق ذلك، فقد كان يجب أن يستوحش صاحب الكتاب أو من حكى كلامه من أبى على و غيره من أن يعتذر من ضرب عمار و قدّه حتى لحقه من الغشى و ترك له الصلاه و وطيه بالاقدام امتهاناً و استخفافاً بشيء من العذر فلا عذر يسمع من إيقاع نهايه المكروه بمن روى أن النّبى صلى الله عليه و آله قال فيه: عمار جلده ما بين العين و الأنف و متى تنك الجلد تدم الأنف.

و روى أنه صلى الله عليه و آله قال: ما لهم و لعمار يدعوهم إلى الجّه و يدعونه إلى النار و روى العوام بن حوشب عن سلمه بن كهيل عن علقمه عن خالد بن الوليد

أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال: من عاد عمارا عاداه الله و من أبغض عمار أبغضه الله.

و أئى كلام غليظ سمعه من عمار يستحق به ذلك المكروه العظيم الذى يتجاوز المقدار الذى فرضه الله تعالى فى الحدود و إنما كان عمار و غيره يثثوا عليه أحداثه و معاييه أحيانا على ما يظهر من سيئ أفعاله و قد كان يجب عليه أحد الأمرين إما أن ينزع عما يوافق عليه من تلك الأفعال أو أن يبين عذره فيها أو براءته منها ما يظهر و ينتشر و يشتهر فان أقام مقيم بعد ذلك على توبيخه و تفسيقه زجره عن ذلك بوعظ أو غيره و لا- يقدم على ما تفعله الجبابره و الأكاسره من شفاء الغيظ بغير ما أنزل الله تعالى و حكم به.

و فى الإمامه و السياسه لابن قتيبه الدينورى: ذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبى عليه الصلاه و السلام فكتبوا كتابا و ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سنه صاحبيه - و بعد ما أتى بكثير من أحداثه قال: ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب فى يد عثمان و كان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر و المقداد ابن الأسود و كانوا عشره فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان و الكتاب فى يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقى وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له فى يوم شات فدخل عليه و عنده مروان بن الحكم و أهله من بنى اميه فدفع عليه الكتاب فقرأه فقال له: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: و من كان معك؟ قال: كان معى نفر تفرقوا فرقا منك، قال: من هم؟ قال: لا أخبرك بهم، فلم اجترأت على من بينهم؟ فقال مروان: يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود (يعنى عمارا) قد جرأ عليك الناس و إنك إن قتلتة نكلت به من ورائه، قال عثمان: اضربوه فضربوه و ضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشى عليه فجزوه حتى طرحوه على باب الدار - إلى آخر ما قال.

١٤ - قال المسعودى فى مروج الذهب: و من ذلك فعل الوليد بن عقبه فى

مسجد الكوفه

و ذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكنى قريه من قرى الكوفه مما يلى جسر بابل يقال له: زراره يعمل أنواعا من الشعبذه و السحر يعرف

ص: ٢٣٦

بمطروى فاحضر فأراه فى المسجد ضربا من التخاييل و هو أن أظهر له فى الليل فيلا عظيما على فرس فى صحن المسجد ثم صار اليهودى ناقه يمشى على جبل ثم أراه صوره حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده و رأسه ثم أمر السيف عليه فقام الرجل و كان جماعه من أهل الكوفه حضورا منهم جندب بن كعب الأزدي فجعل يستعيز بالله من فعل الشيطان و من عمل يبعد من الرحمن و علم أن ذلك هو ضرب من التخيل و السحر فاخترط سيفه و ضرب به اليهودى ضربه أدار رأسه ناحيه من بدنه و قال: جاء الحق و زهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقا.

و قد قيل ان ذلك كان نهارا و أن جندبا خرج إلى السوق و دنا من بعض الصياقله و أخذ سيفا و دخل فضرب به عنق اليهودى و قال: إن كنت صادقا فأحى نفسك فأنكر عليه الوليد ذلك و أراد أن يقيده به فمنعه الأزدي فحبسه و أراد قتله غيلة و نظر السجّان إلى قيامه ليله إلى الصبح فقال له: انج بنفسك فقال له جندب: تقتل بى. قال: ليس ذلك بكثير فى مرضاه الله و الدفع عن ولّى من أولياء الله، فلما اصبح الوليد دعا به و قد استعدّ لقتله فلم يجده فسأل السجّان فأخبره بهربه فضرب عنق السجّان و صلبه بالكناس.

قال ابن الأثير الجزرى فى اسد الغابه: جندب بن كعب بن عبد الله الأزدي أحد جنادب الأزدي و هو قاتل الساحر عند الأكثر و ممن قاله الكلبي و البخارى روى عنه الحسن.

قال: اخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه و غيره قالوا باسنادهم عن محمد بن عيسى أخبرنا أحمد بن منيع أخبرنا أبو معاوية عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: حدّ الساحر ضربه بالسيف. قد اختلف فى رفع هذا الحديث فمنهم من رفعه بهذا الاسناد و منهم من وقفه على جندب.

و كان سبب قتله الساحر أن الوليد بن عقبه أبى معيط لما كان أميرا على

الكوفه حضر عنده ساحر فكان يلعب بين يدي الوليد يريه أنه يقتل رجلا ثم يحييه و يدخل في فم ناقة ثم يخرج من حيائها فأخذ سيفاً من صيقل و اشتمل عليه و جاء إلى الساحر فضربه ضربه فقتله ثم قال له: أحي نفسك ثم قرأ: «أَفْتَاتُونَ السَّحَرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» فرفع إلى الوليد فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: حدّ الساحر ضربه بالسيف فحبسه الوليد فلما رأى السجّان صلاته و صومه خلّى سبيله.

و في الشّافى و تلخيصه: أنّ الوليد اراد أن يقتل جندبا بالساحر حتّى انكر الأزد ذلك فحبسه و أطال حبسه حتّى هرب من السجن. و قال في اسد الغابه: فأخذ الوليد السجّان فقتله و قيل: بل سجنه فأتاه كتاب عثمان باطلاقه و قيل: بل حبس الوليد جندبا فأتى ابن أخيه إلى السجّان فقتله و أخرج جندبا فذلك قوله:

أفى مضرب السّحار يحبس جندب و يقتل أصحاب النّبىّ الأوائل

فان يك ظنى بابن سلمى و رهطه هو الحق يطلق جندب و يقاتل

و انطلق إلى أرض الروم فلم يزل يقاتل بها المشركين حتى مات لعشر سنوات مضين من خلافه معاويه.

١٥ - و من ذلك قصه قتل الهرمزان

إشاره

و قد قدّمنا الكلام فيه في شرح الخطبه ٢٣٦ و جملته أن عثمان عطلّ الحدّ الواجب في عبيد الله بن عمر فانه قتل الهرمزان بعد اسلامه فلم يقده به و قد كان أمير المؤمنين على عليه السّلام يطلبه لذلك. و تلك القصّه على الاجمال أنّ الهرمزان كان من عظماء فارس و كان قد اسر في بعض الغزوات و جرى به إلى المدينه فأخذه على عليه السّلام فأسلم على يديه فأعتقه على عليه السّلام فلما ضرب عمر في غلس الصبح و اشتبه الأمر في ضاربه سمع ابنه عبيد الله قوم يقولون: قتله العليج فظن أنهم يعنون الهرمزان فبادر عبيد الله إليه فقتله قبل أن يموت عمر فسمع عمر بما فعله ابنه فقال: قد أخطأ عبيد الله إنّ الذى ضربنى أبو لؤلؤه و إن عشت لأقيدنه به فإن علياً لا يقبل منه الديه و هو مولاه فلما مات عمر و تولى عثمان طالب على عليه السّلام بقود عبيد الله و قال: إنّه قتل مولاي ظلما و أنا وليه فقال عثمان: قتل بالأمس عمر

ص: ٢٣٨

و اليوم يقتل ابنه حسب آل عمر مصابهم به و امتنع من تسليمه إلى علي عليه السلام و منع علياً حقّه و لهذا قال علي عليه السلام لأن أمكنني الدهر منه يوماً لأقتلنه به فلما ولي علي عليه السلام هرب عبيد الله منه إلى الشام و التجأ إلى معاويه و خرج معه إلى حرب صفين فقتله علي عليه السلام في حرب صفين قال الأحسائي في المجلي: فانظر إلى عثمان كيف عطل حق علي عليه السلام و خالف الكتاب و السنه برأيه و الله تعالى يقول «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا».

و قال أبو جعفر الطبر في التاريخ: بعد ما بايع الناس عثمان جلس في جانب المسجد و دعا عبيد الله بن عمرو و كان محبوساً في دار سعد بن أبي وقاص و هو الذي نزع السيف من يده بعد قتله جفينه و الهرمزان و ابنه أبي لؤلؤة و كان يقول: و الله لأقتلن رجلاً ممن شرك في دم أبي يعرض بالمهاجرين و الأنصار فقام إليه سعد فنزع السيف من يده و جذب شعره حتى أضجعه إلى الأرض و حبسه في داره حتى أخرجه عثمان إليه فقال عثمان لجماعه من المهاجرين و الأنصار: أشيروا علي في هذا الذي فتق في الاسلام ما فتق، فقال علي أرى أن تقتله فقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمس و يقتل ابنه اليوم؟ فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان و لك على المسلمين سلطان إنما كان هذا الحدث و لا سلطان لك قال عثمان: أنا وليهم و قد جعلتها ديه و احتملتها في مالي.

قال: و كان رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد البياضي إذا رأى عبيد الله ابن عمر قال:

ألا يا عبيد الله ما لك مهرب و لا ملجأ من ابن أروى و لا خفر

أصبت دماً و الله في غير حلّه حراماً و قتل الهرمزان له خطر

على غير شيء غير أن قال قائل أتتهمون الهرمزان على عمر

فقال سفيه و الحوادث جمه نعم اتهمه قد أشار و قد أمر

و كان سلاح العبد في جوف بيته يقلبها و الأمر بالأمر يعتبر

ص: ٢٣٩

فشكى عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبيد و شعره فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه قال: فانشأ زياد يقول في عثمان:

أبا عمر و عبيد الله رهن فلا تشكك بقتل الهرمزان

فإنك إن غفرت الجرم عنه فأسباب الخطأ فرسا رهان

أعفو إذ عفوت بغير حقّ فما لك بالذى تحكى يدان

فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه و شذبه.

«اعتذار القاضي عبد الجبار من تعطيل عثمان الحد الواجب»

«في عبيد الله بن عمر»

نقل علم الهدى في الشافى عن عبد الجبار بقوله: ثم ذكر ما نسب إليه من تعطيل الحد في الهرمزان و حكى عن أبى على أنه لم يكن للهرمزان ولّى يطلب بدمه و الإمام ولّى من لا- ولّى له و للولّى أن يعفو كما له أن يقتل. و قد روى أنه سأل المسلمين أن يعفوا عنه فأجابوا إلى ذلك.

قال القاضي: و انما أراد عثمان بالعفو عنه ما يعود إلى عزّ الدين لأنه خاف أن يبلغ العدو قتله فيقال: قتلوا إمامهم و قتلوا ولده و لا يعرفون الحال في ذلك فيكون شماته.

و حكى عن الخياط أن عامه المهاجرين أجمعوا على الإيقاد بالهرمزان و قالوا: هو دم سفك في غير ولايتك فليس له ولّى يطلب به و أمره إلى الإمام فاقبل منه الدية فذلك صلاح المسلمين.

قال: و لم يثبت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يطلبه ليقضه بالهرمزان لأنه لا يجوز قتل من عفى عنه ولّى المقتول و إنّما كان يطلبه ليضع من قدره و يصغر من شأنه.

قال: و يجوز أن يكون ما روى عن على عليه السلام انه قال: لو كنت بدل عثمان

ص: ٢٤٠

لقتله، يعنى أنه كان يرى ذلك أقوى فى الاجتهاد و أقرب إلى التشدد فى دين الله.

«اعتراض علم الهدى على القاضى»

اعترض عليه الشريف المرتضى علم الهدى فى الشافى بقوله: فأما الكلام فى قتل الهرمزان و فى العدول عن قتل قاتله و اعتذاره من ذلك بما اعتذر به من انه لم يكن له وليّ لأن الإمام وليّ من لا وليّ له و له أن يعفو كما له أن يستوفى القود، فليس بشيء لأن الهرمزان رجل من أهل فارس و لم يكن له وليّ حاضر يطالب بدمه و قد كان يجب أن يبذل الإنصاف لأوليائه و يؤمنوا متى حضروا حتى ان كان له وليّ يطالب و حضر و طالب.

ثم لو لم يكن له وليّ لم يكن عثمان وليّ دمه لأنه قتل فى أيام عمر فصار عمر وليّ دمه و قد أوصى عمر على ما جاءت به الروايات الظاهره بقتل ابنه عبيد الله إن لم يقم البينه العاديه على الهرمزان و جفينه أنهما أمرا أبا لؤلؤة غلام المغيره بن شعبه بقتله و كانت وصيته بذلك إلى أهل الشورى فقال: أيكم وليّ هذا الأمر فليفعل كذا و كذا ممّا ذكرناه، فلما مات عمر طلب المسلمون إلى عثمان إمضاء الوصيه فى عبيد الله بن عمر فدافع عنها و علّهم فلو كان هو وليّ الدّم على ما ذكره لم يكن له أن يعفو و أن يبطل حدًا من حدود الله تعالى و أىّ شماته للعدوّ فى إقامة حدود الله تعالى؟ و إنّما الشّماته كلّها من اعداء الاسلام فى تعطيل الحدود؛ و أىّ حرج فى الجمع بين قتل الأب و الابن حتى يقال كره أن ينتشر الخبر بأنّ الإمام و ابنه قتلا و إنما قتل أحدهما ظلما بغير أمر الله و الآخر بأمر الله تعالى.

و قد روى زياد بن عبد الله البكائي عن محمّد بن إسحاق عن أبان بن صالح أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أتى عثمان بعد ما استخلف فكلمه فى عبيد الله و لم يكلمه أحد غيره فقال: اقتل هذا الفاسق الخبيث الذى قتل امرأ مسلما؛ فقال عثمان: قتلوا أباه بالأمس و أقتله اليوم و إنّما هو رجل من أهل الأرض فلما أبى عليه مرّ عبيد الله على على عليه السّلام فقال له يا فاسق ايه أما و الله لئن ظفرت بك يوما من الدهر لأضربنّ عنقك فلذلك خرج مع معاويه على أمير المؤمنين عليه السّلام.

ص: ٢٤١

و روى القناد عن الحسن بن عيسى بن زيد عن أبيه أن المسلمين لما قال عثمان إنني قد عفوت عن عبيد الله بن عمر قالوا: ليس لك أن تعفو عنه. قال: بلى إنه ليس لجفينة و الهرمزان قرابه من أهل الاسلام و أنا أولى بهما لأنني ولي أمر المسلمين و قد عفوت فقال علي عليه السلام إنه ليس كما تقول إنما أنت في أمرهما بمنزلة أقصى المسلمين و إنما قتلتهما في أمره غيرك و قد حكم الوالي الذي قبلك الذي قتل في أمارته بقتله و لو كان قتلتهما في أمارتك لم يكن لك العفو عنه فاتق الله فإن الله سائلك عن هذا. فلما رأى عثمان أن المسلمين قد أبوا إلا قتل عبيد الله أمره فارتحل إلى الكوفة و ابنتي و أقطعه بها دارا و ارضا و هي التي يقال لها كوفيه ابن عمر فعظم ذلك عند المسلمين و اكبروه و كثر كلامهم فيه.

و روى عن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:

ما أمسى عثمان يوم ولي حتى نقموا عليه في أمر عبيد الله بن عمر حيث لم يقتله بالهرمزان.

فأما قوله: إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يطلبه ليقته بل ليضع من قدره فهو بخلاف ما صرح به عليه السلام من أنه لم يكن إلا لضرب عنقه.

و بعد فإن ولي الدم إذا عفى عنه على ما ادعوا لم يكن لأحد أن يستخف به و يضع من قدره كما ليس له أن يقتله.

و قوله: إن أمير المؤمنين عليه السلام لا يجوز أن يتوعده مع عفو الإمام عنه فإنما يكون صحيحا لو كان ذلك العفو مؤثرا و قد بينا انه غير مؤثر.

و قوله: يجوز أن يكون عليه السلام ممن يرى قتله أقوى في الاجتهاد و أقرب إلى التشدد في دين الله فلا شك أنه كذلك و هذا بناء منه على أن كل مجتهد مصيب و قد بينا أن الأمر بخلاف ذلك، و إذا كان اجتهاد أمير المؤمنين عليه السلام يقتضي قتله فهو الذي لا يسوغ خلافه.

١٦ - في المجلى: و من قوادحه عمله بالتكبر و اظهاره لاعماله الجباره

و تزيينه بزى الجاهلية و الملوك خلافا لما كان عليه النبي صلى الله عليه و آله و أصحابه من

ص: ٢٤٢

التواضع و الزهد و طريقه الصلحاء فاستعمل الحجاب و الغلمان و لبس الحرير و التزين بالمذهب و ضرب البوقات على بابه و كل هذه اعمال مخالفه للشريعه الأحمدية و ما كان عليه الصحابه و الخلفاء المتقدمين عليه و لهذا نقموا عليه و ظهر بين المهاجرين و الأنصار فسقه و طلبوا منه الاعتزال عن امرتهم فأبى فقتلوه لعلمهم باستحقاقه لذلك و أن الخلافه لا يجوز لمن هو معلن بالفسق.

١٧ - وفيه: و من قوادحه عييبهم إياه بأنه لم يحضر غزاه بدر

التي كانت أول حرب امتحن به المؤمنون فجلس في بيته و تعلل بمرض زوجته و كذلك بيعه الرضوان لم يحضرها و تخلف عنها متعللاً بموت زوجته مع أن الله تعالى يقول في أهلها «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» فكان محروما من ذلك الرضا و يوم احد انهزم و فر من الزحف أقبح فرار حتى أنه بقي في هزيمته مدّة ثلاثة أيام لا يلتفت إلى وراه حتى وصل إلى قريه قريب مكه يقال لها:

السوارقيه و لما رجع إلى المدينه بعد أن علم بسلامه النبي صلى الله عليه و آله قال له النبي صلى الله عليه و آله:

لقد ذهب فيها عريضه يا عثمان و لم يرد جوابا خجلا مما فعله.

١٨ - وفيه: و من قوادحه أن الصحابه بأجمعهم أجمعوا على حربه لأجل

أحداثه التي نقموها عليه

و كانوا يومئذ بين خاذل و قاتل حتى قتلوه في بيته بين ولده و نسائه في المدينه و دار الهجره و منعه من الماء ثلاثة أيام و هو بين ظهرائي المسلمين مع أنه خليفته و إمامهم لم يحم عنه منهم محام و لا له منهم قائم و ذلك دليل على اجماعهم على قتله و استحلالهم لدمه كما أجمعوا على خلافته حتى قال بعض العلماء: إن المجمعين على قتل عثمان كانوا أكثر من المجمعين على بيعته و ما ذاك إلا لعظم أحداثه حتى بقي ثلاثة أيام مرميا على الكناسه بعد قتله لم يجسر أحد أن يدفنه حتى قام ثلاثة نفر من بني أميه فأخذوه بالليل بعد انتصافه سرقه و دفنوه لكيلا يعلم بهم أحد و ذلك دليل على عظم أحداثه و كبر معاصيه في الإسلام و أهله فلو لا أنه كان مستحقا لما فعلوه به، إلى آخر ما قال. و سنذكر تفصيل الكلام في قتله و ما ذكروا في المقام.

ص: ٢٤٣

١٩ - وفيه: و من قوادحه قصته المشهوره مع أهل مصر

و ذلك أنّه لما كثرت أحداثه و ظهرت بين المسلمين كثرت الشكايات منه و من عماله فورد إلى المدينه جماعه من أهل مصر يشكون من عامله عليهم عبد الله بن أبي سرح - إلى أن قال:

و عزل عثمان عن أهل مصر عامله و قال: تختاروا لأنفسهم من شاءوا فقالوا: نريد محمد بن أبي بكر فاستعمله على مصر و كتب له بها عهدا بحضره الكل. ثم إنَّ أهل مصر مع عاملهم محمد بن أبي بكر لما خرجوا من المدينه كتب عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح كتابا إنَّك متى قدم عليك محمد بن أبي بكر و أصحابه المصريين فاقتلهم و اصلبهم و ابق على عملك - إلى آخر ما قال و سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى.

٢٠ - ومنها - كما فى الامامه و السياسه لابن قتيبه الدينورى -: تركه

المهاجرين و الأنصار

لا يستعملهم على شىء و لا يستشيرهم و استغنى برأيه عن رأيهم.

٢١ - و فيه أيضا: إداره القطائع و الأرزاق

و الأعطيات على أقوام بالمدينه ليست لهم صحبه من النبى عليه الصلاه و السّلام ثم لا يغزون و لا يذبون.

٢٢ - و فيه أيضا: و ما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط

و أنّه أوّل من ضرب بالسياط ظهور النّاس و إنّما كان ضرب الخليفتين قبله بالدّرّه و الخيزران.

و فى الشافى و تلخيصه: أنّه جلدّ بالسوط و من كان قبله يضرب بالدّرّه.

٢٣ - فى المجلى: و من قوادحه إحراقه المصاحف

إشاره

الّتى هى كلام الله العزيز الواجب على أهل الاسلام تعظيمه و القيام بحرمته و أنّهم أجمعوا على أنّ من استخف بحرمته كان مرتدا خارجا من الإسلام و لا شىء فى الاستخفاف ابلغ من الحرق بالنّار، فقد نقل أهل السيره أنّه لما أراد اجتماع النّاس على مصحفه طلب المصاحف الّتى كانت فى أيدي النّاس حتّى جمعها كلّها ثمّ أنّه أحرقها. و فى روايه اخرى أنّه وضعها فى قدر و

طبخها بالنار حتّى تمزّقت و تفرّقت و لم يبق منها غير مصحف عبد الله بن مسعود فأنّه طلبه منه فمنعه و لم يسلمه إليه فضربه على ذلك حتّى كسر بعض أضلاعه و منعه عطاءه و بقي عبد الله مريضا حتّى مات و دخل عليه عثمان في مرضه و طلب منه أن يحلّه فلم يرض أن يحلّه، و كيف صحّ له التهجم

ص: ٢٤٤

على الكتاب العزيز بهذه الأفعال الشنيعة و كيف صحّ له أن يضرب رجلا من أكابر الصحابه و فضلائهم و علمائهم على منعه ملكه لا يسلمه إليه حتّى مات بسبب ذلك الضرب، و من المعلوم للكل أن كلّ ذلك الفعل مخالف للشريعة محرم بالكتاب و السنه.

و فى الشافى: ثمّ من عظيم ما أقدم عليه جمعه الناس على قراءه زيد و إحراقه المصاحف و إبطاله ما شك أنّه منزل من القرآن و أنّه مأخوذ عن الرسول صلّى الله عليه و آله و لو كان ذلك مما يسوغ لسبق إليه الرسول عليه السّلام و لفعله أبو بكر و عمر.

«اعتذار القاضى عبد الجبار فى المغنى من ذلك»

قال الشريف علم الهدى فى الشافى نقلا عن القاضى أنّه حكى عن أبى على فى قصّه ابن مسعود و ضربه أنّه قال: لم يثبت عندنا ضربه إياه و لا صحّ عندنا طعن عبد الله عليه و لا إكفاره له و الذى يصحّ فى ذلك أنّه كره منه جمع الناس على قراءه زيد و إحراقه المصاحف و ثقل ذلك عليه كما يثقل على الواحد منا تقديم غيره عليه و ذكر أن الوجه فى جمع الناس على قراءه واحده تحصين القرآن و ضبطه و قطع المنازعه فيه و الاختلاف. قال القاضى: و ليس لأحد أن يقول لو كان واجبا لفعله رسول الله صلّى الله عليه و آله و ذلك أن الإمام إذا فعله صار كأنه فعله و لأن الأحوال فى ذلك يختلف. و قد روى عن عمر انه كان قد عزم على ذلك فمات دونه، و ليس لأحد أن يقول إنّ إحراقه المصاحف إنّما كان استخفافا بالدين و ذلك لأنّه إذا جاز من الرّسول صلوات الله عليه أن يخرّب المسجد الذى بنى ضرارا و كفرا فغير ممتنع إحراق المصاحف.

«اعتراض الشريف المرتضى فى الشافى على القاضى»

قال بعد ما اثبت ضرب عثمان ابن مسعود و طعنه عثمان - فأما قوله: إن ابن مسعود سخط جمعه الناس على قراءه زيد و إحراقه المصاحف و اعتذاره من جمع الناس على قراءه واحده بأن فيه تحصين القرآن و قطع المنازعه و الاختلاف فيه، ليس بصحيح و لا شك فى أن ابن مسعود كره إحراق المصاحف كما كرهه

ص: ٢٤٥

جماعه من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و تكلموا فيه و ذكروا الرواه كلام كل واحد منهم فى ذلك مفصلاً و ما كره عبد الله من تحريم قراءته و قصر الناس على قراءه غيره إلا مكروها و هو الذى يقول النبى صَلَّى الله عليه وآله: من سره أن يقرأ القرآن غصاً كما انزل فليقرأ على قراءه ابن ام عبد.

و روى عن ابن عباس أنه قال قراءه ابن ام عبد هى القرائه الأخيره إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كان يعرض عليه القرآن فى كل سنه فى شهر رمضان فلما كان العام الذى توفى فيه صَلَّى الله عليه وآله عرض عليه دفعتين و شهد عبد الله ما نسخ منه و ما صحّ فهى القرائه الأخيره.

و روى شريك عن الأعمش قال: قال ابن مسعود: لقد أخذت من فى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله سبعين سوره و أن زيد بن ثابت لغلام يهودى فى الكتاب له ذوابه.

أقول: قال فى اسد الغابه: قال أبو وائل: لما شق عثمان المصاحف بلغ ذلك عبد الله فقال: لقد علم أصحاب محمد أنى أعلمهم بكتاب الله و ما أنا بخيرهم و لو إنى أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله منى تبلغنيه الابل لأتيته، فقال أبو وائل: فقامت إلى الخلق أسمع ما يقولون، فما سمعت أحدا من أصحاب محمد ينكر ذلك عليه. انتهى.

قال الشريف علم الهدى: فأما اختلاف الناس فى القرائه و الأحرف فليس بموجب لما صنعه عثمان لأنهم يروون أن النبى صَلَّى الله عليه وآله نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف فهذا الاختلاف عندهم فى القرآن مباح مسند عن الرسول صَلَّى الله عليه وآله فكيف يحظر عليهم عثمان من التوسع فى الحروف ما هو مباح فلو كان فى القرائه الواحده تحصين القرآن كما ادعى لما أباح النبى صَلَّى الله عليه وآله فى الأصل إلا القرائه الواحده لأنه أعلم بوجه المصالح من جميع امته من حيث كان مؤيداً بالوحى موقفاً فى كل ما يأتى و يذر و ليس له أن يقول: حدث من الاختلاف فى أيامه ما لم يكن فى أيام الرسول صَلَّى الله عليه وآله و لا من جملة ما أباحه و ذلك أن الأمر لو كان على هذا لوجب أن ينهى عن القرائه الحادثه و الأمر المبتدع و لا يحمله ما حدث من القرائه على تحريم المتقدم المباح بلا شبهه.

و قول صاحب الكتاب: إن الإمام إذا فعل ذلك فكأن الرسول صلى الله عليه وآله فعله.

فتعلم بالباطل منه و كيف يكون ما ادعى و هذا الاختلاف بعينه قد كان موجودا في أيام الرسول صلى الله عليه وآله و ما نهى عنه فلو كان سببا لانتشار الزيادة في القرآن و في قطعه تحصين له لكان عليه السلام بالنهي عن هذا الاختلاف أولى من غيره، اللهم إلا أن يقال: أنه حدث اختلاف لم يكن فقد قلنا ان الأمر لو كان على هذا - إلخ.

و أما قوله: إن عمر كان قد عزم على ذلك فمات دونه، فما سمعناه إلا منه^(١) فلو فعل ذلك أى فاعل كان لكان منكرا.

فأما اعتذاره من أن إحراق المصاحف لا يكون استخفافا بالدين بحمله إياه على تخريب مسجد الضرار و الكفر فيبين الأمرين بون بعيد لأن البنيان إنما يكون مسجدا و بيتا لله تعالى بتيه الباني و قصده و لو لا ذلك لم يكن بعض البنيان بأن يكون مسجدا أولى من بعض و لما كان قصده في الموضع الذى ذكره غير القربة و العبادة بل خلافها و ضدها من الفساد و المكيدة لم يكن في الحقيقة مسجدا و ان سمي بذلك مجازا و على ظاهر الأمر، فهدمه لا حرج فيه و ليس كذلك ما بين الدفتين لأنه كلام الله تعالى الموقر المعظم الذى يجب صيانتة عن البدله و الاستخفاف فأى نسبه بين الأمرين.

ثم قال علم الهدى: قال صاحب الكتاب «يعنى القاضي عبد الجبار صاحب المغنى» فأما جمعه الناس على قراءه واحده فقد بينا أن ذلك من عظيم ما حصن به القرآن لأنه مع هذا الصنيع قد وقع فيه من الاختلاف ما وقع فكيف لو لم يفعل

ص: ٢٤٧

١- (١) رواه السيوطى فى الاتقان و ابن النديم فى الفهرست قال: قال محمد بن اسحاق: حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف الناقط - الا أن قال مسندا: ان زيد بن ثابت قال: ارسلت إلى أبى بكر فأتيته فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر ان عمر أتانى فقال لى ان القتل قد استحر بالقراء يوم اليمامة و انى أخشى أن يستحر القتل فى القراء فى المواطن كلها فيذهب كثير من القرآن فأرى أن يجمع القرآن بحال - إلى آخر ما قال فراجع (ص ٣٦ طبع مصر) و لكن الحق كما قال علم الهدى: أى فاعل فعل ذلك كان منكرا. منه.

ذلك و لو لم يكن فيه إلا إطباق لجميع على ما أتاه من أيام الصحابه إلى وقتنا هذا لكان كافيا.

و اعترض عليه علم الهدى حيث قال: أمّا ما اعتذر به من جمع الناس على قراءه واحده فقد مضى الكلام عليه مستقصى و بيّنا أن ذلك ليس تحصينا للقرآن و لو كان تحصينا لما كان رسول الله صلى الله عليه و آله يبيح القراءات المختلفه. و قوله: لو لم يكن فيه إلا إطباق الجميع على ما أتاه من أيام الصحابه إلى وقتنا هذا، ليس بشيء لأننا نجد الاختلاف فى القراءات الرجوع فيها إلى الحروف مستمرا فى جميع الأوقات التى ذكرها إلى وقتنا هذا و ليس نجد المسلمين يوجبون على أحد التمسك بحرف واحد؛ فكيف يدعى إجماع الجميع على ما أتاه عثمان؟ فإن قال: لم أعن بجمعه الناس على قراءه واحده إلا أنه جمعهم على مصحف زيد لأن ما عداه من المصاحف كان يتضمن من الزيادة و النقصان مما عداه ما هو منكر.

قيل له: هذا بخلاف ما تضمنه ظاهر كلامك أولا و لا تخلو تلك المصاحف التى تعدّ مصاحف زيد من أن تتضمن من الخلاف فى الألفاظ و الكلم ما أقر رسول الله صلى الله عليه و آله عليه و أباح قراءته فان كان كذلك فالكلام فى الزيادة و النقصان يجرى مجرى الكلام فى الحروف المختلفه و أن الخلاف إذا كان مباحا و مرويا عن الرسول صلى الله عليه و آله و منقولا فليس لأحد أن يحظره. و ان كانت هذه الزيادة و النقصان بخلاف ما أنزله الله تعالى و ما لم يبيح الرسول صلى الله عليه و آله تلاوته فهو أسوء ثناء على القوم الذين يقرون بهذه المصاحف كابن مسعود و غيره و قد علمنا أنه لم يكن منهم إلا من كان علما فى القرائه و الثقه و الأمانه و النزاهه عن أن يقرأ بخلاف ما أنزله الله و قد كان يجب أن يتقدم هذا الإنكار منه من غيره لأنّ إنكار الزيادة فى القرآن و النقصان لا يجوز تأخيره عن ولى الأمر قبله.

أقول: زيد بن ثابت هو أحد كتّاب الوحى كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه و آله الوحى و غيره. قال فى اسد الغابه و كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه و آله كتب بالسريانيه فأمر

زيداً فتعلّمها. قال: و كان زيد عثمانياً و لم يشهد مع عليّ شيئاً من حروبه و كان يظهر فضل عليّ و تعظيمه. و هو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر و عثمان كما في الفهرست لابن النديم أيضاً.

و هو الذي ذكر المسعودي في مروج الذهب عن سعيد بن المسيّب أن زيد ابن ثابت حين مات خلف من الذهب و الفضة ما كان يكسر بالفئوس غير ما خلف من الأموال و الضياع بقيمه مائة ألف دينار اقتناها من عثمان لأنه كان عثمانياً.

و في الشافى لعلم الهدى أنّه روى الواقدي أن زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابه من الأنصار و هو يدعوهم إلى نصر عثمان فوقف عليه جبله بن عمرو بن حيّه المازني فقال له جبله: ما يمنعك يا زيد أن تذب عنه أعطاك عشرة ألف دينار و أعطاك حدائق من نخل ما لم ترث من أبيك مثل حديقته منها.

انظر أيها القارئ الكريم في أمر رسول الله صلى الله عليه و آله زيدا بتعلّم السريانيّة نظر دقّه أنّه صلى الله عليه و آله كان في نشر العلوم و توسعه المعارف على ذلك الحدّ من الاهتمام و لم يكن دأبه العصبيّة و الجمود على لسان واحد و لغه واحد و لا ريب أن لسان كلّ قوم سلّم للوصول إلى معارفهم و نيل علومهم و درك فنونهم و لم يمنع الناس نبى عن الارتقاء و لم يحرم عليهم ما فيه سعادتهم بل الأنبياء بعثوا لترويج العلوم و تهذيب النفوس و تشحيذ العقول قال عزّ من قائل «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» إلّا أنّ الأوباش و عبيد الدنيا المأسورين في قيود الوسوس الشيطانية و المحرومين من اللذات الروحانية و المحجوبين عن جناب الربّ جلّ جلاله و المغفلين عن معنى التمدّن و التكامل لما تعودوا بما لا يزدادهم من الحقّ إلا بعدا و ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اشمأزوا عمّا جاء من الشارع الحكيم فيما لم يوافق غرضاً من أغراضهم الدنيّة.

«التبيان في عدم تحريف القرآن»

لما انجزّ البحث إلى إحراق عثمان مصاحف فلا بأس أن نشير إلى عدم تحريف القرآن الكريم في المقام فأنّه كثيراً ما يتوهم بل كثيراً ما يسأل عن تحريفه

ص: ٢٤٩

و زيادته و نقصانه، و يختلج في بعض الأذهان أن ما بين الدفتين الذي بأيدي المسلمين الان ليس هو جميع ما أنزل على الرسول الخاتم صلى الله عليه و آله.

و اعلم أنّ الحق المحقق المبرهن بالبراهين القطعيه من العقليه و النقليه أن ما في أيدي الناس من القرآن الكريم هو جميع ما أنزل الله تعالى على رسوله خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و ما تطرّق إليه زياده و نقصان أصلاً؛ و مبلغ سوره مائه و أربع عشره سوره من لدن رسول الله صلى الله عليه و آله إلى الان بلا ريب و أنّ ترتيب الايات في السور توقيفى إنّما كان بأمر النبي صلى الله عليه و آله كما أخبر به الأمين جبرائيل عن أمر ربّه، و أنّ الناس كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله قبل رحلته يعرفون السور بأسمائها، و أنّ رسم الخط في القرآن المجيد هو الرسم المكتوب من كتاب الوحي في زمن الرسول صلى الله عليه و آله، و أن آيه بسم الله الرحمن الرحيم لم تكتب في أول البراءه لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من السور ١١٣ مره و انها جزء كل سوره كما أنها جزء آيه النمل بل انها آيتان فيه. و أن ما جاء من الأخبار و الآثار في جمع جم غفير من الصحابه القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه و آله أو بعد رحلته كما ورد أن جمع القرآن وقع على عهد أبي بكر فليس المراد أنهم ربّوا الايات في السور و سيأتى الكلام في تحقيق ترتيب السور أيضاً.

و كلّما ذكرنا هو مذهب المحققين من علمائنا الإماميه رضوان الله عليهم و غيرهم من علماء العاقره هداهم الله إلى الصواب و من ذهب إلى خلاف ذلك فقد خبط خبط عشواء و سلك طريقه عمياء.

ثمّ إنّنا لو تأتينا بالبراهين في كلّ واحد مما اشرنا إليها و نبين بطلان قول المخالف على التفصيل لطال بها الكتاب و انتشر الخطاب و كثر بنا الخطب لكننا نورد جملة منها فإن فيها كفايه إن شاء الله تعالى لمن كان له قلب.

و اعلم أن ما جاء به النبي صلى الله عليه و آله من الأخبار المتواتره في فضائل السور بأسمائها بل في فضائل بعض آيات القرآن و في وضع الايات في كلّ موضع خاص بأمر أمين الوحي، و أن بعض السور افتتح ببعض من الحروف المقطعه دون بعض

ص: ٢٥٠

مثلا ان البقره افتتحت بالم، و يونس بالر، و الرعد بالمر، و الأعراف بالمص، و مريم بكهيعص، و الشعراء بطسم، و النمل بطس، و المؤمن بحم، و الشورى بجمعسق، و هكذا فى السور الأخر، و أن بعضها لم يفتتح بها و أن سوره البراء ليست مبدؤه بسم الله الرحمن الرحيم، و قوله تعالى: «سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا» (النور - ٢) و قوله تعالى (البقره - ٢٢) «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ». و قوله (يونس - ٣٩) «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» و قوله تعالى (التوبه - ٨٨) «وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً أَنْ آمِنُوا بِهَا» إلخ. و قوله (هود - ١٦) «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» - أدله قطعيه على أن تركيب السور من الايات كان بأمر النبى صلى الله عليه وآله و أنها كانت مرتبه موسومه بأسمائها فى عهده صلى الله عليه وآله قبل ارتحاله يعرفها الناس بها.

نقل أمين الاسلام فى تفسيره مجمع البيان و الزمخشري فى الكشاف و السيوطى فى الاتقان و غيرهم من أجلاء العلماء عن ابن عباس و السدى أن قوله تعالى:

«وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُزْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (البقره - ٢٨٠) آخر آيه نزلت من الفرقان على رسول الله صلى الله عليه وآله و أن جبرئيل عليه السلام قال له صلى الله عليه وآله ضعها فى رأس الثمانين و المأتين من البقره، و هذا القول كأنما إجماعى و إنما الاختلاف فى مدّه حياه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد نزولها، فعن ابن عباس انه صلى الله عليه وآله عاش بعدها احدا و عشرين يوما، و قال ابن جريح: تسع ليال و قال سعيد ابن جبير و مقاتل: سبع ليال و فى الكشاف: قيل ثلاث ساعات.

أقول: وضع جميع الايات فى مواضعها كان بأمر الله تعالى و إن لم يذكر فى الجوامع لكل واحد واحد منها روايه عليحده و لا ضير أن تكون الايه المتقدمه على آيه فى السوره متأخره عنها نزولا.

قال الزمخشري فى أول التوبه من الكشاف: فإن قلت: هلا صدرت بآيه

التسميه كما فى سائر السور؟ قال: قلت: سأل عن ذلك ابن عثمان عنهما فقال:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أنزلت عليه السوره أو الآية قال: اجعلوها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا و كذا و توفي رسول الله صلى الله عليه وآله و لم يبين لنا أين نضعها - إلخ.

أقول: فالروايه داله صريحه على أن تركيب السور بالآيات كان بأمره صلى الله عليه وآله و أن آيه البسملة لم ينزل مع البراءه و إلا- لجعلها فى أولها و أن البسملة نزلت مائه و ثلاث عشره مره مع كل سوره مفتتحه بها و هذه الروايه مرويه فى المجمع و الاتقان أيضا.

روى الطبرسى فى المجمع و غيره فى التفاسير و الجوامع و السير عن بريده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعلموا سوره البقره و سوره آل عمران فانهما الزهراوان و أنهما تظلاّن صاحبهما يوم القيامه كانهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف أقول: فالحديث يدلّ صريحا على أن هاتين السورتين كانتا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مرتبتين متداولتين يعرفهما الناس.

و روى السيوطى فى الاتقان و المفسرون منهم الطبرسى فى أول سوره هود روى الثعلبى بإسناده عن إسحاق عن أبى جحيفه قال: قيل: يا رسول الله قد أسرع إليك الشيب قال صلى الله عليه وآله: شيبتنى هود و أخواتها.

و فى روايه اخرى عن أنس بن مالك عن أبى بكر قال: قلت يا رسول الله: عجل إليك الشيب قال صلى الله عليه وآله: شيبتنى هود و أخواتها الحاقه و الواقعه و عم يتساءلون و هل أتيتك حديث الغاشيه.

قال الطبرسى فى الفن الرابع من مقدمه مجمع البيان: و قد شاع فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال: أعطيت مكان التواره السبع الطول و مكان الإنجيل المثانى و مكان الزبور المئين و فضلت بالمفصل. و رواها السيوطى فى الاتقان و غيره أيضا فى جوامعهم.

بيان

كلمه: الطول مكتوبه فى النسخ المطبوعه و غيرها غالبا بالألف أعنى الطوال

ص: ٢٥٢

و لكنّه تصحيف و الصواب الطول كصرد جمع الطولى مؤنث الأطول قال ابن الأثير فى النهايه: و قد تكرر فى الحديث: اوتيت السبع الطول و الطول بالضم جمع الطولى مثل الكبر فى الكبرى و هذا البناء يلزمه الالف و اللام أو الإضافه قال: و منه حديث ام سلمه كان يقرأ فى المغرب بطولى الطولين ثبته الطولى و مذكرها الأطول أى أنّه كان يقرأ فيها بأطول السورتين الطوليتين يعنى الأنعام و الأعراف - انتهى و كذا فى القاموس و مجمع البحرين.

أقول: إنّ هذه الأحاديث و أمثالها المرويه من الفريقين عن رسول الله صلى الله عليه و آله ممّا لا تعدّ كثره تدلّ على أن السور كانت مرتبه قبل رحله الرسول صلى الله عليه و آله و كان الناس يعرفونها بأساميها فلا حاجة إلى نقل جميع الأخبار الوارده فى فضائل السور.

نعم إن ترتيب السور القرآن ليس على ترتيب النزول بل إن ترتيب آيات السور أيضا ليس على ترتيب النزول سواء كانت السوره نزلت جمله واحده كسوره الأنعام كما فى مجمع البيان و كثير من المفصل أو لم تكن.

ثمّ إن مما الهمت على أن ترتيب الايات فى السور كان من أمر رسول الله صلى الله عليه و آله أن بعض السور كالأنعام مثلا نزلت جمله واحده، و أن أكثر آيات السور نزلت نجوما و لا كلام فى أن بعضها مقدم على البعض نزولا و تركيب السور منها ليس بترتيب نزولها ظاهرا و مع ذلك ركب على نحو كان بين الايات المتسقه فى السور كمال البلاغه و الفصاحه على حدّ تحدّى الله تعالى عباده بالاتيان بعشر سور أو بسوره من القرآن و قال: «لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» (الكهف - ٩١) و أنى للبشر أن يؤلف جملا شتى نزلت فى نيف و عشرين سنه فى أحكام مختلفه تبلغ إلى ذلك الحدّ من الإعجاز؟ فهل يسع أحدا أن يقول إن ترتيبها كذلك فى السور لم يكن بأمر الله تعالى و أمر رسوله؟ فانتبهوا يا اولى الالباب «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء - ٨٥).

على أنّ الايات لو لم تكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مرتبه و أن الصحابه رتبوها بعده صلى الله عليه وآله كما توهم شذمه قليل من غير تدبر و تعمق لم يكن لقوله تعالى: «فَاتُوا بِسُورِهِ» - أو «بِعَشْرِ سُورٍ»، و أمثالها معنى. قال السيوطى فى الفصل الأول من النوع ١٨ من الاتقان: الإجماع و النصوص المترادفه على أن ترتيب الايات توقيفى لا شبهه فى ذلك فنقله غير واحد منهم الزركشى فى البرهان و أبو جعفر بن الزبير فى مناسباته و عبارته: ترتيب الايات فى سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وآله و أمره من غير خلاف فى هذا بين المسلمين.

ثم كثيرا ما يقرع سمعك فى التفاسير و الشروح أن هذه الايه مرتبطه بتلك الايه و تلك بهاته، مثلا قال الطبرسى فى المجمع قوله تعالى: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى» (النساء - ٣) متصله بقوله تعالى: «وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ» (النساء - ١٢٧) فمرادهم أن تلك الايات متصل بعضها ببعض معنى و ذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضا كالمبين للمجمل و المقيّد للمطلق و الخاص للعام قال أمير المؤمنين على عليه السلام فى النهج الخطبه ١٣١: كتاب الله تبصرون به و تنطقون به و تسمعون به و ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض و لا يختلف فى الله و لا يخالف بصاحبه عن الله - إلخ. و المراد من قوله عليه السلام: يشهد بعضه على بعض أن بعضه يصدق بعضا و لا يضاده كما قال الله تعالى: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء - ٨٥) و قال تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» (البقره - ١٧٣) و ليس مرادهم أن تلك الايات متصله بالأخرى لفظا لما دريت من أن الايات رتبّت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله و أمره و عليه جمهور العلماء المحققين.

أقول: و من جهة ارتباط المعنى عدت سورتا و الضحى و الانشراح واحده و جوزت قراءتهما فى السورتين بل لم تجز قراءه واحده منهما فى الفريضة مع أنه ورد النهى عن القرآن بين السورتين فى ركعه فريضه و يجب أن يقرأ بين السورتين بسم الله الرحمن الرحيم لأنها جزء السوره و قول الشيخ الطوسى قدس الله سره

بترك البسملة بين السورتين عليل لا يوافقه دليل، وكذا الفيل و قريش، قال السيد بحر العلوم قدس سره في الدرّه.

و و الضحى و الإنشراح واحده بالاتفاق و المعانى شاهده

كذلك الفيل مع الإيلاف و فصل بسم الله لا ينافى

و إنما قيدنا الركعه بالفريضه لأنه يجوز الجمع بين سور كثيره فى النوافل فاذا جمعها وجب أن يقرأ البسملة مع كلّ سورة و فى النوع ١٩ من الاتقان قال:

و فى كامل الهدلى عن بعضهم انه قال: الضحى و الم نشرح سورة واحده نقله الإمام الرازى فى تفسيره عن طاوس و غيره من المفسرين.

و اعلم أن بسم الله الرحمن الرحيم جزء آيه من سورة النمل بل إنها آيتان فيها و أنها آيه من كلّ سورة و لذا من تركها فى الصلاه سواء كانت الصلاه فرضاً أو ندباً بطلت صلاته و يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة و يستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة و هو مذهب أصحابنا الإماميه و بين فقهاء الأئمه فيها خلاف و إن وافقنا فيه أكثرهم بل هو مذهب جلّ علماء السلف لو لا الكلّ.

قال فى تفسير المنار: اجمع المسلمون على أن البسملة من القرآن و أنها جزء آيه من سورة النمل. و اختلفوا فى مكانها من سائر السور فذهب إلى أنها آيه من كلّ سورة علماء السلف من أهل مكّه فقهاءهم و قرائهم و منهم ابن كثير و أهل الكوفه و منهم عاصم و الكسائى من القراء و بعض الصحابه و التابعين من أهل المدينه و الشافعى فى الجديد و اتباعه و الثورى و أحمد فى أحد قوليه و الاماميه، و من المروى عنهم ذلك من علماء الصحابه على عليه السلام و ابن عباس و ابن عمر و أبو هريره و من علماء التابعين سعيد بن جبیر و عطاء و الزهرى و ابن المبارك، و أقوى حججهم فى ذلك إجماع الصحابه و من بعدهم على إثباتها فى المصحف أول كلّ سورة سوى سورة براءه مع الأمر بتجريد القرآن عن كلّ ما ليس منه. و لذلك لم يكتبوا آمين فى آخر الفاتحه، و أحاديث منها ما أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله: انزلت على أنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، و روى

ص: ٢٥٥

أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يعرف فصل السوره و في روايه انقضاء السوره - حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم، و أخرجه الحاكم في المستدرک، و قال: صحيح على شرط الشيخين. و روى الدارقطني من حديث أبي هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قرأتم الحمد لله فاقراءوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها أم القرآن و السبع المثاني، و بسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها. و ذهب مالك و غيره من علماء المدينة، و الأوزاعي و غيره من علماء الشام و أبو عمرو و يعقوب من قراء البصره إلى أنها آيه مفرده أنزلت لبيان رءوس السور و الفصل بينها، و عليه الحنفية، و قال حمزه من قراء الكوفه و روى عن أحمد أنها آيه من الفاتحه دون غيرها و ثمه أقوال اخر شاذة (قاله في سوره الفاتحه).

أقول: لم يكن لهؤلاء الشرذمه القائلين بأن البسملة آيه واحده نزلت مره واحده فقط حجه قاطعه يعتد بها و لو أتوا بحجه فهي داحضه بلا مرية و ارتياب، و كيف؟ و أن كثيرا من الايات كزرت في القرآن نحو آيه فبأى آلاء ربكما تكذبان إحدى و ثلاثين مره في الرحمن، و آيه ويل يومئذ للمكذبين عشر مرات في المرسلات، و آيه إنا كذلك نجزي المحسنين أربع مرات في الصافات، و آيه الم ستّ مرات: في مفتتح البقره، آل عمران، العنكبوت الروم، لقمن، السجده، و آيه الر خمس مرات: في مفتتح يونس، هود، يوسف، إبراهيم الهجر، و آيه حم ستّ مرات: مفتتح المؤمن، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف و مع سوره الشورى «حم عسق» تصير سبع مرات، و آيه «طسم» مرتين: مفتتح الشعراء و القصص. و قوله تعالى: «و ما أنت بهادى العُمى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» مرتين (النمل - ٨٥) و (الروم - ٥٤) إِلَّا أَنْ كَلِمَهُ «هَادِي» فِي الثَّانِيهِ مَكْتُوبَهُ بِبَلَاءٍ أَعْنَى «بِهَادِ الْعُمَى» اتَّبَاعًا لِلْمَصَاحِفِ الَّتِي كَتَبَتْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَمَا سَيَأْتِي تَحْقِيقُهُ. وَ كَذَا طَائِفَةٌ مِنْ آيَاتِ الْآخِرِ

كررت في القرآن فأني يجوز لهؤلاء أن يقولوا إنها نزلت مرّة واحدة و ما دليلهم على ذلك فلم لم يكن البسملة نازله كأخواتها غير مرّة؟ على أن مذهبهم يضادّ صريح كثير من الأخبار المصرّحه في أن البسملة نزلت بعددها في القرآن، مع أن اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين و دأبهم و سيرتهم تجريد القرآن عن كلّ ما ليس منه؛ و في النوع ١٨ من الإتقان عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن.

و قال في أول التوبة من تفسير المنار: و لم يكتب الصحابه و لا- من بعدهم البسملة في أولها لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من السور قال: هذا هو المعتمد المختار في تعليقه و قيل رعايه لمن كان يقول إنها مع الأنفال سورة واحدة و المشهور انه لنزولها بالسيف و نبذ اليهود و قيل غير ذلك ممّا في جعله سببا و عله نظراً، و قد يقال: انه حكمه لا عله و ممّا قاله بعض العلماء في هذه الحكمه أنها تدل على أنّ البسملة آيه من كلّ سورة أى لأن الاستثناء بالفعل كالاستثناء بالقول معيار العموم انتهى.

و قال في الإتقان (أول النوع ١٩ منه). اخرج القشيري الصحيح أنّ التسميه لم تكن في البراءه لأن جبرئيل عليه السلام لم ينزل بها فيها.

و في الشاطبيه:

و بسمل بين السورتين [ب] سنّه [ر] جال [ن] موها [د] ربه و تجمّلا

قال ابن القاصح في الشرح: أخبر أن رجلا بسملا بين السورتين آخذين في ذلك سنّه، نموها أى رفعوها و نقلوها و هم قالون و الكسائي و عاصم و ابن كثير و اشار اليهم بالباء و الراء و النون و الدال من قوله بسنه رجال نموها دربه. و أراد بالسنة التي نموها كتابه الصّحابه لها في المصحف و قول عائشه رضى الله عنها اقرءوا ما في المصحف و كان النّبي صلى الله عليه وآله لا يعلم انقضاء السوره حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم ففيه دليل على تكرير نزولها مع كلّ سورة.

أقول: و روى عن أئمتنا عليهم السلام نحو الروايه المرويه عنها كما في تفسير العياشى

ص: ٢٥٧

عن صفوان الجمال قال: قال لى أبو عبد الله عليه السلام: ما أنزل الله من السماء كتابا إلا و فاتحته بسم الله الرحمن الرحيم و إنما كان يعرف انقضاء السوره بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء للاخرى.

و كذا فى الكافى عن يحيى بن أبى عمير الهذلى قال: كتبت إلى أبى جعفر عليه السلام جعلت فداك تقول فى رجل ابتداء ببسم الله الرحمن الرحيم فى صلاه وحده فى أم الكتاب فليما صار إلى غير ام الكتاب من السوره تركها فقال العياشى: ليس بذلك بأس فكتب عليه السلام بخطه: يعيدها مرتين على رغم أنفه يعنى العياشى.

و صحيحه محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السبع المثانى و القرآن العظيم هى الفاتحه قال: نعم قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع قال: نعم هى أفضلهن و غيرها من الروايات و الأخيره تختص بأم الكتاب.

و مهما تصلها أو بدأت براءه لتنزيلها بالسيف لست مبسملا

قال الشارح: تصلها الضمير فيه لبرائه اضمر قبل الذكر على شريطه التفسير يعنى أن سوره براءه لا بسمله فى أولها سواء وصلها القارى بالأنفال أو ابتداء بها؛ ثم ذكر الحكمه فى ترك البسمله فى أولها فقال لتنزيلها بالسيف يعنى أن براءه نزلت على سخط و وعيد و تهديد و فيها السيف. قال ابن عباس سألت عليا رضى الله عنه لم لم تكتب فى براءه بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال: لأن بسم الله أمان و براءه ليس فيها أمان نزلت بالسيف.

أقول: لا كلام فى أن المختار المعتمد فى تعليل ترك البسمله أول البراءه هو عدم نزولها معها كما مضى غير مره و اختاره العالم عبده فى تفسيره و لو تؤمل فى الأقوال الاخر حيث تصدوا لتركها فى براءه لعلم أن دليلهم عليل و من قال:

القول «بأن ترك البسمله فى براءه لنزولها بالسيف و نبذ العهد و البسمله آيه رحمه» حكمه لا عله، فنعم القول هو لأن البسمله المذكوره فى أول كثير من السور بدئت بالعذاب نحو: هل أتيتك حديث الغاشيه و سئل سائل بعذاب واقع و نحوهما و على هذا القول يحمل قول أمير المؤمنين على عليه السلام كما أتى به فى المجمع (أول سوره

برائه) و شرح الشاطبيه انه لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة برائه لأن بسم الله للأمان و الرحمة و نزلت برائه لرفع الأمان بالسيف. و بالجمله العمده فى ذلك هى السماع و التعبد، و الأخبار الواردة فى ذلك نحو قوله عليه السلام لا تنافيه فأنه عليه السلام يبين عدم نزولها فى برائه بتلك الحكمة فهى ما نزلت معها كما صرح القشيري و غيره ان جبرئيل عليه السلام لم ينزل بها فيها.

فاذا علمت أن البسملة جزء من السور آيه على حياها فاعلم أنه يترتب عليه كثير من المسائل الفقهيّة: مثلاً- من ابتداء بقراءة الفاتحه و لو نوى البسملة جزءاً من الإخلاص مثلاً- لم تصح صلاته و كذا لو نوى فى الإخلاص بسملة الفاتحه أو السورى الأخرى، و من كان جنباً و قلنا يحرم عليه قراءة سور العزائم لأقراءه آيات السجده فقط فلو قرأ البسملة ناوياً على أنها جزء من إحداها فعل حراماً.

و من يصلّى الظهرين يجب اخفاتها عليه كما أن من يصلّى العشاءين و الصبح يجب جهرها عليه؛ و نظائرها و من جمع الفيل و القریش و الضحى و الانشراح يجب أن يبسم بين السورتين.

«البيان فى ترتيب سور القرآن»

لا- شك أن تركيب السور من الايات توقيفى أعنى أن وضع كل آيه فى موضع معين من السور التى لم تنزل جملة واحده كان بأمر رسول الله صلى الله عليه و آله أخبر به جبرئيل عن أمر ربه و هو اجماع المسلمين قاطبه كما حققناه و إنما قلنا فى السور التى لم تنزل جملة واحده لأن السور التى نزلت جملة واحده أعنى دفعه واحده فالأمر فيها أوضح لأنها نزلت مترتبه الايات أولاً كسوره الفاتحه و الأنعام و كثير من المفصل (١).

و إنما الكلام فى أن ترتيب سور القرآن فى الدفتين على تلك الهيئه المشهوده لنا الان أولها الفاتحه و آخرها الناس هل وقع فى عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و بأمره أيضاً

ص: ٢٥٩

١- (١) المراد بالمفصل السور القصار من بعد الحواميم إلى آخر القرآن كما فى الفن الرابع من مقدّمات مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى ره و كذا فى الاتقان للسيوطى فى خاتمه النوع التاسع عشر.

أم لا؟ وبالجمله أن ترتيب السور أيضا كترتيب الايات توقيفي أم لا؟ و الحق هو الأول كالأول و ذلك لأن القرآن كان على عهد النبي صلى الله عليه و آله مجموعا مدونا جمعه غير واحد من الصحابه و قرءوه على النبي صلى الله عليه و آله و كان ترتيب السور كما هو فى المصحف الآن كترتيب الايات بأمر النبي صلى الله عليه و آله و هو مذهب المحققين من علماء المسلمين قديما و حديثا و من عدل عنه تمسك ببعض الأخبار الشاذ الواحد أو الموضوع أو لم يصل إلى فهم مراد الخبر و نحن فى غنى عن نقل أقوالهم و ردّها و إبطالها لأنها لا يزيد إلا تطويل كلام لا طائل فيه فان الأمر بين.

قال ابن النديم فى الفهرست (ص ٤١ طبع مصر، الفن الثالث من مقاله الأولى): الجماع للقرآن على عهد النبي صلى الله عليه و آله على بن أبى طالب رضوان الله عليه، سعد بن عبيد بن النعمان بن عمرو بن زيد رضى الله عنه، أبو الدرداء عويمر ابن زيد رضى الله عنه، معاذ بن جبل بن أوس رضى الله عنه، أبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان، ابى بن كعب بن قيس بن مالك بن امرئ القيس، عبيد بن معاوية، زيد بن ثابت بن الضحاك.

و أتى السيوطى فى النوع العشرين و غيره من الإتقان بعده من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه و آله بطرق مختلفه من كبار المؤلفين قال: روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود و سالم و معاذ و ابى بن كعب.

و قال: أخرج النسائى بسند صحيح عن عبد الله بن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي صلى الله عليه و آله فقال اقرأه فى شهر - الحديث.

قال: و أخرج ابن أبى داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظى قال:

جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل و عباد بن الصامت و ابى بن كعب و أبو الدرداء و أبو أيوب الأنصارى. و غيرها من الأخبار الواردة فى أن القرآن جمع على عهد النبي صلى الله عليه و آله و كم من روايات داله على أن عدّه من الصحابه قرأ القرآن عليه مرارا منهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام و عبد الله بن مسعود و زيد بن ثابت و ابى بن كعب و غيرهم.

ص: ٢٤٠

هؤلاء مَن جمعوا القرآن على عهد النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَرَّوْهُ عَلَيْهِ وَخَتَمُوهُ عَلَيْهِ عَدَّة خَتَمَات فَكَيْفَ لَمْ يَكُنَ الْقُرْآنُ عَلَى عَهْدِهِ مَجْمُوعًا مَرْتَبًا وَاحْتِمَالًا أَنَّهُمْ قَرَّوْهُ وَخَتَمُوهُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَبْثُوثًا مَبْتُورًا مَبْتُورًا جَدًّا وَ مِنْ تَأْمَلُ أَدْنَى تَأْمَلُ فِي نَظْمِ السُّورِ وَ شَدَّةِ اهْتِمَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حِرَاسَةِ الْقُرْآنِ وَ تَوَقُّيِهِ عَنِ اجْتِهَادِ أَحَدٍ وَ إِعْمَالِ ذَوْقٍ وَ سَلِيقِهِ فِيهِ وَ عَنَائَتِهِ بِحِفْظِهِ وَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنِّي تَارَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَ أَهْلَ بَيْتِي إِلَخَ الْمُرُورَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِطَرَقٍ كَثِيرَةٍ وَ فِي الرِّوَايَةِ الْوَارِدَةِ مِنْ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَارِضِهِ جَبْرِئِيلُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً وَ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوْفِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهَا مَرَّتَيْنِ وَ غَيْرَهُمَا مِنَ الْأَخْبَارِ فِي هَذَا الْمَعْنَى عِلْمٌ أَنَّهُ كَانَ مَجْمُوعًا مَرْتَبًا آيَاتِهِ وَ سُورِهِ عَلَى مَا هُوَ فِي الْمَصْحَفِ الْآنَ بِلا تَغْيِيرٍ وَ تَبْدِيلٍ وَ زِيَادَةٍ وَ نَقْصَانٍ.

بيان

فِي مَادَّةِ - ع ر ض - مِنْ النِّهَايَةِ الْأَثِيرَةِ: أَنَّ جَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَعَارِضُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً وَ أَنَّهُ عَارِضُهُ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ؛ أَيْ كَانَ يِدَارِسُهُ جَمِيعَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَعَارِضِ بِمَعْنَى الْمَقَابِلَةِ وَ مِنْهُ عَارِضَتِ الْكِتَابَ بِالْكِتَابِ أَيْ قَابِلَتَهُ بِهِ.

وَ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ النَّوعِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنَ الْإِتْقَانِ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ: أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ فَرَّقَهُ فِي بَضْعٍ وَ عَشْرِينَ فَكَانَتِ السُّورَةُ تَنْزُلُ لِأَمْرٍ يَحْدُثُ وَ الْآيَةُ جَوَابًا لِمُسْتَخْبِرٍ وَ يَوْقِفُ جَبْرِئِيلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى مَوْضِعِ الْآيَةِ وَ السُّورَةُ فَاتَسَاقَ السُّورُ كَاتَسَاقَ الْآيَاتِ وَ الْحُرُوفُ كُلُّهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمِنْ قَدَّمَ سُورَهُ أَوْ أَخَّرَهَا فَقَدْ أَفْسَدَ نَظْمَ الْقُرْآنِ.

وَ قَالَ الْكِرْمَانِيُّ فِي الْبَرْهَانِ: تَرْتِيبُ السُّورِ هَكَذَا هُوَ عِنْدَ اللَّهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ وَ عَلَيْهِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَعْرِضُ عَلَى جَبْرِئِيلَ كُلِّ سَنَةٍ مَا كَانَ يَجْتَمِعُ عِنْدَهُ مِنْهُ وَ عَرَضَهُ عَلَيْهِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوْفِيَ فِيهَا مَرَّتَيْنِ وَ كَانَ آخِرَ الْآيَاتِ نَزُولًا «وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» فَأَمَرَهُ جَبْرِئِيلُ أَنْ يَضَعَهَا بَيْنَ الرَّبِّ وَ الدِّينِ.

و قال الطَّبَّي: انزل القرآن أولاً جملة واحده من اللّوح المحفوظ إلى السماء الدّنيا ثم نزل مفرداً على حسب المصالح ثم اثبت في المصاحف على التّأليف و النظم المثبت في اللّوح المحفوظ.

و قال البيهقي في المدخل: كان القرآن على عهد النّبي صلّى الله عليه و آله مرتباً سورة و آياته على هذا التّرتيب - إلخ.

و قال أبو جعفر النخّاس: المختار أنّ تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلّى الله عليه و آله الحديث واثله اعطيت مكان التّوراه السبع الطول، قال: فهذا الحديث يدلّ على أنّ تأليف القرآن مأخوذ عن النّبي صلّى الله عليه و آله و أنّه من ذلك الوقت - إلخ.

و قال ابن الحصار: ترتيب السور و وضع الايات موضعها إنّما كان بالوحى.

ثم السيوطى بعد نقل أقوال اخر من الأعاضم فى أنّ ترتيب السور كترتيب الايات توقيفى قال: قلت: و ممّا يدلّ على أنّ ترتيب السور توقيفى كون الحواميم رتبت ولاء و كذا الطواسين و لم ترتب المسبحات ولاء بل فضّل بين سورها و فصل بين طسم الشعراء و طسم القصص بطس مع أنّها أقصر منهما و لو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء و اخرت طس عن القصص و كذا نقل عدّه أقوال فى النوع ٦٢ منه فى مناسبه الايات و السور و ترتيب كلّ واحد منهما على هذا النهج بأمره تعالى.

أقول: الأمر أبلغ من الصبح و أبين من الشمس فى رائعه النهار فى أنّ تركيب سور هذا السّيفر القيم الالهى و ترتيبها على هذا الأسلوب البديع لم يكن إلّا بأمره تعالى و من قال فى القرآن غير ما حققنا افترى على الله و اختلق على كتابه و رسوله.

و ذهب شردمه إلى أنّ ترتيب السور لم يكن على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و إنّما رتبت على عهد أبى بكر.

أقول: لو سلمنا بعد الإغماض عن ما تمسّكوا بها و استدّلوا عليها و اغتروا

بظاهرها، أن سور القرآن رتبت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فإن أول من جمع القرآن بعده صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين وهو عليه السلام كان عالما فيما نزلت الايات و أين نزلت و على من نزلت و كبار الصحابه تعلموا القرآن منه عليه السلام و أخذوه عنه عليه السلام و لا- ريب أنه عليه السلام كان أعرف بالقرآن من غيره و أجمعت الأمة على أنه كان حافظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله و قرأه عليه مرارا فلا ريب أن جمعه و ترتيبه حجه على أنه عليه السلام معصوم كما بيّنّا فى شرح الخطبه ٢٣٧ و كلّ ما جاء به المعصوم مصون من الخلل و حجه على بنى آدم و هذا الترتيب المشهود الان فى المصاحف و قراءته هو ترتيبه و قراءته عليه السلام.

قال الفاضل الشارح المعتزلى فى مقدمه شرحه على النهج فى فضائله عليه السلام (ص ٦ طبع ايران ١٣٠٤ هـ): أما قراءه القرآن و الاشتغال به فهو المنظور إليه فى هذا الباب اتفق الكل على أنه عليه السلام كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله و لم يكن غيره يحفظه ثم هو أول من جمعه، نقلوا كلّهم أنه تأخر عن بيعه أبى بكر فأهل الحديث لا- يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفته للبيعه بل يقولون تشاغل بجمع القرآن فهذا يدلّ على أنه أول من جمع القرآن لأنه لو كان مجموعا فى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لما احتاج إلى أن تشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله و إذا رجعت إلى كتب القرآن وجدت أئمة القراء كلّهم يرجعون إليه كأبى عمرو بن العلاء و عاصم بن أبى النجود و غيرهما لأنهم يرجعون إلى أبى عبد الرحمن بن السلمي القارى و أبو عبد الرحمن كان تلميذه و عنه أخذ القرآن فقد صار هذا الفن من الفنون التى ينتهى إليه أيضا مثل كثير مما سبق. انتهى قوله.

أقول: قد وردت أخبار كما أتى بها السيوطى فى الاتقان و غيره فى جوامعهم أن أمير المؤمنين عليه السلام و غيره جمعوا القرآن فذهب قوم إلى أن السور رتبت فى الدفتين باجتهاد الصحابه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله جمودا على ظاهرها و قد غفلوا أن ظاهرها لا تنافى أن يكون ترتيب السور و وضع كلّ واحده منها فى موضع خاص كما فى المصحف الان بأمر النبى صلى الله عليه وآله و آله كما هو الحقّ فإياك أن تعنى من قول

الفاضل المذكور وغيره أن القرآن جمع بعد النبي أن ترتيب السور كان بعده صلى الله عليه وآله و ستريدك بيانا إن شاء الله تعالى.

قال ابن النديم في الفهرست (٤١ طبع مصر من الفن الثالث من مقاله الأولى):

قال ابن المنادى حدثني الحسن العباس قال: أخبرت عن عبد الرحمن بن أبي حماد عن الحكم بن ظهير السدوسي عن عبد خير عن علي عليه السلام أنه رأى من الناس طيره عند وفاه النبي صلى الله عليه وآله فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن فجلس في بيته ثلاثه أيام حتى جمع القرآن فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه. ثم قال: و كان المصحف عند أهل جعفر و رأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزه الحسنى رحمه الله مصحفا قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب يتوارثه بنو حسن على مر الزمان.

و قد روى السيوطى فى النوع الثامن عشر من الاتقان بسند حسن عن عبد خير قال: قال علي عليه السلام: لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله آليت أن لا آخذ علي رداي إلا لصلاه جمعه حتى أجمع القرآن فجمعه.

و روى أيضا بطريق آخر عن محمد بن سيرين عن عكرمه قال لما كان بعد بيعه أبي بكر قعد علي بن أبي طالب فى بيته فقيل لأبي بكر قد كره بيعتك فأرسل إليه - إلى أن قال: قال أبو بكر: ما أقعدك عنى؟ قال: رأيت كتاب الله يزداد فيه فحدثت نفسى أن لا ألبس رداي إلا لصلاه حتى أجمعه قال له أبو بكر: فأنك نعم ما رأيت، قال محمد بن: فقلت لعكرمه: ألفوه كما أنزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمعت الإنس و الجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا.

قال: ابن الحجر فى الصواعق المحرقة (ص ٧٦ طبع مصر) باسناده عن سعيد ابن مسيب قال: لم يكن أحد من الصحابه يقول سلونى إلا علي عليه السلام و قال واحد من جمع القرآن و عرضه على رسول الله صلى الله عليه وآله. و قال أيضا أخرج ابن سعد عن علي عليه السلام قال:

و الله ما نزلت آيه إلا و قد علمت فيم نزلت و أين نزلت و على من نزلت إن ربى و هب لى

ص: ٢٦٤

قلبا عقولا و لسانا ناطقا. و قال: أخرج ابن سعد قال عليّ عليه السّلام: سلوني عن كتاب الله فانه ليس من آيه إلاّ و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل.

قال: و أخرج الطبرانى فى الأوسط عن ام سلمه قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول:

عليّ مع القرآن و القرآن مع عليّ لا يفترقان حتّى يرثى عليّ الحوض.

و فى الاتقان (طبع مصر ١٣١٨ ص ٧٤ ج ١) قال ابن حجر: و قد ورد عن عليّ أنّه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النّبىّ صلّى الله عليه و آله أخرجه ابن أبى داود.

أقول: ابن حجر هذا هو الحافظ أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانى صاحب كتاب الاصابه فى معرفه الصحابه و تقريب التهذيب و غيرهما توفى سنه ٨٥٢هـ و صاحب الصواعق المحرقة سمّيه أحمد بن محمّد بن عليّ الهيثمى مات سنه ٩٧٣هـ و جلال الدين السيوطى مات سنه ٩١٠هـ. ثمّ يستفاد ممّا روى ابن حجر أن القرآن الذى جمع عليّ عليه السّلام غير القرآن المرتبه سورته على ما هو المصحف الان فهو عليه السّلام أراد أن يبين فى هذا الجمع ترتيب نزول السور و الايات كما أن عالما يفسر القرآن و يبين فيه وجوه القراءات و آخر يبين فى تفسيره لغات القرآن و آخر غريبه و آخر يجمع الأخبار الواردة المناسبه لكلّ آيه فى تفسيره و غيرها من التفاسير المختلفه أغراضا فان الكلّ ميسّر لما خلق له و يؤيد ما ذهبنا إليه قوله عليه السلام نقله ثقة الاسلام الكلينى فى باب اختلاف الحديث من اصول الكافى باسناده عن سليم بن قيس الهلالي - فى حديث طويل إلى أن قال عليه السّلام: فما نزلت على رسول الله آيه من القرآن إلاّ أقرأنيها و أملاها عليّ فكتبتها بخطّى و علّمتى تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابها و خاصّها و عامّها و دعى الله أن يعطينى فهمها و حفظها فما نسيت آيه من كتاب الله و لا علما أملاها عليّ و كتبته منذ دعا الله لى بما دعا و ما ترك شيئا علّمه الله من حلال و لا حرام و لا أمر و لا نهى كان أو يكون و لا كتاب منزل على أحد قبله من طاعه أو معصيه إلاّ علّمنيّه و حفظته فلم أنس حرفا واحدا ثمّ وضع يده على صدرى و دعى الله لى أن يملأ قلبى علما و فهما و حكما و نورا فقلت يا نبى الله بأبى أنت و أمّى منذ دعوت الله لى بما دعوت لم

ص: ٢٤٥

أنس شيئاً ولم يفتنى شيء لم أكتبه أفتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل.

وقوله عليه السّلام: كما فى البحار (ج ١٩ ص ١٢٦): ولقد جئتهم بكتاب كمالا- مشتملا على التأويل والتنزيل والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ إلخ - فعلى هذا لا يسع أحدا أن يقول بتا أنه عليه السّلام جمع السور وربّها ولم تكن السور مرتبه على عهد النّبى صلى الله عليه وآله والأخبار الاخر أيضا الدّالة على أن أبا بكر وغيره جمعوه من هذا القبيل لا يدلّ على أن ترتيب سور القرآن لم يكن بأمر النّبى صلى الله عليه وآله فمن تمسك بها لذلك الغرض فقد أخطأ.

قال الطبرسى فى المجمع قوله تعالى «وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ» (التحریم - ٤): قرأ الكسائى وحده عرف بالتخفيف والباقون عَرَفَ بالتشديد واختار التخفيف أبو بكر بن عياش وهو من الحروف العشر التى قال: إننى أدخلتها فى قراءه عاصم من قراءه على بن أبى طالب عليه السّلام حتّى استخلصت قراءته يعنى قراءه على عليه السّلام وهى قراءه الحسن وأبى عبد الرّحمان السلمى وكان أبو عبد الرّحمان إذا قرأ إنسان بالتشديد حصبه - انتهى.

أقول: أبو بكر بن عياش وحفص بن سليمان البزاز راويان لعاصم بن أبى النجود بهدله وعاصم من القراء السبعة الذين تواترت قراءاتهم ولكن اعراب القرآن المتداول الان إنما هو بقراءه حفص عن عاصم ويستفاد مما نقل الطبرسى عن ابن عياش أن قراءه عاصم هى قراءه أمير المؤمنين على بن أبى طالب روى له الفداء إلّا- فى عشر كلمات أدخلها أبو بكر فى قراءه عاصم حتّى استخلصت قراءه على عليه السّلام فالقراءه المتداوله هى قراءته عليه السّلام وكذا قال الطبرسى فى الفن الثانى من مقدمه تفسيره فى ذكر أسامى القراء: فأما عاصم فأنه قرأ على أبى عبد الرّحمان السلمى وهو قرأ على على بن أبى طالب عليه السّلام.

فإنما اختير فى المصحف الكريم قراءه عاصم لسهولة قراءتها وجودتها ولأنها أضبط من القراءات الاخرى والسرّ فى ذلك إن قراءته قراءه أمير المؤمنين عليه السّلام

ص: ٢٦٦

و إن كان قراءه كل واحد من القراءات السبع متواتره و جائزه.

قال العلامة الحلبي قدس سره في المنتهى ما هذا نصه: أضبط هذه القراءات السبع عند أرباب البصريه هو قراءه عاصم المذكور بروايه أبي بكر بن عياش و قال رحمه الله في التذكرة: إن هذا المصحف الموجود الان هو مصحف علي عليه السلام.

قال المحقق الطوسي قدس سره في التجريد: و علي أفضل الصحابه لكثره جهاده و... و كان أحفظهم لكتاب الله تعالى العزيز. و قال الفاضل القوشجي في شرحه: فإن أكثر أئمه القراءه كأبي عمرو و عاصم و غيرهما يسندون قراءتهم إليه فانهم تلامذه أبي عبد الرحمن السلمي و هو تلميذ علي رضي الله عنهما.

و بالجملة أنا نقول أولاً- إن ترتيب السور كالايات توقيفي و عليه جلّ المحققين من علماء الفريقين و الشواهد و البراهين عليه كثيره و أن بعد النبي صلى الله عليه و آله لم يجمع القرآن مرتبا سورة على اجتهاد الصحابه لما دريت أن الأخبار التي تمسكوا بها غير داله على ذلك و بعد الإغماض نقول: إن الفريقين اتفقا في أن أمير المؤمنين عليه السلام كان حافظا للقرآن على عهده صلى الله عليه و آله و قرأ عليه غير مره و كان أعرف به منهم و قال عليه السلام (الخطبه ٢٠٨ من النهج و كذا في الوافي ص ٦٢ ج ١ نقلا من الكافي) و قد سأله سائل عما في أيدي الناس: إن في أيدي الناس حقا و باطلا - إلى أن قال: و ليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله من يسأله و يستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطاري فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا و كان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه و حفظته، و قال هؤلاء العظام من العلماء: إن القراءه المتداوله الان قراءته عليه السلام و أنه أول من جمع القرآن بعد النبي صلى الله عليه و آله و هو عليه السلام كان معتمدا الصحابه في العلوم و به يراجعون في القرآن و الأحكام سيما عند أصحابنا الإماميه القائلين بعصمته عليه السلام و باتفاق الأئمه قال رسول الله صلى الله عليه و آله فيه عليه السلام أقضاكم علي و علي مع القرآن و القرآن معه و الحق معه حيث دار و... فترتيب سور القرآن وقع على النهج الذي أراده الله تعالى و رسوله.

ثم نقول: هب أن ترتيب السور في الدفتين كان بعد النبي صلى الله عليه و آله و إنما كان

ص: ٢٦٧

على عهد أبى بكر و بأمره كما هو ظاهر طائفه من الأقوال و لا كلام فى أن أمير المؤمنين على عليه السلام قرره و رضى به و إلا لبّده فى خلافته لو قيل أنّه عليه السلام لم يتمكن فى عهد أبى بكر بذلك و هو عليه السلام معصوم و تقريره و إمضاؤه حجه، على أن تركيب السور من الايات إجماعى لا- خلاف فيه كما دريت فلو لم يكن ترتيب السور بالفرض بأمر المعصوم فما نزل على النبى صلى الله عليه و آله هو ما بين الدفتين الان و على كلّ حال ما زيد فيه و ما نقص منه شىء فبذلك ظهر أن قول الفقيه البحرانى فى الحقائق و أضرابه: أن جمع القرآن فى المصحف الان ليس من جمع المعصوم فلا حجه فيه، بعيد عن الصواب غايه البعد.

«البرهان على أن عثمان ما نقص من القرآن شيئاً و ما زاد فيه»

«شيئاً بل انما جمع الناس على قراءه واحده»

اعلم أن عنايه الصحابه و غيرهم من المسلمين كانت شديده فى حفظ القرآن و حراسته الغايه و توفرت الدواعى على نقله و حمايته النهايه و توجه آلاف من النفوس إليه، و دريت أن عدّه من أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله كانوا حفاظ القرآن على ظهر القلب كملا- و أمّا من حفظ بعضه فلا- يعدّ و لا- يحصى فمن تأمل أدنى تأمل فى سيره الصحابه مع القرآن و شدّه عنايتهم فى ضبطه و أخذه علم أن احتمال تطرق الزيادة و النقصان فيه واه جدا و لم يدّع أحد أن عثمان زاد فى القرآن شيئاً أو نقص منه شيئاً لعدم تجويز العقل ذلك مع تلك العنايه من المسلمين فى حفظه و كان الناس فى أقطار الأرض عارفين بالقرآن و عدد سوره و آياته فأئى كان لعثمان مجال ذلك بل أنّه جمع الناس على قراءه واحده و لفظ بسائر القراءات ظلّاً منه أن القرآن يصون بذلك من الزيادة و النقصان و أن كثره القراءات توجب إدخال ما ليس من القرآن فى القرآن، و دونك الأقوال و الاراء من جم غفير من المشايخ فى ذلك.

قال ابن التين و غيره (النوع الثامن عشر من الإتقان طبع مصر ١٣١٨ هـ ص ٥٨ إلى ٦٤): لَمَّا كَثُرَ الاختلاف فى وجوه القراءه حتّى قرءوه بلغاتهم على

ص: ٢٦٨

اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئه بعض فخشى عثمان من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره و اقتصر من سائر اللغات على لغه قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم و إن كان قد وسع في قراءته بلغه غيرهم رفعا للحرص و المشقه في ابتداء الأمر فرأى أن الحاجه إلى ذلك قد انتهت فاقصر على لغه واحده.

و فيه أيضا: قال القاضي أبو بكر في الانتصار: إنما قصد عثمان جمعهم على القراءات الثابته المعروفة عن النبي صلى الله عليه و آله و إلغاء ما ليس كذلك و أخذهم بمصحف لا تقديم فيه و لا تأخير و لا تأويل أثبت مع تنزيل و لا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه و مفروض قراءته و حفظه خشيه دخول الفساد و الشبهه على من يأتي بعد.

قال: و قال الحارث المحاسبى: المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان و ليس كذلك إنما حمل عثمان الناس على القرائه بوجه واحد على اختيار وقع بينه و بين من شهده من المهاجرين و الأنصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق و الشام في حروف القراءات فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعه التى انزل بها القرآن.

و فيه أيضا نقلا عن المحاسبى المذكور: و قد قال على عليه السلام لو وليت لعملت بالمصاحف التى عمل بها عثمان.

قال: و أخرج ابن أبى داود بسند صحيح عن سويد بن غفله قال: قال على عليه السلام لا تقولوا في عثمان إلا خيرا فوالله ما فعل الذى فعل في المصاحف إلا عن ملاء منا قال: ما تقولون في هذه القراءه فقد بلغنى أن بعضهم يقول إن قراءتى خير من قراءتك و هذا يكاد يكون كفرا قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقه و لا اختلاف قلنا: فنعم ما رأيت.

قال: قال القاضي أبو بكر في الانتصار: الذى نذهب إليه أن جميع القرآن الذى أنزله الله و أمر باثبات رسمه و لم ينسخه و لا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذى بين الدفتين الذى حواه مصحف عثمان و أنه لم ينقص منه شيء و لا زيد فيه و أن ترتيبه

و نظمه ثابت على ما نظمه الله و رتبّه عليه رسوله صلى الله عليه و آله من آى السور لم يقدم من ذلك مؤخر و لا اخر منه مقدم و أن الأمه ضبطت عن النبى صلى الله عليه و آله ترتيب آى كلّ سوره و مواضعها و عرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات و ذات التلاوه و أنه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه و آله قد رتبّ سوره و أن يكون قد وكل ذلك إلى الأمه بعده و لم يتول ذلك بنفسه قال: و هذا الثانى أقرب.

أقول: بل الأوّل متعين و لا نشك في أنّه صلى الله عليه و آله تولى ترتيب السور أيضا بنفسه كما مرّ.

و فيه أيضا، قال البغوى فى شرح السنه: الصحابه رضى الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذى أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئا خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه و آله من غير أن قدموا شيئا أو أخوا أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه و آله و كان رسول الله صلى الله عليه و آله يلقن أصحابه و يعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الان فى مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك و إعلامه عند نزول كلّ آيه ان هذه الايه تكتب عقب آيه كذا فى سوره كذا فثبت أن سعى الصحابه كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه فانّ القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة و ترتيب النزول غير ترتيب التلاوه.

قال: و أخرج ابن أبى داود من طريق محمّد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلا من قريش و الأنصار فبعثوا إلى الربعه التى فى بيت عمر فجىء بها و كان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارؤا فى شيء أخواه - إلخ.

قال: و أخرج عن ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول: إنما الف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه و آله.

ص: ٢٧٠

و قال فى مناهل العرفان: أخرج البخارى عن ابن زبير قال: قلت لعثمان ابن عفان «الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا» نسختها الايه الأخرى فلم تكتبها أو تدعها و المعنى لما ذا تكتبها أو قال لما ذا تتركها مكتوبه مع أنها منسوخه؟ قال:

يا ابن أخى لا اغيّر شيئاً من مكانه.

و غيرها من الأقوال و انما نقلناها تأييداً فإنّ الأمر أوضح من ذلك و لا حاجة فيه إلى نقلها و إنما طعنوا عثمان فى عمله لوجهين: الأول أن احراقه المصاحف كان استخفافاً بالدين و الثانى أن ذلك ليس تحصيناً للقرآن و لو كان تحصيناً لما كان رسول الله صلى الله عليه و آله يبيح القراءات المختلفه فقد مضى الكلام عليه مستقصى و أراد عثمان أن يجمع الناس على قراءه واحده و مع ذلك تكثرت حتّى بلغ متواترها إلى السبع.

«الكلام فى رسم خط القرآن»

و من شده عنايه المسلمين و اهتمامهم بضبط القرآن المبين حفظهم كتابه القرآن و رسمه على الهجاء الذى كتبه كتاب الوحي على الكتبه الأولى على عهد النبى صلى الله عليه و آله و إن كان بعض المواضع من الرسم مخالفاً لأدب الرسم فلا يجوز لأحد أن يكتب القرآن إلّا على ذلك الرسم المضبوط من السلف بالتواتر ابقاء للقرآن على ما كان و حذراً من تطرق التحريف فيه و إن كان من الرسم بل نقول مخالفه رسم القرآن حرام يبين لأن رسم القرآن من شعائر الدين و يجب حفظ الشعاعر لتبقى مصونه عن الشبهات و تحريف المعاندين إلى القيامه و تكون حجّه على الناس يحتجوا به مطمئنين إلى آخر الدهر كما يجب حفظ حدود منى و مشعر و البيت و الروضه النبويه و غيرها و نأتى بعده مواضع من القرآن حتّى يتبين لك أشدّ تبين أن القرآن صين من جميع الوجوه عن التغيير و التبديل و التحريف و التصحيف و الزيادة و النقصان مثلاً ان كلمه «مرضات» مكتوبه بالتاء المدوده فى المصاحف: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» (البقره - ٢٠٤)، «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» (البقره - ٢٦٨)، «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ»

ص: ٢٧١

«أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء ١١٦)، «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ» (التحریم - ٢).

و كلمه «نعمت» مكتوبه بالتاء المدوده أيضا فى المصاحف: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» (المائدة - ١٢) و كذا فى عدة مواضع اخرى و لسا فى مقام الحصر.

و كلمه «رحمت» مكتوبه بالتاء المدوده فى المصاحف كلها: «فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ» (الروم - ٥١) و كذا مواضع اخرى.

كلمه «امرات» مكتوبه بالتاء المدوده فى المصاحف كلها: «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ» (آل عمران - ٣٦) و مواضع اخرى.

كلمه «بينت» مكتوبه بالتاء المدوده: «فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ» (الملائكة - ٤١) كلمه «يدع» فى قوله تعالى: «وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ» (بنى إسرائيل - ١٤) مكتوبه بلا واو مع عدم الجازم.

كلمه «يؤت» مكتوبه فى قوله تعالى: «وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء - ١٤٦) بلا ياء مع عدم الجازم.

كلمه «يعفوا» فى قوله تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» (المائدة - ١٦) مكتوبه بالألف مع انها بصيغه الإفراد.

و فى جميع بسم الله الرحمن الرحيم فى القرآن أسقط الف الاسم و قوله تعالى «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» مكتوب الفه.

و قوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُشِيعْ إِلَّا- مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» (النمل - ٨٥) مكتوبه كلمه بهادى بالياء مع أن هذه الايه فى سورة الروم الايه ٥٤ مكتوبه بلا ياء.

و كذا كم من كلمات فى القرآن يخالف رسمه قواعد النحو فكم من فعل «ج ١٧»

ص: ٢٧٢

ماض مثلاً على صيغته الجمع لم يكتب في آخره الف و كم من فعل مفرد مكتوب آخره بالألف و كم من كلمه زيد في وسطه ألف مع عدم الاحتياج اليها و غيرها ممّا هي مذكوره في الشاطبيّه و الاتحاف و غيرهما و كثير من المشايخ ألفوا في رسم الخط رسائل عليه و لسنا في ذلك المقام و انما المراد أن يعلم القارى الكريم أن هذا القرآن المكتوب بين الدفتين هو الكتاب الذى نزل على خاتم النبيين صلى الله عليه و آله حتّى أنّ الصحابه لم يعتنوا في رسم خطّه بقواعد النحو و رسوم خط العرب اتباعاً للمصاحف الّتى كتبت على عهد النبي صلى الله عليه و آله حتّى لا يتغير خط القرآن و حروفه و لا يتوهم أحد فيه التصحيف.

قال السيوطى في الإتقان (النوع ٧٦ منه ص ١٦٦ ج ٢ طبع مصر ١٣١٨ هـ) في مرسوم الخط و آداب كتابته أفرد بالتصنيف خلائق من المتقدمين و المتأخرين - إلى أن قال: القاعده العربيه أنّ اللفظ يكتب بحروف هجائيه مع مراعاة الابتداء به و الوقف عليه، و قد مهد النحاه له اصولاً و قواعد و قد خالفها في بعض الحروف خط المصحف الإمام، و قال أشهب: سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا إلا على الكتبه الأولى رواه الدانى فى المقنع ثم قال: و لا مخالف له من علماء الأمه و قال الدانى فى موضع آخر: سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواو و الألف أ ترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك؟ قال: لا؛ قال أبو عمرو: يعنى الواو و الألف المزيدين فى الرسم المعدومتين فى اللفظ نحو أولو، قال: و قال الإمام أحمد: يحرم مخالفه خط مصحف عثمان فى واو أو ياء أو الف أو غير ذلك.

أقول: ما قال أحمد فى حرمه المخالفه حقّ كما بيناه آنفاً و لا حاجه فى حرمة إلى روايه خاصّه لو لم تكن.

و فيه أيضاً قال البيهقى فى شعب الايمان: من يكتب مصحفاً فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف و لا يخالفهم فيه و لا يغير ممّا كتبوه شيئاً

ص: ٢٧٣

فانهم كانوا أكثر علما و أصدق قلبا و لسانا و أعظم أمانه منا فلا ينبغي أن نظنّ بأنفسنا استدراكا عليهم.

«لما ذا يخالف رسم تلك الحروف القرآنيّة أصول رسم الخط؟»

عله ذلك هو ما ذكر العلامة ابن خلدون في الفصل الثلاثين من الباب الخامس من المقدمة ص ٦١٩ طبع مصر، قال: كان الخطّ العربيّ لأوّل الإسلام غير بالغ إلى الغايه من الإحكام و الاتقان و الاجاده و لا إلى التوسط لمكان العرب من البداوه و التوحش و بعدهم عن الصنائع و انظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابه بخطوطهم و كانت غير مستحكمه في الاجاده فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعه الخط عند أهلها ثم اقتفى التّابعون من السلف رسمهم فيها تبرّكا بما رسمه أصحاب الرسول صلّى الله عليه و آله و خير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله و كلامه كما يقتفى لهذا العهد خطّ ولى أو عالم تبرّكا و يتبع رسمه خطأ أو صوابا و أين نسبه ذلك من الصحابه فيما كتبوه فاتبع ذلك و اثبت رسما و نبّه العلماء بالرسم على مواضعه و لا- تلتفتنّ في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنّهم كانوا محكمين لصناعه الخطّ و أنّ ما يتخيّل من مخالفه خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيّل بل لكلّها وجه يقولون في مثل زياده الألف في «لا أذبحنه» إنّ تنبيه على أن الذبح لم يقع، و في زياده الياء في «بأييد» إنّ تنبيه على كمال القدره الرّبانيّه و أمثال ذلك ممّا لا أصل له إلّا التحكّم المحض و ما حملهم على ذلك إلّا- اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابه عن توهم النقص في قله إجاده الخطّ و حسبوا أنّ الخطّ كمال فنزّهوهم عن نقصه و نسبوا إليهم الكمال باجادته و طلبوا تعليل ما خالف الاجاده من رسمه و ذلك ليس بصحيح، و اعلم أنّ الخطّ ليس بكمال في حقّهم إذا الخطّ من جملة الصنائع المدنيّه المعاشيه كما رأيته فيما مرّ و الكمال في الصنائع إضافي بكمال مطلق إذ لا يعود نقصه على الذات في الدّين و لا في الخلال و إنّما يعود على أسباب المعاش و بحسب العمران و التعاون عليه لأجل دلّالته على ما في النفوس و قد كان صلّى الله عليه و آله اميّا و كان ذلك كمالا في حقّه و بالنسبه إلى مقامه لشرفه و تنزهه عن الصنائع العمليّه الّتي هي أسباب

ص: ٢٧٤

المعاش والعمران كلها وليست الأمية كمالات في حقنا نحن إذ هو منقطع إلى ربّه و نحن متعاونون على الحياه الدّنيا شأن الصنائع كلها حتّى العلوم الاصطلاحية فان الكمال في حقّه هو تنزّهه عنها جملة بخلافنا - انتهى.

أقول: و ممّا ذكرنا ظهر أن ما ذهب إليه بعض المغفلين لم يكن له خبره في علوم القرآن من أن أمثال هذه الأمور المخالفه لرسم الخطّ من عدم حذاقه الكاتب فلا يجب اتباعها غلط جدّا.

«يقرأ القرآن على القراءات السبع المتواتره دون الشواذ»

و ممّا ينادى بأعلى صوته عنايه المسلمين بحفظ القرآن الكريم و حراسته عن كلّ ما يتوهّم فيه التحريف قراءتهم القرآن بالقراءات المتواتره السبع دون الشواذ و لو كان الروايه الشاذّه مرويًا عن النّبى صلى الله عليه و آله لأنّ اعتمادهم في القراءه و رسم الخطّ و ترتيب السور و الايات كلّها كان على السماع دون الاجتهاد. بل نقول:

إن كلّ ما ينتسب إلى القراء السبعه من القراءات السبع و لم يثبت تواتره لا- يجوز متابعتة و إن كان موافقا لقياس العربيّه لأنّ المناط في اتباع القراءه هو التواتر فما يروى عن السبعه من الشواذ فحكمه حكم سائر القراءات الشاذ مثلا- أن أمين الاسلام الطبرسى في المجمع قال: قرأ كلّ القراء - معاش - في قوله تعالى «وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ» (الأعراف - ١٢) بغير همز و روى بعضهم عن نافع - معاش -، ممدودا مهموزا انتهى. فهذه الروايه عن النافع غير متواتر و إن كان النافع من السبعه، و لا يجوز القراءه بتلك القراءه الشاذّه.

فان قلت: هل يوجد عكس ذلك في القراءات بأن يكون القارى من غير السبع كيعقوب بن إسحاق الحضرمي و أبو حاتم سهل بن محمّد السجستاني و يحيى بن وثاب و الأعمش و أبان بن تغلب و أضرابهم و يكون بعض قراءتهم متواترا؟ أقول: و كم له من نظير و لكن من حيث أن تلك القراءه موافقه للقراءات السبع المتواتره فما وافقتها و إلّا لا يجوز الاتكال عليها و قراءه القرآن بها.

و إنما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء و اقتصدوا بهم فيها لسببين: أحدهما أنهم تجردوا لقراءة القرآن و اشتدت بذلك عنايتهم مع كثره علمهم و من كان قبلهم أو في أزمانهم ممن نسب إليه القراءة من العلماء و عدت قراءتهم في الشواذ لم يتجرد لذلك تجردهم و كان الغالب على أولئك الفقه أو الحديث أو غير ذلك من العلوم.

و الآخر أن قراءتهم وجدت مسنده لفظاً أو سماعاً حرفاً حرفاً من أول القرآن إلى آخره مع ما عرف من فضائلهم و كثره علمهم بوجوه القرآن (قالهما الطبرسي في مقدمه تفسيره مجمع البيان).

أقول: على أن أئمتنا سلام الله عليهم قرروا تلك القراءات لأنها كانت متداولة في عصرهم عليهم السلام و كان الناس يأخذونها من القراء و لم يردوهم و لم يمنعوهم عن أخذها عنهم بل نقول: إن قراءه أهل البيت عليهم السلام يوافق قراءه أحد السبعة و قلما ينفق أن تروى قراءه منهم عليهم خارجه عن المتواترات كما يظهر بالتبع للخبر المتضلع في علوم القرآن.

فإن قلت: القرآن نزل على قراءه واحده فكيف جاز قراءته بأكثر من واحده فهل القراءات العديده إلا التحريف؟.

قلت: أولاً- إن اختلاف القراءات لا- يوجب تحريف الكتاب و تغييره و باختلافها لا- تزداد كلمه في القرآن و لا- تنقص منه فإن اختلافها في الإعراب و ارجاع الضمير و كيفية التلظظ و الخطاب و الغيبة و الأفراد و الجمع و أمثالها في كلمات تصلح لذلك و في الجميع الايات و الكلمات القرآنيه بذاتها محفوظة مثلاً في قوله تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى» (يوسف - ١٠٩) قرأ أبو بكر عن عاصم يوحى بضم الياء و فتح الحاء على صيغه المجهول و قرأ حفص عن عاصم بضم النون و كسر الحاء على صيغه المتكلم و المعنى على كلا- الوجهين صحيح و اللفظ محفوظ و مصون. و في قوله تعالى «وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ» (الإسراء - ٨٤) قرأ أبو بكر عن عاصم بإماله الهمزة في نأى و حفص عن عاصم بفتحها و معلوم أنه لا يوجب التحريف و التغيير، و في قوله تعالى «فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»

(يونس - ٤) قرأ أبو بكر عن عاصم بتشديد الذال و حفص بتخفيفها و هو لا يوجب تبديل ذات الكلمه، و فى قوله تعالى «مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا» (الفرقان - ٧٥) قرأ أبو بكر ذريتنا بالتوحيد و حفص بالجمع و أمثالها مما هى مذكوره فى كتب الفن و التفاسير و لكل وجه متقن و حجه متبعه أجمع المسلمون على تلقيها بالقبول مع أنها تنتهى إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و لا يخفى على البصير المتتبع و المتصلع فى القراءات أنها لا توجب التحريف بل يبين وجه صحه التلفظ - مثلاً ان قوله صلى الله عليه و آله الدنيا رأس كل خطيئه، يصح أن يقرأ على الوجهين الأول ما هو المشهور و الثانى أن الدينار (مقابل الدرهم) اس كل خطيئه بضم الهمزة و الجمله بذاتها محفوظه، أو ما أنشده القطب الشيرازى فى مجلس كان فيه الشيعة و السنى (أتى به الشيخ فى الكشكول ص ١٣٥ طبع نجم الدوله):

خير الورى بعد النبى من بنته فى بيته من فى دجى ليل العمى ضوء الهدى فى زيته

يمكن أن يكون المراد من كلمه «من» رسول الله صلى الله عليه و آله و الضمير الأول يرجع إليه و الثانى إلى أمير المؤمنين على عليه السلام، أو يكون المراد منها أبو بكر و الضمير الأول يرجع إليه و الثانى إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و هكذا فى البيت الثانى و لا يوجب تغييراً فى البيت.

و ثانياً نقول: إن رسول الله صلى الله عليه و آله و الأئمه الهدى أجازوا ذلك و هذا كما أن أحدنا نجوز أن يقرأ كلامه على وجهين مثلاً ان الحكيم السبزوارى قال فى اللئالى المنتظمه:

فالمنطقى الكلى بحمل أولى و غيره لشايح الحمل كلى

ثم أجاز فى الشرح قراءه كلى على وجهين و قال: كلى إما بضم الكاف مخفف كلى و إما بكسرها أمر من و كل يكل و الياء للإطلاق و اللام (لشائع) على الأول للتعليل و على الثانى للاختصاص. انتهى. و هكذا الكلام فى القرآن الكريم.

و العجب من صاحب الجواهر رحمه الله مال فى صلاه الجواهر إلى عدم تواتر القراءات السبع و قال فى ذيل بحث طويل فى ذلك: فإن من مارس كلماتهم علم

ص: ٢٧٧

أن ليس قراءتهم إلا باجتهادهم و ما يستحسنونه بأنظارهم كما يؤمى إليه ما فى كتب القراءه من عدّهم قراءه النَّبىِّ صَلَّى الله عليه و آله و علّى و أهل البيت عليهم السّلام فى مقابله قراءتهم و من هنا سموهم المتبحرين و من ذاك (كذا - و الظاهر: و ما ذاك) إلا- لأن أحدهم كان إذا برع و تمهر شرع للناس طريقا فى القراءه لا يعرف إلا من قبله و لم يرد على طريقه مسلوكة و مذهب متواتر محدود و إلا لم يختصّ به بل كان من الواجب بمقتضى العاده أن يعلم المعاصر له بما تواتر إليه لاتحاد الفن و عدم البعد عن المأخذ و من المستبعد جدّا انا نطلع على التواتر و بعضهم لا يطلع على المتواتر إلى الاخر كما أنّه من المستبعد أيضا تواتر الحركات و السكّنات مثلا فى الفاتحه و غيرها من سور القرآن.

انتهى كلامه.

أقول: قد بينا أن القراءات السبع كان متواترا من عصر الأئمة إلى الان بل النَّبىِّ صَلَّى الله عليه و آله جوز اختلاف القراءه أيضا إلا أن ما لم يوافق السبع المتواتره لا يفيد إلا الظنّ بخلاف السبع فإنها إجماع المسلمين قاطبه من صدر الاسلام إلى الان و إجماع أهل الخبره فى كلّ فن حجه و لو خالف إجماعهم الخارج من فنهم لا يضرّ الاجماع و من مارس كتب التفسير و القراءات حقّ الممارسه علم إجماع المسلمين جيلا بعد جيل فى كلّ عصر حتّى فى زمن الأئمة المعصومين فى القراءات بالسمع و الحقّ فى ذلك ما هو المنقول من علامه قدّس سرّه فى النهايه حيث قال:

و مخالفه الجاهلين بالقراءه لا- يقدح فى إجماع المسلمين إذ المعتبر فى الإجماع و الخلاف قول أهل الخبره فلو خالف غير النحوى فى رفع الفاعل و غير المتكلم فى حدوث العالم أو وجوب اللطف على الله لم يقدح فى إجماع المسلمين أو الشيعة أو النحاه.

على أن القراءات المتواتره ينتهى إلى النَّبىِّ صَلَّى الله عليه و آله بالأخره كما ذكرنا آنفا أن القراءه كلّهم يرجعون إلى أبى عبد الرحمن بن السلمى القارى و هو أخذ عن أمير المؤمنين عليه السّلام و هو أخذ عن النَّبىِّ صَلَّى الله عليه و آله، قال ابن النديم فى الفهرست (ص ٤٩ من الفن الثالث من مقاله الأولى ط مصر): قرأ عاصم على أبى عبد الرحمن

ص: ٢٧٨

السلمى وقرأ السلمي على علي عليه السلام وقرأ علي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله، وقال أيضا (ص ٤٥): علي بن حمزة الكسائي قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى و كان ابن أبي ليلى يقرأ بحرف علي عليه السلام و كذا سائر القراء فعليك بالإتقان و الفن الثانى من مقدمه تفسير الطبرسى مجمع البيان و سائر الكتب المؤلفة فى القراء و قراءات القرآن فلا مجال للوسوسة بعد ظهور البيان و تمام البرهان. و قد قال العلامة الحلبي قدس سره فى التذكرة: «مسئله» يجب أن يقرأ بالمتواتر من القراءات و هى سبعة و لا يجوز أن يقرأ بالشواذ و يجب أن يقرأ بالمتواتر من الايات و هو ما تضمنه مصحف علي عليه السلام لأن أكثر الصحابه اتفقوا عليه و حرق عثمان ما عداه.

«عدد آي القرآن و حروفه»

و مما يعلن بشده عنايه المسلمين بضبط القرآن و حفظه عن التحريف عددهم كلماته و آيه و حروفه حتى فتحاته و كسراته و ضماته و تشديداته و مداته و أفرد السيوطى فى الإتقان فصلا فى ذلك. و فى الوافى للفيض قدس سره (٢٧٤ م ٥ طبع ايران ١٣٢٤ هـ): قال السيد حيدر بن علي بن حيدر العلوى الحسينى طاب ثراه فى تفسيره الموسوم بالمحيط الأعظم: إن أكثر القراء ذهبوا إلى أن سور القرآن بأسرها مائه و أربع عشره سورة و أن آياته ستة آلاف و ستمائه و ست و ستون آيه و إلى أن كلماته سبعة و سبعون الفا و أربعمائه و سبع و ثلاثون كلمه و إلى ان حروفه ثلاثمأه آلاف و اثنان و عشرون الفا و ستمائه و سبعون حرفا و إلى أن فتحاته ثلاثه و تسعون الفا و مائتان و ثلاثه و اربعون فتحه - إلخ.

روى الطبرسى فى تفسير سورة هل أتى من المجمع روايه مستنده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه عليه السلام قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله عن ثواب القرآن فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء - إلى أن قال عليه السلام: ثم قال النبي صلى الله عليه وآله و آله جميع سور القرآن مائه و أربع عشره سورة، و جميع آيات القرآن ستة آلاف آيه و مأتا آيه و ست و ثلاثون آيه، و جميع حروف القرآن ثلاثمأه ألف

ص: ٢٧٩

حرف و أحد و عشرون ألف حرف و مائتان و خمسون حرفا لا يرغب في تعلم القرآن إلا السعداء و لا يتعهد قراءته إلا أولياء الرحمن. انتهى. و ذكر ابن النديم في الفهرست (ص ٤١ من مقاله الأولى) اختلاف الناس في آي القرآن.

أقول: قد عدّ خلق كثير حروف القرآن و آخرون نقلوا منهم و ذكروا في تأليفاتهم و منهم المولى أحمد النراقي في الخزان (ص ٢٧٥ طبع طهران ١٣٨٠ هـ) ثم اختلف العادون في مقدارها عددا و لا ريب أن تحديد أمثال هذه الأمور لا يخلو من اختلاف و الاختلاف ليس إلا منهم لا من المصاحف فإنه واحد نزل من عند واحد و ما بدّل منه شيء و ما زيد فيه حرف و ما نقص منه كما علمت و إنما غرضنا في ذلك التوجه إلى اهتمام المسلمين قاطبه عصرا بعد عصر في ضبط كلام الله تعالى عن تحريف ما و إن كان الاشتغال باستيعاب ذلك ممّا لا طائل تحته و لنعم ما قال السخاوي (الاتقان ص ٧٢ ج ١): لا أعلم لعدّ الكلمات و الحروف من فائده لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة و النقصان و القرآن لا يمكن فيه ذلك.

و أمّا اختلاف الآي و سببه فهو ما قال السيوطي في الاتقان: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آيه ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك - إلى أن قال و سبب اختلاف السبب في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه و آله كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف فإذا علم محلها وصلها للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصله.

قال الطبرسي في الفن الأول من مقدمه التفسير في تعداد آي القرآن و الفائده في معرفتها: اعلم أن عدد أهل الكوفه أصح الأعداد و اعلاها إسنادا لأنه مأخوذ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - إلى أن قال: و الفائده في معرفه آي القرآن أن القارئ إذا عدّها بأصابعه كان أكثر ثوابا لأنه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه و لسانه و بالحرى أن تشهد له يوم القيامة فإنها مسئوله و لأن ذلك أقرب إلى التحفظ فإن القارئ لا يأمن من السهو و قد روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه و آله انه قال: تعاهدوا القرآن فإنه وحشى و قال عليه الصلاه لبعض النساء اعقدن:

ص: ٢٨٠

بالأنامل فانهنّ مسؤولات و مستنطقات، قال حمزه بن حبيب و هو أحد القراء السبعة العدد مسامير القرآن.

و بالجملة ان عدّ أمثال تلك الأمور و تحديدها قلما يتفق أن يتحد الاثنان من العادّين و لا يغترّ القارى الكريم بتلك الاختلافات أن المصاحف كانت مختلفه. و العجب من الفيض رحمه الله تعالى قال فى الوافى (ص ٢٧٤ م ٥): قد اشتهر اليوم بين الناس أن القرآن سته آلاف و ستمائه و ستّ و ستون آيه ثم روى روايه الطبرسى المذكوره آنفا فى المجمع عن النبى صلى الله عليه و آله، ثم جعل أحد الاحتمالات فى اختلاف الروايه و الشهره اختلاف المصاحف حيث قال: فلعل البواقى تكون مخزونه عند أهل البيت عليهم السلام و تكون فيما جمعه أمير المؤمنين عليه السلام - إلخ.

لكنه (ره) عدل عنه و استبصر و قال فى المقدمة السادسة من تفسيره الصافى بعد نقل عدّه روايات فى تحريف الكتاب: أقول: و يرد على هذا كلّ اشكال و هو أنّه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شىء من القرآن إذ على هذا يحتمل كل آيه منه أن يكون محرّفا و مغيّرا و يكون على خلاف ما أنزل الله فلم يبق لنا فى القرآن حجه أصلا فتنتفى فائده الأمر باتّباعه و الوصيه بالتمسك به إلى غير ذلك، و أيضا قال الله عزّ و جلّ «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» و قال «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» فكيف يتطرق إليه التحريف و التغير - إلخ.

«رسم النحو فى القرآن»

و ممّا يفحص عن شدة عنايه المسلمين بضبط القرآن و يؤيده رسم النحو فيه قال ابن النديم فى أوّل مقاله الثانيه من الفهرست: زعم أكثر العلماء أن النحو اخذ عن أبى الأسود و هو أخذ عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام - إلى أن قال: و قد اختلف الناس فى السبب الذى دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو فقال أبو عبيده أخذ النحو عن على بن أبى طالب أبو الأسود و كان لا يخرج شيئا أخذه عن على كرم الله وجهه إلى أحد حتّى بعث إليه زياد أن اعمل شيئا يكون

ص: ٢٨١

للناس إماما و يعرف به كتاب الله فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» بالكسر فقال: ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا فرجع إلى زياد فقال: أفعل ما أمر به الأمير فليغنى كاتباً لقنا يفعل ما أقول فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فأتى باخر قال أبو العباس المبرّد أحسبه منهم فقال أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطه فوقه على أعلاه و إن ضمنت فمى فانقط نقطه بين يدي الحرف و إن كسرت فاجعل النقطه من تحت الحرف فهذا نقط أبي الأسود. انتهى.

بيان

المراد من النقط ههنا هو الإعراب فنقطه فوق بمعنى الفتحه و نقطه تحت أى الكسره و نقطه بين يدي الحرف هى الضمه.

«رجم الأوهام و الأباطيل»

و إن قيل: قد توجد عده من السور فى بعض الكتب و ما ذكرت فى القرآن كسوره النورين نقلها صاحب كتاب دبستان المذاهب و أتى بها المحدث النورى فى فصل الخطاب و الاشتيانى فى بحر الفوائد فى شرح الفرائد (ص ١٠١ طبع طهران) و سوره الحفد، و سوره الخلع، و سوره الحفظ، أتى بها المحدث الثورى فى فصل الخطاب أيضا و نقل الأوليين السيوطى فى أول النوع التاسع عشر من الإتقان، و سوره الولايه المنقوله فى كتاب داورى للكسروى، فلم قلت إن القرآن ١١٤ سوره و ما نقص منه شىء؟ قلت: أولا عدم كونها فى القرآن دليل على عدم كونها من القرآن.

و ثانيا لو كانت أمثال هذه الكلمات تضحك بها الثكلى و تبكى بها العروس مما تحدى الله تعالى عباده بقوله: «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ» (البقره - ٢٢ و يونس - ٣٩) و قوله «فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ» (هود - ١٦) و قوله تعالى: «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ» الايه لكان أعراب البادية و أصاغر الطلبه جميعا أنبياء يوحى إليهم فضلا

ص: ٢٨٢

عن أكابر العلماء، و قياس هذه السور المجعوله بالمقامات للحريرى مثلا كقياس التبن بالتبر فضلا بالقرآن الكريم أعجز الحريرى و من فوقه عن أن تفوهوا بالآتيان بسوره منه و لو كانت نحو الكوثر ثلاث آيات.

و هذا هو أبو العلاء المعرّى الخزّيت فى فنون الأدب و شئون الكلام و المشار إليه بالبنان فى جوده الشعر و عذوبه النثر يضرب به المثل فى العلوم العربيه و كفى فى فضله شاهدا كتابه: لزوم ما لا يلزم، و سقط الزند، و شرح الحماسه، و غيرها تصدّى للمعارضه بالقرآن على ما نقل ياقوت الحموى فى معجم الأدباء فى ترجمته فنأتى بما قال للمعارضه ثم انظر فيها بعين العلم و المعرفه حتّى يتبين لك أن نسبته إلى القرآن كيراعه إلى الشمس؛ قال ياقوت: قرأت بخط عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجيّ فى كتاب له ألفه فى الصرفه زعم فيه أن القرآن لم يخرق العاده بالفصاحه حتّى صار معجزه للنبيّ صلى الله عليه و آله و أنّ كلّ فصيح بليغ قادر على الإتيان بمثله إلّا أنّهم صرفوا عن ذلك لا أن يكون القرآن فى نفسه معجز الفصاحه و هو مذهب لجماعه من المتكلمين و الرافضه منهم بشر المريسى و المرتضى أبو القاسم قال فى تضاعيفه: و قد حمل جماعه من الأدباء قول أصحاب هذا الرأى على أنّه لا يمكن أحد من المعارضه بعد زمان التحدّى على أن ينظموا على اسلوب القرآن و أظهر ذلك قوم و أخفاء آخرون؛ و ممّا ظهر منه قول أبى العلاء فى بعض كلامه:

اقسم بخالق الخيل، و الريح الهابّه بليل، ما بين الأشرط و مطالع سهيل، إن الكافر لطويل الذيل، و إن العمر لمكفوف الذيل، اتق مدارج السيل، و طالع التوبه من قبيل، تنج و ما اخالك بناج.

و قوله: أذلت العائذه أباها، و أصاب الوحده و ربّاه، و الله بكرمه اجتباها أولاها الشرف بما حباها، أرسل الشمال و صباها، و لا يخاف عقباها.

بيان

قوله: ألفه فى الصرفه: زعم قوم أن الله تعالى صرف القوى البشريه عن

ص: ٢٨٣

المعارضه و لذلك عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن و لو لا صرفه تعالى لهم لاستطاعوا أن يأتوا بمثله، و ذهب الآخرون إلى أنه تعالى لم يصرفهم عنها و لكنهم ليسوا بقادرين على الاتيان بمثله، و نتيجة كلا القولين واحده لاتفاقهما على عجز البشر إلى يوم القيامة عن الاتيان بمثله و لو بسوره سواء كان بصرف القوى أو لم يكن.

و المراد من المرتضى أبى القاسم هو الشريف علم الهدى أخو الشريف الرضى رضوان الله عليهما.

و لا يخفى على أولى الفضل و الدرايه أن أمثال هذه الكلمات الملقفه من الرطب و اليابس لو تعارض القرآن الكريم لما تحدى الله عباده به فإنّ الناس يستطيعون أن يأتوا بما هو أفضل منها لفظا و معنى.

ثم إنّ السور المنقوله من دبستان المذاهب و فصل الخطاب المذكوره آنفا كلمات لا يناسب ذيلها صدرها بل ليست جملها على اسلوب النحو و لا- تفيد معنى فننقل شذمه من سوره النورين حتّى يظهر لك سخافه ألفاظها و ركاهه تاليفها فمن آى تلك السوره المشوّه: إنّ الله الذى نور السموات و الأرض بما شاء و اصطفى من الملائكه و جعل من المؤمنين اولئك فى خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلاّ هو الرّحمن الرحيم؛ و منها: مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيتهم جنات النعيم، و منها: و لقد ارسلنا موسى و هرون بما استخلف فبغوا هرون فصبر جميل فجعلنا منهم القردة و الخنازير و لعناهم إلى يوم يبعثون، و منها: و لقد أتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين و جعلنا لك منهم وصيا لعلهم يرجعون.

فانظر أنّ ذلك اللصّ المعاند الوضاع كيف لفق بعض الجمل القرآنيه بترّاهته تلبيسا على الضعفاء و خلط الحقّ بالباطل تفتينا بين المسلمين، و لما رأى ضعفاء العقول كلمات شتى فيها نحو صبر جميل، نور السموات، إلى يوم يبعثون، لعلهم يرجعون، المتخذة من القرآن تلقوها بالقبول حتّى رأيت مصحفا مطبوعا كتبت هذه السور فى هامشه و ليس هذا إلا عمل الجهال من النساك و الصبيان

من القراء الذين علموا مخارج حروف الحلق و أيقنوا أن ليس وراء ما علموا علم أصلاً، و كأنما العارف شمس الدين محمد الحافظ أخبر عنهم حيث قال:

آه آه از دست صرافان گوهر ناشناس هر زمان خر مهره را با درّ برابر می کنند

فى تفسير آلاء الرحمن للبلاغى طاب ثراه: و ممّا أَلصقوه بالقرآن المجيد ما نقله فى فصل الخطاب من كتاب دبستان المذاهب أنه نسب إلى الشيعة انهم يقولون إن إحراق المصاحف سبب إتلاف سور من القرآن نزلت فى فضل علىّ و أهل بيته عليهم السلام منها هذه السورة (النورين) و ذكر كلاماً يضاهى خمسا و عشرين آيه فى الفواصل قد لفق من فقرات القرآن الكريم على اسلوب آياته فاسمع ما فى ذلك من الغلط فضلاً عن ركاه اسلوبه الملقق: فمن الغلط (و اصطفى من الملائكة و جعل من المؤمنين أولئك فى خلقه) و ما ذا جعل من المؤمنين و ما معنى أولئك فى خلقه؟ و منه: (مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيته جنات النعيم) ليت شعرى ما هو مثلهم؟ و منه: (و لقد ارسلنا موسى و هرون بما استخلف فبغوا هرون فصبر جميل) ما معنى هذه الدمدمه، و ما معنى بما استخلف و ما معنى فبغوا هرون و لمن يعود الضمير فى بغوا و لمن الأمر بالصبر الجميل؟ و من ذلك (و لقد آتينا بك الحكم كالذى من قبلك من المرسلين و جعلنا لك منهم وصياً لعلهم يرجعون) ما معنى آتينا بك الحكم و لمن يرجع الضمير الذى فى منهم و لعلهم وهل المرجع الضمير هو فى قلب الشاعر و ما هو وجه المناسبه فى لعلهم يرجعون؟ و من ذلك - إلى أن قال: هذا بعض الكلام فى هذه المهزله و أن صاحب فصل الخطاب من المحدثين المكثرين المجدين فى التتبع للشواذ و انه ليعدّ أمثال هذا المنقول فى دبستان المذاهب ضاله منشوده و مع ذلك قال أنّه لم يجد لهذا المنقول أثر فى كتب الشيعة، فيا للعجب من صاحب دبستان المذاهب من أين جاء نسبه هذه الدعوى إلى الشيعة و فى أى كتاب لهم وجدها أفهكذا يكون فى الكتب و لكن لا عجب شنشنه أعرفها من أخزم فكم نقلوا عن الشيعة مثل هذا النقل الكاذب كما فى كتاب الملل للشهرستانى و مقدمه ابن خلدون و غير ذلك ممّا كتبه بعض

النّاس فى هذه السنين و الله المستعان - انتهى.

«تحرير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن»

(اجتماعه بنفر من قريش ليبيتوا ضدّ النّبىّ صلى الله عليه وآله، و اتفاق قريش أن يصفوا الرّسول صلى الله عليه وآله بالساحر و ما أنزل الله فيهم) كيف يحكم عاقل عارف بأنحاء الكلام أن تلك الأباطيل و الأضاليل و حى أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و تحدى عباد الله بالإتيان بمثله، و قد بهت العرب العرباء فى نظم القرآن الكريم و تحير فصحاء العرب فى بيضاء فصاحته و كلت السنه بلغائهم دون علو بلاغته و عجز العالمون عن أن يتدرجوا درج معانيه أو أن يتغوّصوا فى بحر حقائقه، و هذا هو الخصم المبين الوليد بن المغيرة مع أنّه نشأ فى حجر العرب العرباء تحرير فيما يصف به القرآن، قال ابن هشام فى السيره (ص ٢٧٠ ج ١ طبع مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م):

إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش و كان ذا سنّ فيهم و قد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش إنّ قد حضر هذا الموسم و إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه و قد سمعوا بأمر صاحبكم هذا - يعنى به رسول الله صلى الله عليه وآله - فأجمعوا فيه رأيا واحدا و لا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا و يردّ قولكم بعضه بعضا، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل و أقم لنا رأيا نقول به قال: بل أنتم فقولوا اسمع قالوا: نقول:

كاهن، قال: لا و الله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمه الكاهن و لا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون و عرفناه فما هو بخنقه و لا تخالجه و لا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كلّه: رجزه و هزجه و قريضه و مقبوضه و مبسوطه فما هو بالشعر، قالوا:

فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأينا السّحار و سحرهم فما هو بنفثهم و لا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: و الله إن لقوله لحلاوه، و إن أصله لعذق، و إن فرعه لجناه و ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلّا عرف أنّه باطل و إنّ أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء

ص: ٢٨٦

و أبيه و بين المرء و أخيه و بين المرء و زوجته و بين المرء و عشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدم الموسم لا- يمرّ بهم أحد إلا حذّروه إياه و ذكروا لهم أمره فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة و في ذلك من قوله: «ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَ بَنِينَ شُهُوداً وَ مَهَدْتُ لَهُ تَمْهيداً ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً سَأُرْهِقُهُ صُعُوداً إِنَّهُ فَكَرَّ وَ قَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا « (الآيات من سورة المدثر) و أنزل الله تعالى في النفر الذين كانوا معه يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه و آله و فيما جاء به من الله تعالى:

«كَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ فَوَرَّبَّكَ لَنَسْتَلَنَّهِنَّ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الحجر - ٩٢ إلى ٩٥).

و إن قيل: قد وردت أخبار دالة على أن هذا القرآن المكتوب بين الدفتين المتداولين اسقط منه آيات و كلمات فكيف ادّعت أن ما انزل على رسول الله صلى الله عليه و آله ما نقص منه حرف و ما تطرق إليه تحريف؟ أقول: إن بعض تلك الروايات مجعول بلا- كلام كروايه نقلها في الاحتجاج و أتى بها الفيض في تفسير الصافي ان المنافقين أسقطوا في الآية: «وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْإِيمَانِ فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» (النساء - ٥) بين اليتامى و بين فانكحوا من الخطاب و القصص أكثر من ثلث القرآن.

و بعضها يبين مصداقاً من مصاديق الآية كما في قوله تعالى: «وَ نُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً» (بنى إسرائيل - ٨٤) وردت روايه: لا يزيد ظالمي آل محمد حقهم إلا خساراً.

و بعضها يشير إلى بعض التأويلات كما في قوله تعالى: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» (النحل - ٢٥) وردت روايه ما ذا أنزل ربكم في علي عليه السلام.

و بعضها يفسر الآيات فجعل قوم هذه الأخبار دليلاً على تحريف القرآن

و حكموا بظاهرها أن القرآن نقص منه شيء و جمعها المحدث النورى فى فصل الخطاب و جعلها دليلا على تحريف الكتاب و اتبعه الآخرون و لو لا خوف الإطالة لنقلت كل واحد من أخبار فصل الخطاب و بينت عدم دلالتها على تحريف الكتاب فإن أخباره بعضها مجعول بلا ريب و بعضها مشوب سنده بالعيب و بعضها الآخر يبين التأويل و بعضها يفسر التنزيل و يضاد طائفه منها اخرى و بعضها منقول من كتاب دبستان المذاهب لم ينقل فى كتب الحديث أصلا كما أن المحدث النورى صرح به أيضا. و بالجملة أن تلك الأخبار المنقولة فى فصل الخطاب و غيره الواردة فى ذلك الباب آحاد لا يعارض القرآن المتواتر المصون من عهد النبى صلى الله عليه و آله إلى الآن فإن وجد لها وجه لا ينافى القرآن و إلا فتضرب على الجدار.

«جرى على المحدث النورى ما جرى على ابن شنبوذ»

ثم إن هذا المحدث الجليل و الحبر النبيل صاحب مستدرک الوسائل و مؤلف كثير من الرسائل جزاه الله عن الاسلام و المسلمين خير جزاء عدل عن مذهب التحريف السخيف و لا يخفى أن الجواد قد يكبو و السيف قد ينبو و جرى عليه «ره» ما جرى على ابن شنبوذ قال ابن النديم فى الفن الثالث من مقاله الأولى من الفهرست: محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ كان يناوىء أبا بكر و لا يفسده و قرأ: إذا نودى للصلاه من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله، و قرأ: و كان أمامهم ملك يأخذ كل سفينه صالحه غصبا، و قرأ: اليوم ننجيكم ببدنكم لتكون لمن خلفك آية، و قرأ فلما خر تبينت الناس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا فى العذاب المهيّن - إلى أن قال بعد نقل عدّه قراءاته: و يقال: إنه اعترف بذلك كله ثم استتيب و اخذ خطّه بالتوبه فكتب: يقول محمد بن أحمد بن أيوب: قد كنت أقرأ حروفا تخالف عثمان المجمع عليه و الذى اتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله على قراءته ثم بان لى أن ذلك خطأ و أنا منه تائب و عنه مقلع و إلى الله جل اسمه منه برىء إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذى لا يجوز خلافه و لا يقرأ غيره.

و ممّا تطمئن به القلوب و يزيدها إيماناً في عدم تحريف القرآن هو أن الله تعالى ضمن حفظه كتابه و تعهّد إعلاء ذكره و وعد اتمام نوره و من أصدق من الله حديثاً و وعداً و دونك الاى القرآنيه فى ذلك:

قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر - ١١) ففي الايه تاكيدات عديده من الجملة الاسميه و الضمائر الأربعة الراجعه إليه تعالى و تكرار إن المؤكده و لام التأكيد فى خبر إن الثانيه و اسميه خبرهما و تقديم الجار و المجرور على متعلقه. و المراد بالذكر هو القرآن الكريم لأنه تعالى قال: «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» فلا يكون المراد من الذكر إلا القرآن فكيف لم يحفظ القرآن من التحريف زياده و نقصانا.

و قال عزّ من قائل: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (فصلت - ٤٣ و ٤٤) و قال تعالى: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (الصف - ١٠) و قال تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (التوبة - ٣٤) و المراد من النور القرآن الكريم كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً» (النساء - ١٧٥) و كما قال: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف - ١٥٨).

و قال تعالى: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» (القيمه - ١٨-٢٠) ثم إن القرآن هو المعجزه الباقيه من رسول الله صلى الله عليه و آله بل فى الحقيقه كلّ سوره منه معجزه على حيالها فهو مأثّه و أربع عشر معجزه و انزله الله تعالى هدايه

لكافه العباد إلى يوم التناد فكيف لا يصونه من تحريف أهل العناد قال تعالى: «وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ» (الأنعام - ٢١)، وقال تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (الفرقان - ٢): وقال تعالى:

«وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتُذَذِّرُ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا» (الأنعام - ٩٣) وغيرها.

«من نسب إلى الإماميه القول بتحريف القرآن أنه»

«كان أكثر أو أقل مما بين الدفتين فهو كاذب»

و من تتبع أسفار المحققين من العلماء الإماميه يعلم أن من عزى اليهم القول بتغيير القرآن زياده و نقصا فقد افترى عليهم قال العالم الخبير الإمامي القاضي نور الله التستري نور الله مرقدته في مصائب النواصب: ما نسب إلى الشيعة الإماميه بوقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإماميه إنما قال به شرذمه قليله منهم لا اعتداد بهم في ما بينهم.

و الشيخ الأجل أبو جعفر ابن بابويه الصدوق رحمه الله المتوفى ٣٨١ هـ قال في الاعتقادات: باب الاعتقاد في مبلغ القرآن: اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين و هو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك و مبلغ سوره عند الناس مائة و أربع عشر سوره و من نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب.

و شيخ الطائفة الإماميه أبو جعفر الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ قال في أول تفسيره التبيان: اعلم أن القرآن معجزه عظيمه على صدق النبي صلى الله عليه وآله بل هو أكبر المعجزات و أميا الكلام في زيادته و نقصانه فمما لا يليق به لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانه و النقصان منه فالظاهر من مذاهب المسلمين خلافه و هو أليق بالصحيح من مذهبننا - إلخ.

و امين الاسلام المفسر العظيم الشأن أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المتوفى ٥٤٨ هـ قال في الفن الخامس من مقدمه تفسيره مجمع البيان:

و من ذلك الكلام في زيادته و نقصانه فإنه لا يليق بالتفسير فأما الزيادة فيه فجمع على بطلانه و أما النقصان منه فقد روى جماعه من أصحابنا و قوم من حشويه العامه أن

ص: ٢٩٠

فى القرآن تغفيرا و نقصانا و الصءىء من مذهبنا ءلافه.

و العلمه ءسن بن يوسف بن المطهر الءلى المءوفى ٧٢٦ هـ قال فى النءاهىة:

إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله كَانَ مَكْلُفًا بِإِشَاعِهِ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَى عِدَدِ التَّوَاتُرِ لِيَحْصَلَ الْقَطْعُ بِنَبْوَتِهِ فِي أَنَّهُ الْمَعْجُزُ لَهُ وَ حِينَئِذٍ لَا يُمْكِنُ التَّوَافُقُ عَلَى نَقْلِ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ - إِلَى أَنْ قَالَ: فَإِنَّهُ الْمَعْجُزُ الدَّالُّهُ عَلَى صِدْقِهِ فَلَوْ لَمْ يَبْلُغْهُ إِلَى حَدِّ التَّوَاتُرِ انْقَطَعَتْ مَعْجَزَتُهُ فَلَا يَبْقَى هُنَاكَ حُجَّةٌ عَلَى نَبْوَتِهِ - إلء.

و العالم الءلىل بهاء الدّىن العاملى المءوفى ١٠٣١ هـ قال: فى الزبده:

القرآن مءواءر لءوفر الدواعى على نقله. و المءقول عنه فى ءفسىر آلاء الرّءمان أنّه (ره) قال: اءءلف الأصءاب فى ءرءىب سور القرآن العظىم و آىاءها على ما هو علىه الآن فرعم ءمع منهم أن ذلك وقع من الصءابه بعء النّبىّ صلى الله علىه و آله و كانت الاىاء ءىر مرءبه على ما هى علىه الآن فى زمانه و لم يكن السوره مءءققه فى ذلك الوقت و كذا لم يكن ءرءىب السور على النهء الذى كانت علىه الآن فى ذلك الزمان، و هذا الزعم سءىف و الءق ءرءىب الاىاء و ءصول السور كان فى زمانه إلى أن قال: و اءءلفوا فى وقوع الزىاءه و النقصان فىه و الصءىء أن القرآن العظىم مءفوظ عن ذلك الوقوع زىاءه كان أو نقصانا و ىدلّ علىه قوله ءعالى «وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» و ما اءشءهر بىن النّاس من اسقاط اسم أمىر المؤمنىن علىه السّلام منه فى بعض المواضع مءل قوله ءعالى «بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ» فى على - و ءىر ذلك فهو ءىر مءءبر عند العلماء.

«ءلام السىء الاءل ذى المءءىن مءىى آثار الأئمه على بن الءسىن»

«علم الءهى ءءس سره المءوفى ٤٣٦ هـ فى عءم تغىىر القرآن»

«من الزىاءه و النقصان»

نقل عنه الطبرىسى فى الفنّ الءامس من ءفسىره مءمع البىان قال الطبرىسى: فقء روى ءماعه من أصحابنا و قوم من ءشوىه العامه أن فى القرآن تغىىرا و نقصانا و الصءىء من مذهب أصحابنا ءلافه و هو الذى نصره المءرضى ءءس الله روجه و اسءوفى الكلام فىه ءاىه الاسءفاء فى ءواب المسائل الطرابلسىاء و ذكر فى مواضع أن

ص: ٢٩١

العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان و الحوادث الكبار و الوقائع العظام و الكتب المشهوره و أشعار العرب المسطوره فإن العنايه اشتدت و الدواعي توفرت على نقله و حراسته و بلغت إلى حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه لأنّ القرآن معجزه النّبوه و مأخذ العلوم الشرعيّه و الأحكام الدينيّه، و علماء المسلمين قد بلغوا في حفظه و حمايته الغايه حتّى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه من إعرابه و قراءته و حروفه و آياته فكيف يجوز أن يكون مغيّرا أو منقوصا مع العنايه الصادقه و الضبط الشّديد؛ قال:

و قال أيضا:

إنّ العلم بتفصيل القرآن و أبعاضه في صحه نقله كالعلم بجملته و جرى ذلك مجرى ما علم ضروره من الكتب المصنّفه ككتاب سيويه و المزني فإن أهل العنايه بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما حتى لو أنّ مدخلا أدخل في كتاب سيويه بابا في النحو ليس من الكتاب لعرف و ميز و علم أنه ملحق و ليس من أصل الكتاب و كذلك القول في كتاب المزني، و معلوم أنّ العنايه بنقل القرآن و ضبطه أصدق من العنايه بضبط كتاب سيويه و دواوين الشعراء، قال: و ذكر أيضا رضى الله عنه:

أنّ القرآن كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الان و استدللّ على ذلك بأنّ القرآن كان يدرس و يحفظ جميعه في ذلك الزمان حتّى عين على جماعه من الصحابه في حفظهم له و أنه كان يعرض على النّبىّ صلّى الله عليه و آله و يتلى عليه و أن جماعه من الصحابه مثل عبد الله بن مسعود و أبى بن كعب و غيرهما ختموا القرآن على النّبىّ صلّى الله عليه و آله عدّه ختمات و كلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمل على أنّه كان مجموعا مرتّبا غير مبتور و لا مبثوث؛ قال: و ذكر:

أنّ من خالف في ذلك من الإماميّه و الحشويّه لا يعتدّ بخلافهم فإنّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفه ظنوا صحّتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته. انتهى ما أردنا من نقل كلامه أعلى الله مقامه.

ص: ٢٩٢

و کذا صرّح غیر واحد من سائر علمائنا الإمامیّه کالمحقق الکرکی، و کاشف الغطاء، و الشّیخ الحرّ العاملی، و الشیخ بهاء الدین، و الفاضل التونی صاحب الوافی، و السیّد المجاهد و المحقق القمّی قال و جمهور المجتهدین علی عدم التحریف، و المحققین من علمائنا المعاصرین متع الله المسلمين بطول بقائهم علی عدم التحریف و التّغییر زیاده و نقصانا.

«فذلک البحث»

فحصل من جمیع ما قدمناه أن ترکیب السور من الایات و ترتیب السور أيضا کان بأمر النّبیّ صلی الله علیه و آله و أن بسم الله الرحمن الرحیم نزلت مع کلّ سورة ما عدا توبه؛ و انه جزء کلّ سورة و آیه من آیها كما أنها جزء من سورة النمل؛ و أنّ القرآن المکتوب بین الدفتین هو الذی نزل الله علی رسوله الخاتم صلی الله علیه و آله ما زید فیہ حرف و لا- نقص منه شیء؛ و أن عثمان ما حرف القرآن و لا- أخذ منه و لا زاد فیہ شیئا بل غرضه من ذلك جمع الناس علی قراءه واحده و إیّاک أن تظن أنه أحرق المصحف الصحیح و ابقى الباطل و المحرف و المغير نعوذ بالله؛ و أن اعتراض علم الهدی و غیره علیه لیس إلا من جهه منعه القراءات الآخر لا إحراقه المصحف الصحیح و تبدیله کلام الله المجید، و أن القراءات السبع متواتر لا یقرأ القرآن بغیرها من الشواذ، و أن رسم خط القرآن سماعی لا یقاس بالنحو و رسم الخط المتداول فیجب ابقاء رسمه علی ما کتبت علی الکتابه الأولى، و أن من عزی إلی الإمامیّه تحریفه فهو کاذب، و أن الله حافظ کتابه و متّمم نوره.

و ما أجاد و أحسن و أحلی نظم العارف الرّومی فی المقام قال فی المجلّد الثالث من کتابه المثنوی:

مصطفی را وعده کرد لطاف حق گر بمیری تو نمیرد این سبق

من کتاب و معجز ترا خافضم (۱) بیش و کم کن راز قرآن رافضم

ص: ۲۹۳

۱- (۱) فسرّه أحد الشراح بقوله: الخفض عمود الخباء یعنی من کتاب و معجزت را سازنده ستونم باین معنی که آلت نگهداری برای آن می سازم.

من تو را اندر دو عالم رافعم طاغیان را از حدیث دافعم
کس نتاند بیش و کم کردن در او تو به از من حافظی دیگر مجو
رونقت را روز روز افزون کنم نام تو بر زرّ و بر نقره زنم
منبر و محراب سازم بهر تو در محبّت قهر من شد قهر تو
نام تو از ترس پنهان می برند چون نماز آرند پنهان بگذرند (۱)
خفیه می گویند نامت را کنون خفیه هم بانگ نماز ای ذو فنون
از هراس و ترس کفار لعین دینت پنهان می شود زیر زمین
من مناره بر کنم آفاق را کور گردانم دو چشم عاق را
چاکرانت شهرها گیرنده و جاه دین تو گیرد ز ماهی تا بماه
تا قیامت باقیش داریم ما تو مترس از نسخ دین ای مصطفی
ای رسول ما تو جادو نیستی صادقی هم خرقة موسیستی
هست قرآن مر تو را هم چون عصا کفرها را در کشد چون اژدها
گر جهان فرعون گیرد شرق و غرب سرنگون آید خدا را گاه حرب
تو اگر در زیر خاکی خفته ای چون عصایش دان تو آنچه گفته ای
گر چه باشی خفته تو در زیر خاک چون عصا آگه بود آن گفت پاک
قاصدان را بر عصایت دست نی تو بخسب ای شه مبارک خفتنی
تن بخفته نور جان در آسمان بهر پیکار تو زه کرده کمان
فلسفی و آنچه پوزش میکند قوس نورت تیر دوزش میکند
چون که چوپان خفت گرگ ایمن شود چون که خفت آن جهد او ساکن شود
لیک حیوانی که چوپانش خدا است گرگ را آنجا امیدوره کجا است

و إنما اتسع نطاق الكلام فى هذا البحث لما رأينا شدّه عنايه الناس به

ص: ٢٩٤

١- (١) يعنى أن المسلمين كانوا يكتمون اسم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) و يصلون سرا خوفا من الكافرين.

و كثره حاجتهم إلى ايراد البرهان و ايضاح الحق في ذلك على أنا نرى كثيرا من الوعاظ على المنابر و في المجالس يتمسكون من غير رويه و طويّه بطائفه من الأخبار على تحريف الكتاب و يقولون كيت و كيت و الناس يتلقونه منهم على القبول فأحببت أن اقدم تلك المباحث الشريفه في هذا المقام المناسب لها فلعلها تنفع من أراد أن يتذكر و يسلك سبيل الهدى و مع ذلك لو لا خوف الإطناب لأحببت أن أذكر جميع الأخبار و الأقوال الوارده مما تمسكوا بها على تحريف الكتاب و إن كان ما ذكرناه كافيا لمن أخذت الفطانه بيده و لعلنا نؤلف في ذلك رساله عليه تكون اعم فائده و الله تعالى ولى التوفيق فقد آن أن نرجع إلى ما كنّا فيه.

٢٤ - و من ذلك أنه حمى الحمى عن المسلمين

اشاره

مع أن رسول الله صلى الله عليه و آله جعلهم سواء في الماء و الكلاء.

قال القاضى عبد الجبار فى المغنى: و أما ما ذكروه من أنه حمى الحمى عن المسلمين فجوابه أنه لم يحم الكلاء لنفسه و إلاّ استأثر به لكنه حماه لإبل الصدقه التى منفعتها تعود على المسلمين و قد روى عنه هذا الكلام بعينه، و أنه قال: إنما فعلت ذلك لإبل الصدقه و قد أطلقته الان و أنا أستغفر الله و ليس فى الاعتذار ما يزيد على ذلك.

«اعتراض الشريف المرتضى عليه»

اعترض عليه علم الهدى فى الشافى فقال: فأما اعتذاره فى الحمى بأنه حماه لإبل الصدقه التى منفعتها تعود على المسلمين و أنه استغفر منه و اعتذر، فالمروى أولا بخلاف ما ذكره لأن الواقدى روى بإسناده قال: كان عثمان يحمى الربذه و الشرف و النقيع فكان لا يدخل فى الحمى بغير له و لا فرس و لا لبنى اميه حتّى كان آخر الزمان فكان يحمى الشرف لإبله و كانت الف بغير و لإبل الحكم، و كان يحمى الربذه لإبل الصدقه و يحمى النقيع لخيّل المسلمين و خيله و خيل بنى اميه،

ص: ٢٩٥

على أنه لو كان حماه لإبل الصدقه لم يكن بذلك مصيباً لأن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله أحلاً الكلاء وأباحه و جعلاه مشتركاً فليس لأحد أن يغير هذه الإباحه، ولو كان في هذا الفعل مصيباً وإنما حماه لمصلحه تعود على المسلمين لما جاز أن يستغفر منه ويعتذر لأن الاعتذار إنما يكون من الخطاء دون الصواب.

٢٥ - ومن ذلك أنه أعطى من بيت مال الصدقه المقاتله

و غيرها و ذلك ممّا لا يحلّ في الدين.

و اعتذر القاضي في المغنى بقوله: فأما ما ذكروه من إعطائه من بيت مال الصدقه المقاتله فلو صحّ فأنما فعل ذلك لعلمه بحاجه المقاتله إليه و استغناء أهل الصدقات على طريق الاقتراض، و قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يفعل مثل ذلك سرا و للإمام في مثل هذه الأمور أن يفعل ما جرى هذا المجرى لأن عند الحاجه ربما يجوز له أن يقترض من الناس فبأن يجوز أن يتناول من مال في يده ليردّه من المال الاخر اولى.

و اعترض عليه علم الهدى في الشافى بقوله: فأما اعتذاره من اعطائه المقاتله من بيت مال الصدقه بأن ذلك إنّما جاز لعلمه بحاجه المقاتله إليه و استغناء أهل الصدقه عنه و أنّ الرسول صلى الله عليه وآله فعل مثله، فليس بشيء لأن المال الذي جعل الله له جهه مخصوصه لا يجوز أن يعدل عن جهته بالاجتهاد و لو كانت المصلحه في ذلك موقوفه على الحاجه لشرطها الله تعالى في هذا الحكم لأنه تعالى أعلم بالمصالح و اختلافها ممّا و لكان لا يجعل لأهل الصدقه منها القسط مطلقاً.

فأما قوله: إنّ الرسول صلى الله عليه وآله فعله فهو دعوى مجرّده من غير برهان و قد كان يجب أن يروى ما ذكر في ذلك.

فأما ما ذكره من الاقتراض فاين كان عثمان عن هذا العذر لما وقف عليه.

٢٦ - ومن ذلك ما فعل بأبي ذر رحمه الله تعالى

إشاره

. و اعلم أنّ جلالة شأن أبي ذر و فخامه أمره و علوّ درجته و مكانته في الاسلام فوق أن يحوم حوله العبارة أو أن

ص: ٢٩٦

يحتاج إلى بيان و كلام، فقد روى الفريقان في سمو رتبته و حسن اسلامه ما لا يسع هذه العجالة.

قال في اسد الغابه: اختلف في اسمه اختلافا كثيرا و قول الأكثر و هو أصح ما قيل فيه: جندب بالجيم المضمومه و النون الساكنه و الدال المهمله المفتوحه ابن جناده بضم الجيم أيضا. كان من كبار الصحابه و فضلائهم قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة و كان خامسا و هو أول من حيي رسول الله صلى الله عليه و آله بتحيه الإسلام و قال رسول الله صلى الله عليه و آله فيه: ما أظلت الخضراء و لا- أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر و في عبارته اخرى: على ذى لهجه أصدق من أبي ذر و سئل جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام عن هذا الخبر فصده.

و في اسد الغابه أنّ النبي صلى الله عليه و آله قال: أبو ذر في امتي على زهد عيسى بن مريم.

و أنّ عليّا عليه السلام قال: وعى أبو ذر علما عجز الناس عنه ثم أوكأ عليه فلم يخرج منه شيئا. و كان آدم طويلا عظيما أبيض الرأس و اللحية.

«نفى عثمان أبا ذر من المدينة إلى الربدة و وفاته فيها»

«و ذكر السبب في ذلك»

في الشافى للشريف المرتضى علم الهدى: قد روى جميع أهل السيره على اختلاف طرقهم و أسانيدهم أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه و اعطى الحرث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمأة ألف درهم و أعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: بشر الكافرين بعذاب أليم و يتلو قوله تعالى: «و الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» فرفع ذلك مروان إلى عثمان فأرسل إلى أبي ذر نائلا مولاه أن انته عما يبلغني عنك فقال:

أينهانى عثمان عن قراءه كتاب الله تعالى و عيب من ترك أمر الله فو الله لأن أَرْضَى الله بسخط عثمان أحبّ إليّ و خير من أن أَرْضَى عثمان بسخط الله، فاغضب عثمان ذلك و احفظه و تصابر.

و فيه و في مروج الذهب: أنّ أبا ذر حضر مجلس عثمان ذات يوم فقال عثمان:

أرايتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال كعب الأحبار: لا يا أمير المؤمنين

ص: ٢٩٧

فدفع أبو ذر في صدر كعب و قال له: كذبت يا ابن اليهودى ثم تلا «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ» الآية. فقال عثمان: أ يجوز للإمام أن يأخذ مالا من بيت مال المسلمين فينفقه فيما ينوبه من اموره فاذا أيسر قضاءه؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب و قال:

يا ابن اليهودى ما أجراكَ على القول فى ديننا فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لى و تولعك بأصحابى غيب وجهك عني فقد آذيتنى، الحق بالشام فأخرجه إليها.

و كان معاوية يومئذ عامل عثمان بالشام و كان أبو ذر ينكر على معاوية اشياء يفعلها فبعث إليه معاوية ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذر: إن كانت من عطائي الذى حرمتونه عامى هذا قبلتها و إن كانت صله فلا حاجه لى فيها و ردّها عليه.

و بنى معاوية الخضراء بدمشق فقال أبو ذر: يا معاوية إن كانت من عطائي الذى حرمتونه عامى هذا قبلتها و إن كان من مالك فهي الإسراف.

و كان أبو ذر رحمه الله يقول: و الله لقد حدثت أعمال ما أعرفها و الله ما هى فى كتاب الله و لا سنّه نبيّه و الله إننى لأرى حقّا يطفأ و باطلا يحيى و صادقاً مكذبا و اثره بغير تقى و صالحاً مستأثراً عليه. فقال حبيب بن مسلمة القهرى لمعاوية: ان أبا ذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كانت لكم فيه حاجه فكتب معاوية إلى عثمان أن أبا ذر تجتمع إليه الجموع و لا آمن أن يفسدهم عليك فان كان لك فى القوم حاجه فاحمله إليك.

فكتب إليه عثمان: أما بعد فاحمل جندبا إلى على أغلط مركب و أوعره.

فوجه به مع من ساربه الليل و النهار و حمل على شارف ليس عليها إلا قتب حتى قدم المدينة و قد سقط لحم فخذه من الجهد. و قال المسعودى: فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسه من الصقاله يطرون به حتى أتوا به المدينة قد تسلخت بواطن أفخاذه و كان أن يتلف فليل له: إنك تموت من ذلك، فقال: هيهات لن أموت حتى أنفى و ذكر جوامع ما نزل به بعد و من يتولى دفنه.

و فى الشافى: فلمّا قدم أبو ذر المدينة بعث إليه عثمان بأن الحق بأى أرض

شئت فقال: بمكّه قال: لا، قال: فبييت المقدس، قال: لا، قال: فأباعد المصريين، قال: لا و لكنى مسيرك إلى الربذه فسيره إليها: فلم يزل بها حتى مات رحمه الله تعالى.

و فى روايه الواقدي أنّ أبا ذر لما دخل على عثمان فقال له: لا أنعم الله عينا يا جنيدب فقال أبو ذر: أنا جندب و سمّاني رسول الله صلّى الله عليه و آله عبد الله فاخترت اسم رسول الله الذي سمّاني به على اسمي، فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أنا نقول إنّ يد الله مغلوله إنّ الله فقير و نحن أغنياء؟ فقال أبو ذر: و لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال الله على عباده و لكنى أشهد لسمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا و عباد الله خولا و دين الله دخلا ثم يريح الله العباد منهم. فقال عثمان لمن حضره: أسمعتموها من نبي الله؟ فقالوا: ما سمعناه، فقال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ فقال أبو ذر لمن حضره: أما تظنون أنى صدقت؟ فقال عثمان: ادعوا لى عليّا عليه السلام، فلما جاء قال عثمان لأبى ذر: اقصص عليه حديثك فى بنى أبى العاص فحدّثه، فقال عثمان لعليّ عليه السلام: هل سمعت هذا من رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ فقال عليّ عليه السلام لا، و قد صدق أبو ذر، فقال عثمان: كيف عرفت صدقه؟ قال: لأننى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء من ذى لهجه أصدق من أبى ذر فقال من حضر من أصحاب النبى صلّى الله عليه و آله جميعا: صدق أبو ذر. فقال أبو ذر: أحدثكم أنى سمعته من رسول الله صلّى الله عليه و آله ثم تتهمونى ما كنت أظن أنّى أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله.

و روى الواقدي فى خبر آخر باسناده عن صهبان مولى الأسلميين قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان فقال له: أنت الذى فعلت و فعلت. قال أبو ذر:

إنّى نصحتك فاستغششتنى و نصحت صاحبك فاستغشنى. فقال عثمان: كذبت و لكنك تريد الفتنة و تحبّها قد قلبت الشام علينا. فقال أبو ذر: اتبع سنه صاحبيك لا يكون لأحد عليك كلام فقال له عثمان: ما لك و لذلك لا ام لك؟ فقال أبو ذر: و الله ما وجدت لى عذرا إلّا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فغضب عثمان فقال: أشيروا

علّى فى هذا الشيخ الكذاب: إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله فإنّه قد فرّق جماعه المسلمين أو أنفيه من الأرض، فتكلم علّى عليه السّلام و كان حاضرا فقال: اشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون «وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ » فأجابه عثمان بجواب غليظ لم احبّ أن أذكره و أجابه علّى عليه السّلام بمثله.

ثمّ أمر أن يؤتى به فلما أتى به وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله و رأيت أبا بكر و عمر هل رأيت هذا هديهم (هل هديك كهديهم؟ خ ل) إنك تبطش بى بطش جبّار فقال: اخرج عنا من بلادنا فقال أبو ذر: فما أبغض إلّى جوارك قال: فالى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: أ فأخرج إلى الشام أرض الجهاد؟ فقال: إنما جليتك من الشام لما قد أفسدتها، أ فأردك إليها؟ قال:

أ فأخرج إلى العراق؟ قال: لا. قال: و لم؟ قال: تقدم على قوم أهل شبهه و طعن على الأئمة. قال: أ فأخرج إلى مصر؟ قال: لا. قال: أين أخرج؟ قال:

حيث شئت. فقال أبو ذر: هو أيضا التعرب بعد الهجره أخرج إلى نجد؟ فقال عثمان:

الشرف الشرف الأبعد أقصى فأقصى. فقال أبو ذر: قد أبيت ذلك علّى. قال: امض على وجهك هذا و لا تعدون الربذه فخرج إليها.

قال المسعودى - بعد ذكر جلوسه لدى عثمان و ذكر الخبر فى ولد أبى العاص إذا بلغوا ثلاثين، الخبر - قال: و كان فى ذلك اليوم قد اتى عثمان بتركه عبد الرحمن بن عوف الزهرى من المال فنضت البدر حتى حالت بين عثمان و بين الرجل القائم فقال عثمان: إنى لأرجو لعبد الرحمن خيرا لأنّه كان يتصدق و يقرى الضيف و ترك ما ترون، فقال كعب الأحبار: صدقت يا أمير المؤمنين، فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب و لم يشغله ما كان فيه من الألم و قال: يا ابن اليهودى تقول لرجل مات و ترك هذا المال إنّ الله أعطاه خير الدنيا و خير الآخرة و تقطع على الله بذلك؟ و أنا سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: ما يسرنى أن أموت و أدع ما يزن قيراطا، فقال له عثمان: وار عنى وجهك، فقال: أسير إلى مكه. قال: لا. و الله. قال فتمنعنى:

من بيت ربّي أعبدته فيه حتّى أموت؟ قال: إى و الله قال: فالى الشام. قال: لا و الله، قال:

البصره قال: لا و الله، فاختر غير هذه البلدان، قال: لا و الله ما أختار غير ما ذكرت لك و لو تركتني فى دار هجرتي ما أردت شيئا من البلدان فسّيرني حيث شئت من البلاد.

قال: فأنّى مسيرك إلى الرّبذه. قال: الله اكبر صدق رسول الله صلّى الله عليه و آله قد أخبرني بكلّ ما أنا لاق. قال عثمان: و ما قال لك؟ قال: أخبرني بأنى امنع عن مكه و المدينه و أموت بالرّبذه و يتولّى مواراتي نفر ممّن يردون من العراق نحو الحجاز.

و بعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته و قيل ابنته و أمر عثمان أن يتجافاه النّاس حتى يسير إلى الرّبذه.

«كلام أمير المؤمنين على (عليه السلام) و الحسين و عقيل لابی ذر رحمه الله»

«لما أخرجه عثمان إلى الرّبذه و كلام أبى ذر ره»

قد مضى كلامه عليه السّلام لأبى ذرّ رحمه الله تعالى لما اخرج إلى الرّبذه «الرقم - ١٣٠ - من باب المختار من الخطب» و هو: يا أبا ذر إنك غضبت لله فارح من غضبت له إنّ القوم خافوك على دنياهم و خفتهم على دينك. إلى آخره.

قال الشارح المعتزلى فى شرح كلامه عليه السّلام هذا و قريبا منه المسعودى فى مروج الذهب: واقعه أبى ذر و إخراجه إلى الرّبذه أحد الأحداث التى نقت على عثمان.

و قد روى هذا الكلام أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري فى كتاب السقيفه عن عبد الرّزاق عن أبيه عن عكرمه عن ابن عباس قال: لما اخرج أبو ذر إلى الرّبذه أمر عثمان فنودى فى النّاس أن لا يكلم أحد أبا ذر و لا يشيّهه و أمر مروان بن الحكم أن يخرج به فخرج به و تحاماه النّاس إلّا- على بن أبى طالب عليه السّلام و عقيل أخاه و حسنا و حسينا و عمّارا فانهم خرجوا معه يشيّعونه، فجعل الحسن عليه السّلام يكلم أبا ذر فقال له مروان: إيها يا حسن! ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا

الرَّجُلُ فَإِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمُ فَاعْلَمْ ذَلِكَ، فَحَمَلَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مِرْوَانَ فَضْرَبَ بِالسُّوْطِ بَيْنَ أُذُنِي رَاحِلَتَهُ وَقَالَ: تَنْحَ نَحَاكَ اللَّهُ إِلَى النَّارِ فَرَجَعَ مِرْوَانٌ مَغْضَبًا إِلَى عُثْمَانَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرُ فَتَلْظَى عَلَى عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَقَفَ أَبُو ذَرٍّ فَوَدَّعَهُ الْقَوْمُ وَمَعَهُ ذِكْوَانُ مَوْلَى أُمِّ هَانِي بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ.

قال ذكوان: فحفظت كلام القوم و كان حافظا فقال علي عليه السلام:

يَا بَا ذَرٍّ! إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَخَفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ فَامْتَحَنُوكَ بِالْقُلَى وَنَفُوكَ إِلَى الْفَلَا وَاللَّهُ لَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ لَهُ مِنْهَا مَخْرَجًا، يَا بَا ذَرٍّ! لَا يُونُسُكَ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا يُوْحَشُّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ.

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ: وَدَّعُوا عَمَّكُمْ، وَقَالَ لِعَقِيلٍ: وَدَّعْ أَخَاكَ فَتَكَلِّمْ عَقِيلًا فَقَالَ: مَا عَسَى أَنْ نَقُولَ يَا بَا ذَرٍّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَا نَحْبُوكَ وَأَنْتَ تَحِبُّنَا فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ التَّقْوَى نَجَاهُ وَاصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ كَرَمٌ وَاعْلَمْ أَنَّ اسْتِثْقَا لَكَ الصَّبْرَ مِنَ الْجَزَعِ وَاسْتِبْطَاءُكَ الْعَافِيَةَ مِنَ الْيَأْسِ فَدَعْ الْيَأْسَ وَالْجَزَعَ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا عَمَّاهُ لَوْ لَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُودِّعِ أَنْ يَسْكُتَ وَلِلْمَشِيعِ أَنْ يَنْصَرِفَ لِقَصْرِ الْكَلَامِ وَإِنْ طَالَ الْأَسْفُ وَقَدْ أَتَى الْقَوْمَ إِلَيْكَ مَا تَرَى فَضَعْ عَنْكَ الدُّنْيَا بِتَذَكُّرِ فِرَاقِهَا وَشَدَّةِ مَا اشْتَدَّ مِنْهَا بِرَجَاءِ مَا بَعْدَهَا وَاصْبِرْ حَتَّى تَلْقَى نَبِيَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا عَمَّاهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ أَنْ يَغَيِّرَ مَا قَدْ تَرَى وَاللَّهُ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ وَقَدْ مَنَعَكَ الْقَوْمَ دُنْيَاهُمْ وَمَنَعْتَهُمْ دِينَكَ فَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ وَأَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ فَاسْأَلِ اللَّهَ الصَّبْرَ وَالنَّصْرَ وَاسْتَعِذْ بِهِ مِنَ الْجَشَعِ وَالْجَزَعِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الدِّينِ وَالْكَرَمِ وَإِنَّ الْجَشَعَ لَا يَقْدَمُ رِزْقًا وَالْجَزَعَ لَا يُؤْخِرُ أَجَلًا.

ثُمَّ تَكَلَّمَ عِمَارُ رَحِمَهُ اللَّهُ مَغْضَبًا فَقَالَ: لَا آنَسَ اللَّهَ مِنْ أَوْحَشِكَ وَلَا آمَنَ مِنْ أَخَافِكَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَرَدْتَ دُنْيَاهُمْ لَا مَنُوكَ وَ لَوْ رَضِيتَ أَعْمَالَهُمْ لِأَحْبُوكَ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا بِقَوْلِكَ إِلَّا الرِّضَا بِالدُّنْيَا وَالْجَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ وَمَالُوا إِلَى مَا سُلْطَانُ جَمَاعَتِهِمْ

ص: ٣٠٢

عليه و الملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم و منحهم القوم ديناهم فخسروا الدنيا و الاخره ألا ذلك هو الخسران المبين. فبكى أبو ذر رحمه الله و كان شيخا كبيرا و قال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة إذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه و آله ما لى بالمدينه سكن و لا شجن غيركم إننى ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاويه بالشام و كره أن اجاور أخاه و ابن خاله بالمصرين فافسد الناس عليهما فسيّرني إلى بلد ليس لى به ناصر و لا دافع إلا الله، و الله ما اريد إلا الله صاحبا و ما أخشى مع الله وحشه.

فشكى مروان إلى عثمان ما فعل به عليّ بن أبي طالب فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرني من عليّ ردّ رسولى عما وجهته له و فعل كذا و الله لنعطيه حقه.

فلما رجع عليّ عليه السلام استقبله الناس فقالوا: إنّ أمير المؤمنين عليك غضبان لتشيعك أبا ذر. فقال عليّ: غضب الخيل على اللجم، ثم جاء فلما كان بالعشيّ جاء إلى عثمان فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان و اجترأت عليّ و رددت رسولى و أمرى؟ قال: أما مروان فإنه استقبلني يردّني فرددته عن ردّي و أما أمرك فلم اصغره.

قال: أو ما بلغك نهبي عن كلام أبي ذر؟ قال: أو ما كلّما أمرت بأمر معصيه أطعناك فيه؟ قال عثمان: أقد مروان من نفسك، قال: و ما أقيده؟ قال: ضربت بين اذني راحلته، قال عليّ: أما راحلتي فهي تلك فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، و أمّا شتمه إياي فو الله لا- يشتمني شتمه إلا- شتمتك مثلها بما لا أكذب فيه و لا أقول إلا حقا، فغضب عثمان و قال: و لم لا يشتمك إذا شتمته؟ فو الله ما أنت عندى بأفضل منه. فغضب عليّ بن أبي طالب عليه السلام و قال: ألى تقول هذا القول و بمروان تعدلني؟ فأنا و الله أفضل منك و أبى أفضل من أبيك و امي أفضل من امك و هذه نبلى قد نثلتها و هلم فاقبل بنبلك فغضب عثمان و احمرّ وجهه فقام و دخل داره و انصرف عليّ عليه السلام فاجتمع إليه أهل بيته و رجال من المهاجرين و الأنصار.

فلما كان من الغد أرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين و الأنصار و إلى بنى اميه

يشكو اليهم عليا عليه السّلام وقال: إنه يعينى و يظهر من يعينى - يريد بذلك أبا ذر و عمار ابن ياسر و غيرهما - فقال القوم: أنت الوالى عليه و إصلاحه أجمل، قال: وددت ذاك. فأتوا عليّا عليه السّلام فقالوا: لو اعتذرت إلى مروان و أتيته، فقال: كلاًّ أمروان فلا آتية و لا أعتذر منه و لكن إن أحبّ عثمان آتيته. فرجعوا إلى عثمان فأخبروه فأرسل عثمان إليه فأتاه و معه بنو هاشم فتكلّم عليّ عليه السّلام فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال:

أمّا ما وجدت على فيه من كلام أبى ذر و وداعه فو الله ما أردت مسائتك و لا الخلاف عليك و لكن أردت به قضاء حقّه، و أمّا مروان فإنّه اعترض يريد ردّي عن قضاء حقّ الله عزّ و جلّ فرددته ردّ مثلى مثله، و أمّا ما كان منّى إليك فإنك أغضبتنى فأخرج الغضب منّى ما لم أردّه.

فتكلّم عثمان فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال: أمّا ما كان منك إلى فقد وهبته لك، و أمّا ما كان منك إلى مروان فقد عفى الله عنك، و أمّا ما حلفت عليه فأنت البر الصادق فادن يدك فأخذ يده فضمّها إلى صدره. فلمّا نهض قالت قريش و بنو اميه لمروان: أنت رجل جبهك علىّ و ضرب راحلتك و قد تفانت وائل فى ضرع ناقه و ذبيان و عبس فى لطمه فرس و الأوس و الخزرج فى نسعه؟ أفتحمل لعلّى ما أتاه إليك؟ فقال مروان: و الله لو أردت ذلك لما قدرت عليه.

ثمّ قال الشارح المعتزلى: و اعلم أن اللّذى عليه أكثر أرباب السيره و علماء الأخبار و النقل أن عثمان نفا أبا ذر أوّلاً إلى الشام ثمّ استقدمه إلى المدينه لما شكى منه معاويه ثمّ نفاه من المدينه إلى الربذه لما عمل بالمدينه نظير ما كان يعمل بالشام و أصل هذه الواقعة أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم و غيره بيوت الأموال و اختص زيد بن ثابت بشيء منها جعل أبو ذر يقول بين الناس و الطرقات و الشوارع بشرّ الكافرين بعذاب أليم و يرفع بذلك صوته - فأتى بما نقلنا من الشافى بحذافيرها.

و روى الواقدى - كما فى الشافى - عن مالك بن أبى الرجال عن موسى بن

ميسره أن أبا الأسود الدؤلى قال: كنت أحب لقاء أبى ذر لأسأله عن سبب خروجه فنزلت به الرّبذه فقلت له: ألا تخبرنى خرجت من المدينه طائعا أو أخرجت؟ قال: أمّا إننى كنت فى ثغر من الثغور أغنى عنهم فاخرجت إلى مدينه الرسول صلى الله عليه و آله فقلت دار هجرتى و أصحابى فاخرجت منها إلى ما ترى، ثم قال: بينا أنا ذات ليله نائم فى المسجد إذ مرّ بى رسول الله صلى الله عليه و آله فضربنى برجليه فقال: لا أراك نائما، فقلت: بأبى أنت و أمى غلبتنى عينى فنمت فيه، فقال: كيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ فقلت: إذا ألحق بالشام فإنها أرض مقدسه و أرض بقيه الإسلام و أرض الجهاد، فقال: كيف بك إذا أخرجوك منها؟ قال: فقلت: أرجع إلى المسجد، قال: كيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ قلت: آخذ سيفى فاضرب به، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: ألا أدلك على خير من ذلك انسق معهم حيث ساقوك و تسمع و تطيع فسمعت و أطعت و أنا أسمع و اطيع و الله ليلقين الله عثمان و هو آثم فى جنبى. و كان يقول بالرّبذه: ما ترك الحق لى صديقا و كان يقول فيها: ردنى عثمان بعد الهجره أعرابيا.

أقول: فى الصّحاح للجوهري: تعرّب بعد هجرته أى صار أعرابيا.

و فى النهايه الأثيريه: التعرّب بعد الهجره هو أن يعود إلى البادية و يقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا و كان من رجع بعد الهجره إلى موضعه من غير عذر يعدّونه كالمرتدّ.

و فى باب علل تحريم الكبائر من الوافى للفيض (ره) (م ٣ ص ١٧٦) نقلا عن من لا يحضره الفقيه: كتب على بن موسى الرضا عليه السّلام إلى محمّد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله - إلى أن قال عليه السّلام: و حرّم الله التعرّب بعد الهجره للرجوع عن الدين و ترك الموازره للأنبياء و الحجج عليهم أفضل الصلوات و ما فى ذلك من الفساد و إبطال حقّ كلّ ذى حق لا لعلّه سكنى البدو و لذلك لو عرف الرجل الدين كاملا لم يجز له مساكنه أهل الجهل، و الخوف عليه لأنه لا يؤمن أن وقع منه ترك العلم و الدّخول مع أهل الجهل و الثمادى فى ذلك.

ص: ٣٠٥

قال الفيض في بيانه: وفي بعض النسخ: لعله سكنى البدو بدون لا وهو أوضح وأوثق بما بعده، والخوف عليه عطف على الفساد والإبطال. انتهى، فتأمل.

«اعتذار القاضي عبد الجبار و شيخه أبي علي نفى أبي ذر»

«إلى الربذه»

قال في الشافى: حكى القاضي عن شيخه أبي علي في نفى أبي ذر إلى الربذه أنّ الناس اختلفوا في أمره فروى عنه أنّه قيل لأبي ذر: أعثمان أنزلك الربذه؟ فقال: لا، بل اخترت لنفسى ذلك و روى أن معاوية كتب يشكوه وهو بالشام فكتب إليه عثمان أن صيره إلى المدينة فلما صار إليه قال: ما أخرجك إلى الشام؟ قال: لأننى سمعت الرسول صلى الله عليه وآله يقول: إذا بلغت عماره المدينة موضع كذا فأخرج عنها فلذلك خرجت، قال: فأى البلاد أحب إليك بعد الشام؟ فقال: الربذه، فقال: صر إليها و إذا تكافأت الأخبار لم يكن فى ذلك لهم حجه و لو ثبت ذلك لكان لا يمتنع أن يخرج إلى الربذه لصالح يرجع إلى الدين فلا يكون ظلما لأبي ذر بل ربما يكون إشفاقا عليه و خوفا من أن يناله من بعض أهل المدينة مكروه.

فقد روى أنه كان يغلظ في القول و يخشن في الكلام و يقول: لم يبق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على عهد و ينفر بهذا القول فرأى إخراجهم أصلح لما يرجع إليهم و إليه من المصلحه و إلى الدين. و قد روى أن عمر أخرج عن المدينة نصر بن حجاج لما خاف ناحيته. قال: و ندب الله تعالى إلى خفض الجناح للمؤمنين و إلى القول اللين للكافرين و بين للرسول صلى الله عليه وآله أنه لو استعمل الفظاظه لا نفصوا من حولك فلما رأى عثمان من خشونه كلام أبي ذر و ما كان يورده مما يخشى منه التنفير فعل ما فعل.

و قد روى عن زيد بن وهب قال: قلت لأبي ذر و هو بالربذه: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: أخبرك أنّى كنت بالشام فى أيام معاوية و قد ذكرت هذه الآية «الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»

ص: ٣٠٦

فقال معاويه هذه فى أصل الكتاب فقلت فيهم و فينا فكتب معاويه إلى عثمان فى ذلك فكتب إلى أن أقدم على فقدمت عليه فانثال الناس إلى كأنهم لم يعرفونى فشكوت ذلك إلى عثمان فخيرنى وقال: إن أحببت أنزل حيث شئت فنزلت الرّبذه و حكى عن الخياط قريباً مما تقدم من أن خروج أبى ذر إلى الرّبذه كان باختياره قال: و أقل ما فى ذلك أن يختلف الأخبار فتطرح و نرجع إلى الأمر الأوّل فى صحه إمامه عثمان و سلامه أحواله.

«جواب الشريف المرتضى علم الهدى و اعتراضه»

اعترض فى الشافى عليه و ردّ كلامه بقوله: فأما قوله «إن الأخبار مكافئه فى أمر أبى ذر و إخراجه إلى الرّبذه و هل كان ذلك باختياره أو بغير اختياره» فمعاذ الله أن يتكافأ فى ذلك بل المعروف الظاهر أنه نفاه من المدينه إلى الرّبذه، ثم أتى بالروايات الثلاث عن الواقدى و قوله قد روى جميع أهل السيره على اختلاف الطرق إلى آخر ما نقلناه عنه من الشافى المذكوره آنفاً ثم قال: و الأخبار فى هذا الباب أكثر من أن نحصرها و أوسع من أن نذكرها أو ما تحمل نفسه على ادّعا أن أباً ذر خرج مختاراً إلى الرّبذه.

قال: و لسنا ننكر أن يكون ما أورده صاحب الكتاب من أنه خرج مختاراً قد روى إلا أنه فى الشاذّ النادر و بازاء هذه الروايه الفذه كلّ الروايات التى تتضمن خلافها و من تصفّح الأخبار علم أنها غير متكافئه على ما ظن صاحب الكتاب - يعنى به القاضى صاحب كتاب المغنى - و كيف يجوز خروجه عن تخيير و إنما اشخص من الشام على الوجه الذى اشخص عليه من خشونه المركب و قبح السير به للموجده عليه. ثم لما قدم منع الناس من كلامه و أغلظ له فى القول و كلّ هذا لا يشبه أن يكون أخرجه إلى الرّبذه باختياره. و كيف يظن عاقل أن أباً ذر يحبّ أن يختار الرّبذه منزلاً مع جديها و قحطها و بعدها عن الخيرات و لم يكن بمنزل مثله.

ص: ٣٠٧

فأَمَّا قوله «إنَّه اشفق عليه من أن يناله بعض أهل المدينة بمكروه من حيث كان يغلظ له القول» فليس بشيء يعول عليه لأنه لم يكن في أهل المدينة إلَّا من كان راضيا بقوله عاتبا بمثل عتبه إلَّا أنهم كانوا بين مجاهر بما في نفسه و مخف ما عنده و ما في أهل المدينة إلَّا من رثى مما حدث على أبي ذر و استفظعه و من رجع إلى كتب السير عرف ما ذكرناه.

فأما قوله «إن عمر أخرج من المدينة نصر بن حجاج» فيما بعد ما بين الأمرين و ما كنا نظن أن أحدا يسوَّى بين أبي ذر و هو وجه الصحابه و عينهم و من أجمع المسلمون على توقيره و تعظيمه و أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله مدحه من صدق اللهجه بما لم يمدح به أحدا و بين نصر بن الحجاج الحدث الذي كان خاف عمر من افتتاح النساء به و بشبابه و لا حظ له في فضل و لا دين. على أن عمر قد ذم باخراجه نصر بن الحجاج من غير ذنب كان منه و إذا كان من أخرج نصر بن الحجاج مذموما فكيف بمن أخرج مثل أبي ذر رحمه الله؟ فأَمَّا قوله «إنَّ الله تعالى و الرسول صَلَّى الله عليه و آله ندبا إلى خفض الجناح و لين القول للمؤمن و الكافر» فهو كما قال إلَّا أن هذا أدب كان ينبغي أن يتأدب به عثمان في أبي ذر و لا يقابله بالتكذيب و قد قطع الرسول صَلَّى الله عليه و آله على صدقه و لا- يسمعه مكروه الكلام و هو إنما نصح له و أهدى عليه عيوبه و عاتبه على ما لو نوزع عنه لكان خيرا له في الدنيا و الآخرة و هذه جملة كافيته.

في تاريخ أبي جعفر الطبري: لما حضرت الوفاة أبا ذر في الربذه و ذلك في سنه اثنتين و ثلاثين من الهجره في سنه ثمان في ذى الحجه من اماره عثمان قال لابنته: استشرفي يا بتيه فانظري هل ترين أحدا؟ قالت: لا، قال: فما جاءت ساعتى بعد، ثم أمرها فذبحت شاه ثم طبختها. ثم قال: إذا جاءك الذين يدفنونى فقولى لهم: إن ابا ذر يقسم عليكم ان لا تركبوا حتَّى تأكلوا فلما نصجت قدرها قال لها: انظري هل ترين أحدا؟ قالت: نعم، هؤلاء ركب مقبلون. قال: استقبلي بى الكعبه، ففعلت و قال: بسم الله و بالله و على مله رسول الله صَلَّى الله عليه و آله ثم خرجت ابنته فتلقتهم و قالت رحمكم الله

اشهدوا أبا ذر. قالوا: و أين هو؟ فأشارت لهم إليه و قد مات فادفنوه قالوا: نعم و نعمه عين لقد أكرمنا الله بذلك و إذا ركب من أهل الكوفة فيهم ابن مسعود فمالوا إليه و ابن مسعود يبكي و يقول: صدق رسول الله صلى الله عليه و آله يموت وحده و يبعث وحده فغسلوه و كفنوه و صلّوا عليه و دفنوه فلما أرادوا يرتحلوا قالت لهم: إنّ أبا ذر يقرأ عليكم السّلام و أقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا ففعلوا.

و فيه فى روايه اخرى باسناده عن الحلحال بن ذرى قال: خرجنا مع ابن مسعود سنه ٣١ - و نحن أربعة عشر راكبا حتّى أتينا على الرّبذه فإذا امرأه قد تلقتنا فقالت: اشهدوا أبا ذر و ما شعرنا بأمره و لا بلغنا فقال و أين أبو ذر؟ فأشارت إلى خباء فمال ابن مسعود إليه و هو يبكي فغسلناه و كفناه و إذا خبأوه خباء منضوح بمسك فقلنا للمرأة ما هذا؟ فقالت كانت مسكه فلما حضر قال: إنّ الميت يحضره شهود يجدون الريح و لا يأكلون فدوفى تلك المسكه بماء ثم رشى بها الخباء فاقريهم ريحها و اطبخى هذا اللحم فانه سيشهدنى قوم صالحون يلون دفنى فاقريهم فلما دفنّا دعّتنا إلى الطعام فأكلنا. و الأحاديث فى فضائل أبى ذر و اسلامه و ترجمته و مقامه فى الرّبذه و موته و صلاه عبد الله بن مسعود عليه و من كان معه فى موته كثيره لا نطول بذكرها.

«الكلام فى اجتماع الناس و تذاكرهم أعمال عثمان»

قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه: ذكر محمّد بن عمر أنّ عبد الله بن جعفر حدثه عن امّ بكر بنت المسور بن مخرمه عن أبيها قال: قدمت إبل من إبل الصدقه على عثمان فوهبها لبعض بنى الحكم فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأرسل إلى المسور ابن مخرمه و إلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذاها فقسمها عبد الرحمن فى الناس و عثمان فى الدار.

قال: قال محمّد بن عمرو حدثنى محمّد بن صالح عن عبيد الله بن رافع بن نقاحه عن عثمان بن الشريد قال: مرّ عثمان على جبله بن عمرو الساعدى و هو بفناء داره و معه جامعه فقال: يا نعثل و الله لأقتلنك و لأحملنك على قلوص جرباء و لا أخرجنك

إلى حره النار، ثم جاءه مره اخرى و عثمان على المنبر فأنزله عنه.

قال: كان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق السييء جبله بن عمرو الساعدي مرّ به عثمان و هو جالس في ندى قومه و في يد جبله بن عمرو جامعه فلما مرّ عثمان سلّم فردّ القوم فقال جبله: لم تردّون على رجل فعل كذا و كذا؟ ثمّ أقبل على عثمان فقال: و الله لأطرحنّ هذه الجامعه في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه. قال عثمان: أيّ بطانه؟ فو الله إنني لأتخير الناس. فقال: مروان تخيرته، و معاويه تخيرته، و عبد الله بن عامر بن كريز تخيرته، و عبد الله بن سعد تخيرته، منهم من نزل القرآن بدمه و أباح رسول الله صلّى الله عليه و آله دمه. قال: فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه.

قال: و خطب في بعض أيامه فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إنك قد ركبت نهاير و ركبناها معك فتب نتب - إلى أن قال: ثم لما كان بعد ذلك خطب عثمان الناس فقام إليه جهجاه الغفاري فصاح يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جئنا بها عليها عباءه و جامعه قم يا نعثل فانزل عن هذا المنبر فلندرعك العباءه و لنطرحك في الجامعه و لنحملك على الشارف ثمّ نظر حرك في جبل الدخان، فقال عثمان: قبحك الله و قبح ما جئت به، قال: و لم يكن ذلك إلا عن ملا من الناس و قام إلى عثمان خيرته و شيعته من بنى اميه فحملوه و أدخلوه الدار.

قال: بعد ما غزا المسلمون غزوه الصواري و نصرهم الله على الأعداء فقتلوا منهم مقتله عظيما و هزم القوم جعل محمّد بن أبي حذيفه يقول: أما و الله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقّا، فقليل له: و أيّ جهاد؟ فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا و كذا و فعل كذا و كذا حتّى أفسد الناس فقدموا بلدهم و قد أفسدهم و أظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به.

قال: بإسناده عن الزهري قال: خرج محمّد بن أبي حذيفه و محمّد بن أبي بكر عام خرج عبد الله بن سعد بن أبي سرح - يعنى عام ٣١ خرج عبد الله بن سعد بأمر عثمان لغزوه الرّوم التي يقال لها غزوه الصواري - فأظهر اعيب عثمان و ما غير و ما خالف به أبا بكر و عمر و أنّ دم عثمان حلال و يقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان

ص: ٣١٠

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أباح دمه و نزل القرآن بكفره و أخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قوما و أدخلهم - يعنى حكم بن العاص و ابنه مروان الطريدين و غيرهما - و نزع أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و استعمل سعيد بن العاص و عبد الله بن عامر فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال:

لا تركبا معنا فركبا فى مركب ما فيه أحد من المسلمين - إلى أن قال: و عابا عثمان أشد العيب.

و روى بإسناده عن عبد الرحمن بن يسار أنه قال: لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينه من أصحاب النبى صَلَّى الله عليه وآله إلى من بالافاق منهم و كانوا قد تفرقوا فى الثغور: إنكم انما خرجتم أن تجاهدوا فى سبيل الله عزّ و جلّ تطلبون دين محمّد صَلَّى الله عليه وآله فإنّ دين محمّد قد أفسد من خلفكم و ترك فهلّموا فأقيموا دين محمّد صَلَّى الله عليه وآله فأقبلوا من كلّ افق حتى قتلوه.

«نصح أمير المؤمنين على (عليه السلام) عثمان»

قال: و أما الواقدي فإنه زعم أن عبد الله بن محمّد حدّثه عن أبيه قال: لما كانت سنه - ٣٤ - كتب أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بعضهم إلى بعض أن اقدموا فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد و كثر الناس على عثمان و نالوا منه أقبح ما نيل من أحد و أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يرون و يسمعون ليس فيهم أحد ينهى و لا يذّب إلا نفير زيد بن ثابت و أبو أسيد الساعدي و كعب بن مالك و حسان بن ثابت فاجتمع الناس و كلّموا على بن أبى طالب عليه السّلام فدخل على عثمان فقال: الناس ورائي و قد كلّموني فيك و الله ما أدري ما أقول لك و ما أعرف شيئا تجهله و لا أدلك على أمر لا تعرفه إنك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه و لا خلونا بشيء فنبلغك و ما خصصنا بأمر دونك و قد رأيت و سمعت و صحبت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و نلت صهره و ما ابن أبى قحافه بأولى بعمل الحق منك و لا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك، و أنّك أقرب إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله رحما و لقد نلت من صهر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ما لم ينالا و لا سبقاك إلى شيء فالله الله فى نفسك فإنك و الله ما تبصر من عمى و لا تعلم من جهل و إنّ الطريق لواضح بين

و إن أعلام الدّين لقائمه تعلم يا عثمان أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى و هدى فأقام سنّه معلومه و أمات بدعه متروكه فو الله إن كلا ليّين و ان السنن لقائمه لها اعلام و أنّ البدع لقائمه لها اعلام و أنّ شرّ الناس عند الله إما جائر ضلّ و ضلّ به فأما سنّه معلومه و احيا بدعه متروكه و إنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر و ليس معه نصير و لا- عاذر فيلقى فى جهنّم فيدور فى جهنّم كما تدور الرّحى ثمّ يرتطم فى غمره جهنّم و إنّى احذّرك الله و احذّرك سطواته و نعماته فان عذابه شديد اليم و احذّرك ان تكون إمام هذه الأُمّة المقتول فأنّه يقال: يقتل فى هذه الأُمّة إمام فيفتح عليها القتل و القتال إلى يوم القيامة و تلبس امورها عليها و يتركها شيعا فلا يبصرون الحقّ لعلو الباطل يمجون فيها موجا و يمجون فيها مرجا.

فقال عثمان: قد و الله علمت ليقولن الذى قلت اما و الله لو كنت مكانى ما عنفتك و لا اسلمتك و لا عبت عليك و لا جئت منكرا أن وصلت رحما و سدّدت خلّه و آويت ضائعا و وليت شبيها بمن كان عمر يولى، انشدك الله يا على هل تعلم أنّ المغيره بن شعبه ليس هناك؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنّ عمر و لاّه؟ قال: نعم، قال: فلم تلومونى ان وليت ابن عامر فى رحمه و قرابته؟ قال علىّ عليه السّلام: سأخبرك أنّ عمر بن الخطّاب كان كل من ولى فانما يظأ على صماخه إن بلغه عنه حرف جلبه ثمّ بلغ به أقصى الغايه و أنت لا تفعل ضعفت و رفقت على أقربائك.

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضا، فقال علىّ عليه السّلام: لعمرى إن رحمهم منى لقريبه و لكنّ الفضل فى غيرهم.

قال عثمان: هل تعلم أنّ عمر ولى معاويه خلافته كلّها فقد وليته؟.

فقال علىّ عليه السّلام: انشدك الله هل تعلم أنّ معاويه كان أخوف من عمر من يرفا غلام عمر منه؟ قال: نعم، قال علىّ عليه السّلام: فإن معاويه يقتطع الأمور دونك و أنت تعلمها فيقول الناس هذا أمر عثمان فيبلغك و لا تغير على معاويه. ثمّ خرج علىّ عليه السّلام

ص: ٣١٢

و خرج عثمان على اثره فجلس على المنبر فاستمال قلوب الناس إليه بما قال و اعتذر من أفعاله و اشتكى من الناس بما قالوا في مطاعنه و قوادحه فلما انتهى من كلامه قام مروان بن الحكم فقال مخاطبا للناس: إن شئتم حكمنا و الله بيننا و بينكم السيف نحن و الله و أنتم كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم معارسكم تبنون في دمن الثرى

فقال عثمان: اسكت لاسكت دعنى و أصحابى ما منطقك في هذا ألم أتقدم إليك ألا تنطق؟! فسكت مروان و نزل عثمان.

أقول: أتى بما رواه الطبرى من نصيح أمير المؤمنين على عليه السلام عثمان الشيخ الأجل المفيد قدس سره في كتاب الجمل أيضا - ص ٨٤ طبع النجف - و كذا نقله الشريف الرضى رضوان الله عليه في النهج و هو الكلام - ١٦٣ - من المختار من باب الخطب معنونا بقول الرضى: و من كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس عليه و شكوه مما نقموه على عثمان و سأله مخاطبته عنهم و استعتابه لهم فدخل عليه السلام عليه فقال:

إن الناس ورائى و قد استسفرونى بينك و بينهم و و الله ما ادرى ما اقول لك - إلخ و بين النسخ الثلاث اختلاف يسير.

و روى الطبرى بإسناده عن عبد الله بن زيد العنبرى أنه قال: اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان و ما صنع فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلا يكلمه و يخبره بأحداثه فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمى فأتاه فدخل عليه فقال له: إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا فى أعمالك فوجدوك قد ركبتم امورا عظاما فاتق الله عزّ و جلّ و تب إليه و انزع عنها.

قال له عثمان: انظر إلى هذا فإن الناس يزعمون أنه قارئ ثم هو يجيء فيكلمنى فى المحقرات فو الله ما يدرى أين الله.

قال عامر: إنا لا ندرى أين الله، قال: نعم و الله ما تدرى أين الله، قال عامر:

بلى و الله إنى لأدرى أنّ الله بالمرصاد لك.

فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان و إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح و إلى سعيد بن العاص و إلى عمرو بن العاص بن وائل السهمي و إلى عبد الله بن عامر فجمعهم ليشاورهم في أمره و ما طلب إليه و ما بلغه عنهم فلما اجتمعوا عنده قال لهم:

إن لكل امرئ وزراء و نصحاء و إنكم وزرائي و نصحائي و أهل ثقتي و قد صنع الناس ما قد رأيتم و طلبوا إليّ أن أعزل عمالي و أن أرجع عن جميع ما يكرهون إليّ ما يحبّون فاجتهدوا رأيكم و أشيروا عليّ.

فقال له عبد الله بن عامر: رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك و أن تجبرهم في المغازي حتّى يذلوا لك فلا يكون همه أحدهم إلّا نفسه و ما هو فيه من دبره دابته و قمل فروه.

ثمّ أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد رأينا فاحسم عنك الداء و اقطع عنك الذي تخاف و اعمل برأيي تصب، قال:

و ما هو؟ قال: إن لكل قوم قاده متى تهلك يفرقوا و لا يجتمع لهم أمر، فقال عثمان: إن هذا الرأي لو لا ما فيه.

ثمّ أقبل على معاوية فقال: ما رأيك؟ قال: أرى لك يا أمير المؤمنين أن ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم و أنا ضامن لك قبلي.

ثمّ أقبل على عبد الله بن سعد فقال: ما رأيك؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين أن الناس أهل طمع فاعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.

ثمّ أقبل على عمرو بن العاص، فقال له: ما رأيك؟ قال: أرى أنك قد ركب الناس بما يكرهون فاعترم أن تعتدل فإن أبيت فاعترم أن تعتزل فإن أبيت فاعترم عزا و امض قدما.

فقال عثمان: ما لك قمل فروك أ هذا الجدد منك فاسكت عنه دهرا حتّى إذا تفرّق القوم قال عمرو: لا والله يا أمير المؤمنين لأنّ أعزّ عليّ من ذلك و لكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي فأقود إليك خيرا أو أدفع عنك شرا. فردّ عثمان عماله على أعمالهم و أمرهم

بالتضييق على من قبلهم و أمرهم بتجمير الناس فى البعوث و عزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه و يحتاجوا إليه. و رد سعيد بن العاص أميرا على الكوفة فخرج أهل الكوفة عليه بالسلاح فتلقوه فردّوه و قالوا: لا و الله لا يلى علينا حكما ما حملنا سيوفنا.

قال المسعودى و الواقدى و الطبرى و غيرهما من أصحاب السير: لما كان سنه خمس ثلاثين سار مالك بن الحرث النخعى من الكوفة فى مائتى رجل و حكيم بن جبله العبدى فى مائه رجل من أهل البصره، و من أهل مصر ستمائه رجل على أربعه ألويه لها رءوس أربعه مع كلّ رجل منهم لواء و فيهم محمّد بن أبى بكر و كان جماع أمرهم جميعا إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى و كان من أصحاب النّبىّ صلّى الله عليه و آله و إلى عبد الرّحمان ابن عديس التجيبى فكان فيما كتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتّى يغيروا ما بأنفسهم فالله الله ثمّ الله الله فإنّك على دنيا فاستتم إليها معها آخره و لا تنس نصيبك من الآخره فلا تسوغ لك الدّنيا و اعلم أنا و الله لله نغضب و فى الله نرضى و أنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتّى تاتينا منك توبه مصرحه او ضلاله مجلحه مبلجه فهذه مقالتنا لك و قضيتنا إليك و الله عذيرنا منك و السلام.

و كتب أهل المدينه إلى عثمان يدعونه إلى التوبه و يحتجون و يقسمون له بالله لا يمسون عنه أبدا حتّى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله.

فلما خاف القتل شاور نصحائه و أهل بيته فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى على بن أبى طالب عليه السلام فيطلب إليه أن يردهم عنه و يعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتّى يأتيه أمداد.

فقال عثمان: إن القوم لن يقبلوا التعليل و هى محملى عهدا و قد كان منى فى قدمتهم الأولى ما كان فمتى أعطهم ذلك يسألونى الوفاء به.

فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين مقاربتهم حتّى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب فأعطهم ما سألوك و طاولهم ما طاولوك فإنما هم بغوا عليك فلا عهد لهم.

ص: ٣١٥

فأرسل إلى عليّ عليه السّلام فدعاه فلمّا جاءه قال: يا أبا حسن إنّه قد كان من النّاس ما قد رأيت و كان منّي ما قد علمت و لست آمنهم على قتلى فاردهم عنّي فإنّ لهم الله عزّ و جلّ أن أعتبهم من كلّ ما يكرهون و أن أعطيهم الحقّ من نفسى و من غيرى و إن كان فى ذلك سفك دمى.

فقال له عليّ عليه السّلام: النّاس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك و إنّى لأرى قوما لا يرضون إلّا بالرضى و قد كنت أعطيهم فى قدمتهم الأولى عهدا من الله لترجعن عن جميع ما نقموا فرددتهم عنك ثم لم تف لهم بشىء من ذلك فلا تغرنى هذه المره من شىء فإنى معطيهم عليك الحقّ.

قال: نعم، فاعطهم فو الله لأفئنّ لهم. فخرج عليّ عليه السّلام إلى النّاس فقال:

أيّها النّاس إنكم إنمّا طلبتم الحقّ فقد أعطيتموه إن عثمان قد زعم أنّه منصفكم من نفسه و من غيره و راجع عن جميع ما تكرهون فاقبلوا منه و وكدوا عليه.

قال النّاس: قد قبلنا فاستوثق منه لنا فانا و الله ما نرضى بقول دون فعل. فقال لهم عليّ عليه السّلام: ذلك لكم. ثم دخل عليه فأخبره الخبر فقال عثمان: اضرب بينى و بينهم أجلا يكون لى فيه مهله فإنى لا أقدر على ردّ ما كرهوا فى يوم واحد.

قال له عليّ عليه السّلام: ما حضر بالمدينه فلا أجل فيه و ما غاب فأجله وصول أمرك.

قال: نعم، و لكن أجلى فيما بالمدينه ثلاثه أيام. قال عليّ عليه السّلام: نعم، فخرج إلى النّاس فأخبرهم بذلك و كتب بينهم و بين عثمان كتابا أجله فيه ثلاثا على أن يرّد كلّ مظلّمه و يعزل كلّ عامل كرهوه. ثم أخذ عليه فى الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد و ميثاق و أشهد عليه ناسا من وجوه المهاجرين و الأنصار.

فكفّ المسلمون عنه و رجعوا إلى أن يفى لهم بما أعطاهم من نفسه.

فجعل عثمان يتأهب للقتال و يستعد بالسلاح و قد كان اتخذ جندا عظيما من رقيق الحمس فمضت الأيام الثلاثه و هو على حاله و لم يغير شيئا مما كرهوه و لم يعزل عاملا.

«كتابا لابن أبي سرح في قتله»

فلما أن أهل مصر جاءوا و شكوا ابن أبي سرح عاملهم فنزلوا المسجد و شكوا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله في مواقيت الصلاه ما صنع بهم ابن أبي سرح فقام طلحه فتكلم بكلام شديد و أرسلت عائشه إلى عثمان فقالت له: قد تقدم إليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سألوكم عزل هذا الرجل و كذا دخل عليه علي عليه السلام فقال له:

إنما يسألونك رجلا مكان رجل و قد ادعوا قبله دما فاعزله عنه و اقض بينهم فإن وجب لهم عليه حق فأنصفهم منه.

فقال: اختاروا رجلا اوليه عليهم. فقالوا: استعمل محمد بن أبي بكر فكتب عثمان عهده و ولّاه و خرج معه عدد من المهاجرين و الأنصار ينظرون فيما بين ابن أبي سرح و أهل مصر.

فخرج محمّد و من معه حتّى إذا كانوا على مسيره ثلاث ليال من المدينه فى الموضع المعروف بخمس إذا هم بسلام أسود على بعير يخطب البعير كأنه طالب أو هارب يتعرّض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم و يسيئهم و هو مقبل من المدينه، فتأملوه فإذا هو ورش غلام عثمان على جمل عثمان فقال له أصحاب محمّد بن أبي بكر: ما قصتك و ما شأنك إن لك لأمرًا؟ فقال: أنا غلام أمير المؤمنين وجهنى إلى عامل مصر. فقال له رجل: هذا عامل مصر معنا، قال: ليس هذا اريد. فاخبر محمّد بأمره فبعث فى طلبه رجلا فجاء به إليه فقال له: غلام من أنت؟ فأقبل مره يقول: أنا غلام مروان، و مره يقول: أنا غلام عثمان حتّى عرفه رجل أنّه لعثمان فقال له محمّد: إلى من أرسلك؟ قال: إلى عامل مصر، قال: بماذا؟ قال: برساله. قال: أ ما معك كتاب؟ قال: لا، ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا و كانت معه إداوه قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا إداوته فإذا فيه كتاب من عثمان إلى عبد الله بن ابى سرح عامل مصر.

فجمع محمّد من كان معه من المهاجرين والأنصار ثم فكّ الكتاب بمحضر منهم فقرأه فإذا فيه: إذا أتاكَ محمد بن أبي بكر و فلان و فلان أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و أبطل كتابهم و قرّ على عملك حتّى يأتيك رأيي.

فلما رأوا الكتاب فزعوا منه و رجعوا إلى المدينة و ختم محمّد الكتاب بخواتم نفر الذين كانوا معه و دفعه إلى رجل منهم ثمّ قدموا المدينة فجمعوا عليّ عليه السّلام و طلحه و الزبير و سعدا و من كان من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله ثمّ فكوا الكتاب بمحضر منهم و أخبرهم بقصه الغلام و أقرأهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان، و قام أصحاب النّبىّ صلّى الله عليه و آله فلحقوا بمنزلهم و حصر الناس عثمان و أحاطوا به و منعوه الماء و الخروج و من كان معه و اجلب عليه محمد بن أبي بكر.

و فى تاريخ أبى جعفر الطبرى: لما قدموا المدينة أتوا عليّ عليه السّلام فقالوا: ألم تر إلى عدوّ الله عثمان إنه كتب فينا بكذا و كذا و إن الله قد أحلّ دمه قم معنا إليه قال: و الله لا أقوم معكم إلى أن قالوا: فلم كتبت إلينا؟ فقال: و الله ما كتبت إليكم كتابا قطّ فنظر بعضهم إلى بعض ثمّ قال بعضهم لبعض: أ لهذا تقاتلون أو لهذا تغضبون؟ فانطلق عليّ عليه السّلام فخرج من المدينة إلى قريه ثمّ إنهم انطلقوا حتّى دخلوا على عثمان فقالوا: كتبت فينا بكذا و كذا.

فقال عثمان: إنما هما اثنتان أن تقيموا على رجلين من المسلمين أو يمينى بالله الذى لا- إله إلا هو ما كتبت و لا أمللت و لا علمت و قد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرّجل و قد ينقش الخاتم على الخاتم. فقالوا: فقد و الله أحلّ الله دمك و نقضت العهد و الميثاق فحاصروه.

و فيه أيضا لما قدموا المدينة أرسلوا إلى عثمان أ لم نفارقك على أنك زعمت أنك تائب من أحداثك و راجع عما كرهنا منك و أعطيتنا على ذلك عهد الله و ميثاقه؟ قال: بلى أنا على ذلك. قالوا: فما هذا الكتاب الذى وجدنا مع رسولك و كتبت به إلى عاملك؟ قال: ما فعلت و لا لى علم بما تقولون. قالوا: يريدك على جملك و كتاب كاتبك عليه خاتمك قال: أمّا الجمل فمسروق، و قد يشبه الخط الخط، و أما

الخاتم فانتقش عليه. قالوا: فإننا لا نعجل عليك و إن كنا قد اتهمناك أعزل عَنَّا عمالك الفساق و استعمل علينا من لا يَتَّهَم على دماننا و أموالنا و اردد علينا مظالمنا قال عثمان: ما أرانى إذا فى شىء إن كنت أستعمل من هو يَتَّهَم و أعزل من كرهتم الأمر إذا أمركم. قالوا: و الله لتفعلنَّ أو لتعزلنَّ أو لتقتلنَّ فانظر لنفسك أودع، فأبى عثمان عليهم و قال: لم أكن لأخلع سربالا سر بلنيه الله فحصره أربعين.

«حصار أهل مصر و الكوفة و غيرهم عثمان»

و فى الإمامه و السياسه للدينورى: ذكروا أن أهل مصر أقبلوا إلى عليّ عليه السّلام فقالوا: أ لم تر عدوّ الله ما ذا كتب فينا؟ قم معنا إليه فقد أحلّ الله دمه، فقال عليّ عليه السّلام لا- و الله لا- أقوم معكم قالوا: فلم كتبت إلينا؟ قال عليّ عليه السّلام: لا و الله ما كتبت إليكم كتابا قطّ فنظر بعضهم إلى بعض. ثمّ أقبل الأشتر النخعي من الكوفة فى ألف رجل و أقبل ابن أبى حذيفه من مصر فى أربعمائه رجل فأقام أهل الكوفة و أهل مصر بباب عثمان ليلا و نهارا و طلحه يحرض الفريقين جميعا على عثمان ثمّ إنّ طلحه قال لهم: إن عثمان لا يبالى ما حصرتموه و هو يدخل إليه الطعام و الشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه.

و فى تاريخ الطبرى: لما انكر عثمان أن يكون كتب الكتاب و قال هذا مفتعل قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك، قال: اجل و لكنه كتبه بغير امرى، قالوا: فإنّ الرسول الذى وجدنا معه الكتاب غلامك. قال: اجل و لكنه خرج بغير إذننى، قالوا فالجمل جملك. قال: اجل و لكنّه اخذ بغير علمى، قالوا: ما انت إلا صادق او كاذب فان كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما امرت به من سفك دماننا بغير حقها و إن كنت صادقا فقد استحققت ان تخلع لضعفك و غفلتك و خبث بطانتك لأنه لا ينبغى لنا ان نترك على رقابنا من يقطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه و غفلته.

و قالوا له: إنك ضربت رجالا من اصحاب النّبى صّلّى الله عليه و آله و غيرهم حين يعظونك و يأمرونك بمراجعه الحقّ عند من يستنكرون من اعمالك فأقد من نفسك من

ضربته و انت له ظالم.

فقال: الإمام يخطيء و يصيب فلا اريد من نفسى لأنى لو أقدت كل من أصبته بخطاء أتى على نفسى.

قالوا: إنك قد أحدثت أحداثا عظاما فاستحققت بها الخلع فاذا كلمت فيها اعطيت التوبه ثم عدت إليها و إلى مثلها ثم قدمنا عليك فاعطينا التوبه و الرجوع إلى الحق و لا منافيك محمد بن مسلمه و ضمن لنا ما حدث من أمر فأخفرتة فتبرأ منك و قال: لا أدخل فى أمره فرجعنا أول مره لنقطع حجتك و نبلغ أقصى الأعذار إليك نستظهر بالله عز و جلّ عليك فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل و القطع و الصلب و زعمت أنه كتب بغير علمك و هو مع غلامك و على جملك و بخط كاتبك و عليه خاتمك فقد وقعت عليك بذلك التهمه القبيحه مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور فى الحكم و الأثره فى القسم و العقوبه للأمر بالتبسط من الناس و الإظهار للتوبه ثم الرجوع إلى الخطيئه و لقد رجعنا عنك و ما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك و نستبدل بك من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله من لم يحدث مثل ما جربنا منك و لم يقع عليه من التهمه ما وقع عليك فاردد خلافتنا و اعتزل امرنا فان ذلك أسلم لنا منك و أسلم لك منا.

فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون؟ قالوا: نعم. قال: أما بعد فأنكم لم تعدلوا فى المنطق و لم تنصفوا فى القضاء أما قولكم تخلع نفسك فلا أنزع قميصا قمصنيه الله و لكنى أتوب و أنزع و لا أعود لشيء عابه المسلمون فإننى و الله الفقير إلى الله الخائف منه.

قالوا: إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه و لم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك و أن ننصرف عنك، و لكنه قد كان منك من الاحداث قبل هذا ما قد علمت و لقد انصرفنا عنك فى المره الأولى و ما نخشى أن تكتب فينا و لا من اعتلت به بما وجدنا فى كتابك مع غلامك و كيف نقبل توبتك و قد بلونا منك أن لا تعطى

ص: ٣٢٠

من نفسك التوبه من ذنب إلا- عدت عليه فلسنا منصرفين حتى ن عزلك و نستبدل بك فإن حال من معك من قومك و ذوى رحمك و أهل الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم حتى نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحنا بالله. إلى أن قال: ثم انصرفوا عن عثمان و آذنوه بالحرب، و ارسل عثمان إلى محمد بن مسلمة فكلّمه أن يردهم فقال: و الله لا أكذب الله في سنه مرتين.

قال الطبرى: إنّ عليا جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له: تكلم كلاما يسمعه الناس منك و يشهدون عليه و يشهد الله على ما فى قلبك من النزوع و الإنابه فان البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من الكوفه فتقول يا على اركب إليهم و لا أقدر أن أركب إليهم و لا أسمع عذرا و يقدم ركب آخرون من البصره فتقول يا على اركب إليهم فان لم أفعل رأيتنى قد قطعت رحمك و استحققت «استخففت ظ» بحقك.

فخرج عثمان فخطب الخطبه التى نزع فيها و أعطى الناس من نفسه التوبه فقام فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فو الله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله و ما جئت شيئا إلا و أنا أعرفه و لكنى منتنى نفسى و كذبتنى و ضلّ عن رشدى و لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: من زل فليتب و من أخطأ فليتب و لا- يتمادى فى الهلكه إن من تمادى فى الجور كان أبعد من الطريق فأنأ أول من اتعظ أستغفر الله مما فعلت و أتوب إليه فمثلى نزع و تاب فاذا نزلت فليأتنى اشرافكم فليرونى رأيهم فو الله لئن ردّنى الحق عبدا لأستنّ بسنه العبد و لأذلّن ذل العبد و لأكوننّ كالمرفوق إن ملك صبر و إن عتق شكر و ما عن الله مذهب إلا إليه فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنو إلى أبت يمينى لتتابعنى شمالى.

فلما نزل عثمان وجد فى منزله مروان و سعيدا و نفرا من بنى أمّيه و لم يكونوا شهدوا الخطبه فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أصمت؟ فقالت نائلة ابنه الفرافصه امرأه عثمان الكلبيّه: لا بل اصمت فانهم و الله قاتلوه و مؤتموه إنّه قد قال مقاله لا ينبغى له أن ينزع عنها، فأقبل عليها مروان فقال: ما أنت و ذاك

فو الله لقد مات أبوك و ما يحسن يتوصّأ، فقالت له: مهلا يا مروان عن ذكر الالباء تخبر عن أبي و هو غائب تكذب عليه و إن أباك لا- يستطيع أن يدفع عنه أما و الله لو لا أنه عمّه و أنه يناله غمّه أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه، فأعرض عنها مروان ثم قال: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أصمت؟ قال: بل تكلّم.

فقال مروان: بأبي أنت و أمي و الله لوددت أن مقاتلك هذه كانت و أنت ممتنع منيع فكنت أول من رضى بها و أعان عليها و لكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطّيبين و خلف السبيل الزبي و حين أعطى الخطه الذليله الذليل و الله لإقامه على خطيئه تستغفر الله منها أجمل من توبه تخوف عليها و إنك إن شئت تقربت بالتوبه و لم تقرب بالخطيئه و قد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس.

فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلّمهم فأنى استحيى ان اكلّمهم.

فخرج مروان إلى الباب و الناس يركب بعضهم بعضا فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم؟ كأنكم قد جئتم لنهب شاهت الوجوه كلّ إنسان آخذ بأذن صاحبه الا من اريد جئتم ترويدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا؟ اخرجوا عنا اما و الله لئن رمتونا ليمرن عليكم منا امر لا يسركم و لا تحمدوا غبّ رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فانا و الله ما نحن مغلوبين على ما فى ايدينا.

فرجع الناس و خرج بعضهم حتّى اتى عليّا عليه السّلام فاخبره الخبر فجاء عليّ عليه السّلام مغضبا حتّى دخل على عثمان فقال: اما رضيت من مروان و لا- رضى منك إلا- بتحرفك عن دينك و عن عقلك مثل جمل الظعينه يقاد حيث يسار به و الله ما مروان بذى رأى فى دينه و لا- نفسه و ايم الله إننى لأراه سيوردك ثم لا- يصدرك و ما انا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك اذهلت شرفك و غلبت على امرك.

فلما خرج عليّ عليه السّلام دخلت عليه نائله ابنه الفرافصه امرأته فقالت: قد سمعت قول عليّ لك و إنه ليس يعاودك و قد اطعت مروان يقودك حيث شاء.

قال عثمان: فما اصنع؟ قالت: تتقى الله وحده لا شريك له و تتبع سنه صاحبيك من قبلك فانك متى اطعت مروان قتلك و مروان ليس له عند الناس قدر

ص: ٣٢٢

و لا هييه و لا محبه و إنما تركك الناس لمكان مروان فأرسل إلى عليّ عليه السّلام فاستصلحه فإنّ له قرابه منك و هو لا يعصى، فأرسل عثمان إلى عليّ عليه السّلام فأبى أن يأتيه و قال:

قد أعلمته له أنى لست بعائد. فبلغ مروان مقاله نائله فيه فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه فقال: أتكلم أو أسكت؟ فقال: تكلم، فقال: إن بنت الفرافصة، فقال عثمان:

لا تذكرها بحرف فاسوى لك وجهك فهي و الله أنصح لى منك فكفّ مروان.

فلما رأى عثمان ما قد نزل به و ما قد انبعث عليه من الناس كتب إلى معاوية ابن أبى سفيان و هو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فإن أهل المدينه قد كفروا و أخلفوا الطاعه و نكثوا البيعه فابعث إلى من قبلك من مقاتله أهل الشام على كلّ صعب و ذلول، ثمّ كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز و إلى أهل الشام: إن كان عندكم غياث فالعجل العجل فإنّ القوم معاجليّ.

«مخاطبه عثمان من أعلى القصر طلحه»

فى الامامه و السياسه: إنّ عثمان لما منع الماء صعد على القصر و استوى فى أعلاه ثمّ نادى أين طلحه؟ فأتاه فقال: يا طلحه أما تعلم أن بئر رومه كانت لفلاّن اليهودى لا- يسقى أحدا من الناس منها قطره إلّا بثمن فاشتريتها بأربعين ألفا فجعلت رشائى فيها كرشاء رجل من المسلمين، لم أستاثر عليهم؟ قال: نعم، قال: فهل تعلم أنّ أحدا يمنع أن يشرب منها اليوم غيرى؟ لم ذلك؟.

قال: لأنك بدّلت و غيّرت.

قال: فهل تعلم: أنّ رسول الله قال: من اشترى هذا البيت و زاده فى المسجد فله به الجنّة، فاشتريته بعشرين ألفا و أدخلته فى المسجد. قال طلحه: نعم. قال:

فهل تعلم اليوم أحدا يمنع فيه من الصّلاه غيرى؟ قال: لا. قال: لم؟ قال: لأنك غيّرت و بدّلت.

«كلام عثمان فى طلحه»

روى الطبرى - ص ٤١١ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ - باسناده عن عبد الله بن عباس

ص: ٣٢٣

ابن ربيعة قال: دخلت على عثمان فتحدثت عنده ساعه، فقال: يا ابن عباس تعال فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على باب عثمان فسمعنا كلاما منهم من يقول: ما تنتظرون به، و منهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع فيينا أنا و هو واقفان إذ مر طلحه بن عبيد الله فوقف فقال أين ابن عديس؟ فقيل: ها هو ذا. فجاءه ابن عديس فناجاه بشيء ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحدا يدخل على هذا الرجل و لا يخرج من عنده، قال: فقال لى عثمان: هذا ما أمر به طلحه بن عبيد الله، ثم قال عثمان: اللهم اكفنى طلحه بن عبيد الله فإنه حمل على هؤلاء و ألّهم و الله إنى لأرجو أن يكون منها صفر أو أن يسفك دمه إنه انتهك منى ما لا يحلّ له.

«انكار طلحه و الزبير على عثمان»

فى الجمل للمفيد: لما أبى عثمان أن يخلع نفسه تولى طلحه و الزبير حصاره و الناس معهما على ذلك فحصروه حصرا شديدا و منعه الماء و أنفذ إلى على عليه السلام يقول: إنّ طلحه و الزبير قد قتلانى من العطش و الموت بالسلاح أحسن، فخرج عليه السلام معتمدا على يد المسود بن مخزومه الزهرى حتى دخل على طلحه بن عبيد الله و هو جالس فى داره يسوى نبلا- و عليه قميص هندى فلما رآه طلحه رحب به و وسع له على الوساده، فقال له على عليه السلام إنّ عثمان قد أرسل إلى أنكم قد هلكتموه عطشا و أن ذلك ليس بالحسن و القتل بالسلاح أحسن و كنت قد آليت على نفسى أن لا أردّ عنه أحدا بعد أهل مصر و أنا احب أن تدخلوا عليه الماء حتى تروا رأيكم فيه، فقال طلحه: لا و الله لا ننعمنه عينا و لا نتركه يأكل و لا يشرب، فقال على عليه السلام: ما كنت أظن أن اكلم أحدا من قريش فيردنى، دع ما كنت فيه يا طلحه، فقال طلحه: ما كنت أنت يا على فى ذلك من شيء فقام على عليه السلام مغضبا و قال:

ستعلم يا ابن الحضرميه أكون فى ذلك من شيء أم لا، ثم انصرف.

قال: و روى أبو حذيفه بن إسحاق بن بشير القرشى أيضا قال: حدثنى يزيد ابن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلي قال: و الله إنى لأنظر إلى طلحه و عثمان

محصور و هو على فرس أدهم و بيده الرمح يجول حول الدار و كأنى انظر إلى بياض ما وراء الدرع.

قال: و روى أبو إسحاق قال: لما اشتدّ الحصار بعثمان عمد بنو أمية على إخراجهم ليلاً إلى مكّة و عرف الناس فجعلوا عليه حرساً و كان على الحرس طلحة ابن عبيد الله و هو أوّل من رمى بسهم في دار عثمان.

قال: قال: و اطلع عثمان و قد اشتدّ به الحصار و ظمأ من العطش فنادى:

أيّها الناس اسقونا شربه من الماء و أطعمونا ممّا رزقكم الله، فناداه الزبير بن العوّام يا نعل لا و الله لا تذوقه.

قال: و روى أبو حذيفة القرشى عن الأعمش عن حبيب بن ثابت عن تغلبه بن يزيد الحمانى قال: أتيت الزبير و هو عند أحجار الزيت فقلت له: يا أبا عبد الله قد حيل بين أهل الدار و بين الماء فنظر نحوهم و قال: «و حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ» (سبأ: ٥٤) فهذه الأحاديث من جملة كثيره في هذا المعنى.

«كان عمرو بن العاص شديد التحريض و التأليب على عثمان»

روى أبو جعفر الطبرى فى التاريخ - ص ٣٩٥ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ - أنّ عمرو بن العاص كان ممّن يحرض على عثمان و يغرى به و لقد خطب عثمان يوماً فى أواخر خلافته فصاح به عمرو بن العاص اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت نهائير و ركبتها معك فتب إلى الله نتب فناداه عثمان و إنك ههنا يا ابن النابغة قملت و الله جبتك منذ تركتك من العمل فنودى من ناحية اخرى تب إلى الله و نودى من اخرى مثل ذلك و أظهر التوبه يكف الناس عنك قال: فرفع عثمان يديه مدا و استقبل القبلة فقال: اللهم انى أول تائب إليك و رجع منزله و خرج عمرو بن العاص حتى نزل منزله بفلسطين فكان يقول: و الله إن كنت لألقى الراعى فاحرّضه عليه. و كذا نقل تأليبه على عثمان على التفصيل و التطويل فى ص ٣٩٢ فراجع.

ص: ٣٢٥

و فى ص ٣٩٢ منه: كان عمرو بن العاص على مصر عاملا لعثمان فعزله عن الخراج و استعمله على الصّلاه و استعمل عبد الله بن سعد على الخراج ثمّ جمعهما لعبد الله بن سعد فلما قدم عمرو بن العاص المدينه جعل يطعن على عثمان فأرسل إليه يوما عثمان خاليا به فقال: يا ابن النابغه ما أسرع ما قمل جربان جبتك إنّما عهدك بالعمل عاما أوّل أتطعن علىّ؟ و تأتيني بوجه و تذهب عنى باخر و الله لو لا أكله ما فعلت ذلك.

فقال عمرو: إنّ كثيرا ممّا يقول الناس و ينقلون إلى ولائهم باطل فاتق الله يا أمير المؤمنين فى رعيتك، فقال عثمان: و الله لقد استعملتك على ظلعك و كثره القاله فيك، فقال عمرو: قد كنت عاملا لعمر بن الخطّاب ففارقنى و هو عنى راض فقال عثمان: و أنا و الله لو أخذتك بما أخذك به عمر لاستصمت و لكنى لنت عليك فاجترأت علىّ أما و الله لأنّنا أعز منك نفرا فى الجاهليه و قبل أن ألى هذا السلطان فقال عمرو: دع عنك هذا فالحمد لله الذى أكرمنا بمحمّد صلى الله عليه و آله و هذاناه به قد رأيت العاص بن وائل و رأيت أباك عفان فو الله للعاص كان أشرف من أبيك، فانكسر عثمان و قال: ما لنا و لذكر الجاهليه، و خرج عمرو و دخل مروان فقال: يا أمير المؤمنين و قد بلغت مبلغا يذكر عمرو بن العاص أباك؟ فقال عثمان: دع هذا عنك من ذكر آباء الرجال ذكروا أباه.

فخرج عمرو من عند عثمان و هو محتقد عليه يأتى عليّا مره فيؤلّبه على عثمان و يأتى الزبير مره فيؤلّبه على عثمان و يأتى طلحه مره فيؤلّبه على عثمان و يعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلمّا كان حصر عثمان الأوّل خرج من المدينه حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع فنزل فى قصر له يقال له العجلان و هو يقول العجب ما يأتينا عن ابن عفان فيينا هو جالس فى قصره ذلك و معه ابنه محمّد و عبد الله و سلامه بن روح الجذامى إذ مرّ بهم راكب فناداه عمرو من أين قدم الرّجل؟ فقال: من المدينه قال: ما فعل الرّجل؟ يعنى عثمان، قال:

تركته محصورا شديد الحصار، قال عمرو: أنا أبو عبد الله قد يضطر العير و المكواه فى النّار فلم يبرح مجلسه ذلك حتّى مرّ به راكب آخر فناداه عمرو ما فعل الرّجل؟

ص: ٣٢٦

يعنى عثمان، قال: قتل، قال: أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحه نكأتها ان كنت لأحرّض عليه حتّى أنى لأحرّض عليه الراعى فى غنمه فى رأس الجبل.

فقال سلامه بن روح: يا معشر قريش إنّه كان بينكم و بين العرب باب وثيق فكسرتموه فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحق من حافره الباطل و أن يكون الناس فى الحق شرعا سواء.

و كانت عند عمرو اخت عثمان لأُمّه ام كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط ففارقها حين عزله.

بيان

جربان: بضم الأولين و تشديد الباء و بكسرهما أيضا: جيب الجبّه و القميص و نحوهما و يقال بالفارسيّه گريبان جامه و يشبه أن يكون معربه. و قوله: قد يضطرب العير و المكواه فى النار، مثل يضرب للرجل يخوف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه و أوّل من قال ذلك عرفطه بن عرفجه الهزائى ذكر تفصيله أبو هلال العسكري فى الباب الحادى و العشرين من جمهره الأمثال و الميدانى فى الباب الحادى و العشرين من مجمع الأمثال فراجع.

«كلامه الآخر المخالف للأول الصريح فى انه كان عبيد الدنيا»

قال المسعودى فى مروج الذهب - ص ٤ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ -: و قد كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه و توليه مصر غيره فنزل الشام فلما اتصل به أمر عثمان و ما كان من بيعه علىّ كتب إلى معاويه يهّزه و يشير عليه بالمطالبة بدم عثمان و كان فيما كتب به إليه: ما كنت صانعا إذا قشرت من كلّ شىء تملكه فاصنع ما أنت صانع، فبعث إليه معاويه فسارّ إليه فقال له معاويه: بايعنى قال: و الله لا اعينك من دينى حتّى أنال من دنياك، قال: سل، قال: مصر طعمه فأجابه إلى ذلك و كتب له به كتابا و قال عمرو بن العاص فى ذلك:

معاوى لا أعطيك دينى و لم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع

ص: ٣٢٧

فان تعطني مصرا فأربح صفقه أخذت بها شيئا يضرّ وينفع

روى الطبرى أيضا (ص ٥٦٠ ج ٣) أنّه لما احيط بعثمان خرج عمرو بن العاص من المدينه متوجها نحو الشام و معه ابنه عبد الله و محمّد - إلى أن قال فى كلام طويل - حتّى قدم على معاويه فوجد أهل الشام يحضّون معاويه على الطلب بدم عثمان فقال عمرو بن العاص: أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفه المظلوم، و معاويه لا- يلتفت إلى قول عمرو فقال ابنا عمرو لعمرو: ألا ترى إلى معاويه لا يلتفت إلى قولك؟ انصرف إلى غيره، فدخل عمرو على معاويه فقال: و الله لعجب لك إنّى أرفد ممّا أرفدك و أنت معرض عنيّ أما و الله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفه إن فى النفس من ذلك ما فيها حيث نقاتل من تعلم سابقته و فضله و قرابته و لكنّا إنّما أردنا هذه الدنيا، فصالحه معاويه و عطف عليه. انتهى.

أقول: لا يخفى على اولى الدرايه و الفطانه أن عمرو بن العاص كان بمعزل عن الحقّ و الصدق و ما كان همّه إلّا الدنيا و التقرب إلى أهلها و أنّه كأضرأ به ممن سمعت أسامى بعضهم لعبوا بالدين و اتخذوا كتاب الله سخرىّ و كانوا أهل الختل و الغدر و قاموا إلى حرب ولىّ الله الأعظم سيّد الموحّدين علىّ أمير المؤمنين بالعداوه الواغره فى صدورهم و الضغائن الكامنه فى قلوبهم حتّبا للدنيا الدنيّه و بغضا لأهل الله و هذا هو عمرو بن العاصى قال مرّه لعثمان: فإنّك قد ركبت نهائير و ركبتها معك و قال تاره لشيعه عثمان: أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفه المظلوم، و اخرى اظهر خبث سريره فقال لمعاويه: نقاتل من تعلم سابقته و فضله و قرابته (يعنى عليا عليه السّلام) و لكنّا إنّما اردنا هذه الدنيا.

«كلام عائشه فى عثمان و انكارها عليه»

فى الإمامه و السياسه و غيره من كتب السير: ان عائشه كانت أوّل من طعن على عثمان و اطمع النّاس فيه و كانت تقول: اقتلوا نعثلا فقد فجر. و تعنى من نعثل عثمان. و قال عبيد بن امّ كلاب مخاطبا إيّاها فى ابيات له:

ص: ٣٢٨

و أنت أمرت بقتل الإمام و قلت لنا إنه قد فجر

و تجهّزت عائشه خارجه إلى الحج هاربه و استتبت أخاها.

في الجمل للمفيد «ره»: و أمّا تأليب عائشه على عثمان فهي أظهر ممّا وردت به الأخبار من تأليب طلحه و الزبير عليه فمن ذلك ما رواه محمّد بن إسحاق صاحب السيره عن مشايخه عن حكيم بن عبد الله قال: دخلت يوما بالمدينه إلى المسجد فاذا كف مرتفعه و صاحب الكف يقول: أيها الناس العهد قريب هذان نعلا رسول الله صلّى الله عليه و آله و قميصه و كأني أرى ذلك القميص يلوح و أن فيكم فرعون هذه الأمه فإذا هي عائشه، و عثمان يقول لها: اسكتي ثم يقول للناس: انها امرأه و عقلها عقل النساء فلا تصغوا إلى قولها.

قال: و روى الحسن بن سعد قال: رفعت عائشه ورقه من المصحف بين عودتين من وراء حجلها و عثمان قائم ثم قالت: يا عثمان أقم ما في هذا الكتاب، فقال:

لنتهين عمّا أنت عليه أو لأدخلن عليك حمر النار، فقالت له عائشه: أما و الله لأن فعلت ذلك بنساء النبي يلعنك الله و رسوله و هذا قميص رسول الله لم يتغير و قد غيرت سنته.

قال: و روى الليث بن أبي سليمان عن ثابت الأنصاري عن ابن أبي عامر مولى الأنصار قال: كنت في المسجد فمرّ عثمان فناداته عائشه يا غدر يا فجر أحقرت أمانتك و ضيعت رعيّتك و لو لا الصلوات الخمس لمشي إليك الرجال حتّى يذبوك ذبح الشاه، فقال عثمان: «ضرب الله مثلاً للذين كفروا امّرات نوح و امّرات لوط كاتتا تحت عيدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً و قيل ادخلا النار مع الداخلين» (التحریم: ١١).

قال: و روى محمّد بن إسحاق المدائني و حذيفه قال: لما عرفت عائشه أنّ الرجل مقتول تجهّزت إلى مكّه جاءها مروان بن الحكم و سعيد بن العاص فقالا لها: إنّنا لنظن أنّ الرجل مقتول و أنت قادره على الدفع عنه و إن تقيمي يدفع الله بك عنه، قالت: ما أنا بقاعده و قد قدمت ركابي و غريت غرائري و أوجبت الحج

ص: ٣٢٩

على نفسى فخرج من عندها مروان يقول زخرف قيس على البلاد حتى إذا اضطربت فسمعت عائشه فقالت: أيها المتمثل هلم قد سمعت ما تقول أترانى فى شكك من صاحبك و الله لوددت أنه فى غراره من غرائرى حتى إذا مررت بالبحر قذفته فيه. فقال مروان: قل و الله تبئيت قل و الله تبئيت.

قال: قال فسارت عائشه فاستقبلها ابن عباس بمنزل يقال له الصلعاء و ابن عباس يريد المدينه فقالت يا ابن عباس أنك قد اوتيت عقلا و بيانا و إياك ان ترد الناس عن قتل الطاعيه.

و سيأتى طائفه من الأخبار فى أقوالها له و ما فعلت بعد ذلك.

«قتل عثمان»

لما حصر الناس عثمان فى داره منعه الماء فأشرف على الناس و قال: ألا أحد يسقينا؟ قال المسعودى: فبلغ عليا طلبه للماء فبعث إليه بثلاث قرب ماء فما وصل إليه ذلك حتى خرج جماعه من موالى بنى هاشم و بنى اميه و ارتفع الصوت و كثر الضجيج و أحدقوا بداره بالسلاح و طالبوه بمروان فأبى أن يخلى عنه و فى الناس بنو زهره لأجل عبد الله بن مسعود لأنه كان من أحلافها. و هذيل لأنه كان منها و بنو مخزوم و أحلافها لعمار، و غفار و أحلافها لأجل أبى ذر، و تيم بن مره مع محمد ابن أبى بكر و غير هؤلاء من خلق كثير.

قال الطبرى: كان الحصر أربعين ليلة و النزول سبعين فلما مضت من الأربعين ثمان عشره قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من تهيأ إليهم من الافاق: حبيب من الشام و معاويه من مصر و القعقاع من الكوفه و مجاشع من البصره فعندها حالوا بين الناس و بين عثمان و منعه كل شىء حتى الماء و قد كان يدخل على عليه السلام بالشىء مما يريد و طلبوا العلل فلم تطلع عليهم عله فعثروا فى داره بالحجاره ليرموا فيقولوا قوتلنا و ذلك ليلا.

فناداهم عثمان: ألا تتقون الله ألا تعلمون أن فى الدار غيرى؟ قالوا: لا و الله ما رميناك قال: فمن رمانا؟ قالوا: الله، قال: كذبتهم إن الله عز و جل لو رمانا لم

ص: ٣٣٠

يخطئنا و أنتم تخطئوننا و أشرف عثمان على آل حزم و هم جيرانه فسرح ابنا لعمر و إلى عليّ بأنهم قد منعونا الماء فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئا من الماء فافعلوا و إلى طلحه و الزبير و إلى عائشه و أزواج النّبيّ؛ فكان أولهم إنجادا له عليّ و أم حبيبه جاء عليّ عليه السّلام في الغلس فقال: يا أيها النّاس إنّ الّذى تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين و لا أمر الكافرين لا تقطعوا عن هذا الرّجل المادّه فان الرّوم و فارس لتأسر فتطعم و تسقى.

قال الدينورى في الإمامه و السياسه و المسعودى و الطبرى: بعث عثمان إلى عليّ عليه السّلام يخبره أنّه منع من الماء و يستغيث به فبعث إليه عليّ عليه السّلام ثلاث قرب مملوءه ماء فما كادت تصل إليه فقال طلحه: ما أنت و هذا؟ و كان بينهما في ذلك كلام شديد فبينما هم كذلك إذا أتاهم آت فقال لهم: إنّ معاويه قد بعث من الشام يزيد بن أسيد ممّدا لعثمان في أربعة آلاف من خيل الشام فاصنعوا ما أنتم صانعون و إلّا فانصرفوا.

قال المسعودى: فلمّا بلغ عليّ أنّهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن و الحسين و مواليه بالسّلاح إلى بابه لنصرته و أمرهم أن يمنعوه منهم و بعث الزبير ابنه عبد الله على كره و بعث طلحه ابنه محمّد كذلك و أكثر أبناء الصحابه أرسلهم آباؤهم اقتداء بهم فصدوهم عن الدار فاشتبك القوم و جرح الحسن و شج قنبر و جرح محمّد بن طلحه فخشى القوم أن يتعصب بنو هاشم و بنو اميه فتركوا القوم في القتال على الباب و مضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوروا عليها و كان مّمن وصل إليه محمّد بن أبى بكر و رجلا من آخران و عند عثمان زوجته نائله و أهله و مواليه مشاغل بالقتال فصرعه محمّد و قعد على صدره و أخذ بلحيته و قال: يا نعثل ما أغنى عنك معاويه و ما أغنى عنك ابن عامر و ابن أبى سرح.

فقال له عثمان: يا ابن أخى دع عنك لحيّتى فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه فقال محمّد: لو رآك أبى تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك و ما اريد بك أشد من قبضى على لحيّتك و خرج عنه إلى الدار و تركه فدعا عثمان بوضوء فتوضأ و أخذ

مصحفاً فوضعه في حجره ليجترمه به و دخل الرجلان فوجداه فقتلاه يقال لأحدهما الموت الأسود خنق عثمان ثم خفقه ثم خرج فقال و الله ما رأيت شيئاً قط ألين من حلقة و الله لقد خنقته حتى رأيت نفسه تتردد في جسده كنفس الجان.

قال الطبري: فدخل عليه كنانة بن بشر التجيبي فأشعره مشقفاً فانتضح الدم على هذه الآية «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

قال الدينوري: لما أخذ مصحفاً فوضعه في حجره ليجترمه به دخل عليه رجل من أهل الكوفة بمشقص في يده فوجأ به منكبه مما يلي الترقوه فأدماه و نضح الدّم على ذلك المصحف و جاء آخر فضربه برجله و جاء آخر فوجأه بقائم سيفه فغشى عليه و محمد بن أبي بكر لم يدخل مع هؤلاء فتصايح نساؤه و رش الماء على وجهه فأفاق، فدخل محمد بن أبي بكر و قد أفاق فقال له: أي نعثل غيرت و بدّلت و فعلت ثم دخل رجل من أهل مصر فأخذ بلحيته فنتف منها خصله و سلّ سيفه و قال: افرجوا لي فعلاه بالسيف فتلقاه عثمان بيده فقطعها ثم دخل رجل آخر و هو كنانة بن بشر ابن عتاب التجيبي و معه جرز آخر من حديد فمشى إليه فقال: على أي مله أنت يا نعثل؟ فقال: لست بنعثل و لكني عثمان بن عفان و أنا على مله إبراهيم حنيفاً و ما أنا من المشركين؛ قال: كذبت و ضربه بالجرز على صدغه الأيسر فغسله الدّم و خرّ على وجهه و قد قيل: ان عمرو بن الحمق طعنه بسهام تسع طعنات و كان فيمن مال عليه عمير بن ضابئ البرجمي التميمي و خضخض بسيفه بطنه.

و قال الطبري: رفع كنانة مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل اذن عثمان فمضت حتى دخلت في حلقة ثم علاه بالسيف حتى قتله، و روى رواية أخرى أن كنانة ضرب جبينه و مقدم رأسه بعمود حديد فخرّ لجبينه فضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خرّ لجبينه فقتله.

فصرخت امرأته و قالت: قد قتل أمير المؤمنين فدخل الحسن و الحسين و من كان معهما من بنى اميه فوجدوه قد فاظت نفسه؛ قال المسعودي: فبلغ ذلك عليّاً و طلحه و الزبير و سعدا و غيرهم من المهاجرين و الأنصار فاسترجع القوم و دخل على عليه السلام

الدار و هو كالواله الحزين فقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين و أنتما على الباب و لطم الحسن و ضرب الحسين و شتم محمد بن طلحه و لعن عبد الله بن الزبير.

و قال عليّ عليه السلام لزوجته نائله بنت الفرافصة: من قتله و أنت كنت معه؟ فقالت دخل إليه رجلان و قصت خبر محمد بن أبي بكر فلم ينكر ما قالت و قال: و الله لقد دخلت عليه و أنا اريد قتله فلما خاطبني بما قال خرجت و لا أعلم بتخلف الرجلين عني، و الله ما كان لي في قتله سبب و لقد قتل و أنا لا أعلم بقتله، و كان مدّه ما حوَصر عثمان في داره تسعا و اربعين يوما و قيل أكثر من ذلك.

«الموضع الذي دفن فيه عثمان»

قال أبو جعفر الطبري في التاريخ: لبث عثمان بعد ما قتل ثلاثه أيام لا يستطيعون دفنه و لم يشهد جنازته الا مروان و ثلاثه من مواليه و ابنته الخامسة فناحت ابنته و أخذ الناس الحجارة و قالوا: نعتل نعتل و كادت ترحم. و قال ابن قتيبه: احتملوه على باب و انطلقوا مسرعين و يسمع وقع رأسه على اللوح و ان رأسه ليقول: طق طق.

فلما وضع ليصلي عليه جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه و منعوهم ان يدفن بالبقيع فقال بعض من حمل جنازته: ادفنوه فقد صلى الله عليه و ملائكته، فقالوا: لا و الله لا يدفن في مقابر المسلمين ابدا فدفنوه في حائط يقال له: حش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما ظهر معاوية بن ابي سفيان على الناس امر بهدم ذلك الحائط حتّى افضى به إلى البقيع فأمر الناس ان يدفنوا موتاهم حول قبره حتّى اتصل ذلك بمقابر المسلمين و لم يغسل عثمان و كفن في ثيابه و دمائه و دفنوه ليلا لأنهم لا يقدرّون أن يخرجوا به نهارا.

و قال في نقل آخر: إن نائله تبعتهم بسراج استسرجته بالبقيع و صلى عليه جبير بن مطعم و في نقل آخر صلى عليه مروان و أرادت نائله أن تتكلم فزبرها القوم و قالوا: إنا نخاف عليه من هؤلاء الغوغاء أن ينبشوه، فرجعت نائله إلى منزلها.

و قال ابن قتيبه في الإمامه و السياسة: ثمّ دلوه في حفرة فدفنوه و لم يلحدوه

ص: ٣٣٣

بلبن، و حثوا عليه التراب حثوا.

و فى تاريخ أبى جعفر الطبرى أن حكيم بن حزام القرشى و جبير بن مطعم كلما عليا فى دفنه و طلبا إليه أن يأذن لأهله فى ذلك ففعل و أذن لهم على عليه السلام فلما سمع بذلك قعدوا له فى الطريق بالحجاره و خرج به ناس يسير من أهله و هم يريدون به حائطا بالمدينه يقال له: حش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما خرج على الناس رجموا سريره و هموا بطرحه فبلغ ذلك عليا فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفن عنه ففعلوا فانطلق حتى دفن فى حش كوكب. و فى نقل آخر منه: و جاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاه عليه فأرسل على عليه السلام فمنع من رجم سريره و كف الذين راموا منع الصلاه عليه.

و كان الوليد بن عقبه بن أبى معيط أخا عثمان لأمه فسمع الليله الثانيه من مقتل عثمان يندبه و هو يقول:

بنى هاشم إيه فما كان بيننا و سيف ابن أروى عندكم و حرائبه

بنى هاشم ردوا سلاح ابن اختكم و لا تنهبوه ما تحلّ مناهبه

غدرتم به كيما تكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرازيه

و هى أبيات، فأجابه عن هذا الشعر و فيما روى به بنى هاشم و نسب إليهم الفضل ابن العباس بن أبى لهب فقال:

فلا تسألونا سيفكم إنّ سيفكم أضيع و ألقاه لدى الروع صاحبه

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن اختنا فهم سلبوه سيفه و حرائبه

و كان وليّ العهد بعد محمّد علىّ و فى كلّ المواطن صاحبه

علىّ وليّ الله أظهر دينه و أنت مع الأشقين فيما تحاربه

و أنت امرؤ من أهل صيفور مارج فما لك فينا من حميم تعاتبه

و قد أنزل الرحمن أنّك فاسق فما لك فى الإسلام سهم تطالبه

و قال الوليد بن عقبه بن أبى معيط المذكور أيضا يحرض أخاه عماره بن عقبه:

ص: ٣٣٤

ألا إن خير الناس بعد ثلاثه قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

فان يك ظني بابن امي صادقاً عماره لا يطلب بدحل ولا وتر

بييت و أوتار ابن عفان عنده محيمه بين الخورنق و القصر

فأجابه الفضل بن عباس أيضاً:

أ تطلب ثارا لست منه ولا له و أين ابن ذكوان الصفوري من عمرو

كما اتصلت بنت الحمار بامها و تنسى أباهما إذ تسامى اولى الفخر

ألا إن خير الناس بعد محمد وصي النبي المصطفى عند ذى الذكر

و أول من صلى و صنو نبيه و أول من أردى الغواه لدى بدر

فلو رأيت الأنصار ظلم ابن عمكم لكانوا له من ظلمه حاضري النصر

كفى ذاك عيباً أن يشيروا بقتله و أن يسلموه للأحابيش من مصر

«تذكره»

قد مضت طائفه من الأقوال في حصر عثمان و هتف الناس باسم أمير المؤمنين على عليه السلام للخلافه و قوله عليه السلام: ما زلت أذب عن عثمان حتى انى لأستحي و غيرها في المختار ٢٣٨ من كلامه عليه السلام في باب الخطب فراجع.

اقول: و لو لم يكن كلما نقلنا من احداث عثمان او بعضه مما يوجب خلعه و البراءه منه لوجب أن يكون الصيحابه ينكر على من قصده من البلاد متظلماً مما فعلوه و قدموا عليه و قد علمنا ان بالمدينه المهاجرين و الأنصار و كبار الصحابه لم ينكروا ذلك و صدقوا عليه ما نسب إليه من الأحداث و لم يقبلوا ما جعله عذرا بل أسلموه و لم يدفعوا عنه بل اعانوا قاتليه و لم يمنعوا من قتله و حصره و منع الماء منه مع أنهم متمكنون من خلاف ذلك و ذلك أقوى الدليل على ما قلناه.

«جواب القاضي عبد الجبار عن بعض ما قدمناه و اعتذاره منه»

و قد تكلف القاضي عبد الجبار في الجواب عن بعض هذه الأمور على أن

إمامه قتل مظلوما بما لا يخفى وهنّها عن من كان له أدنى بصيره في سيره عثمان و أحداثه المخالفه لسيره الرسول و حكم القرآن و لكنّا نذكر ما قال ثمّ نتبعه باعتراض علم الهدى له زياده للبصيره. قال القاضي: فأما قولهم إنّ كُتب إلى ابن أبي سرح حيث ولى محمّد بن أبي بكر بأن يقتله و يقتل أصحابه فقد أنكر أشدّ التنكير حتّى حلف عليه و بين أن الكتاب الذي ظهر ليس كتابه و لا الغلام غلامه و لا الراحله راحلته و كان في جملة من خاطبه في ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام فقبل عذره و ذلك بين لأنّ قول كلّ أحد مقبول في مثل ذلك و قد علم أنّ الكتاب قد يجوز فيه التزوير فهو بمنزله الخير الذي يجوز فيه الكذب.

ثمّ اعتذر عن قول من يقول قد علم أن مروان هو الذي زوّر الكتاب لأنّه الذي كان يكتب عنه فهلا أقام الواجب فيه؟ بأن قال: ليس يجب بهذا القدر أن يقطع على أنّ مروان هو الذي فعل ذلك لأنّه و إن غلب ذلك في الظن فلا يجوز أن يحكم به و قد كان القوم يسومونه تسليم مروان إليهم و ذلك ظلم لأنّ الواجب على الإمام أن يقيم الحدّ على من يستحقّه أو التأديب و لا يحلّ له تسليمه من غيره فقد كان الواجب أن يثبتوا عنده ما يوجب في مروان الحدّ ليفعله به و كان إذا لم يفعل و الحال هذه يستحقّ التعنيف.

ثمّ ذكر أنّ الفقهاء ذكروا في كتبهم أن الأمر بالقتل لا يوجب قودا ولاديه و لا حدّا فلو ثبت في مروان ما ذكره لم يستحقّ القتل و إن استحقّ التعزير لكنّه عدل عن تعزيره لأنّه لم يثبت قال: و قد يجوز أن يكون عثمان ظنّ أن هذا الفعل فعل بعض ما يعادى مروان تقبيحا لأمره لأنّ ذلك يجوز كما يجوز أن يكون من فعله و لا يعلم كيف كان اجتهاده و ظنّه و بعد فإنّ الحديث من أجل ما نعموا عليه فإن كان شيء من ذلك يوجب خلع عثمان و قتله فليس إلّا ذلك و قد علمنا أن هذا الأمر لو ثبت ما كان يوجب القتل لأنّ الأمر بالقتل لا يوجب القتل لا سيما قبل وقوع القتل المأمور به.

قال: فيقال لهم لو ثبت ذلك على عثمان أ كان يجب قتله؟ فلا يمكنهم إدعاء ذلك لأنه بخلاف الدين و لابد أن يقولوا: إن قتله ظلم فكذلك في حبسه في الدار و منعه من الماء فقد كان يجب أن يدفع القوم عن كل ذلك و أن يقال إن من لم يدفعهم و ينكر عليهم يكون مخطئا و في ذلك تخطئه أصحاب الرسول.

ثم ذكر أن مستحق القتل و الخلع لا يحل أن يمنع الطعام و الشراب و أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام لم يمنع أهل الشام من الماء في صيفين و قد تمكن من منعهم و أطنب في ذلك إلى أن قال: و كل ذلك يدل على كونه مظلوماً و أن ذلك كان من صنيع الجهال و أعيان الصحابه كارهون لذلك. ثم ذكر أن قتله لو وجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس و أن الذين أقدموا على قتله كانوا بهذه الصفه و إذا صح أن قتله لم يكن لهم فمنعهم و النكير عليهم واجب.

ثم ذكر أنه لم يكن منه ما يستحق القتل من ردّه أوزنا بعد إحصان أو قتل نفس و انه لو كان منه ما يوجب القتل لكان الواجب أن يتولاه الإمام فقتله على كل حال منكر و انكار المنكر واجب، قال: و ليس أحد أن يقول إنه أباح قتل نفسه من حيث امتنع من دفع الظلم عنهم لأنه لم يمتنع من ذلك بل أنصفهم و نظر في حالهم و لأنه لو لم يفعل ذلك لم يحلّ لهم قتله لأنه إنما يحلّ قتل الظالم إذا كان على وجه الدفع.

قال: و المروى أنهم أحرقوا بابه و هجموا عليه في منزله و بعجوه بالسيف و المشاقص فضربوا يد زوجته لما وقعت عليه و انتهبوا متاع داره و مثل هذه القتل لا يحلّ في الكافر و المرتد فكيف يظن أن الصحابه لم ينكر ذلك و لم يعدّه ظلما حتى يقال أنه مستحق من حيث لم يدفع القوم عنه ثم قص شيئا من قصته في تجمع القوم عليه و توسط أمير المؤمنين عليه السلام لأمرهم و أنه بذل لهم ما أرادوه و أعتبهم و أشهد على نفسه بذلك حرفه و لم يأت به على وجهه و ذكر قصه الكتاب الذي وجدوه بعد ذلك المتضمن لقتل القوم و ذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام واقفه على الكتاب فحلف أنه ما كتبه و لا أمر به فقال له: فمن تتهم؟ قال: ما أتهم أحدا و أن للناس لحيلا

و ذكر أنّ الروايه ظاهره بقوله إن كنت أخطأت أو تعمّدت فإنني تائب مستغفر قال:

فكيف يجوز و الحال هذه أن تهتك فيه حرمة الإسلام و حرمة البلد الحرام.

قال: و لا- شبهه أنّ القتل على وجه الغيله حرام لا- يحلّ فيمن يستحق القتل فكيف فيمن لا- يستحقه و لو لا أنه كان يمنع من محاربه القوم ظنا منه بأن ذلك يؤدي إلى القتل الذريع لكثره نصّاره و حكى أنّ الأنصار بذلت معونته و نصرته، و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام بعث إليه الحسن عليه السّلام فقال له: قل لأبيك فليأتني و أراد أمير المؤمنين عليه السّلام المصير إليه فمنعه من ذلك ابنه محمّد و استغاث بالنساء عليه حتى جاء الصريخ بقتل عثمان فمدّ يده إلى القبله و قال: اللهمّ إنّني أبرأ إليك من دم عثمان.

ثمّ قال: فإن قالوا إنّهم اعتقدوا أنه من المفسدين في الأرض و أنه داخل تحت آيه المحاربين، قيل لهم فقد كان يجب أن يتولى الإمام هذا الفعل لأن ذلك يجرى مجرى الحدّ: قال: و كيف يدعى ذلك و المشهور أنّه كان يمنع من مقاتلتهم حتّى روى أنّه قال لعبيده و مواليه و قد همّوا بالقتال: من أغمد سيفه فهو حرّ و قد كان مؤثرا للنكير لذلك الأمر إلّا أنّه بما لا يؤدي إلى إراقه الدماء و الفتنة فلذلك لم يستعن بأصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و إن كان لما اشتد الأمر أعانه من أعانه لأن عند ذلك تجب النصرة و المعونه لا بأمره فحيث وقفت النصرة على أمره امتنعوا و توقفوا، و حيث اشتد الأمر كانت إعانته ممّن أدركه دون من لم يقدر و يغلب ذلك في ظنه.

«اعتراض الشريف المرتضى علم الهدى على»

«القاضى و جوابه عما تشبّث به»

قال علم الهدى فى الشافى بعد ما نقل قول القاضى من المغنى: أمّا قوله «إنّه أنكر الكتاب المتضمن لقتل محمّد بن أبى بكر و أصحابه و حلف أنّ الكتاب ليس كتابه و لا الغلام غلامه و لا الراحله راحلته و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قبل عذره» فأول ما فيه أنّه حكى القصه بخلاف ما جرت عليه لأنّ جميع من روى هذه القصه ذكر أنّه اعترف بالخاتم و الغلام و الراحله و إنّما أنكر أن يكون أمر بالكتاب

ص: ٣٣٨

لأنَّه روى أنَّ القوم لما ظفروا بالكتاب قدموا المدينة فجمعوا أمير المؤمنين عليه السَّلام وطلحه و الزبير و سعدا و جماعه الأصحاب ثمَّ فكَّوا الكتاب بمحضر منهم و اخبروهم بقصه الغلام فدخلوا على عثمان و الكتاب مع أمير المؤمنين عليه السَّلام فقال له: أ هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: و البعير بعيرك؟ قال: نعم، قال: أ فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا و حلف بالله أنَّه ما كتب الكتاب و لا أمر به، فقال له: فالخاتم خاتمك؟ فقال: نعم، قال: كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك و لا تعلم به؟.

و فى روايه اخرى أنَّه لما واقفه قال له عثمان امِّا الخط فخط كاتبى و اما الخاتم فعلى خاتمى، قال: فمن تَّهم؟ قال: اتَّهمك و اتَّهم كاتبى، فخرج أمير المؤمنين عليه السَّلام مغضبا و هو يقول: بل هو امرك و لزم داره و قعد عن توسط امره حتى جرى ما جرى فى امره و اعجب الأمور قوله لأمير المؤمنين عليه السَّلام إنَّى اتَّهمك و تظاهره بذلك و تلقيه إياه فى وجهه بهذا القول مع بعد أمير المؤمنين عليه السَّلام عن التَّهمه و الظَّنه فى كلِّ شىء ثمَّ فى امره خاصه فإنَّ القوم فى الدفعه الأولى ارادوا ان يعجلوا له ما اخروه حتَّى قام أمير المؤمنين عليه السَّلام بأمره و توسطه و اصلحه و اشار إليه بأن يقاربهم و يعتبهم حتى انصرفوا عنه و هذا فعل النصيح المشفق الحذب المتحن و لو كان عليه السَّلام و حوشى من ذلك متهما عليه لما كان للتَّهمه مجال عليه فى امر الكتاب خاصه لأنَّ الكتاب بخطِّ عدوِّ الله و عدوِّ رسوله و عدوِّ أمير المؤمنين عليه السَّلام مروان و فى يد غلام عثمان و مختوم بخاتمه و محمول على بعيره فأى ظنَّ تعلق بأمير المؤمنين عليه السَّلام فى هذا المكان لو لا العداوه و قله الشكر للنعمه. و لقد قال له المصريون لما جحد ان يكون الكتاب كتابه شيئا لا زياده عليه فى باب الحجَّه لأنَّهم قالوا: إذا كنت ما كتبت و لا امرت به فأنت ضعيف من حيث تم عليك أن يكتب كاتبك بما يختمه بخاتمك و ينفذه بيد غلامك على بعيرك بغير أمرك و من تمَّ عليه مثل ذلك لا يصلح أن يكون واليا على امور المسلمين فاختلف عن الخلافه على كلِّ حال و قد كان يجب على صاحب الكتاب أن يستحى من قوله: إنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام قبل عذره و كيف يقبل عذر من يتَّهمه و يشنعه و هو له ناصح و ما قاله أمير المؤمنين بعد سماع هذا

و قوله إنّ الكتاب يجوز فيه التزوير ليس بشيء لأنه لا يجوز التزوير في الكتاب و الغلام و البعير و هذه الأمور إذا انضاف بعضها إلى بعض بعد فيها التزوير و قد كان يجب على كلّ حال أن يبحث عن القصّة و عمّن زوّر الكتاب و أنفذ الرسول و لا ينام عن ذلك و لا يقيم حتّى يعرف من أين دهي و كيف تمت الحيلة عليه فيحترز من مثلها و لا يغضى عن ذلك إغضاء خائف له سائر عليه مشفق من بحثه و كشفه.

فأمّا قوله «أنّه و إن غلب في الظن أن مروان كتب الكتاب فإنّ الحكم بالظن لا يجوز و تسليمه إلى القوم على ما ساموه إياه ظلم لأنّ الحدّ و التأديب إذا وجب عليه فالإمام يقيمه دونهم» فتعلّل منه بالباطل لأنّنا لا نعمل إلّا على قوله في أنّه لم يعلم أنّ مروان هو العدوّ كتب الكتاب و إنّما غلب في ظنّه أما كان يستحقّ بهذا الظنّ بعض التعنيف و الزجر و التهديد أو ما كان يجب مع وقوع التهمة و قوه الأمارات في أنّه جالب للفتنة و سبب الفرقة أن يبعده عنه و يطرده عن داره و يسلبه نعمته و ما كان يخصّه به من إكرامه و ما في هذه الأمور أظهر من أن يتّبه عليه.

فأمّا قوله «إنّ الأمر بالقتل لا يوجب قودا و لا ديه لا سيما قبل وقوع القتل المأمور به» فهب أن ذلك على ما قال أما يوجب على الامر بالقتل تأديبا و لا- تعزيرا و لا طردا و لا إبعادا، و قوله: لم يثبت ذلك، فقد مضى ما فيه و بيّنا أنّه لم يستعمل فيه ما يجب استعماله من البحث و الكشف و تهديد المتهم و طرده و إبعاده و التبرّء من التهمة بما يتبرأ به من مثلها.

فأمّا قوله: «إنّ قتله ظلم و كذلك حبسه في الدار و منعه من الماء و إن استحقّ القتل أو الخلع لا يحلّ أن يمنع الطعام و الشراب و أطنا به في ذلك، و قوله إنّ من لم يدفع عن ذلك من الصحابه يجب أن يكون مخطئا، و قوله إن قتله أيضا لو وجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس» فباطل لأنّ الذين قتلوه لا ينكر أن يكونوا ما تعمدوا قتله و إنّما طالبوه بأن يخلع نفسه لما ظهر من أحداثه و يعتزل الأمر اعتزالا يتمكنون معه من إقامه غيره فلعج و صمم على الامتناع و أقام على أمر

واحد فقصد القوم بحصره إلى أن يلجئوه إلى خلع نفسه فاعتصم بداره و اجتمع إليه نفر من أوباش بنى امية يدفعون عنه ثم يرمون من دنى من الدار فانتهى الأمر إلى القتال بتدريج ثم إلى القتل و لم يكن القتال و لا- القتل مقصودا فى الأصل و إنما أفضى الأمر إليهما بتدريج و ترتيب و جرى ذلك مجرى ظالم غلب إنسانا على رحله و متاعه فالواجب على المغلوب أن يمانعه و يدافعه ليخلص ماله من يده و لا يقصد إلى إتلافه و لا قتله فان افضى الأمر إلى ذلك بلا قصد كان معذورا و إنما خاف القوم فى التأنى به و الصبر عليه إلى أن يخلع نفسه من كتبه التى طارت فى الافاق يستنصر عليهم و يستقدم الجيوش إليه و لم يأمنوا أن يرد بعض من يدفع عنه فيؤدى ذلك إلى الفتنة الكبرى و البلية العظمى.

و أمّا منع الماء و الطعام فما فعل ذلك إلا تضييقا عليه ليخرج و يحوج إلى الخلع الواجب عليه و قد يستعمل فى الشريعة مثل ذلك فيمن لجأ إلى الحرم من ذوى الجنايات فتعذر إقامه الحدّ عليه لمكان الحرم، على أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قد أنكر منع الماء و الطعام و أنفذ من مكن من حمل ذلك لأنّه قد كان فى الدّار من النساء و الحرم و الصبيان من لا يحلّ منعه الطعام و الشراب و لو كان حكم المطالبة بالخلع و التجمع عليه و التظاهر فيه حكم منع الطعام و الشراب فى القبح و المنكر لأنكره أمير المؤمنين عليه السّلام و منع منه كما منع من غيره فقد روى عنه عليه السّلام أنّه لما بلغه أنّ القوم قد منعوا من فى الدار من الماء قال عليه السّلام لا أرى ذلك فى الدّار صبيان و عيال لا أرى أن يقتل هؤلاء عطشا بجرم عثمان فصّرّح بالمعنى الذى ذكرناه و معلوم أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام ما أنكر المطالبة بالخلع بل كان مساعدا على ذلك مشاورا فيه.

فأمّا قوله «إنّ قتل الظالم إنّما يحلّ على سبيل الدفع» فقد بينا أنّه لا ننكر أن يكون قتله وقع على هذا الوجه لأنّ فى تمسكه بالولاية عليهم و هو لا يستحقها فى حكم الظالم لهم فمدافعتة واجبه.

فأمّا ما قصّه من قصه الكتاب الموجود فقد حرّفها لأنّا قد ذكرنا شرحها الذى

وردت به الروايه و هو بخلاف ما ذكروه.

و أما قوله «إنه قال: إن كنت أخطأت أو تعمدت فأني تائب إلى الله أستغفر» فقد أجابه القوم عن هذا فقالوا: هكذا قلت في المره الأولى و خطبت على المنبر بالتوبه و الاستغفار ثم وجدنا كتابك بما يقتضى الإصرار على أقبح ما عتبنا منه فكيف نثق بتوبتك و استغفارك.

فأما قوله «إنّ القتل على وجه الغيله لا تحلّ فيمن يستحق القتل فكيف فيمن لا يستحقه» فقد بينا أنه لم يكن على سبيل الغيله و أنه لا يمتنع أن يكون إنما وقع على سبيل المدافعه.

فأما ادّعائه أنه منع من نصرته و اقسام على عبيده في ترك القتال فقد كان ذلك لعمرى في ابتداء الأمر طلبا للسلامه و ظنا منه بأنّ الأمر يصلح و القوم يرجعون عما هم عليه و ما همّوا به، فلمّا اشتدّ الأمر و وقع اليأس من الرجوع و النزوع لم يمنع أحدا من نصرته و المحاربه عنه و كيف يمنع من ذلك و قد بعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام يستنصره و يستصرخه و الذى يدلّ على ذلك أنه لم يمنع في الابتداء من محاربتهم إلّا للوجه الذى ذكرناه دون غيره أنه لا خلاف بين أهل الروايه في أن كتبه تفرقت في الافاق يستنصر و يستدعى الجيوش فكيف يرغب عن نصره الحاضر من يستدعى نصره الغائب.

فأما قوله: «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يأتيه حتّى منعه ابنه محمّد» فقول بعيد مما جاءت به الروايه جدّا لأنه لا اشكال في أمير المؤمنين عليه السلام لما واجهه عثمان بأنّه يتهمه و يستغشه انصرف مغضبا عاملا- على أنه لا- يأتيه أبدا قائلا فيه ما يستحقه من الأقوال.

فأما قوله في جواب سؤال من قال إنهم اعتقدوا فيه أنه من المفسدين في الأرض و آيه المحاربين تناوله «و قد كان يجب أن يتولّى الإمام ذلك الفعل بنفسه لأنّ ذلك يجرى مجرى الحدّ» فطريف لأنّ الإمام يتولى ما يجرى هذا المجرى إذا كان منصوبا ثابتا و لم يكن على مذهب أكثر القوم هناك إمام يقوم بالدفع عن

ص: ٣٤٢

الدين و الذبّ عن الامّه جاز أن يتولّى ذلك بنفوسها و ما رأيت أعجب من ادعاء مخالفينا أنّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله كانوا كارهين لما جرى عليه و أنّهم كانوا يعتقدونه منكرا و ظلما و هذا يجرى عند من تأمله مجرى دفع الضرورة قبل النظر فى الأخبار و سماع ما ورد من شرح هذه القصة لأنّه معلوم أن ما يكرهه جميع الصحابه أو أكثرهم فى دار عزّهم و بحيث ينفذ أمرهم و نهيههم لا يجوز أن يتم و معلوم أن نفرا من أهل مصر لا يجوز أن يتمّ و معلوم أن نفرا من أهل مصر لا يجوز أن يقدموا المدينه و أن يغلبوا جميع المسلمين على آرائهم و يفعلوا ما يكرهونه بإمامهم بمرأى منهم و مسمع و هذا معلوم بطلانه بالبدايه و الضرورات قبل مجيء الاثار و تصفح الأخبار و تأملها.

و قد روى الواقدى عن ابن أبى الزناد عن أبى جعفر القارى مولى بنى مخزوم قال: كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائه عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى و كنانه بن بشير الكندى و عمرو بن الحقيق الخزاعى، و الذين قدموا من الكوفه مأتين عليهم مالك بن الحرث الأشتر النخعى و الذين قدموا من البصره مائه رجل رئيسهم حكيم بن جبله العبدى و كان أصحاب النبىّ صلّى الله عليه و آله الذين خذلوه لا يرون أن الأمر يبلغ بهم إلى القتل و لعمري لو قام بعضهم فحشا التراب فى وجوه اولئك لانصرفوا و هذه الروايه تضمنت من عدد القوم الواقدين فى هذا الباب اكثر ممّا تضمّنه غيرها.

و روى شعبه بن الحجاج عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: قلت له:

كيف لم يمنع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله عن عثمان؟ قال: إنما قتله أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله. و روى عن أبى سعيد الخدرى أنّه سئل عن مقتل عثمان هل شهده واحد من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ قال: نعم شهده ثمانمائة، و كيف يقال: إن القوم كانوا كارهين و هؤلاء المصريون كانوا يغدون إلى كلّ واحد منهم و يروحون و يشاورونه فيما يصنعونه، و هذا عبد الرحمن بن عوف و هو عاقد الأمر لعثمان و جالبه إليه و مصيره فى يده يقول على ما رواه الواقدى و قد ذكر له عثمان فى مرضه الذى مات فيه عاجلوه قبل أن يتمادى فى ملكه فبلغ عثمان ذلك فبعث إلى بئر كان يسقى منها

نعم عبد الرحمن فممنع منها و وصى عبد الرحمن أن لا يصلّى عليه عثمان فصلّى عليه الزبير أو سعد بن أبي وقاص و قد كان حلف لما تابعت أحداثه ألا يكلم عثمان أبدا.

و روى الواقدي قال: لما توفي أبو ذر بالربذه تذاكر أمير المؤمنين عليه السلام و عبد الرحمن فعل عثمان فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هذا عملك فقال له عبد الرحمن فإذا شئت فخذ سيفك و آخذ سيفي انه خالف ما أعطاني.

فأما محمد بن مسلمه فانه أرسل إليه عثمان يقول له عند قدوم المصريين في الدفعة الثانية: اردد عني فقال: لا والله لا أكذب الله في سنه مرتين، وإنما عني بذلك أنه كان أحد من كلم المصريين في الدفعة الأولى و ضمن لهم عن عثمان الرضا و في روايه الواقدي أن محمد بن مسلمه كان يؤتى و عثمان محصور، فيقال له:

عثمان مقتول فيقول: هو قتل نفسه فأما كلام أمير المؤمنين عليه السلام طلحه و الزبير و عائشه و جميع الصحابه واحدا و احدا فلو تعاطينا ذكره لطال به الشرح و من أراد أن يقف على أقوالهم مفصّله و ما صرحوا به من خلعه و الإجلاب عليه فعليه بكتاب الواقدي فقد ذكر هو و غيره من ذلك ما لا زياده عليه في هذا الباب.

«اعتراض القاضي عبد الجبار في المغنى على الطاعين»

«على عثمان بأحداثه»

نقل عنه الشريف المرتضى علم الهدى في الشافى انه قال: و نحن نقدم قبل الجواب عن هذه المطاعن مقدمات تبين بطلانها على الجملة ثم نتكلم على تفصيلها.

حكى عن أبي علي أن ذلك لو كان صحيحا لوجب من الوقت الذي ظهر ذلك من حاله أن يطلبوا رجلا ينصب للإمامه و أن يكون ظهور ذلك كموته لأنه لا خلاف أنه متى ظهر من الإمام ما يوجب خلعه أن الواجب على المسلمين إقامه إمام سواء فلما علمنا أن طلبهم لإقامه إمام كان بعد قتله و لم يكن من قبل و التمكن قائم فذلك من أدل الدلاله على بطلان ما أضافوه إليه من الأحداث.

قال: و ليس لأحد أن يقول لم يتمكّنوا من ذلك لأن المتعالم من حالهم

ص: ٣٤٤

وقد حصروه و منعوه التمكن من ذلك خصوصا و هم يدعون أن الجميع كانوا على حول واحد في خلعه و البراءه منه. قال: و معلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع في الأيام التي حوصر فيها و قتل بل كانت تحصل من قبل حالا بعد حال فلو كان ذلك يوجب الخلع و البراءه لما تأخر من المسلمين الإنكار عليه و لكان كبار الصحابه المقيمين بالمدينه أولى بذلك من الواردين من البلاد لأن أهل العلم و الفضل بالنكير في ذلك أحق من غيرهم. قال: فقد كان يجب على طريقتهم أن تحصل البراءه و الخلع من أول يوم حدث فيه منه ما حدث و لا ينتظر حصول غيره من الأحداث لأنه لو وجب انتظار ذلك لم ينته إلى حد إلا و ينتظر غيره.

ثم ذكر أن امساكهم عن ذلك إذا تيقنوا الأحداث منه يوجب نسبه الخطاء إلى جميعهم و الضلال فلا يجوز ذلك. و قال: و لا يمكنهم أن يقولوا إن علمهم بذلك حصل في الوقت الذي منع لأن في جملة الأحداث التي يذكرونها ما تقدم هذه الحال بل كلها أو جلها تقدم هذا الوقت و إنما يمكنهم أن يتعلقوا فيما حدث في الوقت بما يذكرون من حديث الكتاب النافذ إلى ابن أبي سرح بالقتل و ما أوجب كون ذلك حدثا يوجب كون غيره حدثا فكان يجب أن يفعلوا ذلك من قبل و احتمال المتقدم للتأويل كاحتمال المتأخر و بعد فليس يخلو من أن يدعوا أن طلب الخلع وقع من كل الأمه أو من بعضهم فإن ادعوا ذلك في بعض الأمه فقد علمنا أن الإمامه إذا ثبتت بالإجماع لم يجر إبطالها بالخلاف لأن الخطاء جائز على بعض الأمه و إن ادعوا في ذلك الإجماع لم يصح لأن من جملة الإجماع عثمان و من كان ينصره و لا يمكن إخراجهم من الإجماع بأنه يقال إنه كان على باطل لأن بالإجماع يتوصل إلى ذلك و لما يثبت. قال: على أن الظاهر من حال الصحابه أنها كانت بين فريقين أما من ينصره فقد روى عن زيد بن ثابت أنه قال لعثمان و من معه الأنصار ائذن لنا ننصرك. و روى مثل ذلك عن ابن عمر و أبي هريره و المغيرة بن شعبه و الباقر يمتنعون انتظار الزوال العارض لا لأنه لو ضيق عليهم الأمر في الدفع ما فعلوا بل المتعالم من حالهم ذلك.

ثم ذكر ما روى من انفاذ أمير المؤمنين الحسن و الحسين إليه و انه لما قتل لأمهما على وصول القول إليه ظنّا منه بأنهما قصرا. و ذكر أن أصحاب الحديث يروون عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: ستكون فتنة و اختلاف و أن عثمان و أصحابه يومئذ على الهدى و ما روى عن عائشة من قولها قتل و الله مظلوما. قال و لا يمتنع أن يتعلق بأخبار آحاد في ذلك لأنه ليس هناك أمر ظاهر يدفعه نحو دعواهم أن جميع الصحابة كانوا عليه لأن ذلك دعوى منهم و إن كان فيه روايه فمن الاحاد و إذا تعارضت الروايات سقطت و وجب الرجوع إلى أمر ثابت و هو ما ثبت من أحواله السليمه و وجوب تولّيه.

قال: و ليس يجوز أن يعدل عن تعظيمه و صحه إمامته بأمور محتمله فلا شيء مما ذكره إلا و يحتمل الوجه الذي هو صحيح. ثم ذكر أن للإمام أن يجتهد رأيه في الأمور المنوطه به و يعمل فيها على غالب ظنّه و قد يكون مصيبا و إن أفضت إلى عاقبه مذمومه و أكد ذلك و أطنب فيه.

«اعتراض علم الهدى على هذه الكلمات»

اعتراض عليه في الشافى بقوله: فاما ما حكاه عن أبي على من قوله «لو كان ما ذكره من الأحداث قادحا لوجب من الوقت الذي ظهرت فيه أن يطلبوا رجلا ينصبونه في الإمامه لأن ظهور الحدث كموته قال فلما رأيناهم طلبوا إماما بعد قتله دلّ على بطلان ما أضافوه إليه من الأحداث» فليس ذلك بشيء معتمد لأن تلك الأحداث و إن كان مزيله عندكم لإمامته و فاسخه لها و مقتضيه لأن يعقدوا لغيره الإمامه فانهم لم يقدموا على نصب غيره مع تشبّهه خوفا من الفتنة و التنازع و التجاذب و أرادوا أن يخلع نفسه حتّى تزول الشبهه و ينشط من يصلح للإمامه لقبول العقد و التكفل بالأمر و ليس يجرى ذلك مجرى موته لأن موته يحسم الطمع في استمرار ولايته و لا يبقى شبهه في خلو الزمان من إمام، و ليس كذلك حدثه الذي يسوغ فيه التأويل على بعده و يبقى معه الشبهه في استمرار أمره و ليس نقول: إنهم لم يتمكنوا من ذلك

كما سأل نفسه بل الوجه في عدولهم ما ذكرناه من ارادتهم لحسم المواد وإزالة شبهه و قطع أسباب الفتنة.

فأمّا قوله «إنّه معلوم من هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع في الأيام التي حصر فيها و قتل بل كانت تقع حالا بعد حال فلو كانت توجب الخلع و البراء لما تأخر من المسلمين الإنكار عليه و لكان المقيمون بالمدينه من الصحابه أولى بذلك من الواردين من البلاد» فلا شك أن الأحداث لم تحصل في وقت واحد إلا أنّه غير منكر أن يكون نكيرهم إنما تأخر لأنهم تأولوا ما ورد عليهم من أفعاله على أجمل الوجوه حتى زاد الأمر و تفاقم و بعد التأويل و تعذر التخريج لم يبق للظن الجميل طريق فحينئذ أنكروا و هذا مستمر على ما قدمنا ذكره من أن العداله و الطريقه الجميله تتأول في الفعل و الأفعال القليله بحسب ما تقدم من حسن الظنّ به ثم ينتهي الأمر بعد ذلك إلى بعد التأويل و العمل على الظاهر القبيح.

على أن الوجه الصحيح في هذا الباب أن أهل الحق كانوا معتقدين لخلعه من أول حدث بل معتقدين لأن إمامته لم تثبت وقتا من الأوقات و إنما منعهم من اظهار ما في نفوسهم ما قدمناه من أسباب الخوف و التقية و لأنّ الاغترار بالرجل كان عاما فلما تبين أمره حالا- بعد حال و اعرضت الوجوه عنه و قل العاذله قويت الكلمه في عزله و هذا إنّما كان في آخر الأمر دون أوّله فليس يقتضى الامساك إلى الوقت الذي وقع الكلام فيه نسبة الخطاء إلى الجميع على ما ظنّه.

فأمّا دفعه أن يكون الأئمه أجمعت على خلعه باخراجه نفسه و خروج من كان في حيزه عن القوم» فليس بشيء لأنّه إذا ثبت أن من عداه و عدا عبيده و الرهط من فجّار أهله و فسّاقهم كمروان و من جرى مجراه كانوا مجمعين على خلعه فلا شبهه أن الحق في غير حيزه لأنّه لا يجوز أن يكون هو المصيب و جميع الأئمه مبطل و إنما يدعى أنه على الحق من تنازع في إجماع من عداه فأما مع تسليم ذلك فليس يبقى شبهه و ما نجد مخالفينا يعتبرون في باب الإجماع الشذاذ عنه و النفر القليل الخارجين منه ألا ترى أنهم لا يحلفون بخلاف سعد و ولده و أهله في بيعه أبي بكر لقلتهم

ص: ٣٤٧

و كثره من بازائهم و كذلك لا- يعتدون بخلاف من امتنع من بيعه أمير المؤمنين عليه السلام و يجعلونه شاذًا لا تأثير له فكيف فارقوا هذه الطريقة في خلع عثمان و هل هذا إلا تقلب و تلؤن.

فأما قوله «إنَّ الصحابه بين فريقين اما من ينصره كزيد بن ثابت و ابن عمر و فلان و فلان و الباقون ممتنعون انتظار الزوال العارض و لأنه ما ضيق عليهم الأمر في الدفع عنه» فعجيب لأن الظاهر أن انصاره هم الذين كانوا معه في الدار يقاتلون عنه و يدفعون الهاجمين عليه فقط، فأما من كان في منزله ما أغنى عنه فتيلًا لا يعد ناصرا و كيف يجوز ممن أراد نصرته و كان معتقدا لصوابه و خطاء الطالبين لخلعه أن يتوقف عن النصره طلبا لزوال العارض و هل يراد النصره إلا لدفع العارض و بعد زواله لا حاجة إليها و ليس يحتاج في نصرته إلى أن يضيق هو عليهم الأمر فيها بل من كان معتقدا لها لا يحتاج حمله إلى إذنه فيها و لا يحفل بنهيها عنها لأن المنكر مما قد تقدّم أمر الله تعالى فيه بالنهاى عنه فليس يحتاج في إنكاره إلى أمر غيره.

فأما زيد بن ثابت فقد روى ميله إلى عثمان فما نعى ذلك و بازائه جميع الأنصار و المهاجرين و لميله إليه سبب معروف قد روته الرواه فإنّ الواقدي قد روى في كتاب الدار أن مروان بن الحكم لما حصر عثمان الحصر الأخير جاء إلى زيد بن ثابت فاستصحبه إلى عائشه ليكلّمها في هذا الأمر فمضيا إليها و هى عازمه إلى الحجّ فكلّماها في أن تقيم و تذبّ عنه فأقبلت على زيد بن ثابت فقالت: و ما منعك يا ابن ثابت و لك الاساويف قد قطعها لك عثمان و لك كذا و كذا و أعطاك من بيت المال زها عشرة ألف دينار؟ قال زيد: فلم أرجع عليها حرفا واحدا.

قال: و أشارت إلى مروان بالقيام فقام مروان و هو يقول متمثلا حرق قيس على البلاد حتى إذا اضطربت أجد ما، فنادته عايشه و قد خرج من العتبه:

يا ابن الحكم أعلّى تمثل الاشعار؟ قد و الله سمعت ما قلت، أ ترانى في شك من صاحبك؟ و الذى نفسى بيده لوددت أنه الان فى غراره من غرائرى مخيطه عليها فألقياها فى البحر الأخضر، قال زيد: فخرجنا من عندها على الناس.

ص: ٣٤٨

و روى الواقدي: أنَّ زيد بن ثابت اجتمع عليه عصبه من الأنصار و هو يدعوهم إلى نصر عثمان فوقف عليه جبله بن عمرو بن حيه المازني فقال له جبله: ما يمنعك يا زيد أن تذبّ عنه أعطاك عشرة ألف دينار و أعطاك حدائق من نخل ما لم ترث من أبيك مثل حديقته منها.

فأمّا ابن عمر فإنّ الواقدي أيضا روى عن ابن عمر أنّه قال: و الله ما كان منا إلّا خاذل أو قاتل و الأمر في هذا أوضح من أن يخفى.

فأمّا ذكره إنفاذ أمير المؤمنين عليه السّلام الحسن و الحسين» فانما أنفذهما إن كان أنفذهما ليمنعان من انتهاك حريمه و تعمد قتله و منع حرمه و نسائه من الطعام و الشراب و لم ينفذهما ليمنعا من مطالبتة بالخلع كيف و هو مصرّح بأنّه بأحداثه مستحق للخلع و القوم العذّين سعوا في ذلك إليه كانوا يغدون و يروحون إليه و معلوم منه ضروره أنّه كان مساعدا على خلعه و نقض أمره لا سيّما في المرّة الأخيرة.

فأمّا ادّعائه أنّه لعن قتلته فهو يعلم ما في هذا من الرّوايات المختلفه الّتي هي أظهر من هذه الروايه و إن صحت فيجوز أن يكون محموله على لعن من قتله متعمدا لقتله قاصدا إليه فإن ذلك لم يكن لهم.

فأمّا ادّعائه أن طلحه رجع لما ناشده عثمان يوم الدار فظاهر البطلان و غير معروف في الروايه و الظاهر المعروف أنّه لم يكن على عثمان أشدّ من طلحه يوم الدار و لا أغلظ و لو حكينا من كلامه فيه ما قد روى لافنيينا قطعه كبيره من هذا الكتاب.

و قد روى: أنّ عثمان كان يقول يوم الدار: اللهم اكفني طلحه و يكرر ذلك علما منه بأنّه أشدّ القوم عليه.

و روى أن طلحه كان عليه يوم الدار درع و هو يرمى الناس و لم ينزع عن القتال حتّى قتل الرجل.

فأمّا ادّعائه من الروايه «عن النّبيّ صلّى الله عليه و آله أنّه ستكون فتنه و أن عثمان و أصحابه

يومئذ على الهدى» فهو يعلم أن هذه الرواية الشاذة لا يكون في مقابله المعلوم ضروره من إجماع الأمة على خلعه و خذله و كلام وجوه المهاجرين و الأنصار فيه و بإزاء هذه الرواية مما يملأ الطروس عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ غيرِهِ مِمَّا يَتَضَمَّنُ ضِدَّ مَا تَضَمَّنَتْهُ وَ لو كانت هذه الرواية معروفة لكان عثمان أولى الناس بالاحتجاج بها يوم الدَّار وَ قد احتجَّ عليهم بكلِّ غث و سمين، وَ قبل ذلك لما خوصم وَ طُوبِ بأن يخلع نفسه، وَ لاحتجَّ عنه بعض أصحابه وَ أنصاره وَ فى علمنا بأن شيئاً من ذلك لم يكن دلاله على أنَّها مصنوعة.

فأما ما رواه عن عائشه من قولها: «قتل و الله مظلوما» فأقوال عايشه فيه معروفة معلومه وَ إخراجها قميص رسول الله صَلَّى الله عليه وَ آلِهِ وَ هى تقول: هذا قميصه لم يبل وَ قد بليت سنته وَ غير ذلك ممَّا لا يحصى كثره.

فأما مدحها وَ ثناؤها عليه فانما كان عقيب علمها بانتقال الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السَّلام وَ السبب فيه معروف وَ قد وقفت عليه وَ قوبل بين كلامها فيه متقدِّماً وَ متأخراً.

فأمَّا قوله: «لا- يمتنع أن يتعلَّق بأخبار الاحاد فى ذلك لأنها فى مقابله ما يدَّعونه ممَّا طريقه أيضا الاحاد» فواضح البطلان لأنَّ إطباق الصحابه وَ أهل المدينه إلَّا من كان فى الدَّار معه على خلافه وَ أنهم كانوا بين مجاهد وَ مقاتل مبارز وَ بين خاذل متقاعد معلوم ضروره لكل من سمع الأخبار وَ كيف يدَّعى أنها من جملة الاحاد حتَّى يعارض بأخبار شاذَّه نادره وَ هل هذا إلَّا مكابره ظاهره؟ فأما قوله: «إنا لا نعدل عن ولايته بامور محتمله» فقد مضى الكلام فى هذا المعنى وَ قلنا ان المحتمل هو ما لا ظاهر له وَ الذى يتجاذ به الأمور المختلفه فأما ما له ظاهر فلا يسمى محتملا وَ إن سماه بهذه التسميه فقد بينا أنَّه ممَّا يعدل من أجله عن الولايه وَ فصلنا ذلك تفصيلا بينا.

فأمَّا قوله «إن للإمام أن يجتهد رأيه فى الأمور المنوطه به وَ يكون مصيبا وَ إن أفضت إلى عاقبه مذمومه» فأوَّل ما فيه أنَّه ليس للإمام وَ لا غيره أن يجتهد فى الأحكام وَ لا يجوز العمل فيها إلَّا على النصوص. ثمَّ إذا سلمنا الاجتهاد فلا شك أن

ص: ٣٥٠

ههنا امورا لا يسوغ فيها الاجتهاد حتّى يكون من خبرنا عنه بأنّه اجتهد فيها غير مصدق و تفصيل هذه الجملة يبين عند الكلام على ما تعاطاه من الأعذار فى أحداثه.

أقول: من نظر فى فعل كبار الصحابه من المهاجرين و الأنصار بعثمان أنهم حصروه أربعين ليلة و منعوه من الماء و خذلوه حتّى قتل و قد كان يمكنهم الدفع عنه على أنّهم أعانوا قاتليه بل شهد قتله ثمانمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و تركوه بعد القتل ثلاثه أيام و لم يدفنوه حتّى قام ثلاثه نفر من بنى اميه فأخذوه بالليل سرقة و دفنوه لكيلا يعلم بهم أحد و دفنوه فى حش كوكب مقبر يهود يدلّ على عظم أحداثه و كبر معاصيه و الحق كما قال محمّد بن مسلمة بروايه الواقدي المتقدمه إن عثمان قتل نفسه، على أن خاذليه كانوا خيرا من ناصريه لأن الذين نصره كان أكثرهم فسادا كمروان بن الحكم و أضرابه و خذله المهاجرون و الأنصار، و كفى فى المقام إعراض أمير المؤمنين على عليه السلام عن نصرته آخر الأمر مع قدرته على ذلك و قوله عليه السلام الله قتله. على أنّه عليه السلام نصحه و نصره غير مره و ما أراد عثمان منه عليه السلام نصحا و إلّا لتاب من قوادحه حقيقه و لما خدع الناس مره بعد مره، و من تتبع كتب السير و التواريخ و سمع مقالات كبار الصحابه و عظماء القوم فى عثمان و توبته ظاهرا من أحداثه دفعه ثمّ نقضه التوبه و فعله ما فعل دفعه اخرى درى أنّ عثمان اتخذ دين الله لعبا و بيت المال طعاما له و لبنى اميّه و أتباعه و ذوى رحمه ممّن سمعت شناعه حالهم و بشاعه أمرهم، و أنّ أجوبه القاضى عبد الجبار و اشياعه الواهيّه ناشئه من التعصب، و أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السلام كان معتزلا للفتنه بقتل عثمان و أنّه بعد عن منزله فى المدينه لأن لا- تتطرق عليه الظنون برغبته فى البيعه بالأمر على الناس و أنّ الصحابه لما كان من أمر عثمان ما كان التمسوه و بحثوا عن مكانه حتّى وجدوه فصاروا إليه و سألوه القيام بالأئمّه. و نص أبو جعفر الطبرى فى التاريخ انه لما حصر عثمان كان على عليه السلام بخير و أن معاويه و أهل البصره اتهموا عليّا عليه السلام بدم عثمان اتباعا لتسويلات شيطانيه و أن اسناد دم عثمان إليه عليه السلام تهمه و بهتان

ليس إلا وهذه التهمة كفران النعمه وقله الشكر لأن أمير المؤمنين عليه السلام نصر عثمان من بدو الأمر لما استنصره غير مره و لقد مضى قوله عليه السلام فى الكلام ٢٣٨ من المختار فى باب الخطب: والله لقد دفعت عنه (يعنى عن عثمان) حتى خشيت أن أكون آثما، و لعمري أن أمير المؤمنين عليه السلام أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها و لو قبلها لم يحدث عليه ما حدث فلما رأى عليه السلام أفعاله و أقواله كما سمعت خرج من عنده مغضبا تركه مخذولا حتى ذاق ما ذاق.

ثم ليعلم أن طلحه و الزبير و عائشه فيما صنعوه فى أيام عثمان من أوكد أسباب ما تم عليه من الخلع و الحصر و سفك الدّم و الفساد و ذلك ظاهر بين لدوى العقول السليمه من آفه التعصب و التقليد و سيتضح أشد ايضاح فى شرح الكتب الاتيه.

و اعلم أنه ليس غرضنا من ذكر أحداث عثمان و ما نقم الناس منه إبطالا لامامته بعد ظهورها منه فان هذا البحث انما يختص بمن قال بإمامته قبل أحداثه و رجع عنها عند وقوع أحداثه و هم الخوارج و من وافقهم و أما عندنا معاشر الإماميه لم يثبت إمامه الرجل و أشباهه وقتا من الأوقات لما قدمنا فى شرح الخطبه ٢٣٧ ان الإمامه عندنا رئاسه إلهيه و الله تعالى أعلم حيث يجعلها و أن الإمام يجب أن يكون منصوبا و منصوبا من الله تعالى و معصوما من جميع الذنوب و منزها من العيوب مطلقا و أنها عهد الله لا ينال الظالمين فالحرى بنا أن نعود إلى الشرح:

قول الرضى رضى الله عنه: «و من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفه عند مسيره إليهم من المدينه إلى البصره» أقول: إنما كان مسيره عليه السلام إلى البصره لقتال أصحاب الجمل فيليق أن نذكر ما كان سبب ذلك القتال و علّه وقوعه فى البصره على الاجمال ليكون القارى على بصيره. و اعلم ان الناس بعد قتل عثمان أتوا أمير المؤمنين عليا عليه السلام منزله فقالوا إن هذا الرجل قد قتل و لابد للناس من إمام و لا يصلح لامامه المسلمين سواك و لا نجد اليوم أحدا أحقّ بهذا الأمر منك لا أقدم سابقه و لا أقرب من رسول الله صلى الله عليه و آله فقال عليه السلام: لا حاجه لى فى أمركم أنا

معكم فمن اخترتم فقد رضيت به فإنني أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا، فاختراروا فقالوا: والله ما نختار غيرك. فلما انصرفوا عنه عليه السلام كلم بعضهم بعضا فقالوا: يمضى قتل عثمان في البلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون أنه ببيع لأحد بعده فيثور كل رجل منهم في ناحيه فلا- نأمن أن يكون في ذلك الفساد فلنرجع إلى علي عليه السلام فلا- نتركه حتى يبيع فيطمئن الناس و يسكنون.

فاختلفوا إليه عليه السلام مرارا ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا له: إنه لا- يصلح الناس إلا- بامره وقد طال الأمر فوالله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك فقال عليه السلام:

ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفيه ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، قال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافه أن يشغب عليه و أبي هو إلا المسجد فلما دخل دخل المهاجرون و الأنصار فبايعوه.

أقول: و لقد مضى في الخطبه الواحده و التسعين قوله عليه السلام للناس - لما اريد على البيعه بعد قتل عثمان -: دعوني و التمسوا غيري فإننا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب و لا تثبت عليه العقول و إن الافاق قد أغامت و المحجه قد تنكرت و اعلموا أنني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم و لم اصغ إلى قول القائل و عتب العاتب و إن تركتموني فأنا كأحدكم و لعلّي أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم و أنا لكم وزيرا خير لكم مني أميرا. و رواه أبو جعفر الطبري في التاريخ أيضا مسندا (ص ٢٥٦ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ).

«بيعه طلحه و الزبير عليا (عليه السلام) و انهما أول من بايعه (عليه السلام)»

قال الشيخ المفيد في الجمل: روى أبو إسحاق بن إبراهيم بن محمد الثقفي عن عثمان بن أبي شيبة عن إدريس عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم قال: جاء طلحه و الزبير إلى علي عليه السلام و هو متعوذ بحيطان المدينه فدخلا عليه و قالوا ابسط يدك نبايعك فإن الناس لا- يرضون إلا- بك فقال لهما: لا حاجه لي في ذلك و أن أكون لكما وزيرا خير من أن أكون لكما أميرا فليسط قرشي منكما يده ابايعه. فقالا

ص: ٣٥٣

إِنَّ النَّاسَ لَا يُؤْثِرُونَ غَيْرَكَ وَلَا يَعْدِلُونَ عَنْكَ إِلَى سِوَاكَ فَابْسُطْ يَدَكَ نَبَايِعَكَ أَوَّلَ النَّاسِ فَقَالَ: إِنَّ بَيْعَتِي لَا تَكُونُ سِرًّا فَامْهَلَا حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ. فَقَالَا: بَلْ نَبَايِعُكَ هَهْنَا ثُمَّ نَبَايِعُكَ فِي الْمَسْجِدِ فَبَايَعَاهُ أَوَّلَ النَّاسِ ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى الْمَنْبَرِ أَوَّلَهُمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَكَانَتْ يَدُهُ شَلَّاءَ فَصَعِدَ الْمَنْبَرُ إِلَيْهِ فَصَفَّقَ عَلَى يَدِهِ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يَزْجُرُ الطَّيْرَ قَائِمٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى أَوَّلَ يَدٍ صَفَّقَتْ عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدِ طَلْحَةَ وَهِيَ شَلَّاءُ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أَوَّلَ يَدٍ صَفَّقَتْ عَلَى يَدِهِ شَلَّاءُ يَوْشَكَ أَنْ لَا يَتِمَّ هَذَا الْأَمْرُ ثُمَّ نَزَلَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ بَعْدَهُمَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ: لَمَّا قَتَلَ عُثْمَانُ خُرَجَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السُّوقِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ لَثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَاتَّبَعَهُ النَّاسُ وَبَهَشُوا فِي وَجْهِهِ فَدَخَلَ حَائِطُ بَنِي عَمْرٍو بْنِ مَبْدُولٍ وَقَالَ لِأَبِي عَمْرٍو بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُحَصَّنٍ أَغْلِقِ الْبَابَ فَجَاءَ النَّاسُ فَفَرَعُوا الْبَابَ فَدَخَلُوا فِيهِمْ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَقَالَا: يَا عَلَيَّ ابْسُطْ يَدَكَ فَبَايَعَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَنَظَرَ حَبِيبُ بْنُ ذُوَيْبٍ إِلَى طَلْحَةَ حِينَ بَايَعَ فَقَالَ: أَوَّلَ مَنْ بَدَأَ بِالْبَيْعَةِ يَدِ شَلَّاءَ لَا يَتِمُّ هَذَا الْأَمْرُ وَخُرَجَ عَلَيَّ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَعِدَ الْمَنْبَرُ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَطَاقٌ وَعِمَامَةٌ خَزٌّ وَنَعْلَاهُ فِي يَدِهِ مَتَوَكِّئًا عَلَى قَوْسٍ فَبَايَعَهُ النَّاسُ.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي نَقْلِ آخَرٍ: لَمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَارًا لِلْبَيْعَةِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ اخْتَلَفْتُمْ إِلَيَّ وَأَنْتُمْ وَ إِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ قَوْلًا- إِنْ قَبَلْتُمُوهُ قَبَلْتُ أَمْرَكُمْ وَإِلَّا- فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ؟ قَالُوا: مَا قُلْتَ مِنْ شَيْءٍ قَبَلْنَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَجَاءَ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ كَارَهَا لِأَمْرِكُمْ فَأَيُّتُمْ إِلَّا أَنْ أَكُونَ عَلَيْكُمْ أَلَا وَ إِنَّهُ لَيْسَ لِي أَمْرٌ دُونَكُمْ إِلَّا أَنْ مَفَاتِيحَ مَالِكُمْ مَعِيَ أَلَا وَ إِنَّهُ لَيْسَ لِي أَنْ أَخْذَ مِنْهُ دَرَاهِمًا دُونَكُمْ رَضِيتُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ ثُمَّ بَايَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا نَفِيرًا يَسِيرًا كَانُوا عُثْمَانِيَّةً مِنْهُمْ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَ مُسْلِمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ وَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ وَ النَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ وَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ وَ كَعْبُ بْنُ عَجْرَةَ. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ كَيْفَ أَبِي هُوَلَاءَ بَيْعَهُ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ كَانُوا عُثْمَانِيَّةً؟ قَالَ: أَمَّا حَسَانُ

فكان شاعرا لا يبالي ما يصنع و أما زيد بن ثابت فولّاه عثمان الديوان و بيت المال فلما حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين فقال أبو أيوب:

ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العضدان، فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقه مزيه و ترك ما أخذ منهم له.

و فى نقل آخر فيه: بايع الناس عليا عليه السلام بالمدينه و تربص سبعة نفر فلم يبايعوه منهم سعد بن أبى وقاص و عبد الله بن عمر و صهيب و زيد بن ثابت و محمد بن مسلمه و سلمه بن وقش و اسامه بن زيد و لم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع.

و فى الإمامه و السياسه أنّ عمار بن ياسر استأذن عليا عليه السلام أن يكلم عبد الله ابن عمر و محمد بن مسلمه و سعد بن أبى وقاص فى بيعتهم عليا عليه السلام فأبوا - و بعد نقل مكالمه عمار لكل واحد منهم قال -: فانصرف عمار إلى علي عليه السلام فقال له علي عليه السلام: دع هؤلاء الرهط أما ابن عمر فضيف، و أما سعد فحسود، و ذنبى إلى محمد ابن مسلمه انى قتلت اخاه يوم خيبر: مرحب اليهودى.

«كلامه (عليه السلام) لما تخلف هؤلاء عن بيعته»

فى الارشاد للمفيد قدس سره: و من كلامه عليه السلام حين تخلف عن بيعته عبد الله ابن عمر بن الخطاب و سعد بن أبى وقاص و محمد بن مسلمه و حسان بن ثابت و اسامه ابن زيد، ما رواه الشعبى قال: لما اعتزل سعد و من سمّيناه أمير المؤمنين عليه السلام و توقفوا عن بيعته حمد الله و اثنى عليه ثم قال: ايها الناس إنكم بايعتمونى على ما بويح عليه من كان قبلى و إنما الخيار للناس قبل أن يبايعوا فإذا بايعوا فلا خيار لهم و إنّ على الإمام الاستقامه و على الرعيه التسليم و هذه بيعه عامه من رغب عنها رغب عن دين الإسلام و اتبع غير سبيل أهله و لم تكن بيعتكم إياى فلته و ليس أمرى و أمركم واحد و إنى اريدكم لله و أنتم تريدوننى لأنفسكم و أيم الله لأنصحن للخصم و لأنصفنّ للمظلوم و قد بلغنى عن سعد و ابن مسلمه و اسامه و عبد الله و حسان بن ثابت امور كرهتها و الحق بينى و بينهم.

ص: ٣٥٥

أقول: أتى بكلامه هذا الشريف الرضى فى النهج. و لكن لم يفسر هو و لا أحد من الشراح الذين نعرفهم سببه كما فسر المفيد على أن بينهما تفاوتاً فى الكيف و الكم فأنه نقل هكذا: و من كلامه عليه السلام: لم تكن بيعتكم إياى فلتة و ليس أمرى و أمركم واحداً إننى أريدكم لله و أنتم تريدوننى لأنفسكم أيها الناس أعينونى على انفسكم و أيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه و لأقودن الظالم بخزائمه حتى أورده منهل الحق و إن كان كارها (الكلام ١٣٦ من باب الخطب).

و فى كتاب الجمل للشيخ الأجل المفيد قدس سره: انه روى أبو مخنف لوط بن يحيى عن محمد بن عبد الله بن سواده و طلحه بن الأعمى و أبى عثمان اجمع قالوا: بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسه أيام و أميرها الواقض بن حرب و الناس يلتمسون من يجيبهم لهذا الأمر فلا يجدون فيأتون المصريون علياً عليه السلام فيختبئ عنهم و يلوذ بحيطان المدينة فاذا لقوه يأبى عليهم.

قال: و روى إسحاق بن راشد عن الحميد بن عبد الرحمن عن ابن أثري قال: ألا احديثك بما رأت عيناى و سمعت اذناى لما التقى الناس عند بيت المال قال عليّ عليه السلام لطلحه: ابسط يدك ابايعك فقال طلحه: أنت أحق بهذا الأمر منى و قد اجتمع لك من هؤلاء الناس ما لم يجتمع لى، فقال عليّ عليه السلام: ما خشيناك غيرك فقال طلحه: لا تخش فو الله لا تؤتى من قبلى، و قام عمار بن ياسر و الهيثم بن التيهان و رفاعه بن أبى رافع و مالك بن عجلان و أبو أيوب خالد بن زيد فقالوا لعلّى عليه السلام إنّ هذا الأمر قد فسد و قد رأيت ما صنع عثمان و ما أتاه من خلاف الكتاب و السنّه فابسط يدك لنبايعك لتصلح من أمر الأمه ما قد فسد، فاستقال عليّ عليه السلام و قال: قد رأيتم ما صنع بى و عرفتم رأى القوم فلا حاجه لى فيهم فاقبلوا على الأنصار و قالوا يا معشر الأنصار أنتم أنصار الله و أنصار رسوله و برسوله أكرمكم الله و قد علمتم فضل عليّ و سابقته فى الإسلام و قرابته و مكانته من النّبىّ صلّى الله عليه و آله و إن ولى ينالكم خيراً.

فقال القوم: نحن أرضى الناس به ما نريد به بدلاً ثم اجتمعوا عليه و ما يزالوا

به حتى بايعوه.

و باسناده عن ابن أبي الهيثم بن التيهان قال: يا معشر الأنصار و قد عرفتم رأيي و نصيحتي و مكاني من رسول الله صلى الله عليه و آله و اختياره إياي فردوا هذا الأمر إلى أقدامكم إسلاما و أولاكم برسول الله صلى الله عليه و آله لعل الله أن يجمع به الفتكم و يحقق به دماءكم فأجابه القوم بالسمع و الطاعة.

و روى سيف عن رجاله قال: اجتمع الناس إلى علي عليه السلام و سألوه أن ينظر في أمورهم و بذلوا له البيعة فقال لهم: التمسوا غيري، فقالوا له: ننشدك الله أما ترى الفتنة ألا تخاف الله في ضياع هذه الأمة فلما ألحوا عليه قال لهم: إنني لو أجبتكم حملتكم على ما أعلم و إن تركتموني كنت لأحدكم «كأحدكم ظ».

قالوا: قد رضينا بحلمك «بحملك ط» و ما فينا مخالف لك فاحملنا على ما تراه ثم بايعه الجماعة.

أقول: إن أمير المؤمنين عليه السلام كره إجابته القوم على الفور و البدار لعلمه بعاقبه الأمور و إقدام القوم على الخلاف عليه و للظاهر له و الشنآن و القوم ألحوا فيما دعوه إليه و لم يمنعهم إباءه عليه السلام من الإجابة عن الالاحاح فيما أرادوا و اذكروه بالله عزّ و جلّ و قالوا له إنه لا يصلح لامامه المسلمين سواك و لا نجد أحدا يقوم بهذا الأمر غيرك يصلح أمور الدين و يقوم لحياطه الاسلام و المسلمين فبايعوه عليه السلام على السمع و الطاعة.

«أول خطبه خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما بويع له بالخلافه»

«و اختلاف الأقوال فيه و التوفيق بينهما على التحقيق»

قال أبو جعفر الطبري في التاريخ (ص ٤٥٧ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ):

بويع علي عليه السلام يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة فأول خطبه خطبها علي عليه السلام حين استخلف فيما كتب به إلى السري عن شعيب عن سيف عن سليمان بن أبي المغيرة عن علي بن الحسين: حمد الله و أثني عليه فقال: إن الله عزّ و جلّ أنزل كتابا هاديا

ص: ٣٥٧

بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَخَذُوا بِالْخَيْرِ وَدَعَا الشَّرَّ، الْفَرَاغُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ يُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَمًا غَيْرَ مَجْهُولِهِ وَفَضَلَ حَرَمَهُ الْمُسْلِمَ عَلَى الْحَرَمِ كُلِّهَا وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَ مِنْ سَلَمِ النَّاسِ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ لَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ بِأَمْرِ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةِ أَحَدِكُمْ الْمَوْتَ فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ وَإِنْ مَا مِنْ خَلْفِكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ النَّاسُ أَخْرَاجَهُمْ اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَهُ فِي عِبَادِهِ وَبَلَادِهِ إِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنْ الْبَقَاعِ وَالْبَهَائِمِ أَطِيعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَعْصُوهُ وَإِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ فَخَذُوا بِهِ وَإِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ فَدَعَوْهُ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضَعْفُونَ فِي الْأَرْضِ.

أَقُولُ: أَتَى بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ الرِّضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّهْجِ وَبَيْنَ النِّسْخَتَيْنِ تَفَاوُتٌ فِي بَعْضِ الْعِبَارَاتِ فَارْجِعْ إِلَى الْخُطْبَةِ ١٦٦ مِنْ النَّهْجِ أَوَّلُهَا: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَخَذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَاصْدَفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا - إِلَى آخِرِهَا.

ثُمَّ الظَّاهِرُ أَنَّ الْخُطْبَةَ ٢١ مِنَ النَّهْجِ وَهِيَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «إِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ وَإِنَّ وَرَائَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرَكُمْ» الَّتِي جَعَلَهَا الرِّضَى خُطْبَةً بِحَيَالِهَا جِزءٌ مِنْ تِلْكَ الْخُطْبَةِ وَالْاِخْتِلَافُ بَيْنَ الْخُطْبَتَيْنِ فِي النَّهْجِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ لِأَنَّهَا فِي الْخُطْبَةِ ٢١ تَكُونُ «فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ» وَفِي الْخُطْبَةِ ١٦٦ «فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ» وَإِنَّمَا أَفْرَدَ ذَلِكَ الْجِزءَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ جَمَعَ وَجَازَهُ الْأَلْفَاظُ وَجَزَّاهُ الْمَعْنَى عَلَى حَدِّ كَلَّتِ أَلْسُنُ النَّاسِ عَنْ أَنْ تَأْتِيَ بِمِثْلِهِ وَتَتَفَوَّهَ بِشَبْهِهِ وَهُوَ كَمَا قَالَ الرِّضَى: لَوْ وَزَنَ بَعْدَ كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَبَعْدَ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِكُلِّ كَلَامٍ لِمَالٍ بِهِ رَاجِحًا وَبَرَزَ عَلَيْهِ سَابِقًا، قَالَ: فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا فَمَا سَمِعَ كَلَامَ أَقَلِّ مِنْهُ مَسْمُوعًا وَلَا أَكْثَرَ مَحْصُولًا، إِلَى آخِرِ مَا قَالَ.

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ قَتِيْبَةَ الدِّينَوْرِيَّ قَالَ فِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ: وَذَكَرُوا أَنَّ الْبَيْعَةَ لِمَا تَمَّتْ بِالْمَدِينَةِ خَرَجَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمَسْجِدِ الشَّرِيفِ فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَدَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ خَيْرًا وَتَأَلَّفَهُمْ جِهْدَهُ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَسْتَغْنَى

الرجل و إن كان ذا مال و ولد عن عشيرته و دفاعهم عنه بأيديهم و ألسنتهم هم أعظم الناس حيطه من ورائه و إليهم سعيه و أعطفهم عليه إن أصابته مصيبه أو نزل به بعض مكاره الأمور و من يقبض يده عن عشيرته فأنه يقبض عنهم يدا واحده و تقبض عنه أيد كثيره و من بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله له ما أنفق في دنياه و يضاعف له في آخرته، و اعلّموا أنّ لسان صدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال فلا يزداد أحدكم كبرياء و لا عظمه في نفسه و لا يغفل أحدكم عن القرابه أن يصلها بالذى لا يزيده إن أمسكه و لا ينقصه إن أهلكه، و اعلّموا أنّ الدنيا قد أدبرت و الاخره قد أقبلت ألا و إن المضمار اليوم و السبق غدا ألا و إن السبقه الجنّه و الغايه النار ألا إنّ الأمل يسهى القلب و يكذب الوعد و يأتي بغفله و يورث حسره فهو غرور و صاحبه في عناء فافزعوا إلى قوام دينكم و إتمام صلاتكم و أداء زكاتكم و النصيحه لامامكم و تعلّموا كتاب الله و اصدقوا الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و أوفوا بالعهد إذا عاهدتم و أدّوا الأمانات إذا ائتمتم و ارغبوا في ثواب الله و ارهبوا عذابه و اعملوا الخير تجزوا خيرا يوم يفوز بالخير من قدم الخير.

أقول: هذه الخطبه المنقوله من الدينورى المذكوره فى النهج (الخطبه ٢٨) و نقلها المفيد فى الارشاد مبتدأه من قوله عليه السلام و اعلّموا أنّ الدنيا قد أدبرت و لم يبيّن بأنّ الخطبه خطبها عليه السلام لما تمت البيعه له عليه السلام كما صرّح به الدينورى مع أنّ بين النسخ اختلافا سيما بين ما فى الإمامه و السياسه و بين ما فى النهج و الإرشاد.

و لا يخفى أنّ ظاهر كلام الدينورى أنّ ما نقله هو أوّل خطبه خطبها بعد تمام البيعه و إن كان يمكن بالدقه أن يستفاد منه عدم كونه أوّل خطبه خطبها فى خلافته عليه السلام لكنه خلاف الظاهر من عبارته.

ثمّ إنّ المفيد قدّس سرّه قال فى الجمل (ص ٧٧ طبع النجف): قوله عليه السلام فى أوّل خطبه خطبها بعد قتل عثمان و بيعه الناس له: قد مضت امور كنتم فيها غير محمودى الرأى أما لو أشاء لقلت و لكن عفى الله عما سلف سبق الرجالين و قام الثالث كالغراب همته بطنه و فرجه يا ويله لو قصّ جناحه و قطع رأسه لكان خيرا له حتّى

انتهى إلى قوله - وقد أهلك الله فرعون و هامان و قارون، فما يتصل بهذه الخطبه إلى آخرها.

أقول: ما نقله المفيد «ره» مذكور بعضها فى الخطبه ١٧٧ من النهج أولها:

لا- يشغله شأن و لا يغيره زمان و لا يحويه مكان و لا يصفه لسان لا يعزب عنه عدد قطر الماء - إلى آخرها - و صرح الشارح المحقق ابن ميثم البحرانى رحمه الله فى شرح النهج (ص ٣٥٤ طبع ١٢٧٦ المطبوعه بالحجر) بأن هذه الخطبه اعنى الخطبه ١٧٧ من النهج خطب بها أمير المؤمنين على عليه السلام بعد مقتل عثمان فى أول خلافته كما أنه و الشارح الفاضل المعتزلى و الشريف الرضى و الطبرى و غيرهم صرحوا بأن الخطبه ١٦٦ من النهج المذكوره آنفا أول خطبه خطبها فى أول خلافته.

«التوفيق بين تلك الأقوال و وجه الجمع فيها»

فبعد الفحص و التتبع و الغور فى الأخبار و السير و الأقوال و التأمل فى فحوى الخطب الموسومه من النهج حصل لنا أن الخطبه ٢١ من النهج و الخطبه ٢٨ و الخطبه ١٦٦ و الخطبه ١٧٧ كانت جميعا خطبه واحده خطبها عليه السلام فى أول خلافته و ذكر المؤلفون فى كل موضع جزء منها فتشتت فى النهج فجعل كل جزء خطبه على حده. فلنرجع إلى ما كنا فيه.

«الناكثان طلحه و الزبير و عله نكثهما بيعه أمير المؤمنين (عليه السلام)»

و اعلم أن ظاهر الفتنة بالبصره إنما أحدثه طلحه و الزبير من نكث البيعه التى بذلاها لأمير المؤمنين عليه السلام طوعا و اختيارا و اثارا و خروجهما عن المدينه إلى مكه على اظهار منهما ابتغاء العمره فلما وصلاها اجتمعا مع عائشه و عمال عثمان الهاريين بأموال المسلمين إلى مكه طمعا فيما احتجبه منها و خوفا من أمير المؤمنين عليه السلام و اتفاق رأيهم على الطلب بدم عثمان و التعلق عليه فى ذلك بانحياز قتله عثمان و حاصريه و خاذليه من المهاجرين و الأنصار و أهل مصر و العراق و كونهم جندا له و أنصارا و اختصاصهم به فى حربهم منه و مظاهرتهم لهم بالجميل و قوله فيهم الحسن من

ص: ٣٦٠

الكلام و ترك إنكار ما منعه عثمان و الأعراض عنهم فى ذلك، و شبهوا بذلك على الضعفاء و اغتروا به السفهاء و أوهموهم بذلك لظلم عثمان و البراءة من شىء يستحق به ما صنع به القوم من احصاره و خلعه و المنازعه إلى دمه فأجابهم إلى مرادهم من الفتنة من استغووهم بما وصفناه و قصدوا البصره لعلمهم أن جمهور أهلها من شيعه عثمان و أصحاب عامله ابن عمه كان بها و هو عبد الله بن كريز بن عامر و كان ذلك منهم ظاهرا و باطنا بخلافه كما تدلّ عليه الأخبار و يوضح عن صحه الحكم به الاعتبار، ألا ترى أن طلحه و الزبير و عائشه باجماع العلماء بالسير و الآثار هم الذين كانوا أوكد السبب لخلع عثمان و حصره و قتله و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يزل يدفعهم عن ذلك و يلفظ فى منعهم عنه و يبذل الجهد فى إصلاح حاله مع المنكرين عليه العائين له بأفعاله و المحتجّين عليه بأقواله فلنذكر طائفه من الأخبار فى سبب نكث طلحه و الزبير البيعه و إثارتها فتنة الجمل.

فى الامامه و السياسه للدينورى: ذكروا أنّ الزبير و طلحه أتيا عليّا عليه السّلام بعد فراغ البيعه فقالا: هل تدرى على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟ قال عليّ عليه السّلام:

نعم على السمع و الطاعه و على ما بايعتم عليه أبا بكر و عمر و عثمان، فقالا: لا و لكنّا بايعناك على أنا شريكاك فى الأمر. قال عليّ عليه السّلام: لا، و لكنكما شريكان فى القول و الاستقامه و العون على العجز و الأولاد. قال: و كان الزبير لا يشكّ فى ولايه العراق و طلحه فى اليمن فلما استبان لهما أنّ عليّا غير موليّهما شيئا أظهرّا الشكاه فتكلم الزبير فى ملاء من قريش، فقال: هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له فى أمر عثمان حتّى أثبتنا عليه الذنب و سببنا له القتل و هو جالس فى بيته و كفى الأمر فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا، فقال طلحه: ما اللوم إلّا أنا كنّا ثلاثه من أهل الشورى كرهه أحدنا و بايعناه و أعطيناه ما فى أيدينا و منعنا ما فى يده فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا. قال: فانتهى قولهما إلى عليّ عليه السّلام فدعا عبد الله بن عباس و كان استوزره، فقال له: بلغك قول هذين الرجلين؟ قال: نعم، بلغنى قولهما. قال: فما ترى؟ قال: أرى أنّهما أحبّا الولايه فولّ البصره الزبير و ولّ طلحه الكوفه فانهما ليسا

بأقرب إليك من الوليد و ابن عامر من عثمان، فضحك عليّ عليه السّلام ثمّ قال: ويحك إنّ العراقيين بهما الرجال و الأموال و متى تملكا رقاب النّاس يستميلا السفیه بالطمع و يضربا الضعیف بالبلاء و يقويا على القوى بالسلطان، و لو كنت مستعملا أحدا لضرّهُ و نفعه لاستعملت معاويه على الشام و لو لا ما ظهر لى من حرصهما على الولایه لكان لى فیهما رأى. قال: ثمّ أتى طلحه و الزبیر إلى علیّ علیه السّلام فقالا: یا أمیر المؤمنین ائذن لنا إلى العمره فان تقم إلى انقضائها رجعنا إليك و إن تسر نتبعک، فنظر إليهما علیّ علیه السّلام و قال: نعم، و الله ما العمره تريدان و إنّما تريدان أن تمضیا إلى شأنكما فمضیا.

و قال المسعودی فی مروج الذهب: انهما استأذنا علیّا علیه السّلام فی العمره فقال علیه السّلام لعلكما تريدان البصره و الشام فأقسما أنّهما لا يريدان غیر مکّه.

أقول: و سیأتی طائفه من الأقوال و الأخبار فیهما بعيد هذا و إنّ ما يستفید المتبع الخیر من سبب نکث الرجلین البیعه هو یأسهما ممّا كانا یرجوان به من قتل عثمان بن عفان من البیعه لأحدهما بالامامه و اتّساق الأمر فی البیعه لعلیّ بن أبی طالب ثمّ أنّه علیه السّلام ما ولیهما شیئا لأنّهما لم یكونا أهلا لذلك لما قد سمعت و تأکد سبب النکث بذلك.

فی الجمل للمفید: لما أیس الرجلان من نیل ما طمعا فیهِ من التأمّر على الناس و التملک لأمرهم و بسط الید علیهم و وجدا الأّمه لا تعدل بأمر المؤمنین علیه السّلام أحدا و عرفا رأى المهاجرین و الأنصار و من ذلك أرادا الحظوه عنده بالبدار إلى بیعته و ظنا بذلك شرکائه فی أمره و تحقّقا أنّهما لا یلیان معه أمرا و استقر الأمر على أمیر المؤمنین علیه السّلام بیعه المهاجرین و الأنصار و بنی هاشم و کافه النّاس إلّا من شدّ من بطانه عثمان و كانوا على خفاء لاشخاصهم مخافه على دمائهم من أهل الايمان، فصارا إلى أمیر المؤمنین علیه السّلام فطلب منه طلحه و لایه العراق و طلب منه الزبیر و لایه الشام فأمسک علیّ علیه السّلام عن إجابتهما فی شیء من ذلك فانصرفا و هما ساخطان و قد عرفا ما كان غلب فی ظنهما قبل من رأیه فترکاه یومین أو ثلاثه آیام ثمّ صارا إليه و استأذنا علیه

فأذن لهما و كان في عليه داره فصعدا إليه و جلسا عنده بين يديه و قالوا يا أمير المؤمنين قد عرفت حال هذه الأزمنة و ما نحن فيه من الشدة و قد جئناك لتدفع إلينا شيئاً نصلح به أحوالنا و نقضى به حقوقاً علينا.

فقال عليه السلام قد عرفت ما لي بينكما (١) فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر.

فقالا: لا- حاجه لنا في مالک بینع فقال عليه السلام لهما: ما أصنع؟ فقالا له: أعطنا من بيت المال شيئاً لنا فيه كفايه. فقال عليه السلام سبحان الله و أي يدلي في بيت المال و ذلك للمسلمين و أنا خازنهم و أمين لهم، فإن شئتما رقيتما المنبر و سألتما ذلك ما شئتما فإن أذنوا فيه فعلت، و أني لي بذلك و هو لكافه المسلمين شاهدهم و غائبهم لكني أبدى لكما عذرا فقالا ما كنا بالذي نكلفك ذلك و لو كلفناك لما أجابك المسلمون فقال لهما: فما أصنع؟ قالوا: قد سمعنا ما عندك ثم نزلنا من العلية و كان في أرض الدار خادمه لأمير المؤمنين عليه السلام سمعتهما يقولان: و الله ما بايعنا بقلوبنا و إن كنا بايعنا بألسنتنا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيَهُ أَجْرًا عَظِيمًا» (الفتح: ١١) فتركاه يومين آخرين و قد جاءهما الخبر بإظهار عائشه بمكها ما أظهرته من كراهه أمره و كراهه من قتل عثمان و الدعاء إلى نصره و الطلب بدمه و أن عمال عثمان قد هربوا من الأمصار إلى مكها بما احتجبه من أموال المسلمين و لخوفهم من أمير المؤمنين عليه السلام و من معه من المهاجرين و الأنصار و أن مروان بن الحكم ابن عم عثمان و يعلى بن منبه خليفته و عامله كان باليمن و عبد الله بن عامر بن كريز ابن عمه و عامله كان على البصره و قد اجتمعوا مع عائشه و هم يدبرون الأمر في الفتنة فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السلام و تيمما وقت خلوته فلما دخلا عليه قالوا يا أمير المؤمنين قد جئناك نستأذنك للخروج في العمره لأنا بعيد العهد بها ائذن لنا فيها.

ص: ٣٦٣

١- (١) قد مضى البيان في ينبع في شرح الكلام ٢٣٨ من المختار في باب الخطب فراجع.

فقال عليه السّلام: و الله ما تريدان العمره و لكنكما تريدان الغدره، و إنّما تريدان البصره. فقالا: اللهم غفرا ما نريد إلاّ العمره. فقال عليه السّلام احلفا لى بالله العظيم انكما لا- تفسدان علىّ أمر المسلمين و لا- تنكثان لى بيعه و لا تسعيان فى فتنه فبذلا ألستهما بالإيمان المؤكّده فيما استحلفهما عليه من ذلك.

فلما خرجا من عنده عليه السّلام لقيهما ابن عباس فقال لهما: أذن لكما أمير المؤمنين؟ فقالا: نعم. فدخل على أمير المؤمنين فابتدأه عليه السّلام فقال: يا ابن عباس! أ عندك الخبر؟ قال: قد رأيت طلحه و الزبير فقال عليه السّلام انهما استأذنانى فى العمره فأذنت لهما بعد أن استوثقت منهما بالإيمان أن لا يغدرا و لا ينكثا و لا يحدثا فسادا و الله يا ابن عباس و إنّى أعلم أنّهما ما قصدا إلاّ الفتنة فكأننى بهما و قد صارا إلى مكه ليسعيا إلى حربى فإنّ يعلى بن منبه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق و فارس لينفق ذلك و سيفسدان هذان الرجلان علىّ أمرى و يسفكان دماء شيعتى و أنصارى.

قال عبد الله بن عباس: إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوم فلم أذنت لهما و هلاّ حبستهما و أوثقتهما بالحديد و كفيت المسلمين شرهما؟ فقال عليه السّلام: يا ابن عباس أ تأمرنى بالظلم بدءا و بالسيئه قبل الحسنه و أعاقب على الظنه و التهمه و أؤاخذ بالفعل قبل كونه؟ كلاّ و الله لا عدلت عما أخذ الله علىّ من الحكم و العدل و لا ابتدأ بالفصل يا ابن عباس اننى أذنت لهما و أعرف ما يكون منهما و لكننى استظهرت بالله عليهما و الله لأقتلنهما و لأخيبن ظنهما و لا- يلقىان من الأمر مناهما و أنّ الله يأخذهما بظلمهما لى و نكثهما بيعتى و بغيهما علىّ.

أقول: قد علمت سابقا ممّا نقلنا من الفريقين أنّ طلحه كان أوّل من رمى بسهم فى دار عثمان و قال: لا ننعمنّ عينا و لا نتركه يأكل و لا- يشرب، و لما حيل بين أهل دار عثمان و بين الماء فنظر الزبير نحوهم و قال و حيل بينهم و بين ما يشتهون - الايه، و غير ذلك ممّا قالوا لعثمان و فعلوا به ممّا لا حازه إلى إعادته ثمّ دريت أنّهما أوّل من بايع عليّا عليه السّلام على ما قد فضّلنا و بيّنا ثمّ نكثا بيعته بالسبب الذى ذكرناه و العجب أنّهما مع ما فعلا بعثمان جعلاد دم عثمان مستمسكا و نهضا إلى طلب

دمه فحاربها أمير المؤمنين عليه السّلام و شيعته الموحدين المسلمين و من تأمّل حقّ التأمّل في جميع ما قدمنا علم أنّهما و أضرابهما لم يكونوا فيما صنعوه على جميل طويه في الدّين و لا نصيحة للمسلمين و أنّ الذّي أظهره من الطلب بدم عثمان إنّما كان تشبيها و تلبّيسا على العامّة و المستضعفين. نعوذ بالله من همزات الشياطين و نسأله أن لا يجعل الدّنيا أكبر همّنا فإنها رأس كلّ خطيئه و اسّها.

«خلاف عائشه على علي (عليه السلام) و أطوار أحوالها و أقوالها فيه (عليه السلام) و في عثمان»

قد علمت ممّا سبق أن عائشه كانت أوّل من طعن على عثمان و أطمع النّاس فيه و كانت تقول: اقتلوا نعثلا و صرّحت بانه طاغيه و أمرت بقتل عثمان و نادته بقولها يا غدر يا فجر و أرائته قميص رسول الله صلّى الله عليه و آله و نعليه و قالت له انها لم يتغير و أنت غيرت سنته، و نهت ابن عباس عن أن يرد النّاس عن قتل الطاغية تعني بالطاغية عثمان و غيرها ممّا نقلناها من الفريقين. هذا هو طور.

ثمّ لما قتل عثمان بن عفان خرج البغاه إلى الافاق فلما وصل بعضهم إلى مكّه سمعت بذلك عائشه فاستبشرت بقتله و قالت قتلتها عماله إنّّه أحرق كتاب الله و أمات سنه رسول الله صلّى الله عليه و آله فقتله الله، فقالت للنّاعى: و من بايع النّاس؟ فقال لها النّاعى: لم أبرح من المدينه حتّى أخذ طلحه بن عبد الله ناعجا لعثمان و عمل مفاتيح لأبواب بيت المال و لا شك أنّ النّاس قد بايعوه فقالت اى هذا لأصبيح وجدوك لها محسنا و بها كافيا، ثمّ قالت شدّوا رحلى فقد قضيت عمرتى لأتوجّه إلى منزلى فلما شدّوا رحالها و استوت على مركبها سارت حتّى بلغت شرقاء (موضع معروف بهذا الاسم) لقيها إبراهيم بن عبيد بن أمّ كلاب فقالت: ما الخبر؟ فقال: قتل عثمان، قالت: قتل نعثل، فقالت: أخبرنى عن قصّته و كيف كان أمره؟ فقال لها:

لما أحاط النّاس بالدار رأيت طلحه بن عبد الله قد غلب على الأمر و اتخذ مفاتيح على بيوت الأموال و الخزائن و تهيأ لبيع له فلما قتل عثمان مال النّاس إلى على بن أبى طالب و لم يعدلوا به طلحه و لا غيره و خرجوا فى طلب علىّ يقدمهم الأشتر

و محمد بن أبي بكر و عمار بن ياسر حتى أتوا علياً و هو في بيت سكن فيه فقالوا له بايعنا على الطاعة لك فتفكر ساعه فقال الأشر: يا علي إن الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن يختلف الناس، قال و كان في الجماعه طلحه و الزبير فظننت أن سيكون بين طلحه و الزبير و علي كلام قبل ذلك، فقال الأشر لطلحه: قم يا طلحه فبايع ثم قم يا زبير فبايع فما تنتظران فقاما فبايعا و أنا أرى أيديهما على يد علي يصفقانهما بيعة ثم صعد علي بن أبي طالب المنبر فتكلم بكلام لا أحفظ إلا أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر و بايعوه من الغد فلما كان اليوم الثالث خرجت و لا أعلم ما جرى بعدى.

فقالت: يا أخا بني بكر أنت رأيت طلحه بايع علياً؟ فقلت: إي والله رأيت بايعه و ما قلت إلا رأيت طلحه و الزبير أول من بايعه فقالت: إنما لله اكره و الله الرجل و غضب علي بن أبي طالب أمرهم و قتل خليفه الله مظلوماً، ردوا بغالى فرجعت إلى مكه، قال: و سرت معها فجعلت تسألني في المسير و جعلت اخبرها ما كان فقالت لى هذا بعهدى و ما كنت أظن أن الناس يعدلون عن طلحه مع بلائه يوم احد، قلت فإن كان بالبلاء فصاحبه الذى بويع ذو بلاء و عناء، فقالت يا أخا بني بكر لا نسألك هذا غير حتى إذا دخلت مكه فسألك الناس ما ردّ أم المؤمنين فقل: القيام بدم عثمان و الطلب به.

و جاءها يعلى بن منبه فقال لها: قد قتل خليفتك الذى تحرضين على قتله فقالت: برأت إلى الله ممن قتله، قال: الان، ثم قال لها: أظهرى البراءة ثانيا من قاتله.

فخرجت عائشه إلى المسجد فابتدأت بالحجر فتسترت فيه و نادى مناديهما باجتماع الناس إليها فلما اجتمعوا تكلمت من وراء الستر و جعلت تتبرأ ممن قتل عثمان و تدعو إلى نصره عثمان و تنعاه إلى الناس و تبكيه و تشهد أنه قتل مظلوماً و جاءها عبد الله بن الحضرمي عامل عثمان على مكه فقال: قرّت عينك قتل عثمان و بلغت ما أردت من أمره، فقالت: سبحان الله أنا طلبت قتله إنما كنت عاتبه

عليه من شيء أرضاني فيه قتل و الله من خير من عثمان بن عفان و أرضى عند الله و عند المسلمين و الله ما زال قاتله (تعنى أمير المؤمنين علياً عليه السلام) مؤخراً منذ بعث محمد صلى الله عليه و آله و بعد أن توفى عدل عنه الناس على خيره من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و لا يروونه أهلاً للأمر و لكنه رجل يحب الإمره و الله لا تجتمع عليه و لا على أحد من ولده إلى قيام الساعة. ثم قالت: معاشر المسلمين ان عثمان قتل مظلوما و لقد قتل عثمان من اصبح عثمان خير منه و جعلت تحرض الناس على خلاف أمير المؤمنين و تحثهم على نقض عهده.

قال أبو جعفر الطبرى فى التاريخ: إن عائشه لما انتهت إلى سرف راجعه فى طريقها إلى مكه لقيها عبد بن أمّ كلاب (1) و هو عبد بن أبى سلمه ينسب إلى أمه فقالت له مهيم؟ قال قتلوا عثمان فمكثوا ثمانيا، قالت: ثم صنعوا ما ذا؟ قال: أخذها أهل المدينه بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز اجتمعوا على علي بن أبى طالب فقالت: و الله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ردوني ردوني فانصرفت إلى مكه و هى تقول: قتل و الله عثمان مظلوما و الله لأطلبن بدمه. فقال لها ابن أمّ كلاب: و لم؟ فو الله إن أول من أمال حرفه لأنت و لقد كنت تقولين: اقتلوا نعتلا فقد كفر قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه و قد قلت و قالوا و قولى الأخير خير من قولى الأول فقال لها ابن أمّ كلاب:

منك البداء و منك الغير و منك الرياح و منك المطر

و أنت أمرت بقتل الإمام و قلت لنا إنه قد كفر

فهنا أظعنأك فى قتله و قاتله عندنا من أمر

و لم يسقط السقف من فوقنا و لم ينكسف شمسنا و القمر

و قد بايع الناس ذا تدر إ يزيل الشبا و يقيم الصعر

و يلبس للحرب أثوابها و ما من و فى مثل من قد غدر

ص: ٣٦٧

١- (١) هذا الرجل ذكر اسمه فى الإمامه و السياسه: عبيد، و فى الجمل للمفيد: ابراهيم ابن عبد بن ام كلاب.

فانصرفت إلى مكه فتزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسترت و اجتمع إليها الناس فقالت: يا أيها الناس إنّ عثمان قتل مظلوماً و والله لأطلبن بدمه.

بيان

مهيم على وزان جعفر كلمه استفهام يستفهم بها معناها ما حالك، و ما شأنك و ما حدث، و ما الخبر، و امثالها المناسبه للمقام. قولها: ليت أن هذه انطبقت على هذه. تعنى أنّ السماء انطبقت على الأرض.

ثمّ لما تجهز القوم وعبوا العسكر و خرجوا إلى البصره لاثاره الفتنة و إناره الحرب و كانت عائشه معهم على الجمل الأدب انتهبوا في الليل إلى ماء لبنى كلاب يعرف بالحوأب عليه ناس من بنى كلاب فعوت كلابهم على الركب حتّى نفرت صعاب ابلها فقالت: ما اسم هذا الموضع؟ فقال لها السائق لجمالها: الحوأب فاسترجعت و ذكرت ما قيل لها في ذلك فأمسكت زمام بغيرها فقالت و إنها لكلاب الحوئب ردّوني إلى حرم رسول الله لا- حاجه لى في المسير فأنى سمعت رسول الله يقول: ليت شعري أيتكن صاحبه الجمل الأدب التى تنبجها كلاب الحوئب فيقتل عن يمينها و يسارها قتلى كثيره.

فقال ابن الزبير: بالله ما هذا الحوأب و لقد غلط فيما أخبرك به و كان طلحه فى ساقه الناس فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب فلفقوا لها خمسين أعرابيا جعلوا لهم جعلاً فحلفوا لها أن هذا ليس بماء الحوأب فسارت لوجهها. قال المسعودى فى مروج الذهب، شهد مع ابن الزبير و طلحه خمسون رجلاً ممن كان معهم فكان ذلك أوّل شهادته زوراً قيمت فى البصره. انتهى كلامه.

و قال الدّينورى فى الإمامه و السياسه: فقال لها محمّد بن طلحه: تقدّمي رحمك الله و دعي هذا القول. و أتى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلفته أوّل الليل و أتاها بيّنه زور من الأعراب فشهدوا بذلك فزعموا أنّها أوّل شهادته

ص: ٣٤٨

و روى أبو جعفر الطبرى فى التاريخ بإسناده عن الزهرى (ص ٤٨٥ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) قال: بلغنى أنّه لما بلغ طلحه و الزبير منزل علىّ بنى قار انصرفوا إلى البصره فأخذوا على المنكدر فسمعت عائشه نباح الكلاب فقالت أئى ماء هذا؟ فقالوا الحوآب فقالت إنا لله و إنا إليه راجعون إئى لهيه قد سمعت رسول الله يقول و عنده نساؤه ليت شعرى أيتكن تنبحها كلاب الحوآب فأرادت الرجوع فأتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنّه قال كذب من قال إنّ هذا الحوآب و لم يزل حتّى مضت.

أقول: حديث الحوآب ممّا اتفق به الفريقان و روته الخاصّه و العامّه بطرق عديده و أسانيد كثيره.

بيان

قال ابن الأثير فى النهاية: و فى الحديث أنّه صلّى الله عليه و آله قال لنسائه ليت شعرى أيتكن صاحبه الجمل الأدب تنبحها كلاب الحوآب، أراد الأدب فأظهر الإدغام لأجل الحوآب، و الأدب: الكثير و بر الوجه. و المنقول من السيوطى فى بعض تصانيفه انه قد يفك ما استحق الادغام لاتباع كلمه أخرى كحديث ايتكن صاحبه الجمل - إلخ. قولها: إنى لهيه، اللام لام الابتداء تدخل بعد أنّ المكسوره و تسمى اللام المزحلفه بالقاف و الفاء و بنو تميم يقولون زحلوقه بالقاف و أهل العاليه زحلوفه بالفاء سميت بذلك لأنّ أصل إن زيدا لقائم مثلاً- لأنّ زيدا قائم فكرهوا افتتاح الكلام بحرفين مؤكدين فزحلفوا اللام دون أن لثلا يتقدّم معمولها عليها.

و هى ضمير راجعه إلى المرأة و الها فى آخره للسكت نحو قوله تعالى: «و ما أدراك ما هيه» (القارعه: ٨). و نقل الحديث فى الإمامه و السياسه للدينورى هكذا:

قالت سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول لنسائه كأنى باحداكنّ قد نبحتها كلاب الحوآب و إياك أن تكونى أنت يا حميراء - ص ٦٣ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ.

ثمّ قال أبو جعفر الطبرى فى التاريخ: إنّ عائشه فى فتنه الجمل ركبت

جملها و كان جملها يدعى عسكريا و البسوا هودجها الأذراع و قتل يومئذ سبعون رجلا كلهم يأخذ بخطام الجمل فلما عقر الجمل و هزم الناس احتمل محمد بن أبي بكر عائشه فضرب عليها فسطاط فوقف على عليه السلام عليها فقال: استفزت الناس و قد فزوا فألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضا في كلام كثير فقالت عائشه: يا ابن أبي طالب ملكت فأسجج نعم ما أبلت قومك اليوم، فسرّحها على عليه السلام و أرسل معها جماعه من رجال و نساء و جهّزها و أمر لها باثني عشر ألفا - إلى آخر ما قال.

ثم قال الفاضل الشارح المعتزلى (ص ١٥٩ ج ٢ طبع طهران ١٣٠٢ هـ):

قد تواترت الروايه عنها باظهار الندم انه كانت تقول ليتها كان لى من رسول الله صلى الله عليه و آله بنون عشره كلهم مثل عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام و ثكلتهم و لم يكن يوم الجمل، و انها كانت تقول: ليتنى مت قبل يوم الجمل، انها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تبكى حتى تبلّ خمارها.

أقول: و ممّا ذكرنا من الفريقين من اختلاف أقوالها و أطوار أحوالها دريت أن المرأة كالرجلين طلحه و الزبير ما أظهرت من الطلب بدم عثمان إنّما كان تشبيها و تلبسا على العامه و المستضعفين و أنّ القوم لم يكونوا فيما صنعوه على جميل طويه فى الدين و لا نصيحه للمسلمين و علمت من فعل عائشه أنّها كانت عمدت على التوجّه إلى المدينه قبل أن تعرف ما كان من أمر المسلمين راجيه بتمام الأمر بعد عثمان لطلحه و الزبير زوج اختها فلما صارت ببعض الطريق لقيت الناعى لعثمان فاستبشرت بنعيه له فلمّا اخبرت أنّ البيعه تمت لأمر المؤمنين ساءها ذلك و أحزنها و أظهرت الندم على ما كان منها فى التآليب على عثمان فأسرعت راجعه إلى مكه حتى فعلت ما فعلت. على أن عائشه كانت تبغض عليّا عليه السلام و إنّما أثارت الفتنة و حثت القوم عليه عليه السلام بالعداوه و الشنآن و من ذلك ما رواه كافه العلماء عنها أنها كانت تقول لم يزل بينى و بين عليّ من التباعد ما يكون بين بنت الأحماء و منهم أبو جعفر الطبرى رواه فى التاريخ ج ٣ ص ٥٤٧ طبع مصر ١٣٥٧ هـ.

و من ذلك أيضا ما رواه كافه العلماء و منهم الطبرى فى التاريخ ص ج ٢٤٣٣

ص: ٣٧٠

روى بإسناده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما مرض فى مرضه الذى توفى فيه - إلى أن قالت - وهو صلى الله عليه وآله فى بيت ميمونه فدعا نسائه فاستأذنهن أن يمرض فى بيتى فأذن له فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه صلى الله عليه وآله الأرض عاصبا رأسه حتى دخل بيتى، قال أبو جعفر الطبرى: قال عبيد الله: فحدثت هذا الحديث عنها عبد الله بن عباس فقال هل تدري من الرجل؟ قلت لا، قال: على بن أبى طالب عليه السلام ولكنّها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير و هى تستطيع.

و من ذلك ما رواه الشيخ الأجل المفيد قدس سرّه فى الجمل ص ٦٨ طبع النجف: لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام جاء الناعى فنعى أهل المدينة فلما سمعت عائشه بنعيه استبشرت و قالت متمثلة:

فإن يك ناعيا فلقد نعاه بناع ليس فى فيه التراب

فقلت لها زينب بنت أبى سلمى: العلى تقولين؟ فتضاحكت ثم قالت أنسى فاذا نسيت فذكرونى ثم خرت ساجده شكرا على ما بلغها من قتله و رفعت رأسها و هى تقول:

فألقت عصاها و استقرّ بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

و قال (ره) هذا من الأخبار التى لا ريب فيها و لا مريه فى صحتها لاتفاق الرواه عليها.

و من ذلك ما فى الجمل أيضا و قد روى عن مسروق أنّه قال: ادخلت عليها فاستدعت غلاما باسم عبد الرحمن قالت: عبدى، قلت لها: فكيف سمّيته عبد الرحمن؟ قالت حبا لعبد الرحمن بن ملجم قاتل على.

و من ذلك الخبر المشهور الذى رواه نقله الاثار أنّه لما بعث إليها أمير المؤمنين عليه السلام بالبصره أن ارتحلى عن هذه البلده قالت لا أريتم مكانى هذا فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام أم و الله لترتحلين أو لأنفذن إليك نسوه من بكر بن وائل يأخذنك بشقاق حداد فقالت لرسوله ارتحل فبالله احلف ما كان مكان أبغض

ص: ٣٧١

إلى من مكان يكون هو فيه. و غيرها من الأخبار الواردة في بغضها أمير المؤمنين عليه السلام.

«خروج عائشه و طلحه و الزبير و اتباعهم و اشياعهم»

«من مكه إلى البصره»

لَمَّا تَمَّ أمر البيعه لأمر المؤمنين عليه السَّلام و أيس طلحه و الزَّبير مِمَّا كانا يرجوان به من قتل عثمان من البيعه لأحدهما بالإمامه و تحققت عائشه تمام الأمر لأمر المؤمنين عليه السَّلام و عرف عمال عثمان أَنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام لا يقْرَهُم على ولاياتهم و انهم إن ثبتوا في أماكنهم أو صاروا إليه طالبهم الخروج مِمَّا في أيديهم من أموال الله تعالى و حذروا من عقابه على تورطهم في خيانه المسلمين عمل كل فريق منهم على التحرز منه و احتال في الكيد له و اجتهد في تفريق النَّاس عنه فساد القوم من كل مكان إلى مكَّه استعاذه بها و سكنوا إلى ذلك المكان و عائشه بها و طمعوا في تمام كيدهم لأمر المؤمنين للتحيز إليها و التمويه على النَّاس بها و جعلت عائشه تحرِّض النَّاس على خلاف أمير المؤمنين و تحثهم على نقض عهده و لحق إلى مكَّه جماعه من منافق قريش و صار إليها عمال عثمان الذين هربوا من أمير المؤمنين عليه السَّلام و لحق بها عبد الله بن عمر بن الخطَّاب و أخوه عبيد الله و مروان بن الحكم و أولاد عثمان و عبيده و خاصته من بنى اميّه و انحازوا إليها و جعلوها الملجأ لهم فيما دبَّروه من كيد أمير المؤمنين عليه السَّلام.

و لَمَّا عرف طلحه و الزبير حال القوم عمدا على اللحاق بها و التعاضد على شقاق أمير المؤمنين فاستأذنا أمير المؤمنين في العمره كما نقلنا آنفا و سارا إلى مكه خالعين الطاعه و ناكثين البيعه و كان ظهورهما إلى مكَّه بعد قتل عثمان بأربعة أشهر فلَمَّا وردا إليها فيمن تبعهما من أولادهما و خاصتهما طافا بالبيت طواف العمره و سعيًا بين الصفا و المروه و بعثا إلى عائشه عبد الله بن الزَّبير بالخروج على أمير المؤمنين عليه السَّلام.

ص: ٣٧٢

و جعل عبد الله بن أبي ربيعة يحرض الناس على الخروج و كان قد صحب مالا جزيلا فانفق في جهاز الناس إلى البصرة، و كان يعلى بن منبه التميمي عاملا لعثمان على الجند فوافى الحج ذلك العام فلما بلغه قول ابن أبي ربيعة خرج من داره و قال: أيها الناس من خرج لطلب دم عثمان فعلى جهازه و حمل معه عشرة آلاف دينار فجعل يعطيها الناس و اشترى أربعمائه بغير و أناخها بالبطحاء و حمل عليها الرجال.

و لما اتصل أمير المؤمنين عليه السلام خبر ابن أبي ربيعة و ابن منبه و ما بذلاه من المال في شقاقه و الإفساد عليه قال: و الله إن ظفرت بابن منبه و ابن أبي ربيعة لأجعلن أموالهما في سبيل الله، ثم قال: بلغني أن ابن منبه بذل عشرة آلاف دينار في حربى من أين له عشرة آلاف دينار سرقها من اليمن ثم جاء بها لأن وجدته لأخذته بما أقر به.

و لَمَّا رأت عائشه اجتماعهم بمكة من مخالفه أمير المؤمنين عليه السلام تأهبت للخروج و منادياها يقول: من كان يريد المسير فليسر فإن أم المؤمنين سائره إلى البصرة تطلب بدم عثمان فلما تحقق عزم القوم على المسير إلى البصرة اجتمع طلحه و الزبير و عائشه و خواصهم و قالوا نحب أن نسرع النهضه إلى البصرة فإن بها شيعه عثمان و عامله عبد الله بن عامر و قد عمل على استمداد الجنود من فارس و بلاد المشرق لمعونته على الطلب بدم عثمان و قد كاتبنا معاويه بن أبى سفيان أن ينفذ لنا الجنود من الشام فإن أبطينا من الخروج خفنا من أن يدهمنا على بمكة أو في بعض الطريق فيمن يراى رأيه خوفا من أن يفرق كلمتنا و إذا أسرعنا المسير إلى البصرة و أخرجنا عامله منها و قتلنا شيعته بها و استعنا بأمواله منها كنا على الثقة من الظفر بابن أبى طالب و إن أقام بالمدينه سيرنا إليه جنودا حتى نحصره فيخلع نفسه أو نقتله كما قتل عثمان و إن سار فهو كالى و نحن حامون و هو على ظاهر البصرة و نحن بها متحصنون فلا بد له إلا أن يريح المسلمين من فتنه.

«طور و اباء عائشه عن القبول»

قال المفيد في الجمل: روى الواقدي عن أفلح بن سعيد عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبي رافع عن أم سلمه زوجة النبي صلى الله عليه وآله قالت: كنت مقيمه بمكة تلك السنه حتى دخل المحرم فلم أر إلا برسول طلحه و الزبير جاءني عنهما يقول أن أم المؤمنين عائشه تريد أن تخرج للطلب بدم عثمان فلو خرجت معها رجونا أن يصلح بكما فتق هذه الأمه فأرسلت إليهما و الله ما بهذا امرت و لا عائشه لقد أمرنا الله أن نقر في بيوتنا لا نخرج للحرب أو للقتال مع أن أولياء عثمان غيرنا و الله لا يجوز لنا عفو و لا صلح و لا قصاص و ما ذاك إلا لولد عثمان، و اخرى نقاتل على ابن أبي طالب أمير المؤمنين ذا البلاء بهذا الأمر و العناء و أولى الناس بهذا الأمر و الله ما أنصفتما رسول الله صلى الله عليه وآله في نسائه حيث تخرجوهن إلى العراق و تتركوا نساءكم في بيوتكم.

ثم قال فيه: و بلغ أم سلمه اجتماع القوم و ما خاضوه فيه فبكت حتى اخضل خمارها ثم ادنت ثيابها فلبستها و تخفرت و مشت إلى عائشه لتعظها و تصدّها عن رأيها في مظاهره أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافه و تقعدها عن الخروج مع القوم فلما صارت إليها قالت: إنك عدت رسول الله صلى الله عليه وآله، و بين امته و حجابك مضروب على حرمة و قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه و ملكك خفرك فلا تضحيتها الله من وراء هذه الأمه قد علم رسول الله صلى الله عليه وآله مكانك لو أراد أن يعهد إليك فعل بل نهاك عن الفرط في البلاء و أنّ عمود الدين لا يقام بالنساء إن اثلم و لا يشعب بهنّ إن انصدع فصعد النساء غص الأظراف و حف الأعطاف و قصر الوهاده و ضم الذبول و ما كنت قائله لو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عارضك ببعض الفلاسه ناضه قلو صا من منهل إلى آخر أن قد هتكت صداقته و تركت عهديته أن يغير الله بك لهواك على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله تردين و الله لو سرت سيرك هذا ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله هاتكه حجابا قد ستره على اجعلى حصنك بيتك و قاعه البيت قبرك حتى

تلقينه و أنت على ذلك أطوع ما تكونى له ما لزمته و انظرى نبوع الدين ما حلت عنه.

فقال لها عائشه: ما أعرفنى بوعظك و اقبلنى لنصحك و لنعم المسير مسير فزعت إليه و أنا بين سائره و متأخره فان انعد فمن غير حرج و إن أسير فإلى ما لا بد من الإزياد منه.

فلما رأت أم سلمه أن عائشه لا تقنع عن الخروج عادت إلى مكانها و بعثت إلى رهط من المهاجرين و الأنصار قالت لهم لقد قتل عثمان بحضرتكم و كانا هذان الرجلان - أعنى طلحه و الزبير - يشعيان عليه كما رأيتم فلما قضى أمره بايعا علينا عليه السلام و قد خرجا الآن عليه زعما أن يطلبوا بدم عثمان و يريدان أن يخرجوا حبيسه رسول الله صلى الله عليه و آله معهم و قد عهد إلى جميع نسائه عهدا واحدا أن يقرن فى بيوتهن فإن كان مع عائشه عهد سوى ذلك تظهره و تخرجه إلينا نعرفه فاتقوا الله عباد الله فإننا نأمركم بتقوى الله و الاعتصام بحبله و الله ولى لنا و لكم، فشق كثير على طلحه و الزبير عند سماع هذا القول من أم سلمه.

ثم أنفذت أم سلمه إلى عائشه فقالت لها: قد وعظتك فلم تتعظى و قد كنت أعرف رأيك فى عثمان و أنه لو طلب منك شربه ماء لمنعته ثم أنت اليوم تقولين إنه قتل مظلوما و تريدان أن تثيرى لقتال أولى الناس بهذا الأمر قديما و حديثا فاتقى الله حق تقاته و لا تعرضى لسخطه.

فأرسلت إليها عائشه أما ما كنت تعرفيه من رأى فى عثمان فقد كان و لا أجد مخرجا منه إلا الطلب بدمه و أما على فانى أمره برد هذا الأمر شورى بين الناس.

فانفذت إليها أم سلمه أما أنا فغير واعظه لك من بعد و لا مكلمه جهدى و طاقتى و الله إننى لخائفه عليك البوار ثم النار و الله ليخين ظنك و لينصرن الله ابن أبى طالب على من بغى عليه و ستعرفين عاقبه ما أقول و السلام.

أقول: و قد أتى بما ذكرنا من تحذير أم سلمه عائشه ابن قتيبه الدينورى

فى الإمامه و السىاسه (ص ٥٦ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ) و الفاضل الشارح المعتزلى ابن أبى الحديد فى الجزء الثانى من شرحه على نهج البلاغه، و بين النسخ اختلاف فى بعض الجمل فى الجملة ففى الأول: و قد علمت أن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال و لا يراب بهنّ إن انصدع، حماديات النساء غض الأبصار و ضمّ الذبول.

«خروج على (عليه السلام) إلى الرّبذه»

لما تأهب القوم للمسير إلى البصره جاء عليّا عليه السّلام الخبر عن أمرهم قد توجهوا نحو العراق فدعا ابن عبّاس و محمّد بن أبى بكر و عمّار بن ياسر و سهل بن حنيف و أخبرهم بذلك فقال أشيروا علىّ بما اسمع منكم القول فيه، فقال عمّار:

الرأى أن نسير إلى الكوفه فان أهلها لنا شيعة و قد انطلق هؤلاء القوم إلى البصره، و قال ابن عبّاس: الرأى عندى يا أمير المؤمنين أن تقدم رجالا- إلى الكوفه فيبايعوا لك و تكتب إلى الأشعرى (يعنى أبا موسى الأشعرى و كان عاملا لعثمان على الكوفه) أن يبايع لك ثم بعده المسير حتّى نلحق بالكوفه فنعاجل القوم قبل أن يدخلوا البصره و تكتب إلى أم سلمه فتخرج معك فانها لك قوه.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام بل أنهض بنفسى و من معى فى اتباع الطريق وراء القوم فان أدركتهم بالطريق أخذتهم و إن فاتونى كتبت إلى الكوفه و استمددت الجنود إلى الأمصار و سرت إليهم، و أمّا أم سلمه فانى لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرّجلان إخراج عائشه.

ثم نادى أمير المؤمنين عليه السّلام فى النّاس: تجهزوا للمسير فان طلحه و الزبير قد نكثا البيعه و نقضا العهد و أخرجوا عائشه من بيتها يريدان البصره لاثاره الفتنة و سفك دماء أهل القبلة، ثم رفع يديه إلى السماء فقال:

اللّهم إنّ هذين الرجلين قد بغيا علىّ و نكثا عهدى و نقضا عهدى و شقيانى بغير حقّ سومها ذلك اللّهم خذهما بظلمهما و اظفرنى بهما و انصرنى عليهما ثم خرج فى سبعمائه رجل من المهاجرين و الأنصار و استخلف على المدينه تمام بن عبّاس و بعث قثم بن

ص: ٣٧٦

عبّاس إلى مكّه و لما رأى عليه السّلام التوجه إلى القوم ركب جملاً أحمر و هو يقول:

سيروا مبليّن و حثّوا السيرا في طلحه التميمي و الزبير

إذ جلبا شرا و عافا خيرا يا رب أدخلهم غدا سعيرا

و سار مجدا في السير حتّى بلغ الربذه بين الكوفه و مكه من طريق الجادّه فوجد القوم قد فاتوا فنزل بها فأقام بها أياما فكتب إلى أهل الكوفه:

«كتاب على (عليه السلام) إلى أهل الكوفه من الربذه»

«و خطبته التي خطب بها الناس في الربذه»

قال أبو جعفر الطبري في التاريخ (ص ٤٩٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ): حدّثني عمر قال:

حدّثنا أبو الحسن عن بشير بن عاصم، عن محمّد بن عبد الرّحمان بن أبي ليلى عن أبيه قال كتب علىّ عليه السّلام إلى أهل الكوفه: بسم الله الرّحمن الرّحيم أمّا بعد فإنّي اخترتكم و النزول بين أظهركم لما أعرف من مودتكم و حبّكم لله عزّ و جلّ و لرسوله صلّى الله عليه و آله فمن جاءني و نصرني فقد أجاب الحقّ و قضى الذي عليه.

أقول: كتابه هذا ليس بمذكور في النهج و نقله الطبري على وجه آخر أيضا قال (ص ٣٩٤ ج ٣): كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد و طلحه قال: لما قدم علىّ عليه السّلام الربذه أقام بها و سرح منها إلى الكوفه محمّد بن أبي بكر و محمّد ابن جعفر و كتب إليهم إنّي اخترتكم على الأمصار و فزعت إليكم لما حدث فكونوا لدين الله أعوانا و أنصارا و أيدونا و انهضوا إلينا فالإصلاح ما نريد لتعود الأمّة إخوانا و من أحبّ ذلك و أثره فقد أحبّ الحقّ و أثره و من أبغض ذلك فقد أبغض الحقّ و غمسه.

قال: فمضى الرجال و بقي علىّ عليه السّلام بالربذه يتهيأ و أرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابه و سلاح و أمر أمره و قام في الناس فخطبهم و قال:

إنّ الله عزّ و جلّ أعزّنا بالإسلام و رفعنا به و جعلنا به إخوانا بعد ذله و قله و تباغض و تباعد فجرى النّاس على ذلك ما شاء الله الإسلام دينهم و الحقّ فيهم و الكتاب إمامهم حتّى أصيب هذا الرّجل بأيدي هؤلاء القوم الذي نزعهم الشيطان

ص: ٣٧٧

لينزع بين هذه الأئمة ألا إن هذه الأئمة لابد مفترقه كما افترت الأمم قبلهم فنعوذ بالله من شر ما هو كائن ثم عاد ثانيه فقال: إنه لابد مما كائن أن يكون ألا وإن هذه الأئمة ستفترق على ثلاث و سبعين فرقه شرها فرقه تنتحلنى و لا تعمل بعملى فقد أدركتم و رأيتم فالزموا دينكم و اهدوا بهدى نبيكم صلى الله عليه و آله و اتبعوا سنته و أعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه و ما أنكره فردوه و ارضوا بالله جلّ و عزّ ربّا و بالإسلام دينا و بمحمد صلى الله عليه و آله نبيا و بالقرآن حكما و إماما.

أقول: ذلك الكتاب و هذه الخطبه أيضا ليسا بمذكورين فى النهج - ثم لا يخفى على المتصلّع فى الايات القرآنيه أن هذه الخطبه يبين لنا بطننا من بطون القرآن بل يظهر لنا سرا من أسرار القدر بأن هذه الأئمة لابد مفترقه كما افترت الأمم قبلهم فلعلّ هذا ما يشير إليه بعض الاى القرآنى يأتى هذه الأئمة مثل الذين خلوا من قبلها.

ثم قال الطبرى: إنه عليه السلام بعث محمد بن أبى بكر إلى الكوفه و محمد بن عون فجاء الناس إلى أبى موسى يستشيرونه فى الخروج فقال أبو موسى: أمّا سبيل الاخره فأن تقيموا، و أمّا سبيل الدنيا فأن تخرجوا و أنتم أعلم، و بلغ المحمّدين قول أبى موسى فبايناه و أغلظا له فقال: أمّا و الله إن بيعه عثمان فى عنقى و عنق صاحبكما المذى أرسلكما إن أردنا أن نقاتل لا نقاتل حتّى لا يبقى أحد من قتله عثمان إلّا قتل حيث كان.

فانطلقا إلى على عليه السلام فوافياه بذى قار و أخبراه الخبر و قد خرج مع الأشر و قد كان يعجل إلى الكوفه فقال على عليه السلام: يا أشر أنت صاحبنا فى أبى موسى و المعترض فى كلّ شىء اذهب أنت و عبد الله بن عباس فاصلح ما أفسدت فخرج عبد الله بن عباس و معه الأشر فقدمما الكوفه و كلّما أبا موسى و استعانا عليه باناس من الكوفه فقال للكوفيين: أنا صاحبكم يوم الجرحه و أنا صاحبكم اليوم فجمع الناس و خطبهم و استنفرهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

ص: ٣٧٨

«أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري»

ثم سار عليّ عليه السلام بمن معه حتى نزل بذي قار ثم دعا عليه السلام هاشم بن عتبة المرقال و كتب معه كتابا إلى أبي موسى الأشعري و كان بالكوفة من قبل عثمان أن يوصل الكتاب إليه ليستنفر الناس منها إلى الجهاد معه و كان مضمون الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم من عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد فإنني أرسلت إليك هاشم بن عتبة المرقال لتشخص معه من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي و قتلوا شيعتي و أحدثوا في هذه الأمة الحدث العظيم فاشخص الناس إليّ معه حين يقدم بالكتاب عليك فلا تحبسه فإنني لم أفرك في المصر الذي أنت فيه إلا أن تكون من أعواني و أنصاري على هذا الأمر و السلام.

فقدم هاشم بالكتاب على أبي موسى فدعى أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فأقرأه الكتاب، و قال له: ما ترى؟ فقال له السائب: اتبع ما كتب به إليك، فأبى أبو موسى ذلك و كسر الكتاب و محاه و بعث إلى هاشم بن عتبة يخوفه و يتوعده بالسجن فقال السائب بن مالك: فأتيت هاشما فأخبرته بأمر أبي موسى.

فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين عليه السلام أما بعد يا أمير المؤمنين فإنني قدمت بكتابك على امرء شاق عاق بعيد الرحم ظاهر الغل و الشقاق و قد بعثت إليك بهذا الكتاب مع المغل بن خليفه أخى ظني و هو من شيعتك و أنصارك و عنده علم ما قبلنا فأسأله عما بدا لك و اكتب إليّ برأيك أتبعه و السلام.

فلما قدم الكتاب إليّ عليّ عليه السلام و قرأه دعا الحسن ابنه و عمار بن ياسر و قيس بن سعد و بعثهم إلى أبي موسى و كتب معهم.

«كتاب علي عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري ثانيا»

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد يا ابن الحائك(١)

ص: ٣٧٩

١- (١) نقل الكتاب المسعودي في مروج الذهب هكذا: كتب إلى أبي موسى: اعتزل عملنا يا ابن الحائد مذموما مدحورا فما هذا أول يومنا منك و ان لك فيها لهنات و هنيات (ص ٧ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ).

والله إننى كنت لا أرى بعدك من هذا الأمر العدى لم يجعلك الله له أهلا ولا جعل لك فيه نصيبا وقد بعثت لك الحسن و عمارا و قيسا خلّ لهم المصر و أهله و اعتزل عملنا منسوباً مدحورا فان فعلت و إلا أمرتهم أن ينادوك على سوى إن الله لا يحبّ الخائنين فإن أظهروا عليك قطعوك إربا إربا و السلام على من شكر النعم و رضى البيعه و عمل لله رجاء العاقبه.

فقدم الحسن عليه السّلام و عمار و قيس الكوفه مستنفرين لأهلها و كان أمير المؤمنين عليه السّلام كتب إلى أهل الكوفه كتابا كان معهم و هو الكتاب الأوّل من باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السّلام أى ذلك الكتاب المعنون للشرح و أتينا به فى صدر هذا الباب و قد ذكرنا النسختين منه احدهما ما فى النهج و الأخرى ما فى الجمل للمفيد.

و اعلم أن هذين الكتابين منه عليه السّلام إلى أبى موسى الأشعرى ليسا بمذكورين فى النهج و قد نقلناهما من الجمل للمفيد (ص ١١٥ طبع النجف) و تاريخ أبى جعفر محمّد بن جرير الطبرى (ص ٥١٢ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) و بين النسختين اختلاف فى بعض العبارات و سيأتى الكتاب الثالث و الستين منه عليه السّلام إلى أبى موسى الأشعرى و قد بلغه عنه تشييطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل: من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أمّا بعد فقد بلغنى عنك قول هو لك و عليك - إلخ. فقد حان أن نصدى جمل الكتاب بعون الله الملك الوهاب و نذكر تتمه واقعه الجمل فى شرح الكتاب التالى إن شاء الله تعالى:

قوله عليه السّلام: (من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفه جبهه الأنصار و سنام العرب) قد قدمنا فى تفسير لغات الكتاب أن الجبهه لها معنيان: الجماعه و موضع السجود من الرأس و قد يكنى على الثانى أعيان الناس و سادتهم و اشرافهم من حيث أن للجبهه حرمه و شرفا فى الوجه و لذا توضع على الأرض فى السجده و هذا هو المراد فى المقام بقريته السنام فصدر عليه السّلام كتابه بمدحهم بقوله جبهه الأنصار و سنام العرب لأنهم كانوا بين أعوانه عليه السّلام كالجبهه و السنام فى العزه و الرفعه و صار أهل

الكوفة آخر الأمر أنصاره عليه السّلام والكوفة دار هجرته كما أنّ أهل المدينة صاروا أنصار رسول الله صلّى الله عليه وآله و المدينة دار هجرته. ثمّ لا يخفى أنّ مثل هذا المقام يقتضى تصدير الكتاب بالألفاظ الدالّة على التحبيب و تأليف القلوب و الترغيب فيما يراد فصّده بالمدح اجتذاباً لهم إلى ما يريد من نصرته على الناكثين.

قوله عليه السّلام: (أمّا بعد فإنّي اخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه كعيانه) قد أثبتنا و حقّقنا أنّ الناس لما رأوا أن عثمان أحدث ما أحدث و فعل ما فعل نقموها منه و طعنوا عليه و حصروه أربعين ليلة و منعوه من الماء أيّاماً للأغراض الّتي قدمناها و علل بيّناها و شهد قتله ثمانمائة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى قيل إنّ المجمعين على قتل عثمان كانوا أكثر من المجمعين على بيعته، و أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام لقد دفع عنه غير مرّة حتّى قال: و الله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثماً و غير ذلك مما لا حاجة إلى إعادتها و أن طلحه و الزبير و عائشه فيما صنعوه في عثمان كانت من أوكد أسباب ما تمّ على عثمان من الخلع و الحصر و سفك دمه و الفساد، و سمعت أقوال الفريقين في طلحه أنّه كان أوّل من رمى بسهم في دار عثمان و في الزبير ما قال لعثمان و في انكار عايشه عليه و أنّها كانت أوّل من طعن على عثمان و أطمع الناس فيه.

و دريت أنّ طلحه و الزبير كانا أوّل من بايع أمير المؤمنين عليه السّلام إلّا أنّهم لما رأوا خيبتهم من الآمال الدنيويّة و يأسهم من الأغراض الشهوانية و الشيطانية نكثوا البيعه و استمسكوا بطلب دم عثمان تشبيهاً و تليسا على العامه و المستضعفين و اتهموا أمير المؤمنين عليه السّلام بقتله و عزوا دمه إليه و من نظر فيما قدمنا في تفسير هذا الكتاب علم أنّ الناكثين و أضرابهم و أتباعهم قد لعبوا بالدين و أنّما كان قصدهم التملك للأمر و التأمّر على المسلمين. ثمّ لما كانت شبهة قتل عثمان مبدأ كلّ فتنة نشأت في الإسلام من فتنه الجمل و صفين و نهروان حتّى أنّ بنى اميّة تمسكوا بها في منع الماء من ريحانه رسول الله صلّى الله عليه وآله سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين بن عليّ عليه السّلام و قتله فأخبر عليّ عليه السّلام أهل الكوفة عن أمر عثمان و الأحوال الّتي جرت عليه مما نقمها الناس منه و طعنوا فيه على حدّ إيضاح يكون سمعه

لمن لم يشهده كعيانه أى كانه شهد تلك الواقعه و رآها بعينه ليعلم تنزيهه عليه السّلام عن اسناد قتل عثمان إليه و أن اسناد دمه إليه عليه السّلام تهمة و بهتان ليس إلّا و أنّه عليه السّلام أبرء النّاس من دم عثمان.

قوله عليه السّلام: (إنّ النّاس طعنوا عليه) هذا شروع فى الإخبار عن أمر عثمان، و إنّما صرّح عليه السّلام بأنّ النّاس طعنوا عليه ليعلم أهل الكوفه أنّ النّاس نقموا من عثمان بالقوادح الّتى ارتكبها و طعنوا عليه بالأحداث الّتى أحدثها مما سمعتها من كتب الفريقين و فيه إشاره إلى مبدأ قتله.

قوله عليه السّلام: (فكنت رجلا من المهاجرين) قال الفاضل الشارح المعتزلى:

و من لطيف الكلام قوله عليه السّلام: فكنت رجلا من المهاجرين فإنّ فى ذلك من التخلّص و التبرّى ما لا يخفى على المتأمل أ لا ترى أنّه لم تبق عليه فى ذلك حجه لطاعن من حيث كان قد جعل نفسه كواحد من عرض المهاجرين الّذين بنفر يسير منهم انعقدت خلافه أبى بكر و هم أهل الحلّ و العقد و إنّما كان الإجماع حجّه لدخولهم فيه. انتهى قوله.

أقول: إنّ الشارح خلط الحقّ بالباطل و ذلك لأنّ من هاجر مع رسول الله و من هاجر الهجرتين كان له رتبه و رفعه و شرف بين سائر الصحابه و كان المهاجرون يباهون بالمهاجرة كما ترى فى كثير من الجوامع الّتى دونت لمعرفة الصحابه و هذا ممّا لا مريه فيه مثلاً أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال: فى الكلام ٥٦ من باب الخطب:

و أمّا البراءه فلا تتبرّأوا منّى فإنّى ولدت على الفطره و سبقت إلى الإيمان و الهجره.

و أمّا أنّ جميع ما قاله المهاجر و فعله إلّا رسول الله صلّى الله عليه و آله و وصيّيه على أمير المؤمنين سواء كان واحداً أو أكثر فلم يثبت صوابه بل تحقق خطاؤهم فى بعض الموارد لأنّ هؤلاء المهاجرين لم يكونوا معصومين عن الخطاء و لم يثبت عصمتهم و لم يدّع احد العصمه فيهم سيما فى الواقعه الّتى أشارت إليه من انعقاد خلافه أبى بكر بنفر يسير منهم، و كون الإجماع حجّه لدخولهم فيه ففيه ما فيه و كيف يكون ذلك الإجماع حجّه و لم يكن فيه أفضل المهاجرين و أقدم المسلمين و سيّد الموحدين و من كان

ص: ٣٨٢

من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بمنزله هارون من موسى، على أنه قد طعن ذلك الإجماع الحاصل من هؤلاء النفر غير واحد من كبار رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ممن تشنى عليهم الخناصر وهذا هو خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين طعن إجماعهم و انكر عليهم فعلهم وقال:

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أول من صَلَّى بقبلتهم و أعرف الناس بالآثار و السنن

و آخر الناس عهداً بالنبى و من جبريل عون له فى الغسل و الكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به و ليس فى القوم ما فيه من الحسن

ما ذا الذى ردكم عنه فنعلمه ها إن بيعتكم من أغبن الغبن

و فى نسخه:

ها إن بيعتكم من أول الفتن

و هذا هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله دعا أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: امدد يدك يا ابن أخى أبايعك ليقول الناس عم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان.

و هؤلاء أهل اليمامة لما عرفوا تقلد أبى بكر أنكروا أمره و امتنعوا من حمل الزكاه حتى أنفذ اليهم الجيوش فقتلهم و حكم عليهم بالردة عن الإسلام.

و لو أظننا الكلام فى ذلك لكثير بنا الخطب و لخرجنا عن اسلوب الكلام و موضوع الكتاب.

قوله عليه السلام: (اكثر استعتابه و اقل عتابه) لا- يخفى دلالة كلامه عليه السلام هذا على حسن طويته و لطف رويته بالناس و ذلك لأئد الناصح الكريم إذا رأى غيره فى صوب غير صواب لا- يلومه بألفاظ خشنة و لا ينهى عنه بعنف و لا يشمت به و لا يفرح ببليته و لا يوبخه بفعله لأنها من ديدن الجهال و دأب من لم يطلع بسر الله فى القدر، بل يعظه بالرفق و اللين فإن الرفق يمن و الحزق شوم و لذا قال عليه السلام: اكثر استعتابه و اقل عتابه أى اكثر استرضائه و نصحه ليرجع عما صارت سبب سخط القوم عليه و نقموها منه، أو اكثر استرضاء القوم عنه كما دريت أن أمير المؤمنين دفع عنه غير مره حتى قال عليه السلام: و الله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً (الخطبه

و قال عليه السلام أيضا: و الله ما زلت أذب عنه حتى أتى لأستحي (تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤١٠ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) و مما حققناه في شرح هذا الكتاب و في شرح الخطبه ٢٣٨ دريت أن عثمان لو قبل ما أشار أمير المؤمنين على عليه السلام عليه من امور كان صلاحه فيها لم يحدث عليه ما حدث (١) و إنما ذاق ما ذاق بإبائه عن مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام و إعراضه عن نصحه. و لقد أتى الرضى (ره) بطائفه من نصحه عليه السلام له في باب الخطب (الكلام ١٦٣) قوله عليه السلام: إن الناس ورائي و قد استسفروني بينك و بينهم إلخ - و نقله أبو جعفر الطبري في التاريخ ص ٣٧٦ ج ٣ و الشيخ المفيد في الجمل ص ٨٤.

قوله عليه السلام و اقل عتابه، أى ما عاتبت عليه و ما كلمته باللوم و التوبيخ لما حققنا في البحث اللغوى أن المراد من اقل هنا النفي و ذلك لما سمعت أن من دأب كرام الناس الرفق و اللين و اللطف و ترك الخشونه و العنف مع الناس حتى في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و نعم ما اشار إليه الشيخ الرئيس في آخر النمط التاسع من الاشارات: العارف لا يعنيه التجسس و التحسس و لا يستهويه الغضب عند مشاهدته المنكر كما يعتريه الرحمه فأنه مستبصر لسر الله في القدر و أما إذا أمر بالمعروف أمر برفق ناصح لا بعنف معير. و قال المحقق الطوسى في الشرح: إذا أمر العارف بالمعروف أمر برفق ناصح لا بعنف معير أمر الوالد ولده و ذلك لشفقته على جميع خلق الله على أنه لم ينقل أنه وبّخه و لأمه على أفعاله بل كان يعظه.

هذا إذا كان المراد من لفظه اقل عتابه نفي العتاب و إذا كان المراد منها حمل العتاب فالمعنى أتى حملت عتابه و مع ذلك كنت أكثر استعتابه و نصحه و ما منعنى

ص: ٣٨٤

١- (١) يقال: أشار إليه إذا أومأ إليه و أشار عليه إذا أمره و نصحه و دله على وجه الصواب. و قال الشارح المعتزلى في مقدمه شرح على النهج في فضائله (عليه السلام): و أما الراى و التدبير فكان من أسد الناس رأيا و أصحابهم تدبيرا هو الذى اشار على عثمان بامور كان صلاحه فيها و لو قبلها لم يحدث عليه ما حدث - إلخ..

عتابه عن نصحه و ذلك لما علمت من الأخبار السالفه أن عثمان قد عدله عليه السلام بمروان بن الحكم و قال له عليه السلام: فوالله ما أنت عندي بأفضل من مروان، و لما شيع عليه السلام أبا ذر قال عثمان: من يعذرني من عليّ ردّ رسولى إلى أن قال: والله لنعطيه حقه و غير ذلك ممّا نقلناها من الفريقين و هو عليه السلام مع ذلك كان يكثر استعبابه لكن عثمان أبى منه عليه السلام النصح كما دريت.

قوله عليه السلام: (و كان طلحه و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف و أرفق حدائهما العنيف) كنى عليه السلام بالجمليتين عن شدة سعيهما فى قتل عثمان حتّى أن السير الوجيف كان أهون ما يسيران فى قتله، و الحداء العنيف كان أرفق فعلهما فيه. و قد ذهب بعض إلى أن سيرهما عثمان و حداءهما إياه كان أهونه الوجيف و أرفقه العنيف أعنى أن ذلك البعض شبّه طلحه و الزبير بالسائق و الحادى و عثمان بالإبل مثلاً و لكنه و هم لأن السير و إن جاء لكل واحد من اللزوم و التعدى لكن كلامه عليه السلام ينادى بأعلى صوته على خطأ ما ذهب إليه ذلك البعض و صواب ما فسرناه من أنهما سارا أشدّ سرعه من السير الوجيف حتّى أن السير الوجيف كان أهون سيرهما فى قتله و كذا الجملة التالية. و هذا ظاهر لا غبار عليه.

ثم إنك قد علمت مما قدمنا من أخبار الفريقين عمل طلحه و الزبير و أقوالهما فى عثمان و نذكر نبذه منها ههنا على الاختصار: لما حصر عثمان صعد على القصر و نادى طلحه ثمّ سأله عن علّه حصره و منعه من الماء فأجابه مرتين: لأنك بدلت و غيرت - الإمامه و السياسه للدينورى ص ٣٨ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ -.

و روى أبو جعفر الطبرى - ص ٤١١ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ - قال طلحه لأصحابه لا تتركوا أحدا يدخل على هذا الرجل و لا يخرج من عنده فقال عثمان اللهم اكفنى طلحه بن عبيد الله فأنه حمل على هؤلاء و ألهم إني لأرجو أن يكون منها صفرا أو أن يسفك دمه إنّه انتهك منى ما لا يحلّ له، و فى الجمل للمفيد - ص ٦٠ طبع النجف -: روى أبو إسحاق إنّه لما اشتدّ الحصار بعثمان و ظمأ من العطش فنادى: يا أيّها الناس اسقونا شربه من الماء و أطعمونا ممّا

رزقكم الله، فناداه الزبير بن العوام يا نعثل لا والله لا تذوقه.

ثم قال: لما اشتد الحصار بعثمان عمدا بنو امية على إخراجهم ليلا إلى مكة و عرف الناس فجعلوا عليه حرسا و كان على الحرس طلحه بن عبيد الله و هو أول من رمى بسهم في دار عثمان.

قوله عليه السلام (و كان من عائشه فيه فلتة غضب) السبب في فلتة غضبها عليه هو ما قدمنا أن عثمان جعل مال المسلمين طعمه له و لبنى امية و أتباعه و ذويه و عشيرته و آثر أهل بيته بالأموال العظيمة التي هي عده للمسلمين نحو ما نقلنا من الفريقين أنه دفع إلى أربعة أنفس من قریش زوجهم بناته أربعمائ ألف دينار و أعطى مروان مائة ألف على فتح إفريقية و يروى خمس إفريقية، و نحو ما رووا أن أبا موسى بعث بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين أهله و ولده بالصحاف و غير ذلك ممّا مرّ من قوادحه و مطاعنه و ما نقمها الناس منه.

و قال الدينوري في الإمامه و السياسة: إنّ عائشه كانت أوّل من طعن على عثمان و أطمع الناس فيه، و كانت عائشه تقول اقتلوا نعثلا فقد فجر، و في روايه اخرى كانت تقول: اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا.

و روى الشيخ الأجل المفيد في الجمل - ص ٦١ طبع النجف - عن محمد بن إسحاق صاحب السيره عن مشايخه عن حكيم بن عبد الله قال: دخلت يوما بالمدينه إلى المسجد فإذا كف مرتفعه و صاحب الكف يقول: أيها الناس العهد قريب هذان نعلا رسول الله و قميصه و كأني أرى ذلك القميص يلوح و أن فيكم فرعون هذه الأمه فإذا هي عائشه و عثمان يقول لها: اسكتي ثم يقول للناس إنها امرأه و عقلها عقل النساء فلا تصغوا إلى قولها، و في روايه اخرى كما قدمناها أنها قالت له: هذا قميص رسول الله صلى الله عليه و آله لم يتغير و قد غيرت سنته يا نعثل، و اخرى أنها قالت لابن عباس:

إياك أن ترد الناس عن قتل الطاغية و تعنى بالطاغية و نعثل عثمان و غير ذلك من الأخبار التي جاءت في إنكار عائشه و تأليبها على عثمان و إغرائها الناس بقتل عثمان قد قدمنا طائفة منها و كان نعثل اسم يهودى طويل اللحية و شبّهت عائشه

ص: ٣٨٦

قوله عليه السّلام (فاتيح له قوم فقتلوه) قد يحذف الفاعل للجهل به أو لغرض لفظي أو معنوي أو للإيهام أو للعلم به أو لغيرها مما قرر في محله و يمكن أن يكون حذفه في المقام للعلم به نحو قوله تعالى «غِيَضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ» أي غاض الله الماء وقضى الله الأمر فحذف الفاعل للعلم به و كذا في المقام فالمعنى أن قتله كان بتقدير إلهي أي قدّر الله و هيأ قوما له فقتلوه و لقائل أن يقول: إن كلامه عليه السّلام في طلحه و الزّبير و عائشه له قوما فقتلوه و الأخبار المتقدمه تؤيد هذا الاحتمال لأنهم قد حثّوا و حرّضوا و أغروا الناس على قتله كما دريت فحذف الفاعل للعلم به و للإيجاز في اللفظ، و يمكن أن يكون للإيهام كما أفاد القطب الراوندي أنّه عليه السّلام إنّما بنى الفعل للمفعول و لم يقل أتاح الله أو أتاح الشيطان ليرضى بذلك الفريقان و بالجملة لا يخفى لطف كلامه عليه السّلام حيث أتى بالفعل المجهول.

قوله عليه السّلام: (و بايعني الناس غير مستكرهين و لا مجبرين بل طائعين مخيرين) قد حققنا و برهنا أن المتعين في المستكره بكسر الراء أي غير كارهين و قوله عليه السّلام و لا مجبرين أي غير مكرهين، و قد مضى في الخطبه ٢٣٨ أن عثمان لما كان محصورا كان الناس يذكرون أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام على رءوس الأشهاد و كانوا يهتفون باسمه عليه السّلام للخلافه و قالوا لعثمان إنك قد أحدثت أحداثا عظاما فاستحققت بها الخلع و ما كان لنا أن نرجع حتّى نخلعك و نستبدل بك من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله من لم يحدث مثل ما جربنا منك و لم يقع عليه من التهمه ما وقع عليك فاردد خلافتنا و اعتزل أمرنا فإن ذلك أسلم لنا منك و يعنون بذلك الصحابي أمير المؤمنين عليا عليه السّلام فلمّا رأى عثمان أن قلوب الجماعه مائله إليه سألّه الخروج إلى ينبع ليقبّل هتف الناس باسمه للخلافه.

و قد بيّنا آنفا أن أمير المؤمنين عليه السّلام كان يمتنع من بيعه الناس له فيختبئ عنهم و يلوذ بحيطان المدينه، و لما اجتمع الناس إليه و سألوه أن ينظر في

امورهم و بذلوا له البيعه قال لهم: التمسوا غيرى، و لما جاء طلحه و الزبير إليه عليه السلام و هو متعوذ بحيطان المدينه فدخلوا عليه و قالوا له: ابسط يدك نبايعك فإنّ الناس لا يرضون إلا بك، قال عليه السلام لهما لا حاجه لى فى ذلك و أن أكون لكما وزيرا خير من أن أكون أميرا فقالا إن الناس لا يؤثرون غيرك و لا يعدلون عنك إلى سواك فابسط يدك نبايعك أول الناس، ثم ألح الناس فى ذلك عليه فقالوا نحن أَرْضَى النَّاسَ به ما نريد به بدلا و قالوا له ننشدك الله أما ترى الفتنة ألا تخاف الله فى ضياع هذه الأمه و قالوا إن تجبنا إلى ما دعوناك إليه من تقليد الأمر و قبول البيعه و إلا انفتق فى الإسلام ما لا يمكن رتقه و انصدع فى الدين ما لا يستطيع شعبه فلما ألحوا عليه قال لهم انى لو أجبتكم حملتكم على ما أعلم و إن تركتمونى كنت لأحدكم، قالوا قد رضينا بحلمك و ما فينا مخالف لك فاحملنا على ما تراه ثم بايعه الجماعة فتداكوا عليه تداك الإبل على حياضها يوم ورودها حتى شقوا أعطافه و وطئوا ابنه الحسن و الحسين لشده ازدحامهم عليه و حرصهم على البيعه له.

و لقد مضى كلامه عليه السلام فى ذلك لما اريد على البيعه بعد قتل عثمان: دعونى و التمسوا غيرى - إلى قوله: و أنا لكم وزيرا خير لكم متى أميرا (الخطبه ٩١).

ثم المراد من قوله عليه السلام هذا أنّ الناس بايعوه غير كارهين و لا مكرهين بل طاعين مختيرين و لم يحدث عليه السلام ما يغير كتاب الله و سنه رسول الله صلى الله عليه و آله فلا يجوز لهم أن ينكثوا بيعته عليه السلام فضلا عن أن يحاربوه قال عزّ من قائل «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» الايه و ذكر أصحاب السير و منهم المسعودى فى مروج الذهب - ص ١١ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ - ثم نادى على عليه السلام طلحه حين رجع الزبير يا أبا محمّد - أبو محمّد كنيه الزبير - ما الذى أخرجك؟ قال: الطلب بدم عثمان قال على عليه السلام قتل الله أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: اللهم وال من والاه و عاد من عاداه؟ و أنت أول من بايعنى ثم نكثت و قد قال الله عزّ و جلّ: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» فقال استغفر الله ثم رجع.

و فى الإمامه و السياسه: قال له على عليه السلام أو لم تبايعنى يا أبا محمّد طائعا غير مكره؟ فما كنت لأترك بيعتى: قال طلحه: بايعتك و السيف على عنقى، قال:

ألم تعلم أنى ما أكرهت أحدا على البيعه؟ و لو كنت مكرها أحدا لأكرهت سعدا و ابن عمر و محمّد بن مسلمه أبو البيعه و اعتزلوا فتركتهم، قال طلحه: كنّا فى الشورى سته فمات اثنان و قد كرهناك و نحن ثلاثة، قال على عليه السّلام إنّما كان لكما ألا ترضيا قبل الرضا و قبل البيعه و أمّا الان فليس لكما غير ما رضيتما به إلّا أن تخرجا ممّا بويعت عليه بحدث فإن كنت أحدث حدثا فسّموه لى.

بيان

أراد طلحه بقوله و السيف على عنقى أنّه بايعه بالإجبار و الإكراه و أن سيف الأشر على عنقه.

ثمّ إنّنا نرى كثير من الثّاكثين اعترفوا بظلمهم عليّا عليه السّلام بنقضهم و نكثهم عهده و بيعته عليه السّلام فى الجمل للمفيد - ص ٢٠٧ طبع النجف -: روى أبو مخنف عن العدوى عن أبى هاشم عن البريد عن عبد الله بن المخارق عن هاشم بن مساحق القرشى قال: حدثنا أبى أنه لما انهزم النّاس يوم الجمل اجتمع معه طائفه من قريش فيهم مروان بن الحكم فقال بعضهم لبعض و الله لقد ظلمنا هذا الرّجل - يعنون أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام - و نكثنا بيعته من غير حدث و الله لقد ظهر علينا فما رأينا قط أكرم سيره منه و لا أحسن عفوا بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله تعالوا حتّى ندخل عليه و نعتذر إليه فيما صنعناه، قال فصرنا إلى بابه فاستأذناه فأذن لنا. فلما مثلنا بين يديه جعل متكلّما يتكلّم فقال عليه السّلام انصتوا أكفكم إنّما أنا بشر مثلكم فإن قلت حقّا فصدقونى و إن قلت باطلا فردّوا علىّ انشدكم الله أ تعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قبض و أنا أول النّاس به و بالنّاس من بعده؟ قلنا اللّهم نعم، قال فعدلتهم عنّى و بايعتم أبا بكر فأمسكت و لم احبّ أشق عصا المسلمين و أفرق بين جماعتهم، ثمّ إنّ أبا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت و لم اهيج النّاس و قد علمت أنى كنت أولى النّاس بالله و برسوله و بمقامه فصبرت حتّى قتل و جعلنى سادس سته فكففت و لم احب أن افرق بين المسلمين، ثمّ بايعتم عثمان فطغيتم عليه و قتلتموه و أنا جالس فى بيتى و أتيتمونى و بايعتمونى كما بايعتم أبا بكر و عمر فما بالكم

ص: ٣٨٩

وفيتم لهما و لم تفوا لى و ما الذى منعكم من نكث بيعتهما و دعاكم إلى نكث بيعتى؟ فقلنا له: كن يا أمير المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال «لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» فقال عليه السّلام: لا تثريب عليكم اليوم و أنّ فيكم رجلا لو بايعنى بيده لنكث بإسته، يعنى مروان بن الحكم.

و قد تكلم عليه السّلام فى الموضوعين من باب الخطب فى وصف بيعته بالخلافه أحدهما الخطبه ٥٣ قوله عليه السّلام فتداكوا على تداك الإبل الهم يوم ورودها - إلخ.

و ثانيهما القريب من الأوّل فى بعض الكلم و الجمل، الكلام ٢٢٧ من باب الخطب قوله عليه السّلام: و بسطتم يدى فكففتها و مددتموها فقبضتها ثم تداكتم على تداك الإبل الهم على حياضها يوم ورودها - إلخ. و مال الشارح البحرانى إلى أن كلامه الأوّل أعنى الخطبه ٥٣ أشار إلى صفه أصحابه بصفين و لكنه و هم و الصواب ما أشرنا إليه.

و قال الشارح المعتزلى فى شرح تلك الخطبه: اختلف الناس فى بيعه أمير المؤمنين عليه السّلام فالذى عليه أكثر الناس و جمهور أرباب السير أنّ طلحه و الزبير بايعاه طائعين غير مكرهين ثم تغيرت عزائمهما و فسدت نيتهما و غذرا به و قال الزبيريون منهم عبد الله بن مصعب و الزبير بن بكار و شيعتهم و من وافق قولهم من بنى تميم بن مرّه أرباب العصبية لطلحه إنّهما بايعا مكرهين، و إنّ الزبير كان يقول: بايعت و اللج على قفى و اللج سيف الأشر و قفى لغه هذليّه إذا أضافوا المنقوص إلى أنفسهم قلبوا الألف ياء و أدغموا احدى اليائين فى الأخرى فيقولون: قد وافق ذلك هوى أى هواى و هذه عصى أى عصاى.

انتهى المجلد السادس عشر من هذه الطبعه الجديده القيمه فى اليوم الثانى عشر من شهر شعبان المعظم سنه - ١٣٨٤ - بتصحيح و تهذيب من العبد - السيد ابراهيم الميانجى - عفى عنه و عن والديه فى المطبعه المباركه الاسلاميه بطهران. و يليه انشاء الله: المجلد السابع عشر و الحمد لله رب العالمين.

ص: ٣٩٠

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفاً ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتاهای خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

مرکز تحقیقات رایانگی
خاتمیه اصفهان



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹